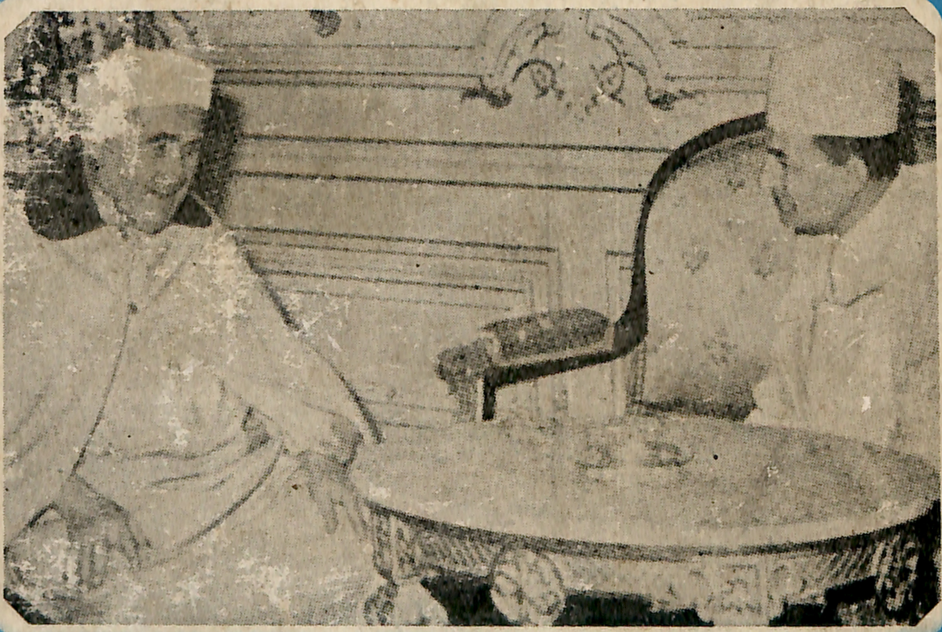
احمد البوعياشي

حرب الريف التحريرية ومراحل النضال

الجزء الثاني



نشر عبد السلام جسوس وسوشبريس

كتـــاب

حرب الريف التحريرية ومراحل النضال

وهى حلقـــة من حلقات الوحـــدة الوطنية الكبـــرى
عبـــر تـــاريـــخ المـــغـــرب

الجـــزء الثاني

تـــألـيـــف :

الاســـتـــاذ :

ج. احمد عبد السلام البوعيـــاشـــى

حمـــدا لله، وصـــلاة وسلامـــا على رسول الله، وعلى ءالـــه وصحابته.

بسم الله الرحمن الرخيـــم

ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيىء لنـــا من أمرنـــا رشـــدا .

صدق الله العظيم

فى هذا الجزء الذى أقدمه للقراء الكرام، أعتز بالتقديم الذى تفضل به الاستاذ السيد محمد العربى الخطابى، لتقريض كتابى «حرب الريف التحريرية، ومراحل النضال» شاكرا له عنايته الملحوظة، وموهبته الفياضة التى سمت به فوق اعبائه الوزارية، راجيا منه قبول امتنانى، وعظيم تقديرى، مع اعتذارى له بأنى لم أتمكن من تصدير الجزء الاول به، حيث لم أطلعه عليه حفظه الله الا بعد مباشرة طبعه .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

خصنى الاستاذ البحاثة الصديق السيد الحاج احمد البوعياشى بفضل تقديم كتابه الجديد ((حرب الريف التحريرية ومراحل النضال)) فلم أتردد فى ذلك بسبب حرصى على التنويه باى عمل يكشف عن جانب من جوانب تاريخنا، ولما اعلمه من فقر الخزانة المغربية فى مادة التاريخ الحديث لبلادنا.

لقد اكب الاستاذ البوعياشى على دراسة تاريخ الريف منذ زمن طويل، فنشر فيما نشر رسالة فى موضوع (((الريف بعد الفتح الاسلامى)))، ولم يفتأ يواصل البحث والتنقيب فى المراجع الخطية والمطبوعة، ويجمع المواد من مصادرها الحية، ويمحص ما وقف عليه منها مستنبطا الحقائق والوقائع حتى تمكن بحول الله من اخراج كتابه الجديد فى جزءين ضمنهما خلاصة جهده وحصيلة ابحاثه غير مقتصر فى ذلك على جمع المعلومات وترتيبها وسرد الوقائع وتبويبها بل انه سلك منهج البحث العلمى ما استطاع الى ذلك سبيلا بما الزمه به نفسه من تمحيص المواد التى وقعت بين يديه ومقارنة المراجع والروايات التاريخية ونقدها لاستنباط الصحيح منها .

واذا كان المؤلف قد قصد الى كشف حقيقة الحرب التحريرية التى قادها الزعيم المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابى رحمه الله ضد الاحتلال الاجنبى معرفا بهذا البطل وباسرته ومستقصيا ظروف تلك الحرب ومقاصدها وابعادها وموضحا لكثير من جوانبها العسكرية والسياسية دون اغفال لطبيعة المجتمع الريفى وبلائه فى سبيل استقلال المغرب وكرامته، فان الاستاذ البوعياشى قد اعطانا فى كتابه معلومات وافية عن تاريخ ذلك الجزء من الوطن الكبير الذى يطلق عليه اسم الريف، فابان عما كان له من اسهام محمود فى الحضارة وحفظ القيم الخلقية والروحية المثلى لوطننا، والذود عن وحدة بلادنا وسيادتها وعزة بنيها .

وقد ربط المؤلف فى ذلك بين الماضى والحاضر فعرف خير تعريف بالريف عبر التاريخ كاشفا النقاب عن اصول قبائله وطبيعة سكانه ومراكز

حضارته فى النكور وبادس والمزمة وغيرها مع ذكر من انجبته تلك الديار او حل من امراء وعلماء وصلحاء وقادة .

ثم تناول المؤلف بالبحث المراكز المغربية المحتلة (سبتة ومليلية وجزر بادس والنكور وملوية والصحراء) مبرزا بذلك وحدة النضال الوطنى من اجل الاستقلال والمحافظة على تمام الرقعة الوطنية والتحام سكانها .

ولا ريب أن الاستاذ البوعياشى قد حقق بهذا العمل الجليل أمنية طالما راودت عديدا من المهتمين بدراسة تاريخ المغرب الا وهى توفير مصادر البحث التى لابد منها لاعادة كتابة تاريخ المغرب العام وفق منهاج سليم يبرز بموضوعية وتجرد وحدة الشعب المغربى التى تكاملت بالفتح الاسلامى وتوطدت بالرسالة المحمدية ورسخت بفضل الثقافة الاسلامية العربية .

وقد كان الريف قلعة حصينة من قلاع الدفاع عن تلك الوحدة ساهم ابناؤه البررة مساهمة كبيرة فى الحفاظ على الشخصية المغربية، كما ساهم اخوانهم فى سوس والصحراء ومعاقل الاطلس والسهول الغربية والثغور الشرقية والمدن التاريخية المجيدة .

لقد بذل الاستاذ البوعياشى مجهودا حميدا يستحق التنويه والتقدير وقد وصفه هو نفسه بانه عمل متواضع، الا ان الاعمال التى يعتبرها صانعوها متواضعة هى التى تزكو وتعطى خير الثمرات لما تتصف به من حسن القصد وصدق الجهد .

واذا كنا نعلم أن تاريخ المغرب لم يكتب لحد الآن كتابة تحيط بجميع جوانبه وتبرز على الخصوص نضال الانسان وعبقرية الشعب ومراحل حياته الروحية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فاننا ندرك قيمة المجهود الذى بذله الاستاذ البوعياشى، فكان من ثمراته هذا الكتاب الذى اقدمه مسرورا للقراء سائلا الله ان يجعله عملا نافعا وان يحفز به همم ذوى الدراية والعلم حتى يصح عزمهم وتتضافر جهودهم على اخراج تاريخ المغرب العام فى حلة علمية رفيعة تعرف ابناء الجيل الحاضر والاجيال اللاحقة بامجاد بلادهم وبطولات ابنائها وبلائهم الكبير فى سبيل الحفاظ على وحدة الوطن واستقلاله وعزته تحت راية القيم المثلى .

محمد العربى الخطابى

الرباط 25 شعبان 1395
3 ستمبر 1975

كلـمـة

شخصية المناضـل المغربى خـلال المجهود الحربى والتنظيمـات القتاليـة

فى الجزء الاول أتينا على ملابسات البيئة، التى كونت أولئك الرعيل من المجاهدين، فى مراحل النضال المديدة، طيلة الاحقاب التى تصعدت فيها أطماع الاجانب، لتمزيق وحدة الوطن، والعبث بمقدساته السامية، وغمط سيادتـه الوطنيـة .

وهنا فى هذا الجزء، نقتحم من خلال فصوله، ميادين الملاحـم المتابعة، التى اندلعت على شواطىء الابيض المتوسط، الى حوض ورغة شمال فاس وتـازا، وعلى ضفاف المحيط الاطلسى، وكما سبق أن قلنـا فى الجزء الاول أن تسمية الكتاب «بحرب الريف» انما ذلك لانها جـرت على أرضية سلسلة جبال الريف، وهو الاسم الذى عرفت به تلك الحـرب لدى الدوائر الوطنية والعالمية .

ونود من القارىء الكريم أن يصحبنا ليقطع معنا فى هذ االجزء، مراحل تلك المعارك، واحدة تلو أخرى، حسب التسلسل التاريخى، ونضمن نـه أن يستمتع ببطولات، أحيت أمجـاد المغاربـة الاقحاح، المعتزيـن بشخصيتهم، واسلامهم، ووطنيتهـم .

ومن خلال تلك الفصول تبدو كفاءة المناضل المغربى، فى التنظيمات القتالية، لحركـة استقطاب المجاهديـن الاشاوس، الذين وجدوا فيهـا ضالتهم المنشودة، يوم عزت كفاءة القيـادة، لصيانة الامجاد المتوارثـة، أسوة باخوانهم مجاهدى الاطلس المغربية، وبيداء الصحارى الشاسعة، لان الجميع لم تخب لهم شعلة النضال الا بعد ان استنفذوا طاقاتهـم القتالية، تحت وطأة جحافل الاستعمار فى حروب صليبية، كان المغـرب فيها ءاخر من غلب على أمـره، ضمن مآسى العالم الاسلامى، الـذى رزىء بسرطانه الفتـاك .

الا أن الله رحيم بعباده المومنين، فقد دارت الدائرة عليه، وشفى العالم من دائه الوبيل، وجهله المستطير، فانكشفت الغمة، وعاد المغرب ليتابع مسيرته، وعادت أمجاده تسير حثيثة الى غد أفضل، والى ما قدر له من المجد والعظمة، ضمن المجموعة البشرية، بفعل مؤهلات جعلته فى حلبة السباق مع الزمن، لكسب الرهان .

وما هذه المؤهلات الا ما حباه الله به، من القيادة الرائدة الحكيمة ذات المردود التاريخى، التى تقوده فى كل المجلات التى سخرها الله للبشر، والتى أتت نتيجة العقل المبتكر، والعزيمة الفولادية التى لا تلين والتى تفعم القلب الكبير، تلك هى الموهبة الالهية المتحسمة فى شخص أمير المؤمنين، جلالة الحسن الثانى، العاهل المغربى الكريم الذى يقوده بالشعور الكامل، بالامانة العظمى، تلك الامانة التى ورثها ارثا تالدا عن أسلافه المقدسين، الذين استماتوا لحفظ الامانة، فى مزايا السيادة، ومراسيم العظمة، وغرس الاباء والشمم فى هذه الامة، التى أسلست قيادها لهذا العرش العلوى، عن الايمان الراسخ بأنها محفوظة بحفظه

وان الشعب المغربى يفاخر فى هذا العصر بأنه يرعاه قائد متطور نتطور العصر الحديث الذى يسير به تحت لوائه كتلة واحدة متراصية، متقدما بتعقل وتبصر الى ما قدر له من الرقى، ومسايرة الركب العالمى .

كما أنه يفاخر أيضا بالامجاد التى خلفها له أجداده فى معارك أنوال التى تعنى سلسلة من المعارك، تبتدىء من الجيوب التى تفرعت عن مركز أنوال، أمامه وخلفه، ابتداء من «ادهار ابران» واغريبين، وسيدى ادريس، الى اعرويت، والناضور، وما بين ذلك من الحاميات، المنبثة هنا وهناك على مساحة تقدر بنحو ستة آلاف كلم مربع.

وقد كانت سرعة ابادتها مثار الدهشة ودواعى الاعجاب، وصففت مع أمجاد المغرب التاريخية ، التى التحم فيها الشعب بالعرش .

وهذا هو المفهوم الصحيح، الذى تقتضيه الاعراف الاسلامية، التى سار ويسير عليه المغرب المسلم فى تاريخه الطويل، لان ارتباط الشعب بأمراء المومنين بالبيعة، تفرض عليه (الشعب) أن يقوم بما كان يقوم به

أمير المؤمنين، عندما يكون هناك عائق قسرى يعوقـه عن القيام بالدفـاع عـن حوزة الوطـن .

واذا كانت حرب الريف من هذا النوع، فلان ظروف بسط الحماية الافرنسية، على المنطقة التى يتواجد فيها سلطان المغرب اذ ذاك، والـذى فرضت عليه فرضا استعماريا بالقوة العسكريـة، وسلبته حق الاتصـال بشعبه المبايع له، المكافح فى الشمال والجنوب والاطلس، فان تلك الحرب تعتبر احدى المهام الواجب على شعب الشمال أن يقوم بها، وقد قام بهـا دفاعا عن حوزة الوطن، ولا يعتبر العرش المغربى غائبا عنها، أو كانت تلك الحرب على هامش العرش، ما دام التحام الشعب بالعرش تشده البيعة التى فى عنقه كواجب اسلامى ووطنى، واذا لم يقم بذلك، فانه يكون قد خـان عهد البيعـة .

ومن هذا المفهوم التاريخى الاسلامى، فان ملاحم أنوال تعتبـر غرة فى أمجاد عهد العرش العلوى، كما كانت ملحمة زلاقة فى غرة أمجاد العهد المرابطى، وملحمة الارك فى غرة أمجاد العهد الموحدى، وملحمـة وادى الماخزن غرة فى أمجاد لاعهد السعـدى .

ولا يمكن الفصل بين ما ياتيه المبايع بفتح الياء وبين ما ياتيه المبايع بكسرها نيابة عنه، فى جهة من الجهات، فى هذا السبيل وكل ما يمكن أن يقال عكس ذلك، فهو من الحرب الاستعماريـة النفسية، لتشتيت ذلـك الالتحـام المقـدس .

ولمعرفة ضرواة القتال الذى جرى فى تلك المعارك، ولاجل تصحيح مفهوم معركة أنوال التى يتبادر الى الذهن أن تلك المعركة هى قاصرة على مركز قيادة الجيش الاسبانى بأنوال منفصلة عن الحاميات المنبثقة عنه اماما وخلفا ويمينا وشمالا مع أنها جميعها كانت ملحمة واحدة جاءت الانتصارات فيها للمجاهدين متتابعة الى أسوار مليلية، فاننا نتابع ذلك بتفصيل وتدقيق. بعد تفصيل معارك الجبالة قبـل 1921 .

المؤلـف

18 شـوال عـام 1395

23 اكتوبـر سنة 1975

قتـــال عنيـــف علـــى ضفـــاف الاطلســـى

قبـــل سنـــة 1920

الـريسـوني ـ سلفسـتـرى

لنترك مؤقتا الصراع فى الريف الذى وصل الى تجميد التحركات العسكرية، والاحتفاظ بالمواقع التى أحرز العدو عليها فى تفرسيت وميضار وسيدى احساين بأمر من حكومة مدريد الجديدة، تخفيفا من باهض النفقات العسكرية، التى تتحملها اسبانيا فى ميزانيتها العامة .

وبالاخص فان الشعب الاسبانى اصبح فى غليان بسبب حرب افريقيا، التى استنزفت القوة المادية والبشرية أو كادت، فى حين أن مردود هذه الحرب القذرة، لا يوازى تلك النفقات التى قدرت فى 67 مليون بسيطة سنويا، لنعود الى تلك الجهة عندما تعود الاحداث من جديد على مسرح المعارك انطلاقا من معركة (أدهار أبران)، وننتقل الى الجهة الغربية، التى تمتد من سبتة الى القصر الكبير، حيث تضم القبائل التالية :

حوز تطوان، أنجرة، بنى حزمار، بنى سعيد، بنى زجل، بنى حسان، الاخماس السفلية، بنى يدر، ودراس، بنى مصور، جبل حبيب، بنى عروس، فحص طنجة، الغربية، بنى كرفط، سماتة، الخلوط، أهل سريف، بنى يسف، بنى زكار .

فى خضم هذه الاحداث التى جرت فى الريف، كان على شواطىء الاطلسى، وتخوم جبل طارق تحركات أخرى للجيوش الغازية، ففى غضون سنة 1911 نزل هناك ضابط الفرسان فرنانديس سلفسترى، ذى الشارب الكثيف، والافكار الارتجالية، على شواطىء مدينة العرائش واحتلها بتاريخ 8ـ6ـسنة 1911، كما احتل القصر الكبير بتاريخ 10ـ9ـ1911.

وفى فبراير سنة 1913، تقدم «الجنرال افرو»، على رأس جيش آخر من سبتة، واحتل مدينة تطوان، التى جعلت من ذلك التاريخ

عاصمة منطقة الشمال، التي وضع على رأسها خليفة للسلطان وهو مولاى المهدى بن اسماعيل، أحد أبناء عم السلطـــان، وكان استقدامـــه من فاس حيث كان خليفة لمـــولاى عبد العزيز، استقـــدم عن طريق الدار البيضـــاء على ظهر الباخرة الاسبانية «كاطالونيا» محروسة ببواخر ثلاثـــة الى أن نزل بمرتيل بتاريخ 27 ابريل 1913 حيث نصب خليفة فى تطوان، بعدمـــا كان العقيد سلفسترى جعل مقام الخليفة السلطانى موضع المساومة أمام المغامر المغربى مـــولاى احمد الريسونى، متزعم قبائل الجبالة فى ذلـــك التـــاريـــخ

ذلك أن ضـابط الفرسان بعدما احتل مدينة العرائش تسابق مـــع الزمان ليكسب المجد العسكرى فاحتل مدينة القصر الكبير وهدد باحتـــلال مدينة أصيلاء التى كانت مركزا لزعامة الريسونى .

وفى بادىء الامر بدا له أن يفتح تلك القبائل المناضلة بالاساليب الاستعمارية الملتوية والتى تنطوى على الحيل والخديعة، فربط اتصالا وديا مع الشريف الريسونى، ممنيا له بأن تضعه اسبانيا خليفة للسلطان على منطقة النفوذ الاسبانى، وانه حينما يكون كذلك يستبد باعمال المنطقـــة تحت حماية اسبانية، التى تمد له يد العـــون، وتزوده بما يلزم، لتقويـــة مركزه، الذى يصبح مركزا شرعيا وقانونيا، وقد تلقى الشريف الريسونى ذلك بادىء ذى بدء بآذان صاغية، وتبادل مع سلفسترى الهدايا الوديـــة حيث تقبل الهدايا التى قدمها هذا بترحاب، وكانت الامور تسير علـــى ما يرام، ولكن كـــان يتحتم على كل من الصديقين المختالين أن يكـــون احدهما على حذر من الآخر، فضابط الفرسان عندما يعمد لفتل شاربه، يكون قد ارتجل فكرة، سرعان ما يعمد الى تنفيذهـــا بنفس الارتجـــال، وهكذا مهد لمقابلـــة الريســـونى فى أصيـــلا، وتلاقيا فعلا بتاريـــخ 19 اكتوبر 1911، واثر هذه المقابلة التى كانت تنطوى على اغراء الريسونى بالوعود، وظن أن وعوده تكفى لان يتقدم بجيوشه الى اخضاع قبائـــل الجبالة، وعلى الاقل ان يتقدم ولو لمسافة محدودة عجما لعود صديقـــه الخطـــير .

أما من جانب الريسونى فان احتلال القبائل الجبلية التى تعتبر

تحت نفوذه المباشر، وتأتمر بأمره ولو بصفة متزعم لا يكون مقبولا، لديه، الا بعد تنفيذ الشرط المتفق عليه، الذى يفتح أمامه مجال التسلط بصورة شرعية، ولذا فانه أبى عليه أن يخطو أية خطوة الى الامام، وقد تبين لسلفسترى، أنه ما دام الوضع الى هذه الدرجة من التعقيد، فان الاحتلال السلمى لقبائل الجبالة أصبح أمرا عسيرا، وبالتالى يحرمه من كسب الامجاد العسكرية التى قطع عليها عهدا لحكام مدريد اذ بدا له أن الامر من السهولة بحيث يصمد بالحيل أمام أولئك الاغرار الذين لم يعرفوا وضع شارة القيادة يوما ما على أكتافهم، ـ حسب رأيه ـ ولذا جد جده فى استصدار قرار الحكومة الاسبانية، بتعيين الشريف الريسونى خليفة للسلطان بالشمال، وقد بعث بالاقتراح رأسا الى ملك اسبانيا، الذى احال بدوره التقرير الى الحكومة، ولم يبخل فى التقرير المرفوع الى مدريد عن مزايا هذا الاقتراح، لا بالنسبة لشخصية المقترح، ولكن للفوائد التى تجنيها اسبانيا من اسكات صوت مغامر خطير فى قبائل كلها تعد على وتيرته فى ميدان المغامرة .

الا أن حكومة مدريد التى ارتبطت باتفاقيات مع فرنسا، التى ارتبطت هى بدورها بعقد الحماية، رأت أن الاقتراح غير وجيه، نظرا الى أن شخصية الريسونى غير مقبولة لدى دوائر البلاط المغربى، لانه من منذ نعومة اظفاره وهو يصعد فى خلق المصاعب لها، مما اضطر ذلك البلاط الى الزج به فى غياهب السجون تحت الارض مكبلا الى جدرانها التى تنفح رطوبته فى جزيرة الصويرة التى وصفها المؤرخ الانكليزى «اكنور» الذى زارها عام 1921 أى أيام المعارك مع الاسبان فى الريف وجبالة بقوله :

«انه عندما زار الجزيرة تملكه الشعور بأنه يطأ أرضا فى حالة احتضار، حينما وقع بصره على مأذنة قصيرة ترتفع الى السماء، فى جانب مسجد مهجور، وعلى سجن خال يقع تحته، كان يعج فى يوم من الايام بالمتمردين المغاربة الذين يقعون فى قبضة السلطان، وكانوا يموتون يوميا ليطرح بجثثهم الى البحر، وكان البعض منهم مثل الريسونى يتمكن من الافلات ليعود الى الحرب مرة أخرى» .

«وتوجد الى جانب ذلك صهاريج وآبار فى حالة اهمال مماثل، وهناك أيضا المدافع المقلوبة لا تزال مصوبة نحو البحر، بعد أن خلت أيامها». وقال فى معرض الزيارة للجزيرة «انه لا يكفى ان تلتمس الزيارة للجزيرة لتجاب، بل لابد من الحصول على اذن بذلك من رياح السماوات ومن مزاج المحيط». وقد بقى بها الريسونى، بعيدا عن الجهة التى يعيش فيها، حتى أنه بقى منسيا فى ظلمات ذلك المعتقل، الى أن تهدمت صحته بأمراض الروماتيزم والنقرس، ووصل به اليأس والقنوط مبلغا عظيما يتجلى ذلك فى الرسالة التى كتبها من السجن الى باشا تطوان السيد محمد الحاج يطلب منه أن يستشفع فيه لدى السيد الحاج محمد الطريس، وعند ابناء عمه سيدى عبد السلام بن المهدى وابنه سيدى محمد، وقد جاء فى الرسالة «ان ينظروا فينا بعين الرحمة يا سيدى هذه أربع سنوات وزيادة على ذلك ونجن فى السجن ولا يزالون حاسبين علينا قلة المروءة، ونحن فوالله ثم والله كل ما جاز ندمنا فيه غاية الندم».

ثم زاد قائلا «اذا لم يثقوا باسلا منا، فلا تطالبهم فى التسريح، بل فى الانتقال الى سجن تطوان ويتركوننى فى السجن حتى نموت وأنا مسامح لهم».

«ولم يضرنى سيدى الا والدتى تركتها ورائى كبيرة السن، وطاش عقلها من أجلنا».

وهى مؤرخة بـ 11 شوال عام 1317 هـ. (1)

وعلى كل حال، فان تسميته خليفة السلطان وهو لا ينتمى الى العائلة المالكة فى شىء، يعتبر خلقا للقطيعة التى لا تفيد اسبانيا، بل بالعكس ستجنى منها عزلة مضنية، والحال ان المنطقة لا زالت تغلى غليان المرجل، من جراء الحماس الملتهب، الذى يظهره الاهالى ضد الجيش الاسبانى، واكتفت الحكومة الاسبانية بأن طلبت من الملك منح الريسونى وساما رفيعا وقد لبى الملك هذا الطلب، واصدر قرارا يمنحه ذلك الوسام، وقد

---

(1) نقلها برمتها الشريف سيدى التهامى الوزانى فى كتابه تاريخ المغرب الجزء الثالث صحيفتى 140–145.

غضب الريسونى لهذه المنحة الوضيعة، واعتبرها نكوصا عن الشرط الاسبانى، ليخمد الى السكون، وثارت ثائرته، ليصب جام غضبه على أولئك الذين تعاملوا مع تلينتى كولونيل سلفسترى أيام المفاوضة، انتقاما لشرفه المداس حسب زعمه، وقد قابله هذا بنفس الشدة، اذ أرسل قوة من جيشه لردعه عن الانتقام من عملائه الذين حصلوا فى قبضته، وقد استطاع أن يرد انصار الريسونى من معركة حامية الوطيس، مما زاد هذا ان يحتد غضبا رافعا شكواه الى الحكومة الاسبانية بواسطة الوزير الاسبانى بطنجة .

وقد اعتبرت الحكومة الاسبانية أن عمل سلفسترى ضد الريسونى اتسم بالطيش، فاستدعته الى مدريد لعرض تفاصيل القضية أمام الحكومة التى اقنعها أخيرا بوجهة نظره، اذ ردت اليه اعتباره ورجع الى مقر عمله بالعرائش، وبمجرد وصوله اقتحم مدينة أصيلا بتاريخ أواخر سنة 1911، فى غيبة الريسونى الى مسقط رأسه بقرية الزينات بفحص طنجة، وانما اقتحم أصيلا لانها عاصمة الريسونى الادارية وفيها يوجد السجن الذى أودع فى غياهبه أولئك الذين غضب عليهم، وذلك لاجل انقاذهم، وقد حصل له ما أراد، فقد وجد السجون مملوءة بأولئك البائسين الذين ألقى بهم القدر فى أيديه، حيث لا رحمة ولا شفقة، وهم يكابدون الجوع والعطش .

وفضلا عن ذلك فقد القى القبض على جماعة من ابناء عمومة الريسونى، وأخذهم كرهائن لديه، وقد زاد عمله هذا فى توتر الحالة التى ازدادت تفاقما، فكل من الرجلين مريض بالعظمة والطموح التى تعمى وتصم، وعندما رقى سلفسترى الى درجة كرونيل بتاريخ مارس 1912 بدا له أن يقوم بهجوم خارج أصيلا فتوجه بعسكره وعسكر فى المحل المسمى بالعش ثم زحف على سوق أحد الغربية كما هيأ هجوما من جيش القصر الكبير على قرية أولاد بومعيزة فى الخلوط بتاريخ 31 غشت 1912 التى كانت محل تجمع أنصار الريسونى، بعدما وضع على مدينة القصر الكبير وأحوازها كباشا الحاج بوسلهام الرميقى وهو يعتبر عدوا لدودا للريسونى، وهنا انفجر الريسونى

بالشكوى لدى حكومة مدريد بواسطة وزيرها بطنجة مهددا بالانتقام ، وأخذ الثأر من أى اسبانى يمكن العثور عليه بوسائله التى يجيدها والتى لا تعوزه، كما جعل يضطهد كل من علم أنه يتصل بالاسبانيين، وقد سجن بتاريخ يناير 1913 جماعة من مدشر الخالديين من قبيلة بنى عروص وفرض عليهم غرامة قدرها خمسة الآف ريال لموالاتهم للاسبانيين الا أن سلفسترى تدخل لدى الريسونى فطلب اطلاق سراحهم فأطلقهم، واذ تعلم حكومة مدريد أن للريسونى قدرة خارقة على الاختطافات الخطيرة، حيث سبق أن اختطف أميركيين من رجال الاعمال، يدعى احدهما «ايون بيرديكاريس» ويدعى الثانى «فارلى» كانا مقيمين فى طنجة وخرجا منها ذات يوم من سنة 1907 لرحلة صيد الى جهة الزينات، فالقى عليهما القبض واحتفظ بهما أسيرين الى أن وقع فداؤهما بأربعة عشرة ألف جنيه استرلينى، بعد ما تدخل رئيس الولايات المتحدة نفسه فى القضية .

كما اختطف بعده المستشار البريطانى المدعو «هارى فاك لين» الذى كان صحب حملة هيأها مولاى عبد العزيز لتأديب الريسونى، اثر الاختطاف المشار اليه تحت قيادة بوشتة البغدادى الذي عسكر قبالة قرية الزينات، بالموضع المدعو سيدى العربى، وقد رأى المستشار البريطانى أن يزور الريسونى فى مركزه بالزينات، ليشرح له العواقب الوخيمة لاعمال العصيان ضد السلطان، ويطلب منه أن يرجع الى جادة الصواب، وبعد حوار حاد بين الرجلين وبعد أن قدم رسالة خطأ الى الريسونى تقضى بالقاء القبض عليه أعلمه الريسونى بأنه أصبح أيضا بدوره غنيمة أتت به الاقدار فاحتفظ به أسيرا، وذلك ما دعى الى ارتباك المستشار البريطانى الذى عسر عليه ان يفهم اهدار كرامة الرسول الى هذه الدرجة، لانه لا يدرك أنه قدم الى الريسونى صحيفة الشاعر طرفة ولا يحتاط مثل ما فعل الشاعر المتلمس فى قول بعضهم :

القى الصحيفة كى يخفف رحله　　　والزاد حتى نعله القاها

وقد ظن لاول وهلة انها لا تعدو أن تكون لعبة لمدة قصيرة، ولكن لما استمر اسيرا لمدة سبعة أشهر جعل يصف الرجل بأنه لا يعترف

بالشهامة، ولا يقيم لها وزنا، وانما يعتبر من لصوص الادغال، غرضه أن يبتز الاموال بأية وسيلة كانت، ولو باهدار كرامة الرسول الذى لم يسترد حريته الا بعد فدية اداها السلطان مولاى عبد العزيز من خزينة الدولة مبلغها 20.000 جنيه استرلينى، وهكذا ديدنه أيام مولاى عبد العزيز، فلما وقع نزاع بين الاخوين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ سنة 1908 على العرش العلوى، اهتبلها الريسونى ليظهر ضغائنه ازاء الاول الذى وجه اليه حملة التأديب كما أسلفنا، والتى ارفقها بحملة أخرى تحت قيادة الامرانى تجر 40 الف جنديا وباءت بالفشل أيضا، فانضم الى الثانى يؤازره، حتى اذا انتصر مولاى عبد الحفيظ، انعم عليه بتوليته على أصيلا، وقبائل جبالة، فأصبح واليا مما جعله يعترف بالجميل ازاء السلطان مولاى عبد الحفيظ فرد عليه الفدية التى أخذها عن المستشار البريطانى التى هى مبلغ 20 ألف جنيه استرلينى من خزينة الدولة .

ولهذه الاعتبارات كلها فقد رأت حكومة مدريد أن تعنف سلفسترى عن تصرفاته الهوجاء، باقتحامه مركز الوالى الذى يعتبر واليا شرعيا لدولة المغرب المحمية، فأمرته باطلاق سراح الرهائن، ثم عزلته عن قيادة المنطقة التى كان يحتلها واثر ذلك قدم سلفسترى استقالته بتاريخ 5 فبراير 1913 وخلفه الجنرال «لوكى». وقد بدا لاعين أهالى قبائل جبالة أن الريسونى فاز بانتصار باهر، وان الجيش الاسبانى تخلى عن عملائه، وتركهم فى رحمة الاقدار بأيدى الريسونى، فتسابقوا الى نيل العفو منه وعظمت شوكته، اذ أنه الى الآن لم تحمل اليه الارياح الا دواعى الطموح، والعظمة، فاستفحل أمره وقام بحملة تأديبية بين القبائل، تسير وراءه بطانات السوء، التى لا تحمل ورعا، يكون وازعا لها يردعها عن ارتكاب الموبقات .

أما الانانى الآخر ضابط الفرسان فقد خارت عزيمته، وسقط فى يده، وابتعد حلم المجد العسكرى وذهب ادراج الرياح، فقد انتصر عليه «لحم الثور الوحشى»، (1) الذى استطاع بدهائه أن يكسب المعركة

(1) هو عنوان لكتاب الفه الامريكى كون يعنى به محاربى الشمال .

بدون قتال، ولكن اللوم حسب منطقه لا يقع الا على أولئك الجبناء الذين يقتعدون كراسى الحكم بين الجدران الاربعة فى مدريد، فيرون الاشياء بمنظار الاوراق، ولا يرونها بمنظار الرصاص، الذى يحسم الاشياء حسما.

وكما اسلفنا فانه فى سنة 1913، قاد الجنرال «ألفـــو» حملة مـــن سبتة، واحتل مدينة تطوان، حيث عين مقيما عاما لاسبانيا بالمغرب، وقائدا عاما للجيوش فيما وراء البحار، وكان من أولى مهامه ان يركز عمل اسبانيا سياسيا فى المغرب، فجعل تطوان عاصمـــة الشمال، كما سعى لتنصيـــب مولاى المهدى بن اسماعيل خليفة السلطان، وهـــو ابن عمه الذى يغبـــط لاحتلاله هذا المحل الذى يهمه، قطعا للطريق عن الدخلاء ذوى المطامع ووقع اختياره على وزير للصدر المدعو بن عزوز أصله من مدينة مراكش، وبذلك انتظم العمـــل السياسى.

وحينما علم الريسونى بهذا الاجراء الذى اعتبره وقع على حسابه، وانتقاما منه، فانه ثارت ثائرته وأعلن بين قبائل الجبالة الجهاد فى الجيش الغازى، وتحولت انظاره متجهة الى تطوان نفسها فوجه حملة القبائل الى أن عسكرت بضواحى تطوان، فقاد الشريف سيدى محمد ولد سى الحسن من مدشر «تكزرت» من بنى عروس، جماعة من المجاهدين عسكروا فى دار ابن قريش، جعلوها مركزا للعمليات ضد الجيش الاسبانى بتطوان الذى يقوده المقيم العام الجنرال الفاو، وقد عززت كـــل قبائل الجبالة قـــوة المجاهدين، وقد استمر مركز دار ابن قريش ذا قيمة حربية ويعتبـــر أول مركز اقض مضجع الجيش الاسبانى، ومن هناك اندلعت الشرارة القوية النظامية، حيث نفخ روح الجهاد من المناضلين وقـــد فزع الاسبان لهـــذه التحركات القبلية ضدهم، حيث أصبح القتال يمتد من القصر الكبير الـــى تطوان، بينما كانت قوة الفاو فى تطوان لا تتعدى 2500 جنديا، وقد تطورت الامور ضد هذا الجيش، اذ أصبحت قبائل جبالة تتوارد على أماكين القتال بمجرد ما يرون النار الموقدة فى القمم والذرى ايذانا بتحركات العـــدو، وكان بفندق عين الجديدة قوة اسبانية لضمان المواصلات مـــع الجيوش التى على شواطىء الاطلسى، فتقهقرت راجعـــة الى تطوان، خوفـــا من

ابادتها واثر ذلك جرب الجنرال الفاو أن يقوم بهجوم أولى على اللوزيين، فسير حملة من الجنود الاسبانيين بتاريخ 11 يونيه 1913، فتصدى لهم المجاهدون وهزموهم الى أن وصل بهم المجاهــدون الى أسوار تطــوان، ثم عزز الجنرال الفاو جنوده بالقوة النظامية التى تدعى «بالريكولاريس» وجلهم من المغاربة واحتل بهم مركز اللوزيين، ولمقابلة هذا الجيش من طرف المجاهدين أسسوا مركزا آخر بالمحل المدعو ظهر القيطون، بأعلى قنطرة بوصفيحة، قبالة معسكر الجيش الاسبانى باللوزيين، غربى تطوان، تحت قرية الدشريين، وكانت القوة الاسبانية تقدر بثلاثة الآف جندى بقيــادة بريمو دى الرفيرى، وهو برتبة جنرال وكان يضم الجيش من الضبـــاط الكولونيل برينكر (أصبح مقيما عاما بعده) وسانخورخو برتبة كمنــدار وفرانسيسكو فرانكو برتبة كبطان، وبالينيو برتبة ملازم (سانخورخــو وبالينيو توليا بعده مقيمين) .

وكانت قيادة المجاهدين تحت رياسة البطل المجاهد السيد محمد الخراز، من زعماء بنى عروص، وكان يتحلى ببطولة نادرة، يقال عنــه أنه لم تفته معركة من معارك جبالة مع الجيــش الاسبانى، لم يحضــر فيها، كما حضر فى هذه المعركة أحد الابطال الاسطوريين ويدعى احمد بن عزوز المرابط وهو من الريف استشهد بعد ذلــك فى معركــة دار ابن قريش، ودفن فيها ولا زال قبره مزارا الى الآن وقــد نشبت المعركــة بين «ظهر القيطون» و «اللوزيين»، وكانت ضارية، واستمرت لمدة ثلاثــة أيام، 6–7–8 رجب عام 1331 هـ. كبدت للجيش الاسبانى خسائــر فادحة، يقال أنه لم ينج من الموت الا سبعة من الجنود، وقد يكون مبالغا فيها، الا أن الاسبانيين أنفسهم اعترفوا بالخسائر الفادحة ونسبوا ذلك الى أن الجنود الذين دخلت تطوان، كانــوا ينهبون الدور، ويغتصبــون النساء المغربيات مما أدى الى احقاد الاهالى ضدهم .

وبعد هذه الهزيمة للجيش الاسبانى، التى جرت على أبــواب العاصمة الجديدة، التى تحتضن الخليفة السلطانى، الذى يؤدى صــلاة الجمعة تحت طقــوس تقليدية للدولة المغربيــة، هاجت دوائر اسبانيــا المعنية، وطلبت استبدال المقيم العام الفاو وأخذ الامر بالحزم والصرامة،

لاعادة سمعة اسبانيا التى تضيع بين فينة وأخرى، والتى أصبحت الهزائم مسترسلة تترى، فمن هزيمة بكوبا عام 1899، حيث فقدت امبراطوريتها عبر الاطلسى، كما فقدتها من قبل عبر المحيط الهادى، الى اضاعة السمعة العسكريـــة فى أدغــال الشمال الافريقـــى، بين جماعة من متوحشـــى جبالهـــا بزعمهـــم .

وقد رأت الحكومة الاسبانية استبدال الجنرال «الفاو» بالجنرال «مارينا» الذى كان يوجد الى ذلك الوقت حاكما عسكريا عاما على مليلية ونواحيها، وقاد هناك معارك ضد الارياف، وكان ضمن البرنامج الجديـــد ارجاع سلفستري الى مقر عمله بالعرائش نظرا الى خبرته بتلك النواحى من جهة ولانه العدو اللدود للريسونى من جهة ثانيـــة .

وفعلا جيىء بمارينا بتاريخ 15 غشت 1913 الى الاقامة العامـــة بتطوان، وارسلت اليه النجدات بلغت الى 40 ألف جندى، ركز معظمها فى الخط الرابط بين القصر الكبير ــ ثلاثاء الريسانة ــ على وادى وارور ــ أصيلا ــ حجرة النحل ــ العقبة الحمراء ــ عين الزيتون ــ طنجة، وهـــى مرسى انزال الجيوش التى تعتبر مفتوحة وأول ما فكر فيه المقيم العام الجديد هو عقد مهادنة مع الريسونى الا أن حادثـــة صنعها سلفستـــرى كعرقلة للوفاق مع الريسونى جعلت مقام مارينا فى الاقامة العامة لا يطول، فقد دبر ــ أى سلفسترى ــ اغتيال رسولى المقيم العـــام علي القلعـــى ورفيق له الى الريسونى حيث خنق ورمى به فى الواد بين العقبة الحمراء وبوعشة، وبعد البحث قامت به لجنة عينها المقيم العام تبين أن باشا أصيلا هو الذى دبر اغتيالهما بأمـــر من سلفسترى فاغتـــاض «مرينا» وقـــدم أستقالته فعينت حكومة مدريد الجنرال «كوميس خوردنـــا»، وهذا الاخير هو الذى وطد الهدنة مع الريسونى الذى قدم مساعدة كبيرة فى أول الامر للجيش الاسبانى، فبعد مقابلة جرت بين خوردانا والريسونى بتاريخ 20 ماى 1916،، تم استيلاء الجيش الاسبانى على فندق عين الجديدة الـــذى هو عنق الزجاجة بالنسبة للاتصال بين تطوان وطنجة والعرائش، كما مهد لاستيلاء الجيش الاسبانى على قسم من أنجرة وللحوز ووادراس وساعد ــ أى الريسونى ــ الجيش الاسبانى على الهجوم على مدشر البيوت من

قبيلة أنجرة الذى كان مركـزا مهما لتجمع المجاهدين يهددون به مدينـة سبتة ونواحيها فقام الجيش الاسبانى بالاتفاق مع الريسونى على تبديد المجاهدين من هذا المركـز فشن الجيش هجومـا عنيفا شارك فيه عـدة طابورات فى حين قام الريسونى بمحاصرة المجاهدين ومحاربتهم مـن جهته، الامر الذى مهد للجيش الاسبانى أن يقضى على هذا التجمـع ويحتل مدشر البيوت بتاريخ 19 يونيه 1916، ورغم ذلك فانـه عندما يجد فرصة سانحة للضغط على الاسبان ينقلب عليهم .

وكانت تضم القوة الاسبانية فى الشمال من الضباط المعروفـين، الكومندان أوركاس (أصبح مقيما عاما بعد ذلك) والكولونيل كبوديانـو والكولونيل مولا والملازم الكباس والكولونيل سلفسترى وقد قاد هـذا الاخير حملة هجومية على أربعاء عياشة شارك فيها الكمندار أوركاس، انطلاقا من مدينة أصيلا التى كان احتلها الجيش الاسبانى، كما احتـل اثنين سيدى اليمنى عن قبيلة البدور، وجعل هذه الاخيرة محل القيـادة العامة، للتمركز بالقوات المهاجمة، كما قاد آخرون هجومات على «التفار» من أهل اسريف، وقد اشتركت فى معركة اربعاء عياشة التى كـانت من أروع المعارك، القبائل التالية: بنى عروص، وجبل الحبيب، وسماتة، وكان المجاهدون تحت قيادة بطلـين من قبيلـة بنى عروص وهما: السيـد عبد الكريم النتاج العلمى والسيد محمد بن الحاج امجاهد، وكان خـط القتال قد امتد من جبل الحبيب الى قبيلة بنى كرفط، حيث كانت هـذه تقاتل فى قبيلتها تحت قيادة السيد محمد الموذن، كما امتد على ثلاثـاء الريصانة على ضفاف نهر وارور الى وادى لوكوس بأهل سريف .

أما المجاهد الموذن الذى كان فضلا عن المعارك التى يخوضهـا مع الجيش فى واضح النهار فقد كان يقوم ليلا بالعمل الفدائى المركز، حيث يسطو على مركز العدو هنا وهناك، حسب الخطة التى يدرسهـا مع رفاقه فى الكفاح، والتى تكون مواتية لزرع الرعب، وشد الخنـاق على المجندين مما أفزعهم وأقلق بالهم، حتى أن جنود العدو تخيلـوا صورته المرعبة فى كل لحظة من لحظات حياتهم التعسـة .

وقد استطاع بهذا السطو البطولى أن يأخذ راهبـا ومهندسـا

أسيرين، بعدما اقتحم أحد القلاع المحصنة، التى كانت مهمة الراهب فيها تبشير الجنود، وزرع الحماس الدينى، حاثا اياهم لاجل افتتاح الارض التى لم تعرف تبريك المسيح، والتى تحتاج الى تطهيرها من هؤلاء الذئاب التى تعوى فى أدغال الجبال حسب زعمه .

أما المهندس فكان يضع أمامهم تصاميم الوديان والشعاب ويشرح كيفية تسهيل اجتيازها فى زحفهم بواسطة القناطير المتنقلة، التى تكون عماد الجيش فى تقدمه، تذليلا للعراقيل الطبيعية وغير ذلك من المهام الحربية، وقد لقى هذا الاخير حتفه لما عمد الى الفرار من قبضة الفدائيين بعدما أوصلوه الى مخبأهم بجبل بوهاشم .

وهنا يجدر أن نوضح شرعية هذا الاختطاف، الذى أضفى الجانب الاستعمارى عليه وصف الوحشية وعدم احترام رجال الدين، حتى أدى بهم الحال بعدما خمدت الحرب التحريرية نهائيا، أن قادوا هذا المجاهد على رؤوس الاشهاد الى ساحة الاعدام، بمركز تجمع الجيش باثنين سيدى اليمنى بعدما استحضروا أهالى القبائل المحيطه بالمركز بمن فيهم أقارب المجاهد، فأعدموه بالرصاص من دون أدنى محاكمة ، ولو صورية .

ذلك أن الراهب والمهندس المصاحبين للجيش الغازى فى خطوطه الامامية، لتسهيل مهمته واسداء العون الضرورى له، يعتبران محاربين، لا يقل عملهما عن عمل الذين يسددون بنادقهم الى الجانب الآخر، فى ساحة الوغى، ولذا فانهما يتعرضان لما يتعرض اليه المحاربون من القتل والاسر وجميع العواقب التى يتحملونها، فلا غضاضة اذا وقع اسرهم، وبالتالى فلابد من مطاردتهم عند الفرار، بما هو مألوف فى هذه الحالة، من تسديد البندقية لكبح جماحه، ولو أدى ذلك الى قتله أسوة بزملائه الجنود فى مثل هذه الحالة .

أما أن يكون اعدام الرجل المغلوب، والذى يعتبر فى حالة سلم بدون محاكمة، فان ذلك خرق لمبادىء الشهامة أولا، وهتك للاعراف السائدة لدى المتحاربين ثانيا .

وعلى كل حال، فان أوصاف الوحشية وعدم التمدن تنقلب

حقائقهما عند ما تزيغ الرجولة ويفلت زمامها من المتعصبين الجبناء .

وقبل ذلك كان الريسوني يقود المجاهدين في معركة أخرى تدعى فيما بعد معركة الطلال، وكان راكبا جواده يحث المجاهدين على الثبات، ويصدر أوامره اليهم، مشاركا في القتال عمليا، وقد كـاد أن يقع أسـيرا في يد العدو، عندما أصابت رصاصة مصوبة اليه جواده، فخر صريعـا، وسقط الشريف من أعلاه، متعثرا في ثيابه، مع عدم تمرنه على تسلـق الشعاب والمسالك الوعرة، وقد جاءته النجدة الالهية على يد أحد رجـال الدين والورع، ممن كان يتولى في بني كرفط مهام التدريس احتسابا في معاهد القرى (المساجد)، وهو العلامة المجلاوي الذي يعتبر شيخا لرجال العلم في الشمال كالعلامة ابن يرمق من قبيلة سماتة الذين شرق وغـرب صلاحهما وعرفانهمـا .

وقد حضرا معا معركة الطـلال هذه وساهمـا بقتالهما أسـوة باخوانهما، وقد استشهد في نفس المعركة ولد العلامة ابن يرمق، كـان يدعى الامين، فقال قولته التي تلقتها الالسن بعده، وهي: «كنت أظن أن يكون ولدي الامين في حمايتي، فاذا أنا أصبحت الآن في حمايته» يعني لموتـه شهيـدا .

أما انقاذ الفقيه المجلاوي للشريف الريسوني، فانه لما سقـط عن فرسه، وكان في متناول يد العـدو، بادر الى اغاثته باطلاق الرصـاص على العدو، الذي تقهقر الى أن تحصن الريسوني أمام الحواجز الطبيعية، فتوكأ على كتف المجلاوي، وابتعد به عن الخطر المحدق به، فكانت نجاته وبقي المجلاوي هذا حيا حتى بعد انتهاء الحرب، وقد ضغط عليه الاسبان أن يتولى القضاء فتولاها، وهو كاره لها، وعندما قربت وفاته اعتصم في داره، وهو صحيح، واذا جاءه رسول من طرف قائد القبيلة يدعوه للقيام بمهامه القضائية، يجيبهم بأنه قرب رحيله الى الدار الاخرى، وقد يندهش الرسول، حيث يجد القاضي معافا صحيحا، وهو يتحدث بيقين عن وصول أجله، وهكذا استمر الى أن توفي في 22 شعبان 1362 هـ. موافق غشت 1943.

أما نتائج المعارك التي جرت من جبل لاحبيب الى بني كرفـط، فان الاسبانيين كانوا قد اطمأنوا أن الغلبة تكون لهم، وكانت بوادر رجحان

كفتهم ظاهرة فى أيام المعارك الاولى التى كسبوا فيها بعض المواقع الامامية، الا أن الفقيه المجلاوى اقترح أثناء اشتداد تلك المعارك ان تدعى جماعة المجاهدين الارياف، الذين كانوا جاءوا من قبائل صنهاجة الشمالية، بقيادة سيدى محمد الخمليشى، وكانت تتكون من ثمانمائة مقاتل، وقد كان زعماء الجبالة وعلى رأسهم الشريف الريسونى، اقترحوا عندما علموا بمجيئهم، أن يفتحوا القتال على وادى لو، لاجل شغل العدو هناك ولا يلقى بثقله كله على جهتهم، ولكن هذه الجماعة لما سمعت بتجمعات العدو الكبيرة فى هذا الخط، ارتأت أن تلتحق الى حيث المعارك الفعلية، فألقت عصا ترحالها معسكرة فى سيدى هدى بين قبيلة بنى كرفط وبنى عروس .

ولبت دعوة المجاهدين، فتحركت الى أن وصلت الى سهول أربعاء عياشة، وتفرقت على مواقع القتال كما تقاطرت بقية جموع القبائل الجبلية التى لم تكن شاركت بعد، فاشتد حماسهم وقد ارتفعت معنوياتهم الى درجة عدم المبالاة برصاص العدو، وقد رأى ما أذهله من فنون القتال التى لم تكن مألوفة عنده، والتى لم تكن أية رصاصة يطلقها المجاهد ان تخطىء الهدف، لانها تكون مصوبة بعناية وثبات الجنان .

فدارت عليه دائرة الهزيمة وانكسر راجعا الى مركز تجمعه باثنين سيدى اليمنى، الذى كان حصنه ببطاريات المدافع الثقيلة والاسلاك الشائكة وأكياس التراب، التى قبع من ورائها، وخلف فى هذه المعارك من جبل الحبيب الى بنى كرفط، خسائر جسيمة فى الارواح والمعدات التى غنمها المجاهدون .

وقد عوضوا بهذا الانتصار ما كان أحرزه العدو من انتصار محلى فى معركة «ساس بوعودة» فى قبيلة الغربية، التى كانت جرت عقب معركة اللوزيين المتقدمة الذكر، حيث تمكنوا من تثبيت أقدامهم فى هذا المحل، بدون صعوبة، لان القبائل كانت أولت عنايتها الى معركة اللوزيين، ولم تجمع شتاتها فكان الشريف الريسونى أرسل رسالة الى السيد محمد ولد احميدو الخراز الذى كان كسب انتصارا فى معركة ظهر القيطون ـ اللوزيين، كما سلف، يدعوه فيها الى أن لا يترك العدو يخمد الى الراحة على جوانب

تطوان، حتى لا يستجمع قواه، ويلقى بها فى جبهة أربعاء عياشة، التى ظهر للمجاهدين أنه يولى اهتماما خاصا باحتلال جبال هذه الناحية، التى يضمن بها صلة الاتصال على طول خط القصر الكبير ـ ثلاثاء ريسانة ـ واثنين سيدى اليمنى ـ العقبة الحمراء ـ فحص طنجة ـ الذى يرأسه سلفسترى، وبعد ما فشل العدو من هذا الهجوم العام، الذى لم يستطع أن يتقدم ولو شبرا واحدا مع الخسائر الفادحة التى تكبدها، قرر الجنرال مارينا أن يجمد سائر هذه الجبهة، كما جمد الجبهة الشرقية، وحاول أن يفتح الحوار مع الريسونى، بصفته متزعما لقبائل الجبالة، بوصفه مغامرا شديد المراس من جهة، ولكونه واليا شرعيا للدولة المغربية من جهة ثانية، ولكونه كان جمع ثروة هائلة من فداء المختطفين الاجانب، ومن عملاء المانيا المنبثقين فى الشمال، يستغلون حماس متزعمى القبائل ويستميلون بالمال الوفير لاجل القيام بأى عمل ما ضد الجيوش الفرنسية، وقد اكسبه هذا الثراء مركز التسلط القوى حيث تعلقت اليه القبائل، التى لا يكفى مرجوع أراضيها الوعرة المسالك، والتى تعطل ما يصلح منها للزراعة عن استغلالها لظروف الحرب الشاملة التى كونت الخط الغربى .

وقد عمد الجنرال مارينا لفتح الحوار مع الشريف الريسونى، لانه رأى أن تسلق الجبال وادغالها ليس من السهل بالمكان الذى اكتسح بها السهول الغربية، التى مكنته من استعمال بطريات المدافع التى تقوم بعملية الارض المحروقة، قبل ان تتقدم جحافل الجيوش، حيث يسهل عليها أن تكتسح تلك المنبسطات، أما وقد وصلت الى عنق الزجاجة، التى يبتدىء عندها متعلق من الارض، ذات مسالك معزية، وحيث يكمن مع كل حاجز طبيعى من الصخور والشعاب مقاتل يحتضن سلاح «الموزير» حاملا معداتها من الخرطوش متمنطقا بها بواسطة حزام من جلد أو حاملا اياها فى المنعطف الجلبابى على كتفه، مع لوازم المؤونة الغذائية التى يقنع منها بالقلة القليلة، فان الامر أصبح أعقد من ذنب الضب ؟

وذلك ما دعا أن يشتكى أحد قادة الجيش، حينما كان يقود المعارك على خط بنى كرفط، وهو الجنرال منويل غوديد فى كتابه «المغرب ومراحل

التهدئة» لما روى القصة المتقدمة التى بدا له أنها مغربة، حسبما ألفه فى الحـــروب العسريـــة .

وكان الكولونيل سلفسترى، لا يرتضى هذا الدوار مع الريسونى الذى خبر طرقه الالتوائية من جهـــة ولكونه يقـــع تحت تأثير المحاربـــين الجبليين الذين يظهرون بمظهر المومنين المترمتـــين المعتقدين بأن الجهـــاد يستكمل دينهم، وان المقتول فى المعارك تتخطفه الملائكة الى حيث النعيـــم الابدى، ولذا يرى ان لا حل الا بالقوة التى تضع الجند الاسبانيين فـــى موضعه اللائق به، وان ما عدا ذلك يعتبر هـــراء .

واثر استقالة الجنرال مارينا من مهامه فى المغرب، ورجع الـــى مدريد، ليقدم تقريره على الوضعية المتمردية فى المغرب، وبالاخـــص على الجبهة الغربية التى رد كل اسباب التردى الى خصمه اللدود سلفسترى، ولما اقتنعت الحكومـــة الاسبانية بفحـــوى ذلك التقرير، فقد استدعـــت سلفسترى ليلتحق بمدريد بدوره، ويترك القيادة فى تلك الجبهة نهائيـــا، ولما وصل الى مدريد قدم تقريرا مضادا حشاه بالطعن فى مقدرة مارينا كمقيم وقائد عامين، وبهذا احتد الخلاف بين القائدين السامـــين، الا أن حكومة مدريد من جهة، وتدخل الملك لصالح سلفسترى من جهة أخـــرى، لم تستطع أن تضع حدا للخلاف بالطريقة التى تتحمل بها مسؤوليتها فى الموضوع، بل عمدت الى ارضاء الطرفين معا، واسدال الستار عن الخلاف وأعلنت اعتبارهما معا قائدين عملا فى المغرب بوحى من اخلاصهما، وانه تقديرا لعملهما منحتهما وسامين رفيعـــين .

وهنا انتهى الخلاف على مستوى الحكومة، فعينت بدلا من مارينا الجنرال «كوميس خوردنا» مقيما عاما بالمغرب، وقائـــدا عاما للجيـــوش فيما وراء البحار، كما عينت سلفسترى قائدا على جيوش مليلية، ولكـــن بصفـــة مؤقتـــة .

ولما جاء خوردنا الى المغرب أقر الهدنة التى كانت سائدة علـــى خط القصر الكبير ــ ثلاثاء الريصانة ــ اثنين سيـــدى اليمنى ــ العقبـــة الحمراء ــ عين الزيتـــون .

أما عن ضواحى تطوان فكان الخط يمتد من وادى مرتيل مـــارا

بمدشر منكال بظهر القيطون، بعد مفاوضة مع الريسونى بواسطة باشادور اسبانيا بطنجة السنيور سكاسترى، وكانت نتيجة المفاوضة الاتفاق على البنود التالية :

أولا : ان الجنرال خوردانة يزود الريسونى بالمال للحاجة (لم يعرف بالضبط مبلغه) وتقول الاشاعة أنه طلب مليونين اثنين من البسيطة ليستعملها فى استمالة القبائل التى يحتك معها والتى لم تخضع له الا تسلطا .

ثانيا : أن يمده بالسلاح الكافى لتسليح أنصاره الذين يعتمد عليهم ضد الذين يعارضون أى احتلال (وتقول الاشاعات أنه طلب 500 موزير ومائة مسدس مع القرطاس الكافى) ولم يطلب شيئا من القنابل أو غيرها نظرا لعدم استعمالها من طرف الاهالى فى ذلك الوقت .

ثالثا : ان يعين خليفة السلطان بالشمال، على أن يبقى فى حصنه بتازروت ولا ينتقل الى تطوان طيلة مدة اخضاع الشمال، فعندما يستتب الامر لاسبانيا يعاد النظر فى الانتقال الى تطوان .

رابعا : عندما ينفذ البندان الاولان أعلاه من طرف الاقامة العامة يخضع الريسونى قبائل الجبالة من وادى لوكوس جنوبا الى واد لاو شمالا، وبعد هذا الاتفاق لم يتردد المقيم العام فى تزويد الريسونى بالمال والسلاح، فكانت القوافل التى تحمل ذلك تمر من طنجة على قرية الزينات ومنها الى تازروت ببنى عروص .

وكان ذلك تحت ستار الليل خوفا من نقمة الاهالى والاستلاء عليها.
ولكن سرعان ما تهامس الناس بالغنيمة الباردة التى حملت الى الريسونى، فالتأمت القبائل التالية :

أنجرة — وادراس — بنى مصور — بنى يدر — وقاموا بفتنة شعواء على الريسونى التى امتدت الى بعض الفرق من بنى عروس حيث معقله الحصين، وقد جاهروا بالعداء ضده، اذ عد من المارقين الخارجين عن جماعة المجاهدين .

ومن جهة الريسونى فقد حزم أمره واستدعى قبائل الاخماس

وسماتة وبنى حسان وبنى يسف وبنيى كرفط وفرق على زعمائهم بعضا من الغنيمة التى ظن أنها بادرة فاذا قد أصبحت علقمة لا يستساغ ابتلاعها وقد عمدت كل من الطائفتين الى استعمال السلاح بعضها ضد البعض، ودامت الفتنة لمدة ثلاثة أشهر، ولما كانت الغلبة للريسونى وأنصاره، فان القبائل التى كانت ضده شهدت اضطهادا كبيرا من طرف أنصاره الذين عاثوا فى الارض فسادا، وهتكوا الاعراض وخربوا الديار، وغصبوا الاموال، وكان جيش العدو يراقب هذه الفتنة باغتباط، وبقى متفرجا عليها، ولم يحرك ساكنا، وقد رأى ان الهدف قد حصل أو كاد .

وبعد ما هدأت فتنة القبائل التى بدا للمقيم العام أن حليفه الريسونى استرد أمور القبائل الى يده، فانه اقترح على هذا الاخير أن يأتى الى واد أكرار بقبيلة وادراس وهو الواد الذى ينزل من الفندق ويعتبر الممر الوحيد بين تطوان ومدن الغرب ـ طنجة أصيلا ـ العرائش ـ القصر الكبير ـ وهو الذى يتحكم فى تلك المواصلات لاستحالتها من الجهات الاخرى لوعورة مسالكها الصخرية وفجواتها الطبيعية المنقعرة التى تتصعد فجأة وتنحدر كذلك، واستجابة لهذا الاقتراح فقد حضر الريسونى الى عين المكان على ظهر فرسه المطهم وحوله جماعة من أنصاره المسلحين بالاسلحة الجديدة التى يتبارون بها أمام خصومهم المضطهدين الذين تسارعوا اليه فى رحلته هذه لاقتباله عندما يمر موكبه المخيف على قبائلهم مقدمين الذبائح خوفا من التنكيل، وقد كان طريقه عن أربعاء عياشة فجبل الحبيب فدار الشاوى، مقر القائد الزلال، أحد القادة الكبار لبنى مصور، وقد أجتمع به فى المحل الموعود للاجتماع ولد المقيم العام خردانة، وكان هذا الولد برتبة كرونيل، وأرسله أبوه على رأس وفد يضم من بين أعضائه الضابط فرانسيسكو فرانكو، الذى كان فى ذات الوقت ضابطا شابا متحمسا؟

وقد طلب الوفد من الريسونى أن ينفذ من جهته بنود الاتفاقية التى نفذ المقيم العام ما يلزمه منها، بعد ما تغلب على عناصر المعارضة، وبلغه تهانى المقيم العام فى الشجاعة التى تغلب بها على خصومه، وانه يرى أن فراسته لم تخطىء، حيث عمد الى التعامل مع رجل جبالة الوحيد، الذى يستطيع أن ينفذ ما يعد به فى الاتفاقيات، ولاجل فتح الحوار لتنفيذ

بنود الاتفاقية، فقد نشر الكولونيل خردانة أمام الريسونى خريطة تصميم لتنظيم القبائل بتنصيب القواد المحليين من أنصاره عليها، وكان من المهام الاولية التى تقضى الاستعجال اثنان :

أولهما فتح الطريق ما بين تطوان الى أصيلا والعرائش وطنجة مارا بالفندق وتأمين المواصلات العسكرية على هذا الممر الهام، وضمن اجابة الريسونى بالموافقة على هذا الاقتراح اشترط أن يراقب أنصاره الممر فى الفندق، وأن تكون فرق الجيش التى تمر الى الغرب أو منه مزودة بورقة الترخيص بالمرور موقعة من طرف الريسونى، أو من يمثله يظهرونها لديهم .

أما ثانى المهامين فهو فتح الطريق أمام الجيش الاسبانى لاحتلال شفشاون سلميا، ثم عندما يتمكن الريسونى من فرض سيطرته الفعلية على سائر القبائل الجبلية، يمكن لاسبانيا أن تنادى به خليفة للسلطان على الشمال، وتكون القبائل قد نظمت تنظيما عصريا، ويمكن له أن يستعين بمراقبين عسكريين يساعدونه على هذا التنظيم .

وقد نفذ الريسونى المهمة الاولى، فجعلت القوافل العسكرية تغدو وتروح ما بين تطوان ومدن الغرب تارة باظهار الرخصة، وتارة بدونها، بعدما اختلط الاهالى بالجيش وآنسوا اليه .

أما المهمة الثانية وهى تسهيل احتلال شفشاون، فان الريسونى لم يتمكن من تنفيذ ذلك، لمعارضة قبائل بنى حسان بقيادة أحد أبطالها المغاور وهو الامين ابن الاحرش من فرقة موسى الذى يقال فى حقه:

اذا قالت حذام فصدقوها　　فان القول ما قالت حذام

وقد انضم الى ابن الاحرش فى معارضته هذه سكان النجود العليا لقبيلة بنى سعيد، وكذلك قبيلة بنى زجل، وتجمعت هذه القبائل على عنق الطريق الوحيد الذى يمر على وادى النخلة ثم الوطاء الحمراء بقبيلة بنى حسان، ثم دار قوبع بالاخماس السفلى معتصمين بالصخور الشاهقة التى تشرف على الممر مباشرة والتى يعتبر أمنع من عش العقاب .

أما الريسونى فقد تجمع بدوره بظهر القيطون لتسهيل هذه المهمة الخرقاء، على الجيش الاسبانى مستجمعا حوله قبائل بنى حزمار وبنى

يدر وسكان الهضاب السفلية لبنى سعيد المتاخمة لقبيلة بنى حزمار وجرت مناوشات مسلحة بين الفرقين المتعارضين، بينما الجيش الاسبانى عكف متفرجا منتظرا، وقد كادت النتيجة فى بادىء الامر كمثيلتها الاولى، لولا ان ابن الاحرش تقوى بجمع شمل القبائل التى كانت ثارت على الريسونى فى السابقة الاولى فاتفقت جموعها على اثارة المصاعب أمام الريسونى، والجيش الاسبانى مهما كلفهم الامر، ولا يسمحون لاحتلال شفشاون المدينة المقدسة عند الاهالى، نظرا لتأسيسها على تقوى من الله ورضوان، محروسة بين الجبال الشامخة، التى لا يطرقها الا الاولياء والصالحون الذين يبغون الانقطاع الى عبادة الله، والتى كان مؤسسها مولاى على رشيد من هؤلاء الصلحاء فاحتلالها من جانب الجيش الاسبانى يعتبر تدنيسا لقدسيتها، فضلا عن أنها معقل المجاهدين الذين يلجأون اليها، لتزويدهم بحاجياتهم الضرورية عندما ينهكهم القتال ويستروحون لديها لغسل شعثهم بمائها المتدفق مدرارا .

وهكذا كونت تلك القبائل قوة فى وجه خصمين عنيدين أحدهما من بنى جلدتهم، والثانى ظالم يسعى للتوسع على حساب الآخرين ، لاسترجاع مجد العظمة العسكرية التى ضاعت فى أقطار أخرى .

وفى خضم هذه الاحداث، وبينما الجنرال خردانة يغازل الريسونى لاجل أن يتمكن من الاحتلال بالطرق السلمية، كان الريسونى يتصل من جهة أخرى بعملاء المانيا، الذين انبثوا فى كل جهة من شمال المغرب، لاثارة الحماس فى السكان ضد فرنسا، وكان الاتصال بهم مغريا ايما اغراء، نظرا لما يصحب ذلك من ذهب رنان، وقد لا يكون هناك أولى من الريسونى الذى يقال فى حقه «أن الطيور على أمثالها تقع» .

وعندما نقل رجال المخابرات الفرنسية الى الاقامة العامة بالرباط هذا الاتصال المريب، فانها جعلت تضغط على الجنرال خردانة لكى يستحث الريسونى بتمهيد السبيل للاحتلال الاسبانى لقبائل جبالة، التى أصبحت وكرا لعملاء المانيا من جهة، ولان قبائل نواحى وزان التى لا تخضع للجيش الفرنسى عندما يحزبها الامر تلجأ الى قبائل الجبالة لتتزود بما تفتقر اليه من المواد الغذائية والاعتدة الحربية، التى يمكنهم

بها العملاء الالمان على يد أنصار الريسوني، وبالاخص فان باخرة ألمانية كانت جاءت في وقت سالف محملة بالسلاح والاعتدة الحربية ورست في مدخل واد بوهور الذي يفصل بين قبيلتي الفحص والغربية، وانزلت شحناتها التي حملت الى الريسوني، والتي جاء على ظهرها ضابط تركي يدعى لدى أنصار الريسوني بالكمندار التركي، ويقال انه عصمت أنينو نفسه، وقبل انتهاء الحرب العظمى الاولى اختفى من معسكرات الريسوني.

وكان عبد المالك الجزائري الذي كان في طنجة أيام المولى عبد الحفيظ صلة الوصل بين الالمانيين والاتراك لدى الريسوني وأنصاره، وهذا كله لم يكن خافيا على الجيش والاقامة العامة الفرنسيين، مما جعلهم يتدخلون الى المقيم العام الاسباني ليضع حدا لتصرفات الريسوني، وقد وصفوه بأنه يخادعه ويلتوي عليه، وان الهدنة التي يعقدها معه لا تفيد اسبانيا في شيء، وان هذا السلوك الملتوي تمرن عليه قبله مع سلاطين المغرب أنفسهم، ثم مع المقيمين العامين الاسبانيين السابقين.

وقد اتفقوا مع خردانة أن يهجم الجيش الفرنسي على قبائل مستارة لاحتلال وزان، وبما أن الجنرال خردانة يعرف في قرارة نفسه أن هذا هو عين الحقيقة، فانه لم يتردد أن خاطب الريسوني بكل صراحة وطلب منه تنفيذ الاتفاق بكل صرامة لتسهيل احتلال قبائل الجبالة، وتنظيمها لكي تنضبط مع نزع السلاح منها نزعا شاملا، والا فانه سيعمد الى استعمال القوة.

واذ وصلت الصرامة الى هذا الحد، فان الريسوني عرف أن حبل المراوغة قد انقضى، بينما قبائل الجبالة كلها يد واحدة تقريبا، تحت قيادة ابن الاحرش، فانه رأى أن ليس له منفذ الا التنكر من جديد للاتفاق الذي بموجبه استنزف خيرات الجيش الاسباني من معدات ومال، فأعلن القطيعة من خردانة، وانتقل من ظهر القيطون الى دار ابن قريش بقبيلة بني حزمر، متذرعا بأن المقيم العام الاسباني يعمل بوحي من الاقامة العامة الفرنسية، التي تملي عليه ما تشاء، واثر هذه النكسة التي ضاعفت من خيبة اسبانيا التي كانت رأت أن الاحتلال بدون اراقة الدماء كاد أن يكون في متناول اليد، وجهت الدوائر الحاكمة والشعبية على لسان جرائدها باسبانيا اللوم

الى خردانة واصفة اياه بالجبن والغباوة وضعف عزيمة الجندى المحارب، الذى خدعه محتال حتى ابتز ما عنده من مال ومعدات حربية لكى يردها الى كيد نحره، وطالبت بمحاكمته وادانته، لانه أهان شرف اسبانيا العسكرى، وبالاخص خصومه من ذوى الرتب العسكرية، ويقال أن الضابط المتحمس الذى كان من بين أعضاء وفد المفاوضة نشر مقالا فى جريدة اسبانية عاب على الاقامة العامة رضوخها لآراء الاقامة العامة الفرنسية .

وقد ضمن المقال ان الريسونى على حق اذا تبرم من فرض السيطرة عليه من فرنسا، التى تريد أن تفرض عليه قطع الصلة مع أبناء جلدته من قبائل احواز وزان، التى تعرضت فعلا لجحافل الجيوش الفرنسية، تكتسحها، فاحتلت مدينة وزان، التى هى معقل الشرفاء الوزانيين من أولاد مولاى عبد الله الشريف والتى تضارع فى القدسية مدينة شفشاون، وعندما وصلت النكبات على خردانة الى هذا الحد، فانه ذات يوم وخلف مكتبه بالاقامة العامة فاضت روحه نتيجة توقف القلب عن النبض، قد يكون من تأثير الكوارث والهموم .

الجنرال برينكير فى الاقامة العامة :

وفى اعقاب وفاة خردانة وكانت الحرب العالمية وضعت أوزارها عينت الحكومة الاسبانية بتاريخ 25 غشت 1919 الجنرال دامسكو برينكير مقيما عاما وقائدا عاما فيما وراء البحار، واثر تسلمه للسلطة قسم القيادة العسكرية الى شطرين، منفصلين احداهما على الاخرى، وعينت للجبهة الغربية حكومة مدريد سلفسترى الذى رفع الى رتبة جنرال، وفور تسلمه مهامه، وجه انذارا الى الريسونى، يحدد له موعدا قصيرا، أن يجيب بنعم على الاتفاق المبرم مع خردانة، فيما يخص الاحتلال بدون اراقة الدماء، واذا مر على ذلك الاجل فانه يكون حرا أن يستعمل القوة لتنفيذ مضمون الاتفاق، على الرغم منه، وقد أجاب الريسونى بتأكيد الرفض السابق.

وبالفعل فقد استؤنفت المعارك، على طول خط القصر الكبير — تطوان، واحتدت تلك المعارك التى طال بعضها الى قرابة سنة كاملة، لم

ينقطع العراك طيلة تلك السنة، ومنها معركة دار ابن قريش التى قادها على المجاهدين البطل ولد احميدو الخراز، والتى لم يستطع الجيش الاسبانى أن يجتاز واد المحنش، وكان يدور حول نفسه، فتارة يحاول تسلق صخور غورغيز المتصاعدة الى الافق، بينما المجاهدون المنبطحون خلف تلك الصخور يصلونه نارا، ويردونه على أعقابه، وتارة يحتمى بالشعاب العليا لواد المحنش التى سرعان ما يجد نفسه قد كلت فيرتد خاسرا تحت النيران المتقطعة التى تحييه من هنا وهناك، والتى تحدث له فزعا أكبر .

بينما المجاهدون صامدون لا يتزحزحون عن مواقعهم قيد قدم واحدة، كما كانت القبائل المحيطة بتطوان على نفس المنوال، فهناك على الشمال الغربى قبيلة أنجرة معتصمة خلف نفس العوائق الطبيعية التى لا تنال منها القذائف المرسلة اليها جوا وبحرا أى منال، وكانت تقبع مسيطرة على المجاز الوحيد الى جهات الغرب، متآزرة مع قبيلة ودراس .

ولم يتنفس الجيش الاسبانى متنفسا الا بعد أن عمدت لشراء ضمائر بعض أهالى انجرة والحوز وغمارة، بواسطة العملاء من طنجة وتطوان، وعلى رأسهم شيخ الدرقاويين السيد محمد بن الصديق الغمارى، اتصل به الجنرال «كسترو خيرونا» بتاريخ ما بين مارس وغشت من سنة 1919، لاجل بث سياسة اسبانيا فى الزعماء الذين عملوا لكى تنقلب هذه القبيلة ظهر المجن للمجاهدين، فكان لهم ما أرادوا فقد غدرت تلك القبائل، الا ما كان من زعمائها: السيد احمد الطويل عن الحوز والطالب محمد احرازم من أنجرة والسيد العربى بن الخضراء من انجرة ومن ودراس الحاج على الخمال وابن حمان .

وسهلت للجنرال كسترو جيرونا والكولونيل كرياس لاحتلالها ، وقد كسبوا بذلك موقعا حربيا ممتازا، بحيث أصبح من السهل الاتصال بطنجة عن طريق الساحل، وبالتالى تحركت الجيوش الاسبانية من الركايع قبالة الزينات، ومن حجرة النحل، كما تحركت من انجرة لاحتلال سهول وادراس وقد تمكنت من احتلال الموقع المدعو الروضة ليلا، واقامت فيها حامية قوية من أربع قشلات، وذلك لتأمين المواصلات بين أنجرة وجهات

الغرب، الا أن العاقبة لم تكن مفرحة الى درجة ما ظنوا، ففى صباح تلك الليلة هرع المجاهدون يتقاطرون من كل حدب وصوب، واستنفروا أنفسهم تلقائيا، وقد كان الريسونى مخيمـــا على مجاز الفنـــدق بعد غدر أنجــرة منتظرا تحركات جيش العدو، فلما علم باحتلال الروضة تقدم بمن معـــه من المقاتلين لمؤازرة المجاهديـــن :

وهكذا دارت معركة على الموقع المذكور يشيب لها الولدان، كانت الخسائر من الارواح من الجانبـــين باهضة، فقد استطاع المجاهــدون أن يضربوا حصارا من كل جهة على القشلات الاربع، بينما صمدت جيوشها خلف المتارس التى أقاموها يصلونهم نارا، حيث تمكنوا بعد لاى من فتح ثغرة تقهقر منها الى مواقعهم القديمة فى انجرة والركايع وحجرة النحل، ثم بعد ذلك تجمدت جميع المراكز لمدة سنة، الا ما كان من المناوشات هنا وهناك، وكانت مراكز المجاهدين على الوضع التالى، من حيث رياستهم، ففى ابن قريش كانت هناك أربع قيادات مركزة على المواقع الهامة يتولاها كل من ابن احرازم من انجرة والحرطيطى عبد السلام من بنى حزمار، والطويلب من الحوز وابن حليمة من بنى يدر .

وفى مركز الفندق بوادراس تولى القيادة فيه السيد محمد ولـــد احميدو والخراز من بنى عروص .

وفى مراكز أخرى على أربعاء عياشة والريسانة الى أهل السريف، كانت هناك قيادة اخرى انبثت من بينهم الثمانمائة من المجاهدين الارياف، الذين كانوا عسكروا بسيدى هدى فى بنى كرفط وبنى عروص .

أما الريسونى فقد ترك المراكز الحربية ليقوم بجولة عبر القبائل الامامية للحرب، لتفقد معنويات المجاهدين، فزار قبيلة بنى كرفط وسماتة وأهل اسريف، التى كان يحتل منها الجيـــش الاسبانى الموقع المعـــروف بالنفار، ووصل الى قبائل الرهونة وغزاوة .

وبعد هذه الرحلة طلب من الارياف أن يتحركوا الى مركز الفندق، نظرا للضغط الشديد الذى يقوم به جيش العدو لفتح هذا الممر، ليضمن الاتصال بين خطوط الشمال والجنوب، وقد كان سلفستري فى هذه الاثناء

ينقطع العراك طيلة تلك السنة، ومنها معركة دار ابن قريش التى قادها على المجاهدين البطل ولد احميدو الخراز، والتى لم يستطع الجيش الاسبانى أن يجتاز واد المحنش، وكان يدور حول نفسه، فتارة يحاول تسلق صخور غورغيز المتصاعدة الى الافق، بينما المجاهدون المنبطحون خلف تلك الصخور يطلونه نارا، ويردونه على أعقابه، وتارة يحتمى بالشعاب العليا لواد المحنش التى سرعان ما يجد نفسه قد كلت فيرتد خاسرا تحت النيران المتقطعة التى تحييه من هنا وهناك، والتى تحدث له فزعا أكبر .

بينما المجاهدون صامدون لا يتزحزحون عن مواقعهم قيد قدم واحدة، كما كانت القبائل المحيطة بتطوان على نفس المنوال، فهناك على الشمال الغربى قبيلة أنجرة معتصمة خلف نفس العوائق الطبيعية التى لا تنال منها القذائف المرسلة اليها جوا وبحرا أى منال، وكانت تقبع مسيطرة على المجاز الوحيد الى جهات الغرب، متآزرة مع قبيلة ودراس .

ولم يتنفس الجيش الاسبانى متنفسا الا بعد أن عمدت لشراء ضمائر بعض أهالى انجرة والحوز وغمارة، بواسطة العملاء من طنجة وتطوان، وعلى رأسهم شيخ الدرقاويين السيد محمد بن الصديق الغمارى، اتصل به الجنرال «كسترو خيرونا» بتاريخ ما بين مارس وغشت من سنة 1919، لاجل بث سياسة اسبانيا فى الزعماء الذين عملوا لكى تقلب هذه القبيلة ظهر المجن للمجاهدين، فكان لهم ما أرادوا فقد غدرت تلك القبائل، الا ما كان من زعمائها: السيد احمد الطويل عن الحوز والطالب محمد احرازم من أنجرة والسيد العربى بن الخضراء من انجرة ومن ودراس الحاج على الخمال وابن حمان .

وسهلت للجنرال كسترو جيرونا والكولونيل كرياس لاحتلالها ، وقد كسبوا بذلك موقعا حربيا ممتازا، بحيث أصبح من السهل الاتصال بطنجة عن طريق الساحل، وبالتالى تحركت الجيوش الاسبانية من الركايع قبالة الزينات، ومن حجرة النحل، كما تحركت من انجرة لاحتلال سهول وادراس وقد تمكنت من احتلال الموقع المدعو الروضة ليلا، واقامت فيها حامية قوية من أربع قشلات، وذلك لتأمين المواصلات بين أنجرة وجهات

الغرب، الا أن العاقبة لم تكن مفرحة الى درجة ما ظنوا، ففى صباح تلك الليلة هرع المجاهدون يتقاطرون من كل حدب وصوب، واستنفروا أنفسهم تلقائيا، وقد كان الريسونى مخيمــا على مجاز الفنــدق بعد غدر أنجــرة منتظرا تحركات جيش العدو، فلما علم باحتلال الروضة تقدم بمن معــه من المقاتلين لمؤازرة المجاهديــن .

وهكذا دارت معركة على الموقع المذكور يشيب لها الولدان، كانت الخسائر من الارواح من الجانبــين باهضة، فقد استطاع المجاهــدون أن يضربوا حصارا من كل جهة على القشلات الاربع، بينما صمدت جيوشها خلف المتارس التى أقاموها يصلونهم نارا، حيث تمكنوا بعد لاى من فتح ثغرة تقهقر منها الى مواقعهم القديمة فى انجرة والركايع وحجرة النحل، ثم بعد ذلك تجمدت جميع المراكز لمدة سنة، الا ما كان من المناوشات هنا وهناك، وكانت مراكز المجاهدين على الوضع التالى، من حيث رياستهم، ففى ابن قريش كانت هناك أربع قيادات مركزة على المواقع الهامة يتولاها كل من ابن احرازم من انجرة والحرطيطى عبد السلام من بنى حزمار، والطويلب من الحوز وابن حليمة من بنى يدر .

وفى مركز الفندق بوادراس تولى القيادة فيه السيد محمد ولــد احميدو والخراز من بنى عروص .

وفى مراكز أخرى على أربعاء عياشة والريسانة الى أهل السريف، كانت هناك قيادة اخرى انبثت من بينهم الثمانمائة من المجاهدين الارياف، الذين كانوا عسكروا بسيدى هدى فى بنى كرفط وبنى عروص .

أما الريسونى فقد ترك المراكز الحربية ليقوم بجولة عبر القبائل الامامية للحرب، لتفقد معنويات المجاهدين، فزار قبيلة بنى كرفط وسماتة وأهل اسريف، التى كان يحتل منها الجيــش الاسبانى الموقع المعــروف بالنفار، ووصل الى قبائل الرهونة وغزاوة .

وبعد هذه الرحلة طلب من الارياف أن يتحركوا الى مركز الفندق، نظرا للضغط الشديد الذى يقوم به جيش العدو لفتح هذا الممر، ليضمن الاتصال بين خطوط الشمال والجنوب، وقد كان سلفستري فى هذه الاثناء

يستعد على ساق الجد، للقيام بحملة واسعة النطاق، بعدما طلب امدادات من اسبانيا التى وصلته فعـــلا .

وكان الجيش الذى يحتل جهـــات وادى لو بقيادة الكباص قـــد استمال بعض قبائـــل اغمارة، فتمـــردت على المجاهدين، وانحـــازت الى الجيـــش الاسبـــانى .

ومن تطوان توجه جيش آخر فاستولى فى سنة 1920 على جبل غرغيز، وفى 25 يونيه 1920 احتـــل دار ابن قريش المهد الاول للجهـــاد، ثم واصل تقدمه الى أن احتل مدينة شفشاون .

وفى هذا التاريخ تعاون الجيشان، الاسبانى والافرنسى لاحتلال وزان، وقد استعد سلفسترى لتنفيذ الحملـــة التى تحركت من كل جهـــة فى هجوم عليها، فاحتلوا القلة من قبيلة بنى يسف فى أقصى الجنوب وفى الوسط احتلوا خميس بنى عروص فى اتجاه تزروت مركز الريسونى، وفى بنى يدر احتلوا سوق الثلاثاء وعلى خط ابن قريش احتلوه وتخطوه الى أن وصلوا الى شفشاون التى كان وصل اليها المجاهدون الارياف الذين كانوا تحركوا قاصدين الفندق، ولكن سبقتهم الجنود الاسبانيون، فذهبوا الـــى شفشاون، وقد جرت فى هذه التحركات كلها معارك طاحنة، اشترك فيهـــا مع الجيش الاسبـــانى جماعة من المغاربـــة الذين كون منهم ما يدعـــى «بالحركة» والذين وجهوهم الى موقع سيدى هدى الذى فرغه الارياف، وكان على رأسهم بوسلهام الرميقى، والملالى الرميقى، والفاضل بنعيش، وادريس الريفى، وقتل فى معركة شجـــرة المهرة فى قبيلة بنى عـــروص الكولونيل كرياس مع عدد كبير من الجنود الاسبان، وكانت آخر معركة من حملات الجبهة الغربية الى سنة 1921، حيث تمركز الجيش الاسبانى فى مواقعه الجديدة، وأخمد الى الاستراحة ليلم شعثه، ويحزم أمـــره الـــى حملة أخرى فيما بعد، وقد وكل أمر انهاك قوى المجاهـــدين الى ســـلاح الطيران، فكان سربان من الطائرات يغيران ليل نهار على مواقع المجاهدين فكان سرب يضم 18 طائرة يأتى من تطوان، لالقاء القنابل المحرقة على المجاهدين الذين تمركزوا فى غابات الجبال الشاهقة، ثم يرجع ويأتى سرب آخر يضم 14 طائرة من العرائش لنفس العملية، وهكذا دواليك لمدة سنة

كاملة، مرت على المجاهدين بما فيها من حر وقــر، وبما فيها من الثلـــوج والرياح، وهم فى أدغال تلك الجبال يأوون الى الخناذق تحت الارض، بينما عائلاتهم هامت على وجوهها فى القبائل المتوغلة فى وسط الجبال التى لـــم تخضع بعد للجيش الغازى وقد طرب لهذا النصر الذى ظن ان العملية فى القبائل الجبلية قد انتهت، وان الريسونى المحتال الذى يلعب على الحبلين سيقع قريبا فى أيديهم، ففى ذات يوم حضر المقيم العام الجنرال بربنكير الى خميس بنى عروص، وكان هناك أمامه واد يدعى واد الفرج، وكـــان واقفا معه بوسلهام الرميقى، وقد سمع اسم الواد ولكن لم يتبينه فسأل الرميقى عن اسم الوادى، فقال: انه واد الفرج، فرد عليه قائلا ان اسمه الحقيقى هو واد الفروج، وقريبا سيقع صديقك ــ يعنى الريســونى ــ ويذبح فى هذا الواد مثل الفروج، وقد أعطى له مهلة 72 ساعة للاستسلام، أما الريسونى فكان يأتى الى ضريح مـــولاى عبد السلام ابن المشيــش اختلاسا مع جمع من المجاهدين ليحلفوا على المصحف الكريم على أن لا يستسلموا الا وهم أموات، كما كان يأمر الاطفال الذين يتعلمون القرآن لحمل الواحهم المكتوبة فيها الآيـــات البينات على رؤوسهم، ويطوفـــون حول ضريح مولاى عبد السلام ويطوف هو بنفسه معهم يجهرون بالدعاء برفع الغمة على المجاهدين ويرد الله كيد الاعداء فى نحورهم، وبالاخـــص فى أيـــام رمضان التى مرت عليهم هنـــاك .

وبمجرد ما استقرت الجيوش الاسبانية فى المواقع الامامية المشار اليها، والتى اعتبرها الجنرال سلفستري أكبر مجد عسكرى يؤهله لبطـــل اسبانيا فى شمال افريقيا، وليحرز على رضى ملك اسبانيـــا الفونسو 13 عينه للجهة الشرقية فى الريف التى كانت ركدت من منذ استشهاد سيدى محمد أمزيان، حيث وضعت اسبانيا ثقلها على الجبهة الغربية كما سلف، لتستريح منها ومن منتزعمها الملتوى الشريف الريسونى .

ميلاد الثورة النظامية فى الشمال

من هنا نبدأ لمتابعة الثورة العارمة

الجبهة الشرقية :

سبق أن ذكرنا أن ملك اسبانيا عين الجنرال سلفسترى قائدا عاما للقوات الإسبانية فى الجبهة الشرقية، بعدما بدا له أنه ظفر بالمجد العسكرى بالجبهة الغربية، وانه الرجل الذى بعثته الشهامة الاسبانية لينقذ شرف اسبانيا فى المغرب، على أن يعمل بوحى من حرية تصرفه فى تلك الجبهة، ولا يعبأ بتعليمات المقيم العام الجنرال برينكير، الذى هو فى نفس الوقت القائد العام .

وعلى هذا المبدأ، جعل سلفسترى يتصرف مستقلا، يتلقى الاوامر من الملك رأسا، حسب الرسالة الملكية التى كان يخفيها فى محفظة جيبه الى حين موته، وقد جاء فيها: «افعل كما أقول لك، ولا تلق بالا الى وزير الحربية الذى هو أحمق» .

وبذلك يكون الجنرال سلفسترى يعمل مستقلا عن الجبهة الغربية، التى يشرف عليها المقيم العام، وقد عزى الجنرال غوديد فى كتابه «المغرب ومراحل التهدئة» هزائم الجيش الاسبانى المتتالية الى استقلال جبهة عن أخرى، فقال فى ذلك ما يلى: «عينت الحكومة الاسبانية جنرالين فى الجبهتين الغربية والشرقية، وفعلا كانا (أى الجنرالان) مستقلا احدهما عن الآخر، وذلك ما جر عنهم كارثة الانهزام فى الريف، وكان سوء التنظيم هذا فى القطاع المهم من الجيش، حيث حصلت تلك الكارثة سنة 1921، اذ أن الجنرال سلفسترى نظرا لارتجاله فى المسائل الحربية كانت النتيجة وفاته».

وكما أسلفنا، فان الجيش الاسبانى بمليلية، كان طيلة العمليات الحربية فى الجبهة الغربية، وبعد استشهاد السيد محمد أمزيان يعمد الى

اختلاس المواقع الامامية، التى يحتل بعضها تلو البعض فى بطىء، وعدم اقامة ضجيج، الى أن وصل التقدم الى نهر كرط، بينما يبدى تسامحا مع القبائل فى معاملاته معها، وقد كان فى نطاق مهمة قاضى القضاة بمليلية — الشخصية — ان يعلم تحركات الجيش الى الامام، بباعث اتصاله القضائى مع الاهالى، فيستحصل منهم بدون شعور أحد كل أخبار التقدم الهادىء المسروق .

وعندما تسلم الجنرال المتحمس، الذى بعث لانقاذ مجد اسبانيا فى فبراير 1920، مهامه فى مليلية بدا له أن الاحتلال الاختلاسى لم يبق له داع، لان ذلك ينم عن جبن الجيش، وبالتالى عن ضعف قيادته، ولا يخفى فى أحاديثه أن يصف الجنرال برينكير بالخور والوهن، الذين يمليان عليه الاغراق فى الاحتراس والتقدم البطىء (1) «فى سنة 1909 وقعت أكبر كارثة للجيش الاسبانى فى الموقع المسمى «اللوبو — أى الثعلب» لم يستطع كومندانتيات الجيش الزحف داخل الاراضى الشرقية — شمال المغرب — وفى سنة 1920 م ترأس القيادة العليا للجيش فى مليلية جنرال فى الخيالة وهو منويل فرناندس سلفسترى، وعند وصوله لم يتفق معهم على البطىء الذى كان يسير به الجيش، فأمر بالتوغل، فاستطاع الاستلاء على مساحة فى ظرف سنة واحدة، ما يساوى ما استولى عليه الكومندانتيات خلال 12 سنة»

«وكان يوصف فى مليلية من طرف قادة الجيش بأنه عصبى، وأنه لم يكن متفقا مع المقيم العام برينكير» .

«وأول ما جاء سلفسترى الى افريقيا كان فى سنة 1908، عندما أرادت اسبانيا أن تتقلل من الاكتساح الفرنسى فى المغرب، وفعلا استولى على البحر الصغير ورأس الماء (بقبيلة كبدانة)» .

«وفى نفس السنة نزل بالدار البيضاء، يقود قوة اسبانية، مع بعض الحراس المغاربة، فتوغل الى مسافة مآت الكلوميترات، دون أن

---

(1) عن عشرون سنة من التاريخ — باللغة الاسبانية — .

يقرأ الحساب الى أن الحكومة الشريفة التى لا تستطيع أن تقدم له أية ضمانة وقد اعتبرها القادة العسكريون نتيجة شجاعته الخارقة (1) » .

«وعلى كل فانه عاش مع الاخطار، فهو جندى شجاع وواثق بنفسه، وقد تعرض للموت والجرح أكثر من مرة. ورغم أن له صفاته الحميدة، فان فيه نقصا أيضا، وبذلك لم يكن الرجل المؤهل للمهام الكبرى فى مليلية ومع ذلك فانه استطاع أن يقتحم القبائل الشرقية متقدما الى الامام، ففى سنة 1920 استولى على كيلاشى فى طريق تفرسيت وسيدى يعقوب، وبعد 15 يوما استولى على «دار الدريوش»، وفى خامس غشت استولى على تفرسيت، ثم حمودة، ويوم 14 غشت استولى على ميضار، وفى فاتح اكتوبر استولى على افراو، وعند هذا الحد وقف مترينا، ريثما يفض بعض المشاكل التى خلفها زحفه، وأهمها موقع جبل «ماورو» فى قبيلة بنى سعيد، الذى يعج بالمجاهدين فى حال أنه صعب لم يستطع أحد اخضاعه، كما كان عليه أن يفكر فى جناحيه الايمن والايسر معا، لانه توغل بمسافة 135 كلم من مليلية، وخلف له ذلك مشاكل التموين والاغاثة واستبدال الجنود، مما جعله يقف ولا يتحرك، ينتظر وينتظر الى أوائل دجنبر 1920» (2) من هذا النص الاسبانى يتبين تحركات الجيش الاسبانى الاولى تحت قيادة سلفسترى الذى انتشى فرحته لقطع هذه المراحل

وقد آن الاوان ليستغفل الجنرال برينكير وهو غارق فى سباته، ليفاجئه كما يفاجىء جميع القادة العسكريين بجرأته الحربية، التى لا محال ان الفرصة مواتية، فالارض الشرقية سهلة المسالك، الى حدود أنوال، والقبائل التى على ضفاف وادى كرط قد استأنست بالجنود

(1) ذلك عندما انزلت اسبانيا قوة بالدار البيضاء يوم 4 غشت 1907، بعدما كانت فرنسا قد انزلت قوتها هناك، يوم 7 غشت 1907، اثر اغتيال السكان لثمانية من العمال الاوربيين بميناء الدار البيضاء، بعدما قنبلتا المدينة من البحر، وكان سلفسترى اذ ذاك برتبة قبطان.

(2) عشرون سنة من التاريخ .

الاسبانيين يروحون ويغدون وهم أحوج ما يكونون للامتراء من خزائن مليلية المملوءة بالاطعمة، بينما أراضي تلك القبائل تضن بنباتها، أغلب السنوات، لقلة الامطار التي لا تكفي لريها .

فلم يبق له الا أن يقوم بتنظيم القوات التي وضعت تحت امرته، والتي تبلغ 20 ألف جندي اسباني عدا التي كانت في المراكز، وقد عززها بأربعمائة من رجال القبائل، التي فرض عليها أن تشارك في الحملة التأديبية، التي سيقوم بها الى حيث جنود التنورة، وهو الاسم الذي يطلقه على المقاتلين الارياف استخفافا بهم .

وتشاء الاقدار أن يسلك في زحفه نفس المسلك الذي سلكه متهور من قبله، وهو قائد حملة بوحمارة الى الريف الاوسط، حيث عسكر في نفس الجهة واستنفر نفس القبائل .

كما شاءت الاقدار أن يلقى من الهزائم ما لقيه سلفه، وان تنقلب ضده تلك القبائل اثر الهزيمة، كما انقلبت على من قبله، ما عدا فارقا واحدا يبدو بسيطا، وهو أن الاول، نجى بجلده بعدما انحص الذنب، وكاد أن يلقى حتفه هناك ولكنه لقى مصرعه في فاس، والاخير خلف جزية الدم بنفسه، فلم يشهد المآسي التي خلفها طيشه لمن بقى من قواته قيد الحياة، وهكذا، فقد جهز كل شيء، وأمر جنوده أن يهبوا للرحيل بعدما قسمهم ارتالا حسب التنظيم العسكري، ونادى في عرفاء كل رتل أن ينادوا بالرحيل، ليخرجوا من مليلية تاركين الوقع المؤثر في نفوس المدنيين الاسبان، سكان مليلية، بخطواتهم المتئدة التي تحدث دقات متوازية ذات نغمة موسيقية .

وقد تقدمهم بجواده المطهم في اختيال وكبرياء، لانه اتيحت له الفرصة الثمينة ليكون من نفسه البطل الاسباني الاسطوري، وعلى أي حال فقد قطع مفازة بوعاك، نفس المفازة التي قطعها من قبله بائس آخر، ضحكت عليه الاقدار، الى أن وصل الى أنوال، بين قبيلتي بني وليشك وتمسامان، على تخوم القبيلة الاولى، فالقى عصا التعاسة هناك، ليستريح ويعجم عود قبيلة تمسامان، لتتفتح له الطريق الى الامام، حيث طبيعة الارض قد تغيرت، فامامه جبال مجهولة لديه، ولدى الاسبانيين، فليس

لديه خرائط لقممها الشاهقة وممراتهـا الصخرية، ووديانها العميقـة ، ودروبها التى حفرت مسالكها اظلاف الماعز فى غدوها ورواحها .

«(1) وفى أوائل دجنبر 1920 علم سلفسترى أن هناك انشقاقـا بين بنى سعيد وقبيلة بنى ورياغل، فانتهزها فرصة لفتح مباحثات مـع زعماء قبيلة بنى سعيد التى يوجد جبل «ماورو» فى أرضها (2) » .

«وفعلا فبتاريخ 11 دجنبر استولى على هذا الجبـل الصعب المراس، حيث دخلت قوة الجيش الاسبانى واحتلت أولاد عيسى، وفى نفس الوقت استولى على مراكز : سيدى عبد الله ــ الحاج بزيان ــ تيزى انورن ــ تمجست ــ دار الكبدانى، وبذلك ضمن حماية الجناح الايمن».

«وعندما وصل الى هذا الحد، فانه حول أنظاره الى قبيلة تمسامان، التى تحتضن جبال كيلانتش التى تفصل بين سهول وادى امقـران وواد النكور، وفى سهل هذا الاخير توجد على ضفته الغربية، قبيلة بنى ورياغل، التى تعتبر آخر العقبات للاستلاء على الحسيمة، واستكمال انتصـارات الجيش الاسبـانى» .

«وفعلا وبدون سابق اذن، وفى أوائل سنة 1921 تقدم جمـع من أهالى تمسامان الى الجنرال سلفسترى ليقدموا له طاعتهـم، كمـا تقـدمـوا بطلبهـم بالحاجـة الملحـة للسـلاح، ليقـوا بـه نقمـة قبيلـة بنـى ورياغـل عنـدمـا تعلـم بانحيـاشهـم الى الجيـش الاسبانى، فوافق الجنرال على ذلك، وزودهم بالسلاح، على أن يسهلـوا له احتلال مراكز بنى وليشك وسيدى احساين على البحر، وطوق مركز أفـراو » .

«ونظرا الى أنه هناك طريقان للوصول الى واد امقران : الاول يمر عن حمودة ــ تفرسيت ــ تيزى عزة ــ والثانى يمر عـن أنوال، وقـد اختار أهالى قبيلة بنى وليشك الطريق الاخـير، وفى 17 فبرايـر 1921 وصل الجيش الى «بومجان» على بعد 4 كلم عن انوال» .

«وفى 15 مارس 1921 احتل سيدى ادريس من طرف جنود من

---

(1) عشرون سنة من التاريخ ــ باللغة الاسبانية ــ .
(2) يعلو عن البحر بـ 904 م.

أنوال، ثم سير حملة متوغلة فى أرض تمسامان متجهة الى واد امقران».

والى هذا الحد فان قضية حماية اسبانيا بدت كأنها استكملت مراحلها، فالجبهة الغربية قد وصل الجنرال برينكير الى حيث طوق الشريف الريسونى فى قبيلة بنى عروص، ولم يبق هناك شك فى القضاء عليه وابن عبد الكريم لم يكن قد أبدى استعدادا للقيام بأى عمل مضاد، والريف بأجمعه كان ينقصه العتاد الحربى، مع تخبطه فى مشاكل الغذاء، وعليه فان الفرصة سانحة للضربة الاخيرة، الضربة القاضية مع بساط من الاوسمة التى تنتظره حين يأخذها باعتزاز وفخار الامر الذى يجعله بين قادة الجيش الاسبانى فى افريقيا .

ومن جهة ثانية، فان آخر قمة من تلك القمم تشرف مباشرة على القبيلة العاتية، التى راح ابن عبد الكريم يوقظ فيها الوعى المضاد لوعى جنوده وهى تقع على مرءى ومسمع من جزيرة الحسيمة، التى تراقب كل تلك التحركات المريبة التى يقوم بها قاضى قضاة مليلية بالامس، والذى أصبح الآن عدوا لدودا يسخر مزاياه الفكرية والشخصية، التى لولا اسبانيا لما قدر له أن يتفوق على أبناء جلدته .

أما وقد علم المقيم العام الجنرال برينكير بتحركات سلفسترى الى الامام، لان الرجل المتحمس الذى توصل بتعليمات من الملك رأسا، فى برقية مختصرة، جاء فيها «هيا انى أنتظر» لا يعرف لمجاملة القائد العام المباشر أى معنى .

وعلى كل فان الجنرال برينكير، لما علم بالحملة تقدم على مخاطرة لا يعلم مغبتها، مع ما يعرفه من ارتجال قائدها، فانه استمهله وطلب منه أن يحضر الى جزيرة الحسيمة، حيث ينظم قائدها اجتماعا ببعض الناس من قبيلة بنى ورياغل، يحضرها المقيم، وسلفسترى، ومساعدوهما والمسؤولون عن الجزيرة (الحسيمة) .

وكما أسلفنا فقد غادر ابن عبد الكريم مليلية نهائيا فى بحر سنة 1919 م، وعاد الى أجدير وحضر وفاة أبيه بتاريخ شتنبر 1920، وقد قام اثر زواجه من فتاة من أجدير من عائلة محترمة من فرقة بوجبار بالمساعى لدى قبيلة بنى، ورياغل، لترك الضغائن بينها جانبا، والاستعداد



جزيرة الحسيمة التى اجتمع فيها الجنراليسمو برينكير والجنرال
سلفستري مع بعض أعيان الريف

لمقابلة العدو، والذى آن لـــه أن يتقدم زاحفا الى الامام، حيث أن نذيــر السوء قد رفع قرنه من مليلية بتعيين سلفسترى، الرجل المعروف بمغامراته فى الجبهة الغربية، التى تتبع ابن عبد الكريم مراحلها من مليلية، وعـــرف عنه كل أعماله التي يقترفها، فى كثير من العنجهية بصورة وحشية .

وان تعيينه قائدا عاما بالجبهة الشرقية، بعد ما أجلى مجاهدى الجبهة الغربية من ديارهم الى ادغال بوهاشم، والجبال المحيطة به، لهو نذير السوء المستطير، وبالاخص أن الرجل ضاعف من حماسه ما أحرزه مــن سند ظاهر للعيان من قبل اسبانيا، وقد اعتز بهذا التعيين، لانه صدر من أعلى مؤسسة فى اسبانيا، أهله لان يفصل فى أمر ذى بال، ليس بالنسبـــة لاسبانيا فحسب، بل للعالم الخارجى الاستعمارى، الذى ينتظر نتيجـــة أعمال الفتوحات فى شمال افريقيـــا .

وهكذا ظل ابن عبد الكريم يتنقل فى قبيلة بنى ورياغل طيلـــة خريف سنة 1920 وشتاء 1921، لالقـــاء المحاضرات الهادئة المطعمـــة بالحجج الدامغة، التى تنفذ الى أعمـــاق القلوب، حيث توقظ الضمائـــر التى ران عليها ما كانوا يأتون فى سبيل الضغـــائن الدموية بين عشـــيرة وأخرى، التى كادت أن تأتى على الاخضر واليابس، باستفحال أمرهـــا بين الاحلاف الجائرة التى يقوى كل جانب جانبه على الجانب الآخـــر .

وقد كانت نهاية جماعة جزيرة الحسيمة فى سوق أحد المرابطين، مناسبة أتت ثمارها، بالنسبة للوعى الذى جعل يفتح الآذان للاصغـــاء، وقد انتقـــل من مرحلة التوعية الاخويـــة بين زعماء القبيلة، الى شـــرح التكتيك الحـــربى، الذى يجب استخـــدامه أمام الجيش المنظم تنظيمـــا عصريا، يقاتل حسب خطة مرسومة ومدروسة من المختصين بامعان .

وقد اهتدى الى أن حرب العصابات التى تتفادى المعارك الضارية هو الاسلوب الذى يجب أن يعتمد عليـــه المحاربون فى المقابـــلات التى مع جيش نظامى مزود بالاعتدة الحديثة، مفسرا ذلك بأن هذه العصابات ستقلق راحته كلية، لانه حينئذ، سوف لا تجديه أساليب الحرب النظامية، ولا يهتدى الى مصدر الخطر، فيبقى حائرا، وبالتالى ستكل جهوده فـــى أرض وعرة لا يدرى عنها أين يسير، ولا أين يتقدم، وكيف يتفادى لسعات البنادق المتقطعة التى تصيب كل طلقة هدفها منـــه .

والحقيقة أن هذا التكتيك الذى اهتـدى اليه بوحى من ذكائـه الخارق، وابتكاراته التى ستظهر فيما بعد، فى تنظيم شؤون المجاهدين بالريف، وهى التى جعلت منه القائد الحربى المظفر، رغم أنه لم يدخل أى مدرسة عسكرية فى حياته، وقد يكون لم يدخلها ولو للزيارة .

وفى هذا المضمار فقد قال أحد القادة (1) العسكريين الاسبانيين الذى خاض تلك المعارك فى الريف، ما يلـى :

«لكن حينما يتعلق الامر بالحرب مـع شعب كالمغرب، فالامر يختلف، لانه يتعلق بمحاربين يجلبون وسائلهم الخاصة من السوق الى السوق، يبتكـرون وسائلهم، ويتصل بعضهـم ببعـض حيث ينسقـون العـداء للغـير» .

«فالحرب فى المغرب مع عدو دائم التحرك ويصعب ضبطه لاجل القضـاء عليـه» .

«ودور القيادة هنا ــ نصيحة للجيش الاسبانى ــ هو أن يقوم القائد بالتهيىء والنسيق، ويقود العمليات ولابد فى المعركـة أن يقودها بنفسه، اذا نظرنا الى أن فى المغرب، لم يكن هناك نقط جغرافية، لتسيير المعركة عندما يكون مع عـدو سريع التحرك، يظهـر ويختفى، حسب ما يناسبه، ولذا فان دور القيادة ــ الاسبانية ــ هو أن يعلم القائد المكان والتاريخ والمهمة، وما هى الوسائل وتنسيقها من بعضها» .

من هذا النص الحـرفى المأخوذ بالترجمة للاصـل الاسبانى، يبدو أية قيمة كانت لتلك الاساليب الحربية التى ابتكرها ابن عبد الكريم، والتى كان يلقنها المجاهدين قبل دخول المعمعة فى مرحلتها الاولى، أو بعد ذلك، مما كان لا يبخل بوقته كل يوم، تقريبا، فهو القائد الوحيد فى العالم على ما يبدو، استطاع أن يسيطر سيطرة تكنيكية وروحية فى آن واحـد، فقد اعتاد الرجل من أول يوم خرج لقيادة القضية الوطنية الكبرى، انطلاقا من حفنة المجاهدين الذين كونهم ببراعته، فى وسط قبيلة مسقط رأسـه، التى نزلت بردا وسلاما فى أفق هذه القبيلة، ثـم تخطت الى ما بعدها

---

(1) الجنرال غوديدو فى كتابه «المغرب ومراحل التهدئة» .

حيث ازاحت آثار الضغائن الدموية المحلية، وعوضتها بأخوة اسلامية أصيلة، منبعها الجهاد المقدس فى سبيل الله، والوطن، والسيادة .

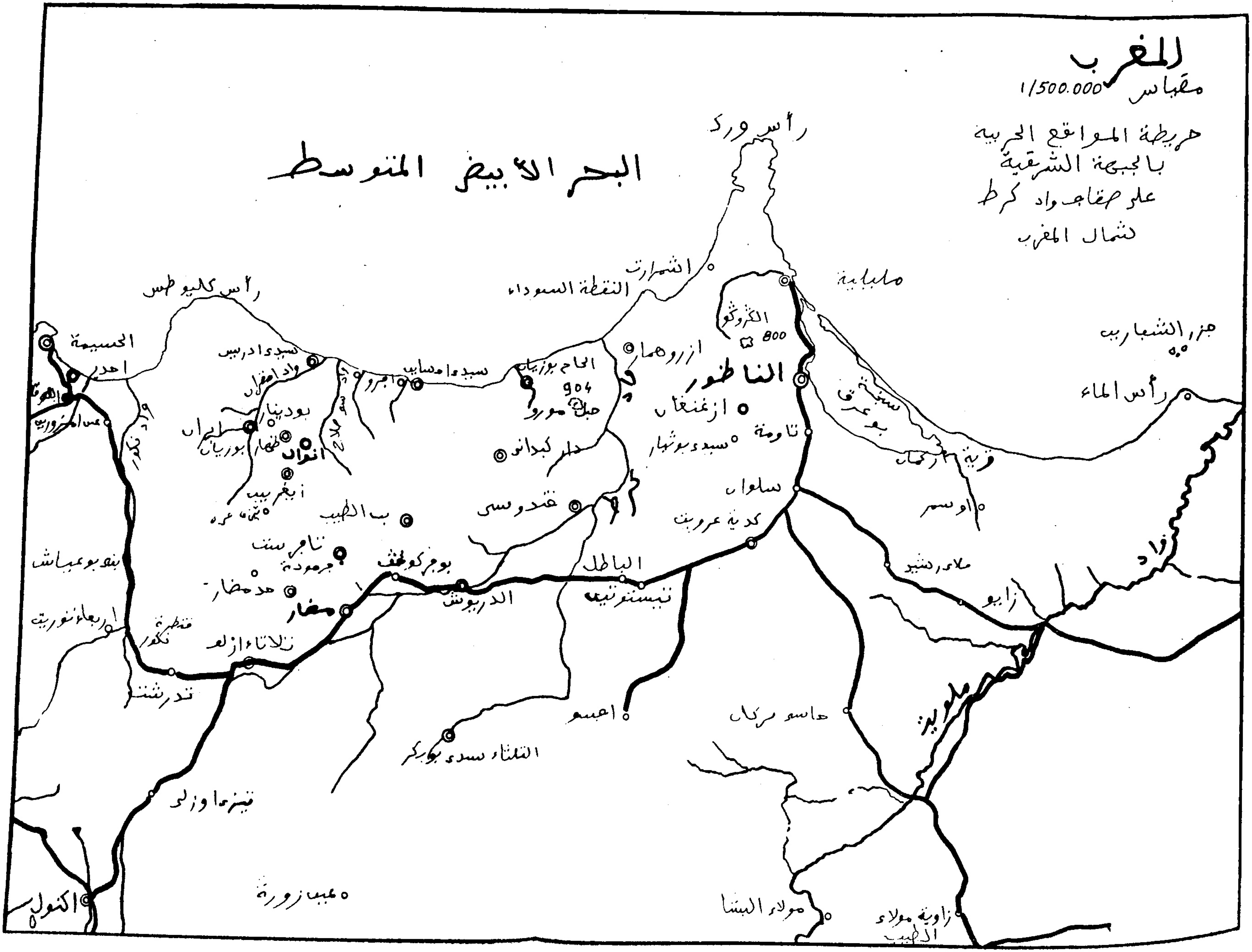
اعتاد أن يؤم بالناس فى معسكر المجاهدين فى صلاة الصبح والعصر ، أما الظهر فيصليه فى بيت اقامته، والمغرب كذلك، فى كثير من الاحيان، وبعد صلاة الصبح عندما يكون ضوء الشمس الذى طلعت بشائره من المشرق، قد اكسبت النفوس اثر السجود لخالق الكون ورب الناس جميعا اشراقا قلبيا، يستفتح الحديث بين المجاهدين، الذين يكونون هرعوا كلهم لادائها، ولا يتخلف أى واحد خوفا من وعيد الله، والتماسا لتقبل الجهاد الذى هاجروا أهليهم فى سبيله، فيكونون حلقة من حوله، حيث هو جالس الاربعاء، واضعا يديه على ركبتيه، فى ثبات القائد، الذى جوارحهم، فيندفع فى بلاغة الخطيب التى لم يمل، مستعرضا جانبا من
جوارحهم، فيندفع فى بلاغة الخطيب التى لمْ يمل، مستعرضا جانبا من
جوانب القضية التى أصبحت الشغل الشاغل للجميع، باثارة الضمائر وايقاظ الحماس فيها، ضاربا على الوتر الحساس عند الجميع، حتى يترك القضايا التى يتركها ملموسة للجميع، يخيل اليهم أنهم يبصرونها رأى العين من دون أن يستعين على ذلك بنشر أى خريطة حربية أمامهم، ولا أن يرسم ذلك على الاقل فى الرمال، وكان فى أول مسيرته يطرق فى معظم أحاديثه الاساليب التى يجب استعمالها فى المعارك، والتى بموجبها ستنتهك قوى العدو، الذى آلف أسلوبا ءاخر، الذى يضطر معه الى تغيير أسلوبه ذلك ، وريثما يقوم بتغييره الذى يتطلب وقتا ليس بالقصير، حسب التقنين العسكري النظامى، يكون المجاهدون قد فازوا بالسبق، وكثيرا ما يطعم حديثه بنضالات المشرق العربى والتركى بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، أما بعدما اجتازت تلك المرحلة الاولى المسيرية، فانه فى غالب أحاديثه كان يتطرق الى التنظيمات التى يجب القيام بها لصالح البلدان المحررة، والتى كان التركيز أكثر على اصلاح الداخلية للثورة من علاقات العشائر بعضها من بعض وتنظيم القيادات القتالية فى تلك العشائر، التى دعيت فى بعد بالدفاع الشعبى، ثم عن الفائدة لهذا التنظيم، لان البقاء للاصلاح، الى غير ذلك .

يقول جالسوه، انهم كانوا ينتظر كل واحد منهم بفارغ الصبر، أن يحين وقت صلاة الصبح والعصر للاجتماع به، لكى يستنيروا من أحاديثه، التى عبروا عنها بأنها كانت تسرى فى اذهانهم سريان الكهرباء فى الاسلاك، وتزعزع أفئدتهم شوقا لتنفيذها حرفيا .

واذا ارتكب أحد من المجاهدين خطأ فى تصرفاته المتعلقة بقضية الساعة، وكان الخطأ غير جسيم الا أن له تأثيرا على كل حال، فانه يستطرد الكلام على ذلك الخطأ داخل الحديث من دون أن يسمى الشخص بعينه وانما يهتدى اليه الجميع بالاشارة الخفية، وربما قام الرجل الى وسط الحلقة ليقدم اعتذاره، فيكون ذلك أوعى درس عند الجميع .

وبعدما فاز فى تحركاته هذه فى القبيلة بثقة الزعماء، ترقب عواقب الزيارة التى سيقوم بها الجنرال برينكر الى جزيرة الحسيمة، التى سيجتمع فيها الاقطاب العسكريون، الذين وكل اليهم أمر افتتاح البلاد، التى يسكنها أناس بدائيون حسبما هو مدون فى قاموسهم، وذلك لاجل تمدينهم، وارجاعهم على الاخص الى صف البشر، وفعلا، ففى شهر فبراير 1921 م، أبحر الجنراليسمو من سبتة على ظهر بارجة حربية تخفرها مدمرتان اثنتان، وقد انتهز فرصة المرور على شواطىء غمارة، والريف الاوسط بينما تمخر الجاريات عباب مياه المتوسط، ليلقى نظرات فاحصة بالمناظر المقربة للمسافة ليستكشف ولو اجماليا تلك الجبال المتوحشة، وودیانها القصيرة المنحدرة، وكهوفها الطبيعية الصخرية، ورغم المناظر الطبيعية الخلابة التى يراها، والتى تبعث على انشراح الصدر، الا أنه لم تغب عن وجهه سحابة الكآبة التى لم تفارقه، وقد كان مرافقوه يردون ذلك الى الاشمئزاز من ملاقاة ذلك المنافس سلفسترى الذى يتحدى سلطته وشرفه العسكرى، والذى لا يعبأ بالتسلسل القيادى، واثر هذه الرحلة كان يجتمع بين آونة وأخرى على ظهر البارجة بالمرافقين المغربيين الاثنين وهما السيد محمد شراط من أجدير، والسيد دادى أبو بكر التفنساتى من قبيلة بقيوة، وكان يدعى القائد سى دادى وهو زعيم قبيلة بقيوة، بعد أن مات الحاج على اللوه .

وعلى أى حال فقد ألقت البارجة مراسيها عند الجزيرة وكان

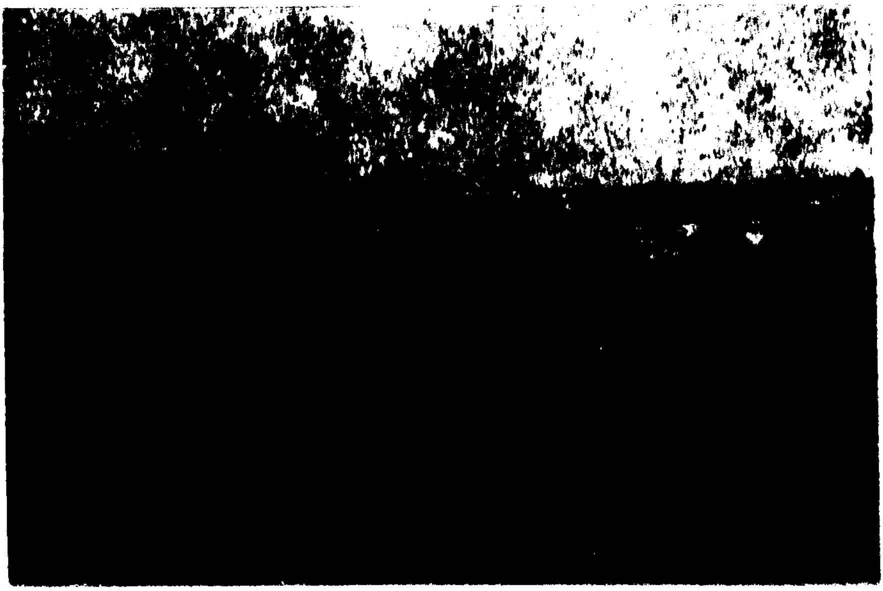


المغرب
مقياس 1/500.000
خريطة المواقع الحربية
بالجبهة الشرقية
على ضفاف واد كرط
لشمال المغرب
البحر الأبيض المتوسط
رأس ورك
رأس كاليوطس
الحسيمة
النقطة السوداء
اشمارت
مليلية
الناظور
ازغنغان
تاورمة
سيدي بوشهار
سلوان
جزر الشفارين
رأس الماء
قدوسي
دار كبداني
انوال
الدريوش
ميضار
زايو
ملوية
اكنول
زاوية مولاي الطيب

أر
أ
ف

ال
أل
و
ال

ال
س
ال
تد
ف
ت
و
فا
ال
ال
الا
ير
س
ال
الا
ال
قد



الجنود الاسرى فى حرية التكلم مع صحفى أسبانى فى وقت الراحة

فى استقبال المقيم العام، القائد الاسبانى بمليلية، وجميع رفاقه، كما استقبله جماعة من رجال الريف الاوسط، الذين دعوا لهذا الغرض، وكان من بين هؤلاء القائد السى بوبكر أشاين، والشيخ محمد أبقوى والسى بيرا من بقيوة، والسيد عمر بن زهراء من أجدير، وسليمان بن المجاهد الخطابى من أجدير من فخدة عبد الكريم الخطابى، وأشخاص من بنى عبد الله، وقد صحبهم وفد من رجال الفولكلور المحليين من فرقة الزفانين من أجدير، الا أن مما يجب التنبيه عليه هنا أن هؤلاء لم يقوموا بما ذكر الا للفراغ الذى كان موجودا، والا فانهم لما انتظمت الثورة كان لهم نصيب فى النضال .

وكان حاكم الجزيرة الكرونيل «سيبانطو» استعد للاحتفال بالزائرين، احتفاء يليق بمقام الجنراليسمو ومرافقيه، وكانت الملاقاة فى نظر الحاضرين ذات بهجة وحبور، وفى خضم هذا الاحتفال الذى كانت تتخلله مزامير الزفانين بأصدائها، لم يخف المقيم العام أن يوجه الدعوة الى قبائل الريف الاوسط، وبالاخص بنى ورياغل، لاجل القاء السلاح، وترك الجيش الاسبانى يكمل مسيرته، بدون اراقة الدماء، وفى الاخير خاطب رجال القبائل الذين اصطفوا أمامه، موجها اليهم الكلام الذى لا يخلو من التهديد ومن جملة ما قال لهم: «انكم تعرفون أن الجيش الاسبانى هو معسكر فى أنوال، وليس بين قبيلة بنى ورياغل الا قبيلة تمسامان، التى رضيت بدورها أن يدخلها الجيش متى أراد، وها أناذا جئت الى هنا لاعرض عنكم فرصة السلام، التى ان فاتت فلا يجود الزمان بمثلها، وحينئذ فلا مفر من اراقة الدماء بما يعقبه من الخراب، الذى لا فائدة فيه لان الجيش مستعد لتنفيذ مأموريته، أما الحرب فهى مضيعة للنفوس والوقت والرفاهية، مع العلم بأن احتلال بلادكم هو أولا وبالذات لفائدتكم وحدكم، لوضع الامان فى نصابه نظرا لما توجد عليه بلادكم من الفوضى، التى خلقها عدم تدخل المخزن المغربى لصالحكم، فتركتكم تقتتلون بعضكم بعضا، وذلك ما حمل دولتى فرنسا واسبانيا أن تضعا حدا لهذه الحالة المزرية ولذا فانى أعرض عليكم الآن، بكل الحاح السلام، والوئام لتعيشوا فى أمان وازدهار» .

وعندما التأم الجمع فحص الحاضرين بعينيه الحادتين، ولم يستطع رجال القبائل أن ينبسوا ببنت شفة، لانه ليس أحـد أدرى منهم بحالـة التضعضع النفسانى الذى هم عليه، فهـم فى قبيلتهم معرضون للقتـل والتخريب، الذين تعرض لهما من سبقهم من المخدوعين، ولذا أخرسـوا مندهشين، وحاول حكام الجزيرة أن يجروهم للرد بنعم لكى يرجع المقيم العام الى تطوان مرتاحا، الا أنهم لم يظفروا منهم بشىء، ليس لانهـم لا يوافقونه على رأيه، ولكن للهلع الذى أصابهـم مما ينتظرهم عندمـا ينزلون من الجزيرة الى اليابسـة .

أما الجنراليسمو فقد انكب مع قادة الجيوش الاسبانية فـى المغرب الى دراسة الخطط للحملة المقبلـة، ورغم أنـه كان يشمئـز من سلفستري، لان هذا لم يخف استخفافه بآراء المقيم العام، الذى كلما حاول فتح الريف سلميا، الا ويعارضه من دون مواربة، بـل بفرض آرائـه الارتجاليـة .

وعلى كل فقد درسوا الاحتمالات من جميع وجوهها، وسـواء اقتنع المقيم العام أو لم يقتنع، فانه رجع الى تطـوان .

وبمجرد ما وضع أقدامه فى البارجة التى تقله، أمر سلفستـرى رجال القبائل بأن يجتمعوا لانه يريد أن يتكلم معهم، ولما التأم جمعهم، استهل خطابه بتسفيه رأى المقيم العام، الذى قال عنه بأنه يأسف لانـه تكبد السفر من تطوان الى هنا، ليقول قولا هراء، لا يمت الى شجاعـة الجندى الاسبانى بشـىء فالسلام الذى عرضـه عليكم، معتمـدا على معاونتكم السلمية، لا معنى له، وذلك لاننى وجيوشى معسكرون علـى حدود تمسامان بأنوال، وقبيلة تمسامان طلبت منى بالحاح أن أحتلهـا، وأنا بدورى لا أنتظر الا استراحة جنودى، لنتقدم بنزهة أخـرى، واذا وقع احتلالى لتمسامان، كانت فيكم أنتم بنى ورياغل الذين يداهنكـم المقيم العام جولة واحدة، أتقدم أنا أمام جيـوشى ممتطيا جـوادى، وأتحرك بدون حثيث السير الى أن أتناول الشاى فى ظهيرة ذات صبـاح، بدار قاضى قضاتنا، الذى لم يجد مكانا عند اسبانيا لانه لا عهد له، فجعل يستغل سذاجتكم، وعليه انتظروا انتظروا، فانى وفرسى سنوافيكـم ذات يوم قريـب» .



الجنرال سلفسترى يتبادل الحديث بجزيرة النكور مع زعيم بقيوة سيبرا حول اقناعه بسياسته فى الريف

وعندما التأم الجمع فحص الحاضرين بعينيه الحادتين، ولم يستطع رجال القبائل أن ينبسوا ببنت شفة، لانه ليس أحد أدرى منهم بحالة التضعضع النفسانى الذى هم عليه، فهم فى قبيلتهم معرضون للقتل والتخريب، الذين تعرض لهما من سبقهم من المخدوعين، ولذا أخرسوا مندهشين، وحاول حكام الجزيرة أن يجروهم للرد بنعم لكى يرجع المقيم العام الى تطوان مرتاحا، الا أنهم لم يظفروا منهم بشىء، ليس لانهم لا يوافقونه على رأيه، ولكن للهلع الذى أصابهم مما ينتظرهم عندما ينزلون من الجزيرة الى اليابسة .

أما الجنراليسمو فقد انكب مع قادة الجيوش الاسبانية فى المغرب الى دراسة الخطط للحملة المقبلة، ورغم أنه كان يشمئز من سلفستري، لان هذا لم يخف استخفافه بآراء المقيم العام، الذى كلما حاول فتح الريف سلميا، الا ويعارضه من دون مواربة، بل بفرض آرائه الارتجالية .

وعلى كل فقد درسوا الاحتمالات من جميع وجوهها، وسواء اقتنع المقيم العام أو لم يقتنع، فانه رجع الى تطوان .

وبمجرد ما وضع أقدامه فى البارجة التى تقله، أمر سلفستري رجال القبائل بأن يجتمعوا لانه يريد أن يتكلم معهم، ولما التأم جمعهم، استهل خطابه بتسفيه رأى المقيم العام، الذى قال عنه بأنه يأسف لانه تكبد السفر من تطوان الى هنا، ليقول قولا هراء، لا يمت الى شجاعة انجندى الاسبانى بشىء فالسلام الذى عرضه عليكم، معتمدا على معاونتكم السلمية، لا معنى له، وذلك لانني وجيوشى معسكرون على حدود تمسامان بأنوال، وقبيلة تمسامان طلبت منى بالحاح أن أحتلها، وأنا بدورى لا أنتظر الا استراحة جنودى، لنتقدم بنزهة أخرى، واذا وقع احتلالى لتمسامان، كانت فيكم أنتم بنى ورياغل الذين يداهنكم المقيم العام جولة واحدة، أتقدم أنا أمام جيوشى ممتطيا جوادى، وأتحرك بدون حثيث السير الى أن أتناول الشاى فى ظهيرة ذات صباح، بدار قاضى قضاتنا، الذى لم يجد مكانا عند اسبانيا لانه لا عهد له، فجعل يستغل سذاجتكم، وعليه انتظروا انتظروا، فانى وفرسى سنوافيكم ذات يوم قريب» .



الجنرال سلفستري يتبادل الحديث بجزيرة النكور مع زعيم بقيوة سيبرا حــول اقناعه بسياسته فى الريف

وفيما يخص سليمان الخطابى، فاننا نروى هنا قصته عن أحد أبناء أعمامه وهو السيد مولود المدعو أزروق قال: فعندما بلغه ما قر عليه رأى القبيلة، امتنع من اداء الغرامة، نظرا لأنفته التى تولدت لديه بوجود أحد أعمامه وهو ابن عبد الكريم يتولى فرض الغرامة، والتجأ الى الجزيرة نيلا، وطلب من اسبانيا حمايته، وقد قبلت ذلك بارتياح، نظرا الى أنه من عائلة ابن عبد الكريم، رجاء أن تجد منه ندا لهذا الأخير .

أما الزفانون الذين ذهبوا الى الجزيرة كما سبق، فقد قر رأى المؤتمر أن يجلد كل واحد منهم مائة جلدة، ومن جملتهم كان اخوان، احدهما يدعى الشيخ عمر، والثانى الشيخ مسعود، فلما اتموا جلد الاول، قدموا الثانى للجلد، وكان ذا بداهة، فقال لا حاجة لكم بى، وما دام أخى موجودا تحت العذاب وهو أخى فانى أمنح له حقى من العذاب، فأتموا مائتين، وقد ضحك الجميع لنكتته، وفى أثناء ضحكهم، قفز وراء شريف من بقيوة يدعى سيدى محمد، وكان محترما فاستجار به، فآجره هذا، وقال للقبيلة لماذا تجلدون هؤلاء التعساء لأنهم لم يذهبوا الا لاشباع بطونهم، والذين يستحقون الجلد هم السياسيون الذين ذهبوا لاطماع دنيئة، فعفوا عن الشيخ مسعود .

وقد حملت حادثة اجتماع الجزيرة كل خير وبركة لمخطط ابن عبد الكريم، فقد جمع حوله المجاهدين، واقترح عليهم قفل باب الجزيرة فى وجه القبيلة تماما، بحيث يعاقب كل من ثبت عليه أنه ذهب الى هناك ليلا أو نهارا، لانها بيت الاعداء، ولان قطع المخالطة يضع سياسة الجزيرة فى عزلة مضنية بالنسبة للجيش الاسبانى، وفى 20 شتنبر 1920 ميلادية، تمكن من دعوة زعماء قبيلته الى عقد مؤتمر فى قرية أمزورن عند البئر وكان محلا لعقد المؤتمر ضد بوحمارة، ومنه انطلقت الشرارة الاولى، التى كانت القاضية عليه، كما سبق، ويعقد المؤتمر تحت اشجار التين، وقد كانت أوراقها تذروها الرياح، وقد تقاطر الزعماء مصحوبين بخفرائهم من عصبيتهم، كل واحد مدجج بسلاحه وكان الموقف بالنسبة لقائد الثورة الجديد ذهبيا، فتلك العصابات المسلحة لم تعهد أن ترى قاضى قضاة مليلية

مجتمعا بها وانما تسمع خبره عندما تهجم على دار عائلته، عندما كانت تتهمها بالركون الى جيش العدو بمليلية .

ومع هول الموقف، فقد ظهر كمن اعتاد أن ينظروا اليه كمرشد للسفينة التى ترتطم بين الصخور تدفعها الاعصار، وعندما التأم الجمع، فحص الحاضرين بعينيه الحادتين اللتين تنضحان حزما ونفاذا، الى أعماق الاعماق، كنظرات الصقر، وهو قابع على رأس حجر فى قمة جبل، يفحص المناظر التى تمتد تحته الى مد البصر، لكى يعثر على فريسة ينقض عليها، وقد افتتح المؤتمر بهدوئه المشبوب بشهامة المؤمن المتمكن من نفسه، فذكر الحاضرين بالخطر الداهم الذى يحبوا حبوا ريثما يستقيم، لينقض انقضاضا على فرائسه، التى هى نحن هنا وحرمنا وأموالنا وديننا، لكى يسلخ منا هذا الدين، لارجاعنا الى حظيرة الدين المسيحى، وهى حلقة من حلقات اضطهاد المسلمين فى أقطارهم، وسلخهم عن دينهم لتنصيرهم، وليس عملها فى الاندلس المسلمة بمجهول عندنا نحن الذين هاجر الينا من تمكن من النجاة بدينه، فأنتم أنفسكم أبناء الاندلسيين كلا أو بعضا، وهاهم تبعوكم الى هنا، انى أعرف كل نوايا الاسبان، وكنت معهم، وقد بعثنى أبى لاطلع على نواياهم، ومدى قدرتهم، وبرامجهم المخططة، والآن ها أناذا بين أيديكم ليس اننى غير صادق فيما أسعى اليه، أو اننى متأثر بدعوى الانتقام لاننى تكسرت من رجلى فى سجنهم بقلعة مليلية، ولهذا فاننى أتقدم قبل أى واحد منكم لاضع يدى اليمنى على هذا المصحف الكريم، الذى يضم الآيات البينات المنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم، لاقسم عليه، ثم يخرج المصحف من حقيبته كانت على حجرة، ويملى على أحد الحاضرين من الفقهاء، وهو الفقيه ابن على بولحيا، ليكتب صيغة القسم، التى يجب أن يؤدى عليها الجميع القسم، وهى كما يلى :

1 — أعاهد الله أن أدافع عن دينى ووطنى وشرفى الى الموت .

2 — أعاهد الله أن ألتزم بتنفيذ الاحكام الشرعية، التى يأمر بها القرآن الكريم، والسنة النبوية، ولا تأخذنى فى ذلك لومة لائم، ولو كانت ضد أعز أقربائى .

3 – أعاهد الله أن لا أثير الضغائن الدموية، وان الثأر موضوع بين عشائرنا من هذا اليوم، ولا ضغينة بعد اليوم.

ثم أردف، هل أنتم موافقون؟ فأجاب الجميع بحماس، نحن موافقون، ثم قال، وعليه فالاسلام محفوظ بهذه الديار ان شاء الله، والنصر بيد الله «ان ينصركم الله فلا غالب لكم»، غير أنكم تعرفون أننا نقسم على المصحف الكريم، الذى لا يمسه الا المطهرون، وعليه فمن لم يكن منكم على وضوء، فليذهب ليسبغ وضوءه فى السواقى الجارية، فهرول البعض الذين لم يكونوا على وضوء، وقد تهامسوا فى ذهابهم وايابهم بعضهم البعض، متعجبين من الرجل، وسحر بيانه، وصدق طويته، لانهم لم يسمعوا مثل هذا الكلام منذ ما توفى الزعيم المجاهد القاضى سيدى محمد العزوزى، وعلامة الاستبشار بادية على وجوههم، وأحاديثهم ؟

فلما رجعوا والتأم جمعهم، قام وصلى ركعتين، ثم قلده جميع الحاضرين، وتفرقوا للصلاة فرادى، وبعد ذلك استفتح القسم بتلاوة فاتحة الكتاب، التى قرأها الجميع بالجهر، ثم آيات «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... الخ» ثم تقدم، ووضع يده اليمنى على المصحف، وأقسم جهارا على الصيغة المتقدمة ثم تلاه الحاضرون من بعده، حسب ترتيب الزعماء كما يأتى :

الفقيه السيد محمد بن على بولحيا، محمد بن السى احمد الاجديرى، الحاج حموش الاجديرى، السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى، احمد بودرة، الحاج مسعود الاجديرى، عبد الكريم ابن الحاج بودرة، السى على اشهبار، شعيب بن محمد بن عمر، حمادى بوزلماط، السيد عبد الله بودرة، محمد أكوح بوصريمت، محمد احمد بوصريمت، محمد بن عمر الولقاضى، حدو اوسار، حمادى بن الحاج سعيد، اليزيد بن الحاج حمو عمر بن علوش، الهادى بن عزوز، طاهر الولقاضى، الحاج الراضى، موح بن طاهر البوعياشى، موح بن حميش البوعياشى، عبد الرزاق بن الحاج محند البوعياشى، علوش المرابط، السى عمر بن حمادى الحنديحيابى، محمد أكوح، الحاج على بن الحاج محند أمزيان، حدو بن امحند بن على، موح بن عمر موحند

العبدلاوى، موح أبرقاش العبدلاوى، موح بن صديق الحذفائى، بوطاهر مكوح الحذفائى، السيد محمد بوقشوش المرابطى، موح بن الحاج عمر، محمد بن الحاج محند المجوضى .

وهؤلاء من الاعيان، ثم تلاهم من بعدهم عصبيات كل زعيم، ممن كان منهم يقرأ تلاها بدون تلقين، ومن لم يقرأ تليت عليه بواسطة الفقيه بنعلى بولحيا .

وقد كان الموقف حقا رهيبا، ليتصور المرء أنه كان وسط المجمع الذى يحتضن كل فرد منهم غدارته وقد دعاهم للاجتماع رجل كان بالامس القريب مع جانب العدو، وقد بدأوا ينظرون اليه شزرا، وفجأة أتى القوم من حيث يوخذون، فقضية الدين حساسة وقضية الحرم أكثر منه حساسية، ثم أن القوم لا ينقضون العهد عندما يعاهدون عهدا عاديا بدون يمين، أما وقد أقسموا على المصحف الكريم بعد الصلاة وقراءة بعض الآيات البينات، فان النظرات التى تحدجه الآن كانت نظرات تقدير، ومحبة عارمة وقد صرح الجميع فى ضجيج أنك زعيمنا، وقائدنا، نحن نسير وراءك، لكى نخوض البحر على الاقدام، لا، لا يمكن «لبوجروان» أن يطأ أرضنا الطاهرة، وكلمة «بوجروان» هذه تعنى فى اصطلاح القبائل، الاسبانى، لانه يأكل اجروان وهى الضفادع .

وبعدما هدأهم من فورة الايمان والاخلاص والصدق، جعل يتطرق الى المخطط العملى، فاقترح أولا تكوين لجنة هو من بينهم، مكونة من ثلاثين شخصا ممن هم مذكورون آنفا، على أن تعمل على تهىء معسكر بقبيلة تمسامان، ينتقل اليه المجاهدون، ويكون فى موضع يسامت معسكر العدو بأنوال، يواظب فيه المجاهدون، حيث هناك تدبر المخططات للمستقبل، ويجتمع فيه الزعماء باستمرار، ويكون هو حاضرا أيضا .

وقد اقترح بعضهم حالا موضعا يدعى «القامت» وهو محل فى أعلى قمة بتمسامان، يشرف على هضبات بودينار التمسمانية، ويطل مباشرة على وادى «امرواس» الذى ينزل من قبيلة بنى توزين ويشق قبيلة تمسامان فى وسطها، ثم يصب عند سيدى ادريس فى البحر، (وهو أحد المهاجرين العرب الذين أسسوا امارة النكور حسبما سبق)، وقد

عقب عليه بعضهم بان المحل يقع فى تمسامان، التى بعض زعمائها قد غرهم العدو، فطلبوا منه أن يتقدم لاحتلالها، وهنا قر الرأى على أن تتصل اللجنة أولا بزعماء الفرق الغربية لتمسامان، لاقناعهم بفكرة الجهاد، على أن يكتب ابن عبد الكريم رسالة اليهم، تتضمن فحوى الاتفاق بين المؤتمرين دعاهم فيها الى عقد الاجتماع بزاوية «بوزويقة» على الضفة الشرقية لوادى النكور أو فى سيدى بوداود، وقد انعقد الاجتماع فعلا، حضره من تمسامان كل من القائد علال بن بوعزة، والحاج حمادى بوضراست، وحمادى بن دادى، والمختار، وغيرهم، وقد عرضت عليهم اللجنة القصد من الاجتماع وهو تأسيس مركز للتجمع فى القامث، فما كان من القائد علال بن بوعزة الا أن اعترض عليهم، وأبى بكل صرامة اقامة تجمعات فى قبيلته، متذرعا بأن الجيش الاسبانى حينئذ سيصب جام غضبه على هذه القبيلة التى تكون خطا وقائيا لقبيلة بنى ورياغل، واذ وصل الحوار الذى احتدم الى هذا الحد، فان القوم وجهوا التهم الى علال بن بوعزة، الذى كان يوصف بأنه عميل اسبانيا، وانه كان يتقاضى العلاوات المالية، كما ذكروه بمعارضته فى قضية بوحمارة أيضا، وكاد بعضهم أن يفتك به، لولا أن ابن عبد الكريم ذكر الجمع بالقسم الذى أدوه على المصحف .

وقد تدخل فى الحوار ضد علال بن بوعزة الزعماء الآخرون، من تمسامان، منهم المذكورون اعلاه، بعد ما أرغموا علال بن بوعزة بأن ينسحب، وأعطى هؤلاء الموافقة على البرنامج بحذافره، وأقسموا على المصحف نفس القسم، ثم تقدموا أمام اللجنة الى محل القامث، لفحصه واختبار الموقع، وقد تكفل هؤلاء الزعماء بتموين المجاهدين وحشد الرجال من قبيلتهم، لنفس الاهداف المقدسة .

محكمة الشعب والقصاص الشرعى :

بدأ ابن عبد الكريم يدعو المجاهدين الى تقبل نسيان الضغائن الدموية التى استحكمت جذورها فى النفوس، وأصبحت عسيرة الاقتلاع الا لمعجزة من السماء، وأول حادثة برزت من هذا النوع، وطبقت فيها

بنود القسم، هى حادثة فى قبيلة بنى ورياغل، ذلك أن شخصا من زاوية سيدى يوسف، وهى قرية كبيرة محترمة من فرقة المرابطين، يدعى حدو بوراس، قتل شخصا أخذا بالثأر، فقبض عليه أهالى المقتول، وأوثقوه، وساروا به الى مجمع المجاهدين، بمركز القامث، وكان من المألوف أن ينقضوا عليه قتلا، حينما يعثر عليه، ولو أدى ذلك الى ما أدى اليه

وها هى الآن بوادر الاصلاح تبدو مؤثرة فى النفوس العامة، وهى حالة يستبشر بها، وعندما سلموا غريمهم لقيادة المجاهدين، قدمه ابن عبد الكريم لمحكمة الشعب، برياسة الفقيه بن على بولحيا من قبيلة بنى توزين، وعضوية الفقيه السيد محمد الشركى من بنى توزين، والفقيه محمادى الشمس من بنى ورياغل والفقيه صالح التمسمانى، وامام جمهور الحاضرين، بدأت المحاكمة فى العراء، باستنطاق المتهم الذى لم ينكر الحادثة، ووقائعها، ثم نودى على أولياء المقتول، فتقدموا وأثبتوا صلة البنوة به بالمقبول الشرعى وبعده أصدرت المحكمة حكمها باعدام الجانى، على أن يتولى أحد أولاد المقتول الاقتصاص بالوسيلة نفسها، التى قتل بها أبوه، بعد تفويض من باقى أولياء الدم، وكان اليوم مشهودا عندما حضر الجميع مشاهدة أحد أركان الشريعة الاسلامية تقام، فبعد تنفيذ القتل، كبر الجميع تكبيرة دوت بها جوانب الموضع .

وجرت بعد ذلك محاكمات أخرى، منها ما صدرت فيها البراءة ومنها ما صدرت العقوبة فيها، ومن القضايا الاولى محاكمة السيد محمد شراط، الذى اتهم بخيانة قضية العهد المقدس باتصاله بأحد الضباط المغاربة الذين يعملون فى الجيش الاسبانى بسبتة، ويدعى موح بن سعيد الورياغلى، وكان أتت به قيادة الجزيرة اليها، عندما وقع قطع العلاقة معها، فاستقدم الى معسكر المجاهدين، حيث قدم الى محكمة الشعب لمحاكمته، وانعقدت المحكمة وتقدم أحد الزعماء للدفاع عنه وهو السيد عبد السلام البوعياشى، الذى أبرز فى دفاعه عدم ثبوت اتصاله، وأن مثل هذه التهم ان تطورت فان عواقبها تكون وخيمة، لان الناس يعمدون الى مثل ذلك فى احياء نفس الضغائن التى عاهدنا على تركها، خصوصا وان

الشاهدين عليه يعتبرون واشين به، وليسوا شهودا، وبالخصوص فانه بمجرد ما قدم للمحاكمة تسابق بعض الناس لتجريده من بندقيته، ومسدسه، وبهيمة ركوبه، مما أثار ضجة، فحكمت محكمة الشعب ببرائته، فاسترد أمتعته .

وممن حكم بادانته شعيب بن الحاج تهامى الدردوش من فرقة المرابطين، فقد اتهم باتصاله بنفس الضابط المغربى الذى مده بالسلاح والمال لاحياء الفتن، وكان له ضلع مع عمر بن احميدو المرينسى واحداث المصاعب ازاء المجاهدين، ولما استدعى الى مركز المجاهدين، اعتصم بداره، ولم يلب الاستدعاء فأرسل المجاهدون أشخاصا نصبوا له كمينا حول داره، وكان معهم أحد أصدقائه، ممن كان موضع ثقته فطرق عليه الباب ليلا، طالبا أن يخرج اليه، ليبلغ اليه أمرا يهمه، وحيث أنه لا يشك فى ثقته، فقد خرج اليه فانكب عليه الكمين وأوثقوه، وقد بدا فى وثاقه كالاسد فى القفص، يزمجر تارة، وينتفض تارة أخرى، أسفا على أنه وقع فريسة الثقة العمياء، ولم يتمكن من استعمال سلاحه الذى خرج به من الدار، وكان فى الاقدام وركوب المخاطر ممن يقرأ له الحساب، وهكذا قدم للعدالة فاعترف وثبتت وسائل الاقناع، فصدر عليه الحكم بالاعدام، حيث تولى اعدامه أحد عامة الشعب، الذى وقع الاختيار عليه من الشعب والمحكمة .

وسيأتى تفصيل هذه القضية بالتمام .

عمل فدائى وبطولة نادرة :

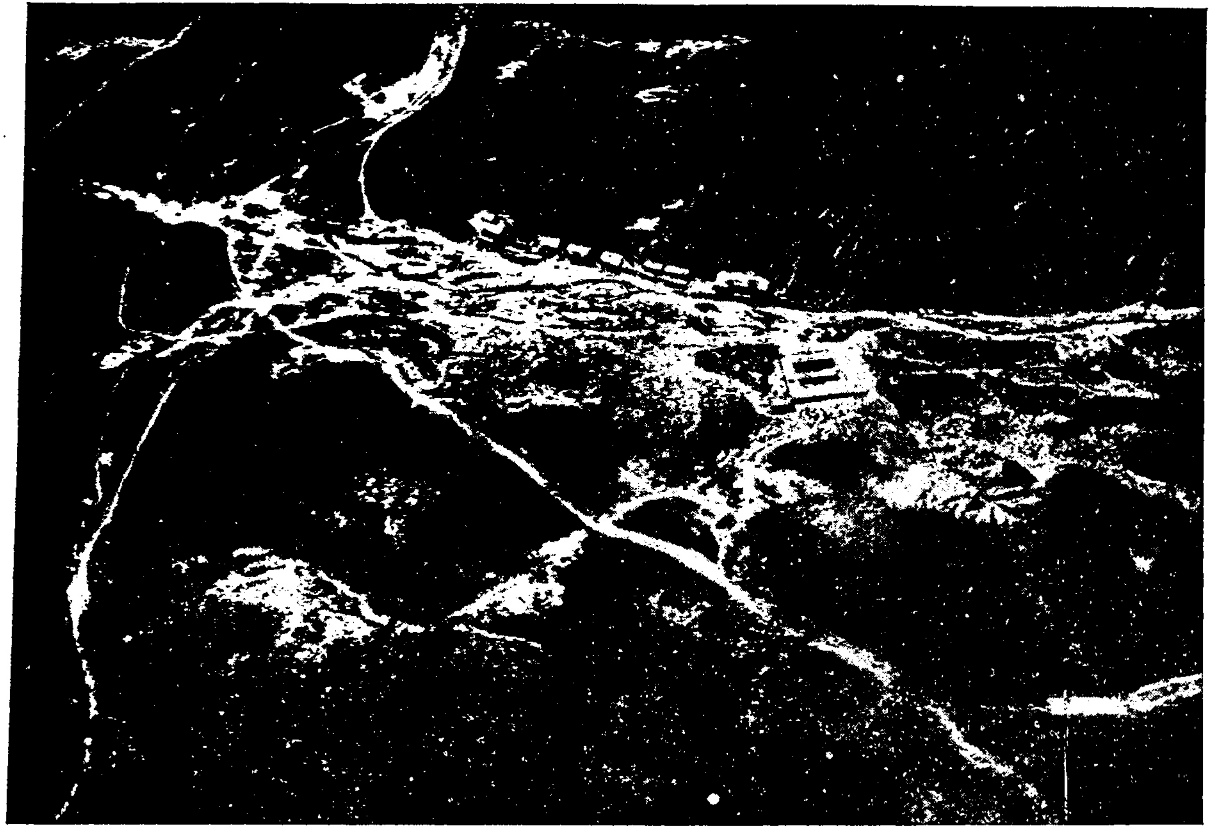
بينما المجاهدون يرابطون فى مركز القامث، كان من بينهم اثنان من الابطال المغاور، وهما: السيد عمر بن علوش من زاوية سيدى عيسى، ومن ابناء أعمام المجاهد الشهيد السيد محمد العزوزى والسيد احمد شعيب العزوزى من تماسينت، ولم يكن نشبت أية معركة أو مناوشة مع العدو المرابط على الجبهة الشرقية لمركزهم، بل كل فريق صار لتنظيم نفسه، واخذ الاستعدادات اللازمة لليوم المشهود، وكان العدو أحاط خطه العام «أنوال سيدى ادريس» بمواقع ثانوية على الهضاب المحيطة

بذلك المركز، فمن هنا بومجان، ومن هناك اغريبين ومن هناك أمــزاورو، وكل ذلك بقبيلــة تمسامــان .

وفى أحد الايام خطر لهذين البطلين أن يقوما بتسلل فدائى لاشعار العدو «بأننا هنا»، ولم يكن ذلك بمشورة من ابن عبد الكريم، ولو شاوراه لمنعهما، حذرا من العواقب الوخيمة على حياتهما، وذات ليلة قاما بتنفيذ ما عزما عليه، فذهبا هما الاثنان فقط من دون أى احتياطى آخر، الى أن وصلا الى قشلة بومجان، وكانت تقع قبالة «أنوال» يسكن العدو هنــاك فى قباب بيضاء محوطة بدائرة من الاسلاك الشائكة مع متارس من أكياس التــراب هنا وهنــاك .

وكان كل شىء عاديا فى تلك الليلة، لا يزعجهم أى طارق يطــرق، وكانت الحامية تضم حوالى مائة جندى وضابط وكانت فيه القيادة وســط القباب يحتلها ضابط برتبة الكبطان، وكان الضباط فى ذات ليلــة مجتمعين فى قبة الكبطان، يلعبون الاوراق ويضحكون ويمرحون وكان جندى بائس يحرس باب القشلة الخارجى عند ملتقى دائرة الاسلاك، تعاونه جماعــة لا تتعدى السبعة على رأسهم السرجان، وكان م نبينهــم جندى واحــد من المغاربة المنخرطين فى الجيش النظامى قديمــا، وكان الحارس يضــع بندقيته على كتفه تارة، ويسير الى الامام فى خطى متوازية، ثم يقف فجأة لينقلب الى الوراء، بنفس النغمة، وقد أنهكه العياء ينتظر انهاء الساعتــين من حصته الليلية، وقد فوجىء فى تلك الليلة على غير العادة أن نادى أحــد هذين البطلين باللسان المحلى، «أيها الجندى اصــغ»، فلما كان الجنــدى المغربى حاضرا فى قبة الحراسة المضروبة على قيد خطوات من الحارس فقد نهض واقفا، وأجابه نعم ماذا تريد، فقال البطل اننا نريد أن نتحادث مع قائد القشلة، فهل لنا من اذن بذلك؟ وبدون وعى ولا تفكير أجابه الجندى المغربى تقدم، وكان يبدو لجنود الحراسة أن الشخص ورفيقه يريــدان الافضاء بسر يخص الحامية فلم يعبأوا بهما، ولا بهيئة دخولهما، فاجتازا باب القشلة الخارجى، ومعهما سلاحهما الذى أخفياه تحت جلابتيهمــا، ولم يسألا عن قبة القيادة، تعمدا منهما أنهمــا يعرفان كل شىء، وانهمــا طالما طرقا القشلة، لانهما من عيون الجيش، جاءا بخبر فى حال انهما لــم

يصعب عليهما أن يهتديا اليها للضوضاء والضوء معا، وحتى لما وصلا الى باب القبة لم يعبأ بهما أحد، فاندفع الرصاص يحصد الضباط، وقد هلع الجميع، كما اختلط حابل الجنود بنابلهم، فلم يهتدوا الى ما وقع، وقامت حركة عشواء داخل القشلة أما البطلان فبعدما انهيا مهمتهما، نكصا راجعين حيث أتيا، ولكن كان الباب مسدودا بالجنود فتنكبا الى جهة أخرى حيث سهل على عمر علوش أن يتخطى الاسلاك بقدرة قادر، ولم يشعر الا وهو خارج الاسلاك، أما احمد بن عزوز، فقد وقع فى الاسلاك فتقطع ثيابه وجلده، ونادى على رفيقه الذى تقدم لفكاكه، بينما يطلق النار بسرعة فائقة، اشعارا للعدو بأن هناك قوة تحرسهما، وبهذه المهارة استطاع أن ينقذ رفيقه، بعدما ترك اطرافا من لحمه على أشواك الاسلاك، وقد هنأهما ابن عبد الكريم حين وصلا، كما حذرهما من مثل هذا العمل بدون استئذانه.



المنظر العام للخطوط الحربية الامامية فى معارك أنوال

بـــدء المعـــارك الحربيـــة ومقتـــل الجنرال سلفستـــرى

1 ـ معارك أنوال «ادهـــار ابـــران»

كلمة ادهار فى اللهجة المحلية تطلق على القمة الشاهقة، وكلمـــة أبران اسم للحجل الذكر أما الحجل الانثى فيقال لها «تسكورت»، والحجل هو طائر معروف أحمر المنقار والرجلين يصطاد فى موسم الصيد يطلـــق فى اللغة العربية على الذكر والانثى.

وتقع «قمة ابران» شمالى مركز المجاهدين، ببعد 6 كلم تقريبا بين مركز القامث للمجاهدين، ومركز سيدى ادريس للعدو، وتشرف قمة ابران على واد «المكشن» المنحدر من وادى «اكرمواس» فهو فى موقـــع هام بالنسبة لمراكز العدو الخلفية، التى تجمع القوات المعدة للزحف، فضلا عن أنه يسيطر على الممر الهام الذى يكـــون المخاض الى منبســـط النكور وعيس لبنى ورياغل، رأس الافعى، الذى لم يبق للاشراف عليه الا تحرك بسيط، الى قمة أخرى، تشرف على ذلك المنبسط، حيث يكون فى متنـــاول المدفعية أن تزرع الهلع فى سكان ذلك المنبســـط.

حقا ان الصعود الى جبل ابران كان مضنيا، فالطريق اليه معلـــق لا يمكن الوصـــول اليه الا على دروب الماعـــز، وبالنسبة للاهالى الذيـــن يلبسون نعال القش بشراكها، فان التسلق اليه عادى، كما تتسلق الماعـــز بأظلافها، أما الجنود الذين يلبسون أحذية ذات الكعاب، فان التسلق متعب جدا، لان الجندى معرض للسقوط، فى حال كونه مثقلا بأدوات ينوء تحت عبئها، وفرقة التجهيز تحمل القباب وأعمدتها وأوتادها، لان البغـــال أو أدوات النقل الاخرى مستحيلة هنا، فالموقع تحتف به ذرى تسامت الجبل

فى الارتفاع، وليس هناك من سبيل الا الصعود على الحائط المحصوصب بأكوام من الاحجار التى لفحتها شموس الزمان الغابر، من منذ ما خلق الله الأرض ومن عليها، الا أنه رغم كل هذا فالتمكن من الاستعلاء عليه يسيطر سيطرة تامة على ما حوله، ويجعل النزال معه عسيرا، ان لم يكن مستحيلا، وبالاخص اذا كان له متسع من الوقت لوضع المتارس فى وضعها اللائق، وحفر الخنادق، وتسليحها بالمدافع والمورتر، حيث يكون للقلعة فى طلقاتها ترجيع صداها بين تلك الذرى والشعاب، التى تسلمه بدورها الى أعماق الوادى، ليحدث الفزع والرعب، مع شرط ضمان ورود الماء والمؤون، ولكن فى الواقع شتان ما بين ما يرتجى من التحصينات، وبين ما جبل عليه القوم المتربصون من ركوب الاخطار، وتخطى الصعاب، الذين يعتبرون اختيار عدوهم لتلك القمم، للاستعلاء عليها من الفرص التى قل أن يجود بها الزمان، فقد توفرت لهم المتارس الطبيعية بين تلك الشعاب التى يسلكونها عدوا من دون أن يعثروا ولو مرة واحدة، ثم أنهم يتمكنون من الكر والفر بصورة عادية تماما، ان لم يكن بصورة افضلية، على أنهم اذا أنبطحوا فى غضون ذلك المنحدر فان أية قافلة للتموين لا يمكن أن تصل الى هدفها، بينما القاؤه بواسطة الطائرة يطيش عن الثكنة بصورة قطعية، ثم أن الحامية تحتاج الى الماء، الذى تراه يجرى فى قعر الوادى ببصرها، ولا تصل اليه، مما يزيد لها لهفة العطش .

وعليه فان التفكير فى ارسال هؤلاء البائسين الى هذا الموقع، يعتبر فى حد ذاته من طيش القيادة ما دام ارسالها كان بصورة جزئية منقطعة عن المؤخرة، التى قبعت فى مراكزها، التى لا تستطيع أن تعمل شيئا لصالحهم اذا حز بهم الامر، وهو ما وقع فعلا .

كان اليوم يوم رمضان من عام 1339 هـ. موافق لسنة 1921 م. (وبالضبط فى شهر ماى)، حينما ظهرت رغبة ابن عبد الكريم أن يلتحق بداره بأجدير، التى تبعد بحوالى 40 كلم، وعليه ان يسلك منحدرا متعبا، وهو راكب على بغلة شهباء، الى أن يسلمه الى المنبسط الفسيح، المكون لسهل الحسيمة الذى تخف فيه وطأة السير، وقد بدا له أن بعض رفاقه اشتاقوا أهلهم، بعد طول الانقطاع والعمل، فأذن لطائفة منهم، على أن

ضرب لهم ميعاد الرجوع بعد ثمانية أيام، وقد خلف على مركز المجاهدين السيد عبد السلام بن الحاج محمد، والفقيه بن على بولحيا، ولم يكن سبب رغبته هو باللحاق بداره ان يستريح فقط، وانما كان أهم تلك الاسباب أن يطلع على التحركات السياسية، على الصعيدين الاثنين: صعيد حكام جزيرة الحسيمة، وصعيد أصدقائهم القدامى الذين ربما يحنون الى العلاوات الباردة، التى تترف عيشهم على حساب اخفار ذمتهم، واخوانهم، ودينهم، وذلك جوفا من طعن المجاهدين من الوراء عن غفلة.

ومع الاحتياط اللازم لرحلته، واخوانه، على المركز لتبقى سرية مكتومة، فان عملاء العدو من بعض قبيلة تمسامان، الذين لا يمكن أن تكون غيبة بعض المجاهدين خافية عليهم، بحكم اظهارهم الانابة، ومنهم عمر أقرقاش، والتهامى أمغار، من بنى بويدر، والحاج عمر بويوزان، والحاج بلفقير من أمزاور، وعبد الرحمن أوسدول من تيغزة، هرولوا ليلا الى سيدى ادريس، وطلبوا من سلفسترى أن يهتبل غياب بعض المجاهدين، ليتقدم الجيش لاحتلال جبل، يكون قريبا الى مركزهم الامر الذى يشتت الباقى، فيفت فى عضدهم، فلا تقوم لهم قائمة من بعده، وألحوا عليه بأن يستغل عنصر السرعة، وبما أن ارتجال سلفسترى لا يترك له ترويا أو دراسة مع أركان حربه، فقد اكتفى بتوجيه أمر الى الكرونيل بيار الذى كان على رأس حامية بومجان، يأمره فيها بدراسة الوضع بكل عناية، مع رؤساء قبيلة تمسامان، ووجه للجنرال ليسمو برينكير يعلمه بما قر عليه رأيه، جاء فيها «يلزم أن نفكر طويلا قبل أن نقدم على أى عمل جديد، وقد أبرقت للكرونيل بيار فى بومجان وطلبت منه أن يدرس الوضع بكل عناية مع رؤساء القبائل من تمسامان، حتى اذا ما توفر لدينا الضمانات الكافية، أقوم بالعمل فى تلك الجهات، وانى من جانبى سوف أعطى الموضوع ما يستحق من العناية، نظرا لكوننا سنجابه سلسلة من المعارك، تختلف تمام الاختلاف عن سابقاتها».

وقد أمر بتحصين الخطوط الخلفية، لجبل ابران، التى تقصد الاستيلاء عليه، لتهديد مركزا لمجاهدين بالقلعة، وفعلا أشرف الكولونيل بيار على تلك التحصينات، كما انتقل سلفسترى من سيدى ادريس الى

أنوال من هناك للاشراف على توزيع الجيوش على المواقع الخلفية، لابران، ولان يعجل بارسال الحملة الى ابران، ومتابعة عملها، وعلى الساعة 12 ليلا من ليالى ماى 1921، تحركت الحملة الى ابران، وعند الفجر كانت قد استقرت على قمته، وبعد ما اتصل سلفستري مع قائد الحامية بالهلوغرافى، واطمأن على سلامة الوصول، وعدم أى رد فعل من طرف المجاهدين، رجع الى سيدى ادريس، وقد أبرق الى تطوان، يعلم برينكير، بأن الحملة قامت بمهمتها خير قيام، مشيرا الى أن مفتاح الحسيمة قد حصل باليد، وانه لم يبق الا تحريك المزلاج لفتح الباب الى النصر .

احتلال الجبل كان على الكيفية التالية :

تكون الرتل الذى وضع على عاتقه احتلال الجبل من 500 جندى بقيادة القبطان سالنسى نتا، هكذا جاء فى كتاب عبد الكريم الخطابى أمير الريف للانجليزى روبرت فورنو المنشور مؤخرا، وهذا يخالف ما جاء فى أغنيات بنات تمسامان، اللائى شاركن بأهازيجهن فى المعركة، حيث يقلن ما معناه : أن القبطان بياربا هجم على تمسامان، واحتل جبل ابران مفتتت العظام، ما الذى غرك لما نصبت الخيام كما يأتى قريبا .

وقد نقل هذه الاغنية، أو النشيد الحربى، الكولونيل الاسبانى مندولاضو تحت اسم الطبجى فى كتابه «الكشكول المغربى» .

وقد تسلق الرتل فى عناء مضن المنحدر الصاعد الى القمة، بعد ما كانت كوكبة المقدمة المركبة من 25 جنديا ذوى سواعد مفتولة، وحركة سريعة، يحملون بنادقهم بين أيديهم، وسبابتهم على زنادها يصلون الى أعلى القمة، يفحصون المكان فحصا، متنقلين بسرعة بين صخرة وصخرة، وأعشابها الوطيئة، فلما لم يجدوا حسا لكائن حى، فانهم أعطوا الاشارة للباقى للتقدم .

وهكذا بعد بزوغ الفجر الذى أردفه الشعاع الاول للشمس اللافحة، أصبح الجبل حيا بعدما كان بالامس ميتا، لا حراك عليه، واستيقظ المجاهدون على منظر غير مألوف لهم، فقد رأوا أخبية بيضاء منصوبة فوق القمة، وبعدما احدقوا النظر متفحصين كل قمة يرونها من أماكنهم

بعثـــوا الى أمكنة أخرى من يستقرىء خبر الذرى الاخرى الغائبة عـــن أنظارهم، هذا هو العدو قد استغفلنا، من يا ترى كان وراء الخديعة؟ أين أقرقاش؟ أين بويوزان؟ هو أمر دبر بالليل، ولكن لكل حرج مخرج، ابعثوا بالرسل الى ابن عبد الكريم، والى الرئيس فلان، والرئيس فلان، انتظروا أيها الشباب لا تزعجوا الزنابير فى خليتها، فتنقض عليكم بلسعاتها الموجعة، انتظروا الى أن تصل الاغاثة، فان الغنيمة ان قدرت لا تفوتكم .

هكذا دبر الامور رئيس المجاهدين السيد عبد السلام بن الحاج محمد، الذى خلفه ابن عبد الكريم مكانه، مع الفقيه بولحيا، وقد استمــر اليوم كله للاستعداد المحلى، بتوزيع الحفنة الموجودة هناك على المواقـــع المركزة للدفاع، ان جد أمر، وعندما غربت الشمس تفرق الشباب علـــى الهضاب المنظورة من قبيلة بنى ورياغل، وفرقتى بنى بويدر وبنى بوداود التمسمانيين، لايقاد نار الخطر المعهودة لدى الجميع، التى هى الوسيلة المثلى لسرعة الاتصال بالهاتف المنظور، وان أنس شيئـــا فلا أنسى هـــذا المنظر الرائع والمفزع معا، وأنا صبى فى قريتنا، أنظر الى الوجه الغربى لجبال تمسامان، وبعض جبال بنى توزين، المتصلة بالاولى، وقد ظهرت منها نقط النار، تلمع، تقترب بعضها من بعض تارة وتبتعد تارة أخـــرى، وتنتشر بسرعة فائقة الى الاسفل، أو الاعلى، الى اليمين أو الشمال، حتى أصبحت كأنها زرقة السماء فى كبدها النجوم تلمع، بينما سرت شائعـــات النساء فى القرية تقول بعضها بأن العدو قد انحدر الى جهتنا، والبعـــض الآخر تحمل الاطمئنان، أما الرجال فلا متسع لهم لتسمع منهم أى شىء، لانهم اختطفوا سلاحهم اختطافا، فذهبوا مسرعين، ولم يودعـــوا.

وقد بقيت القرية موحشة، لان أبى موجود منذ زمن فى المركـــز، مما زاد فى حرج موقف العائلـــة التى لا تسمع الا الأنات من الامهـــات والأخـــوات .

وهكذا فى الصباح الباكر لليوم الثانى، كان كل من استطاع حمل السلاح قد وصل الى موضع الخطر، فاختلف القوم بين أن يقتحموا حالا، أو ينتظروا الى وصول ابن عبد الكريم، أو على الاقل الى الليل، وشـــرع فى توزيع المواقع التى يجب أن تحتلها كل عشيرة من العشائر، على أن

يكون المهم هو الموقع الخلفى للثكنة، حتى يقطع على العدو خط الرجعة، ان حاول الفرار، وكان الحماس باديا على وجوه المجاهدين، الذين هاجروا الضغائن الدموية بينهم، بحكم قسمهم قبل، فلما عسعس الليل راح كل فريق الى حيث عين له، على أن يكون الهجوم العام بعد الهزيع الاخير من الليل، وبعد ما أحاط المجاهدون بالثكنة احاطة السوار على اليد، بدأ الهجوم من جميع الجهات، وقد فرض حماس المجاهدين وخفة حركاتهم، أن لا يتقيدوا بالتعليمات التى تلقوها من رياسة المركز، بل تسابقوا لكسب النصر، وقد دافع الجنود خلف متارسهم التى أقاموها فى اليوم السابق، دفاع المستميت، وكان أول من استفتح القفز الى داخل القشلة أحد من أولاد بوصريمت، وهو محمد بن احمد الذى استشهد فى نفس المعركة بعد حين، وقد قبض مأسورة بندقية أحد الجنود الذى أرسلها من فوق المتارس، يطلق منها النار، فانحرف بها جانبا من دون أن يطلقها، وقفز وراء الترس، حيث اشتبك مع الجندى بالسلاح الابيض، وفتك به، وقد اختل دفاع الجنود القريبين منه، فتبعه مجاهد آخر، ثم تقاطروا، فجعلوا يحصدونهم حصدا، وهم الجنود بالفرار، فكان الضابط قائدهم يردهم، وينادى فيهم، دافعوا لا تجبنوا، ثم استل سيفه، ووقف على صخرة ويقول ها أنا اذا تشجعوا، وفى هذه الحال صوب اليه أحد المجاهدين النار، فأرداه قتيلا، فلما رأى الجنود قائدهم صريعا، اتجهوا نحو الفرار، من دون وعى، وتشتت من كان الى ذلك الوقت حيا متعثرين فى الاحجار، والاعشاب، وقد تعقبهم المجاهدون بالقتل، ويقال أنه لم ينج منهم الا ستة، فروا الى مركز سيدى ادريس، واستشهد من المجاهدين أربعة فقط: وهم: الشيخ عمر أفقير الحبقوشى من تمسامان، وبوطاهر بن بلحسن الدردوشى من بنى ورياغل، وموح بن احمد بوصريمث من بنى ورياغل، وعمر أفقير من تمسامان، ودامت المعركة من الصباح الى ما بعد الظهر .

وغنم المجاهدون مدفعا واحدا جبليا، ومدفع مورتر، وأربع رشاشات وخمسمائة بندقية (موزير) وعددا هائلا من الخرطوش .

ولما انقض المجاهدون على القشلة كان المدفع الجبلى عامرا مهيأ لرمى القذيفة، وقد حاول العدو فك الحصار على الحامية وتقديم الاغاثة

بعدما ظهر للعدو أن المجاهدين أحدقوا بالحامية من جميع جهاتها، وانهم أخذوا مواقعهم المحصنة تحت طبيعة تضاريس الجبل، كما تبين له أنهم يعملون جاهدين لقطع طريق تراجع الحامية، وانها مهما حاولت التراجع فانها لا تجد لذلك سبيلا، كما أن أية اغاثة فى أنوال أصبحت من ضرب المحال .

وعلى ضوء هذه الاحتمالات فكر سلفسترى فى فك الحصار عنها فسير اغاثة تحت قيادة الكبطان «سلافرانك»، ولكن باءت بالفشل، فلم تغن شيئا من المصير المحتوم، الذى خلف موجة من التساؤلات المختلفة، فقد كتب الكرونيل موراليس رئيس المخابرات الاسبانية بالجبهة الشرقية يقول «لقد ظلت مأساة ابران المشؤومة شغلنا الشاغل أكثر من شهر كامل، وقد كان علينا أن نقبل بالنتيجة، ونطمئن اليها مادام لم يقع ما هو أفظع، وان خسارة مركز وضياع بضعة مدافع كان أول حادث من نوعه، الا أنه قد أثار هيجانا كبيرا، داخل المراكز وخارجها» .

أما الجنرال ليسيمو برينكير الذى ألف كتاب «المعارك فى الريف وجبالة» فقد حمل فيه على الجنرال سلفسترى ونسب كل الهزائم التى حصلت فى الجبهة الشرقية الى خفته وطيشه، ومما قاله فيه عن معركة «ابران» ما يأتى :

«لقد كانت ابران مفاجأة كبرى، وكانت نتيجة لتفاحش الثقة، كما كانت مصدرا للتأكد من موقف لم يكن قبل ذلك معهودا فى تمسامان وبنى ورياغل» .

وبعد ما أبحر الجنرال برينكير اثر هزيمة ابران الى سيدى ادريس ليجتمع بالجنرال سلفسترى، ويطلع على الحالة التى أعقبتها، كتب تقريرا الى الوزارة الحربية بمدريد جاء فيه :

«يعتقد قائد جيوش مليلية، أن الحالة أصبحت مستقرة فى واجهة تمسامان، وغامضة بعض الشىء فى بنى وليشك، وتفرسيت، وقد ظهر بعض تضعضع فى بنى توزين، غير أن هذا كله لا يدعو الى القلق أما خطوط المواصلات مع الواجهة فهى سالمة، ويبدو أن بنى سعيد مسالمة وتظهر التأييد، والذى يظهر أن النكسة ـ يعنى نكسة ابران ـ لم تحدث

أثرا بالنسبة للقبائل فى الداخل، بيد أنه لا يستبعد أن تتكون حركة جديدة».

وختم تقريره بقولـــه: ان الحالة حســب رأى قائـــد الجيوش ــ يعنـــى سلفستري ــ تعتبر على العموم غير مستقرة، وهى تتطلب الاخذ بالحيطة، والعمل باتزان، وانى (يقول برينكير) لا أرى ان الحالة تدعو لقلق كبير» .

ومن جملة ما غنمه المجاهدون فى هذه المعركة المدفع الجبلى، الذى كان معبأ بالقذيفة واثر الهلع الذى أصاب الطبجيين من الجيش المنهــزم، بقى المدفع كذلك، وحكى لى والدى شخصيـــا، أنه ذهب ليتفقد الســـلاح الثقيل، ليأمر بالاحتفاظ به، وقد مر أمام المدفع بينما أحد المجاهدين وهو يجهل كيفية ايقاد زنده، جبذ اليه شريط الزند، فاندفع برمى قذيفته، فى حين تخطى (أى أبى) خطوة واحدة مأسورة المدفع فسلمه الله، وقد اختفى فى دخان البارود، ولم يصب أحـــدا .

هذا وقد روى لى السيد محمد شراط، الذى كان حاضرا للمعركة، أنه بعد الهزيمة، ذهب يعدو مع خمسة من أجدير، لاخبار ابن عبد الكريم الذى لم يكن وصل بعد هزيمة العدو، فتلاقاه فى أربعاء أتروكوت، وكـــان معه حمادى بوزلماط، وعبد الكريم بن حدو بن زيان، كلاهما من أجديـــر، ولما قص عليه خبر الهزيمة، نزل على بغلته وأطلق بعض الرصـــاص فى الهواء، فرحا، ثم حث السير وأمر بعض رفـــاق شراط الشباب بأن يعـــدو متسلقا بسرعة ليبلغ السيد عبد السلام بن الحاج محمد رئيس المركـــز، أن يحتفظ بالموقف الذى هم فيه، ولا يتبعوا العدو كى لا يقع مالا تحمـــد عقبـــاه، الى أن يصـــل .

وكان بعض المجاهدين قد خفوا الى قشلة سيدى ادريس، فمنعهم خوف حصدهم بالنيران من البحر .

ويبدو من هذه الرواية عن شاهد عيان أن الزعيم ابن عبد الكريم لم يكن حاضرا فى المعركة، لان المجاهدين عالجوها بخفة الروح والاشتياق الى الجهاد، فلم يمكن لهم أن يضبطوا أعصابهم الى أن يصل ابن عبد الكريم رغم الحاح بعض زعمائهم بالتريث الى أن يصـــل .

وعنصر السرعة جاء بوحى من غريزة الايمان القوى، وتعطـــش المجاهدين الى فضيلة الجهاد، الذى كان مر عليهم زمن لم يسعفهم الحظ

الموالى لذلك، نظرا للضغائن القبلية والعشائرية من جهة، ونظرا لعدم
وجود من يقود مسيرتهم متحدين من جهة أخرى .
وكون ابن عبد الكريم لم يحضر فى معركة دهار ابران، هو المتداول
عند المجاهدين الذين حضروا المعركة، وهو خلاف ما ذكره الانجليزى
«روبرت فورنو» فى كتابه «عبد الكريم أمير الريف» الذى بعدما قام بجولة
فى جهات الشمال، مع ولد الزعيم السيد سعيد، وسأل بعض الاحياء،
ومنهم السى على اشهبار الذى كان يبلغ فى ذلك الوقت 16 سنة، فقد
ذكر المؤلف ان ابن عبد الكريم وأخاه أشرفا على المعركة، حيث قال :
«وارتاح المتسلقون قريبا من ذروة القمة ينتظرون الاشارة من عبد الكريم
الذى كان يستلقى مع رجاله فوق المنحدرات الجنوبية» .
«وأدار عبد الكريم رأسه فى اتجاه الشرق، وراح ينتظر الفجر
وهمس فى أذن جاره يقول: انى أمسك بندقيتى بيدى، واضع رجلى
الواحدة فى القبر» وتلك كانت هى الطريقة الريفية للقول بأنه يتوقع أن
يقتل لكنه سيقاتل الى النفس الاخير» .
ويظهر من هذه الحكاية أن ابن عبد الكريم كان يكمن مع
المجاهدين خلف قشلة العدو، ويسدد بندقيته اليه ليقاتل ، وهذا يخالف
أولا حكاية شاهد عيان، وهو القائد محمد شراط من أجدير الذى
أرسل عن عجل ليعلم ابن عبد الكريم بالهزيمة وحكى كيفية ملاقاته
ومحل الملاقاة وأكد حكاية شراط جمهور ممن حضر المعركة .
كما يخالف أيضا الاعراف السائدة، والتى استمر عليها ابن
عبد الكريم فى جميع المعارك، فان تلك الاعراف تقضى عليه بأن لا يزج
نفسه، وهو الزعيم الاوحد للثورة، فى خوض المعركة بنفسه، حيث يضع
رجله فى القبر، لان موته موت الثورة نفسها من أساسها، وهو أمر
يتركه المجاهدون أنفسهم ان يرتكبه، لما فى ذلك من خطر على الجميع،
س لان أحد رجليه كانت أصيبت بعرج لما حاول الفرار من السجن
لعة مليلية، وان حياته هناك لم تجعله قادرا على الكر والفر، وانما
وفا على حياته الغالية .
فالرواية على ما يظهر من تنميق الراوى السيد على اشهبار الذى
تكى الانجليزى نفسه من ثرثرته التى اتعبته من دون جدوى .

وعندمـــا قرأت حكاية اشـهبار مع الانجليزى على جماعة مـــن شيوخ المجاهدين الاحياء ضحكوا ملء أشداقهم، وقالوا ان الانجليـــزى له حساسية صحيحة، فأشهبار ممن يمكن أن يقال فى حقهم، أن أما ريفية لم تلد جبانا مثل ما ولدته أم اشهبار، وذكروا أنه لم يكن له شأن فـــى الثورة بدليل انه لم يرد فى لائحة الذين اعتقلوا بعد الاحتلال، كما أنـــه كان أول من تسارع لقبض المكوس فى الاسواق، وهو أمر لا يمكـــن أن يرضاه من له عزة من المجاهدين، وقالوا أنه ذات مرة رآه ابن عبد الكريم يقلد بندقيـــة جديدة وعرف أنه لا يستعملها، فأمره بأن يدفعها لاحـــد المقاتلين، وكلفه بشراء القرطاس من الاسواق .

الا أن هذا الانجليزى قد طغت عليه فى كتاباته عن حرب الريف تخيلات، لا أساس لها فى الواقع .

فأغرب ما قرأت له من هذا القبيل، ما جاء فى صحيفـــة 57، اذ قال «ان محمدا (الخطابى أخ الزعيم) تصارع مع كبطان حامية ابـــران أثناء المعركة، وكان الخطابى يحمل فى يده سكينا، بينما الكبطان يحمـــل مسدسا، وانهما انقلبا والتويا من فوق حافة، فسقطا فى هوة على الصخور، متعانقين عناق المـــوت» .

ويظهر من كلامه أنه استوحاه من قصص الافلام الخياليـــة، أو أراد أن يؤلف من كتابه فلما فتخير قصـــة مثيرة للمشاهديـــن، والا فالواقع أن محمدا الخطابى لم يكن حاضرا فى المعركة، وانما أتى بعدها صحبة حمل من الذخيرة اعانة للمجاهدين كما سيأتى :

وأغرب مما ذكر أيضا ما ورد فى صحيفة 63 من ذلك الكتـــاب، فقد جاء فيها أن ابن عبد الكريم لما تذكر غزوة بدر وانتصار النبى فيها، مسح بيده على المدفع الذى غنم فى المعركة، فقال «ولم يكن النبى يملـــك مثل هذا السلاح»، ان هذا القول تمجه الاسماع، ولا يصدر الا عن جاهل بمقام النبى لدى المسلمين وءاداب ذكره، فضلا عن أن يصدر عن متخرج من كلية الشريعة بالقرويين المتمسك بآداب الاسلام وعقيدته .

وعلى كـــل فان المعركة كانت بـــدء الانتصارات، وقد تشجـــع المجاهدون حينما أبيح لهم أن يملكوا غنيمة السلاح الخفيف، ما عـــدا

السلاح الثقيل، فانه وضع رهن اشارة الثورة، وقد كلف أحد أعمامنا وهو محمد بن شعيب بوثزذيث بالتدريب على استعماله، وقد حذق فيه حتى أنه كان لا يخطىء برميه الهدف الذى يقصـــده .

ان الاستلاء على السلاح الخفيف قد أيقـــظ نشوة الانتصـــار فى المقاتلين، الذين من طبعهم التشوق لكســـب بندقية جديدة، فقد حـــدث فى نفس المعركة أن بعض اعمامى قد انشأوا شركة لجمع السلاح والذخيرة، فجمعوا سبعة من البنادق، وهم أربعة: على ــ وبلاح ــ ابنا الحاج محمد ــ وحمادى ــ والعباس ابنا السى محند، ولكن عند القسمة اختلفـــوا، حيث أن أحدهم رمى بندقيته العتيقة، فحاول استبدالها باحدى البنادق السبعة، فمنع عليه الآخرون ذلك، وكادت الفتنة ان تقوم بينهم، فتدخل والدى لانهاء الخـــلاف، وقد جمعهـــم فى عشية يوم عيد الفطر فتبـــاروا بالرماية، وأتذكر أنى كنت نشوانا عندما دعانى والدى للرماية، وكنـــت صغيرا لا أستطيع امساك البندقية وحدى فأمسكها معى والدى فأصبت الهدف، وصفـــق الجميـــع .

وقد شاركت نساء قبيلة تمسامان فى المعركة، حيث وقفن علـــى القمم المطلة على المعركة، وهن يولولن تشجيعا للمجاهدين، ثم خلدن فيما بعد هذه المعركة بأهازيجهن الغنائية المحلية .

وكانت هذه الاهازيج حافزا قويا على أن لا يجبن أحد ممن يعتز بنفسه، كما كانـــت تشهيرا بالعمـــلاء .

ومن جملة ما قيل فى هذه المعركة الخالدة، هذه الابيات من قصيدة، طويلة، تعتبر مصدرا تاريخيا لنقاط مهمة من تلك المعامع، وهى هذه مـــع ترجمـــة كل بيت اثـــره .

(أيـــا دهـــر أبـــران أيـــا سوس ايخســـان)

الترجمة : يا جبل ابران مفتت العظـــام .

(ألكبيطـــان ابياربـــا احركـــد أتمســـمـــان)

الترجمة : الكبطان ابياربا هجم على تمسامان .

(أملاى ميشد غارن وامى تكثيـــذ ثجـــوزان)

الترجمة : قل لى ما الذى غرك لما نصبت الخيام .

(مـــا يغــر شد أقرقـــاش أذعمر بويـــوزان)
الترجمة : هل غرك أقرقاش وعمر بويوزان (وهما عميلان من تمسامان كان لهما ضلع مع العـــدو) .
(أغرنـــش تبليغـــين اتبيـــاســـن سيفيـــلان)
الترجمة : أو غرك البنات المتمنطقات بالخيوط (وهن بنـــات تمسامان اللطيفات اللائى يتمنطقن بالخيوط لرقة خصورهن)
(حاركند أيث ورياغـــل أمزيـــان أمقـــران)
الترجمة : اندفع بنو ورياغل صغيرا وكبيرا .
(كينـــاس ابـــو جـــروان أمنتـــا أمسلمـــان)
الترجمة : أوقعوا بآكلى الضفادع وتركوه مثل السمك .

يخلد هذا النشيد الوطنى الحماسى الذى نطقت به بنات قبيلـــة تمسامان اسهاما منهن فى المعركة على سجيتهـــن :

1) ان رئيس الرتل الذى توجه لاحتلال ابران يدعى الكبطان ابياربا.

2) انه بمجرد وصول الجيش الى جبل ابران نصب القباب التى استرعت انتبـــاه المجاهديـــن .

3) تسجيل خيانة العميلين أقرقاش وعمر بويوزان .
4) ان القيمة التاريخية فى هذه المعركة كانت لمجاهدى بنى ورياغل الذين هرعـــوا شيبا وشبابـــا .
5) ان الجيش الذى وقع فى المصيدة قد فنى عن آخره، مثلما يكون السمك الذى تصطاده شباك الصيادين، فيخـــرج الى البر وهو ينتفض انتفاضة الموت، ثم سرعان ما يستسلم للمصير المحتوم، فيبقى مكدســـا بعضه فـــوق بعض .
وهى أنشودة تاريخية بديعة وقد سجلها المؤلف الاسبانى الـــذى سمى نفسه الطبجى فى كتابه «الكشكول المغربى» ص. 87 .
أما الانشودة الاخرى التاريخيـــة الحماسية لبنات تمسامـــان أنفسهن، التى سجلن فيها جميع المعارك التى وقعت بتمسامان من أنوال وغيرها، فهى التالية مع ترجمتها حرفيا ازاء كل بيت. القصيدة :

(خوثـــى أيت تمسامان كـــث أبريذ أنعــذا)
الترجمة : اخوانى بنى تمسامان دعوا الطريق نمــر .
(أنـــعـــذا أومـــزاورو أومكـــان نجـنـــادا)
الترجمة : نمر الى أومزاورو محل اجناذا (أمزاورو واجنادا، كان فيهما قشلات العــدو) .

(كانيـــو أيث عزة ذى امجاهذان زيلابـــدا)
الترجمة : أنتم أولاد عزة مجاهدون دائمـــا .

(أتجهذام سوفوس أنكم أتجهذنـــت لاتنكبـــا)
الترجمة : تجاهدون بأيديكم كما تجاهد بناتكـــم .
(المونت خوعرور أنسنت هوانديد أكيصورا)
الترجمة : يحملن المؤون على ظهورهن ينحدرن مع الشعاب.
(تعساست أنبومجان ثكـــار ذاكس سعريـــرا)
الترجمة : قشلة بومجان قامت فيها شعريرة (بومجان موقع قرب أنوال كانت للعدو فيه قشلة أكلت من طرف المجاهدين) .
(كنينت سويـــث وانـــوال سلولنـــت ذمـــرا)
الترجمة : انتن يابنات أنوال ولولن جميعا: (كناية عن فرحهن بالهزيمة المنكـــرة للعـــدو) .

(تعساســـت أنتمامســـت غير أنسودى أمطـــا)
الترجمة : قشلـــة اتماميست تذرف الدمع (قشلة ما بـــين بومجان وأنوال اكلـــت) .

(خنـــيرال نبـــارو اجـــو مـــع اسبـــانيـــا)
الترجمة : الجنرال نبارو أبلغ النبأ الى اسبانيا (لانه الـــذى نجى من مذبحة أنوال فهو الذى أبلغ خبر الهزيمة الى اسبانيا) .
(عبد الكريـــم اقدمـــاد أكتـــاو نصحـــبـــا)
الترجمة : ان عبد الكريم جاء مـــع أولاد الصحابة (وهـــو كناية عن مجاهدى بنى ورياغل) .

(اكمال ألواجب اينـــاس امك سيدنـــا عمـــر)
الترجمة: أتم واجبه كما أتمه سيدنا عمر (أى عمر ابن الخطاب)

ومن هذه الترجمة الحرفية للانشودتين الخالدتين، اللتين سجلتا المعارك الاولى التى كانت فاتحة يمن وبركة على المجاهدين الاحرار، كما وصفت النكبات التى حلت بالعدو، يتبين فداحة المأساة التى أصابت العدو.

فلهاتين الانشودتين قيمتهما التاريخية، لانهما جاءتا على سجية بنات الخدور من القبيلة التى شهدت تصاعد المعارك، وأعطتها وصفا حيا وبليغا أبلغ من كل ما ينمق فى كتابات الكاتبين ولذا حرصنا على نقلها أولا بلسانها الذى قيلت به أول ما قيلت، لتبقى غضة طرية، ثم ترجمناها حرفيا الى اللغة العربية، اثر كل بيت من أبياتها، ليتصل معناها، ويدرك مضمونها.

وهى تدل أيضا على مشاركة المرأة الريفية بقسطها الاوفر فى المعركة، من تشجيع بزغاريدها واعانة المجاهدين بايصال المؤن على ظهورهن، متسللات بين الشعاب والاودية، كما سجلن على بعض العملاء ممن باعوا ضمائرهم لعدو وطنهم، وخلدنها سبة فى جبينهم، كما خلدن شجاعة المجاهدين الشجعان ممن ساهموا بالقسط الوافى، فى تلك المعارك التى شرفتهم الى الابد، لان التاريخ لا ينسى .

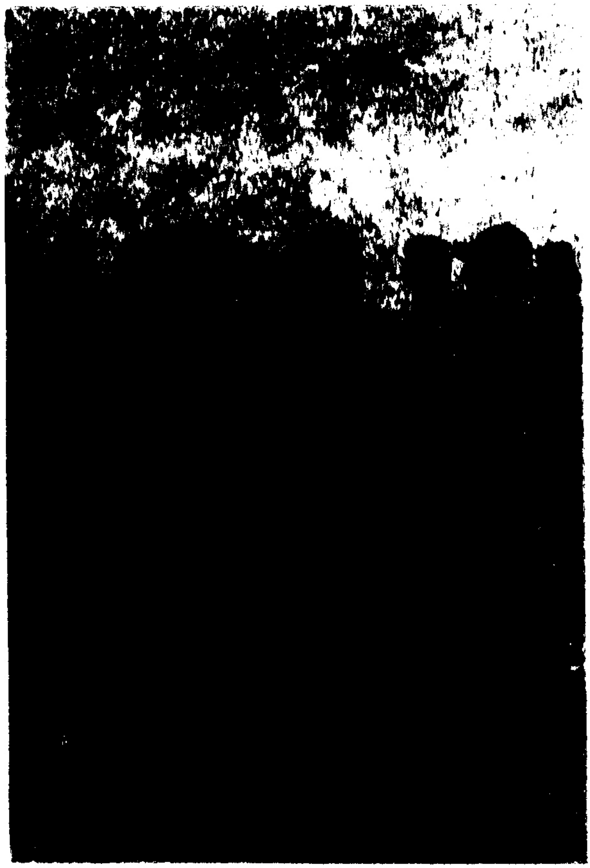
2 ـ معركة سيدى ابراهيم :

بعدما وصل ابن عبد الكريم اثر معركة ابران، عكف على تنظيم صفوف المجاهدين، الذين تحمسوا ايما حماس، والدين وفدوا على مركز «القامث» بالكثرة الكاثرة، لانهم استنفروا الى الجهاد خفافا وثقالا، وقد كان حماس الذين لم يحضروا المعركة أشد ممن حضر، لانهم فاتهم أن يعتزوا بحكايات البطولات التى يحكيها غيرهم عن الوقائع التى شاهدوها أثناء المعركة، وفاتهم أيضا أن يحملوا شارة الجهاد من جرح فى الجسد أو خدش، وفوق ذلك فاتهم أ نتكون بين يديهم بندقية أو خنجر أو علبة من الخرطوش غنمها فى المعركة .

ولهذه المؤثرات النفسانية أبوا أن يرجعوا الى ديارهم حتى يقضى الله فيهم، أما بالشهادة، أو الغنيمة، لكى يرفعوا رؤوسهم عالية أمام أقرانهم، بل وأمام بنات أحيائهم فى قراهم، اللائى يخلدن أسماء الابطال

فى أهازيجهن، ويغنين بها فى الاعراس، وعند ذهابهن لجلب الماء أو الكلأ والاعشاب ، وايابهـــن .

وعلى كل فان الامر يعتبر حياة أو موتا بكل ما للكلمتين من معنى وهنا يبدو واضحا أى ثقل وضع على كتف الزعماء المسيرين للمجاهدين وعلى رأسهم الزعيم ابن عبد الكريم، فمن جهة يجب أن يكبح جماح هؤلاء الذين يريدون معركة جديدة مع العدو، وهو أمر يخالف سياسة القيادة فى تسيير المعارك، نظرا الى أن الاندفاع وراء العدو الذى كان حصن المراكز الخلفية، قد يكون شؤما على المجاهدين، اذا أصيبوا بنكسة، قد تطمس معالم انتصار ابران، ولذا فان المعارك الآتية يجب الاحتياط لها بوضع قواعد حربية دقيقة، وتنظيم صفوف المجاهدين تنظيما متقنا، ومن جهة ثانية، فان عيد الفطر على الابواب، قد يكون الذين حضروا معركة ابران يذهبون الى ديارهم لايصال غنائمهـــم الى ذويهـــم، لغرضين مزدوجين الاعتزاز بذلك، ولان يطمنوا عائلاتهم، بأنهم لم يموتوا فى المعركة، وقد تكون شائعات الموت راجت فى القرى، فتلقفتها النساء بدون وعى، فكل امرأة هلعت بسبب الشائعات، وقد تمكن ابن عبد الكريم الحصيف الرأى والفصيح اللسان، والصافى الطوية من اقناع الجموع الهائجـــة، ورخص للحاضرين فى معركة ابران أن يزوروا أهليهم، لمدة ثلاثة أيام وقد كلف الرؤساء منهم أن يعملوا على تنظيم بعث المواد الغذائية، التى تتمثل فى ارسال أقراص الخبز من كل قرية على بهائمها بالمناوبة، على أن تكلف كل قرية واحدا من شيوخها بتنظيم الارسال يوميا، نظرا الى أن قبيلة تمسامان وحدها لا تكفى لتموين المجاهدين، الذين تقاطـــروا من شتى القبائل، وهكذا بعدما رجع أولئك من رخصهم القصيرة الى مركز «القامث» عقد ابن عبد الكريم اجتماعا لرؤساء المجاهدين وقرروا نقل مركزهم الى امزاورو، وهو محـــل يقع شرقـــا لوادى «المكتســـين» المتـــد من وادى «اقرموس» وهو فى قلب قبيلة تمسامان، وقريب الى أنوال بـــ 9 كلم ازاء قرية أجدير التمسمانية التى يسكنها الشرفاء أولاد القاضى سيدى عبد الوهاب، وكانت توجد فى المحل حامية للجيش الاسبانى، فأمر ابن عبد الكريم بالهجوم عليهم، واخلائهم أو قتلهم، وبسهولة تمكن المجاهدون



الجنرال نفرو مع جمع من الاسرى يتحدثون
مع صحفى اسبانى بكل حرية

من اخلاء المحل منهم، وحينئذ نقل مركز المجاهدين الى أمزاورو حيث جعله معسكرا عاما لهم، وقد قام سكان قرية أجدير بتقديم كل العون للمجاهدين من المسكن والاطعمة وغيرها .

وكان بين امزاورو وبين انوال حواجز طبيعية من ذرى وقمم وقد فقد العدو مراقبة المجاهدين عن كثب بعدما خسر حامية امزاورو، وكانت هناك ذروة هي مدفن أحد الاولياء الصالحين يدعى سيدى ابراهيم وكانت تشرف على امزاورو مباشرة، فعمد العدو الى ارسال كوكبة في الصبح تتكون من 50 جنديا تمكث هناك الى غروب الشمس، ثم ترجع الى انوال، وهكذا دواليك، ولم يتجرأ المجاهدون لطردهم ما دام أن زعيمهم لم يقل لهم شيئا عن ذلك، وهو يراها بعينه، واصبحت هذه الكوكبة تأتى على المعتاد الى المحل كأنها تذهب الى نزهة، وقد حير سكو نابن عبد الكريم على ذلك المجاهدين الذين لم يفهموا معنى ذلك، مع أن الامر لا يعدوأن تتصدى اليهم طائفة منهم ليجلوهم عن المحل، واحتلاله من طرفهم، ولكن الزعماء الذين يعرفون خبايا الامور لم يكن تملكهم أية حيرة، لانهم يعلمون أن سلفسترى كان يحاول عجم عود ابن عبد الكريم، وحاول القيام بلعبته التى كان يقوم بها مع الريسونى، فقد دعى من تطوان ابن سعيد السلاوى، الذى كان يعمل كاتبا في الاقامة العامة، وهو محل ثقة الاسبانيين، دعاه صحبة الاسبانى «انطونيو كونط» ممثل المثرى الاسبانى انتشابريطة للحضور الى سيدى ادريس، محل قيادته في الخطوط الامامية، وعندما حضرا طلب السلاوى بواسطة رسول الى ابن عبد الكريم أن يسمح للسيد محمد ازرقان، الذى يدعى عند الاسبان باخريطو وهو زوج اخته أن يذهب الى سيدى ادريس، لانه هناك أشياء مهمة يجب الافصاح اليه لابلاغها اياه، وقد أذن ابن عبد الكريم لزوج أخته بأن يذهب، وقد أمره بضبط النفس أمام الاعداء، فلا يبوح بأى شيء يكون حجة على الثورة، أو اتفاقا من أى نوع كان، وان يعتذر دائما بالرجوع اليه .

وقد ذهب محمد ازرقان الى سيدى ادريس، وحضر اجتماعا مع الشخصين ومعهما الكرونيل موراليس رئيس قوات الارض في مليلية،

وعرضوا عليه مثل ما كانوا يعرضون على الريسوني بالذات، وهو أن يكف عن القتال، وتنظيم القبائل، في مقابل ان تتنازل اسبانيا عن التشديد في تطبيق مضمون الحماية، بحيث تترك له حرية تنظيم الريف، تحت اشرافها، في شكل استقلال داخلي، واذا رغب في تمثيل سلطان المغرب في الريف، فان الحكومة الاسبانية تعمل جاهدة لنجاح المسعى، وانه في نطاق هذا الاتفاق، فان القبائل تنزع منها سلاحها، ويستبدل بحراسة منظمة تحت اسم الحراسة الاهلية، وتمده اسبانيا بميزانية مالية، لتسيير دفة الحكم، على ان يعاونه مراقبون من ذوي المكانة الاخلاقية والانسانية .

أما النقط التي يجب أن يحتلها الجيش الاسباني، فانه يقع الاتفاق عليها، عندما يقع قبول البنود الاساسية المشار اليها .

وبعدما رجع محمد ازرقان محملا بهذه الشروط التي يستحيل قبولها ، حتى من الذي يقاتل بدافع الشهوة والجاه ، فضلا عمن يقاتل بدافع الغيرة الوطنية ، والايمان بالحرية التي تؤخذ ولا تعطى، فان ابن عبد الكريم لم يجب عنها، وانما جمع زعماء المجاهدين الذين كانوا معه اثر ذلك، وبعد صلاة العصر، حيث قعد على عادته لارسال شواظ من نار محادثاته التي تلفح القلوب في سويدائها وبعد ما أخبرهم بمحاولة العدو باغرائه بمغريات صبيانية، وانه أجاب دعوتهم لبعث صهره اليهم لا لانه يطمع في جدية العدو فيما رماه، وانما بعثه لا ستكشاف الحقائق، وها هو الشيخ محمد ازرقاق يروي لكم ما جرى، فتقدم هذا وروى جميع ما ذكر أعلاه .

ثم سألهم ابن عبد الكريم عن رأيهم في ذلك، فاستنكروا مرامي العدو، وجعل كل واحد يقدم شبه لوم الى ابن عبد الكريم، حيث لم يأذن لهم لاقتحام «انوال» «واغريبن» على العدو ليرى بأم عينيه من هم هؤلاء الذين يساومهم، وبعدما هدأ من فورتهم، حول المحادثة الى سيدي ابراهيم، فقال لهم، ان العدو على حق اذا لمس ضعفنا من هذه النزهة التي تقوم بها حفنة من الجنود الذين يحضرون صباحا الى سيدي ابراهيم، ثم يذهبون ليلا، ونحن لم نحرك ساكنا، وقد أجابوه كلهم بأن الكر والفر بيده، فما دام لم يأمر بطردهم، فانهم ممسكون، وهي الطاعة

العمياء التى التزمناها لانفسنا، بعدما عودتنا عليها، وهنا تبسم وقال، حقا انكم مومنون مثاليون، وهكذا فان السكوت عن الكوكبة كان لامر تقتضيه الخدعة الحربية، أما الآن فهبوا، واياكم الخذلان، فلم تعودونا الا النصر والعزة، وهنا روى لى والدى كيفية كان القضاء على الكوكبة من غده، ومع شروق الشمس يوم 15 يونيو 1921، فقد انتدب اليها، واختار جماعة من الفرسان، وذهبوا ليلا، وكمنوا حول سيدى ابراهيم على مقدار 50 يردة منه، وقبع كل واحد بعنايته مع اعشاب العرعار، وخلف الاحجار، وكان عهد اليهم أن لا يطلقوا النار الا بعد أن يسمعوا طلقته، وحينئذ ينقضون عليهم بطلقاتهم المتدافعة، وعليهم ان لا يقوموا من أمكنتهم ابدا واو دعى الى ذلك ما دعى، وان لا يتسابقوا الى جمع الاسلاب، خوف أن يحصدهم العدو بمدافعه وحتى اذا رأوا العدو يخرج من انوال أو اغريبن فلا يتحركون، وعلى مؤخرة المجاهدين اذا ان تتخذ موقعها من الاحداث، التى يمكن ان تتجدد .

وهكذا وبعد ان وصلت الكوكبة كعادتها، وجعلت تمرح فى المحل، ووكلت أمر الحراسة الى بعض الجنود الذين بدت عليهم السآمة وعدم اخذ الحذر، اندفعت الطلقة الاولى من بندقية رئيس الكمين السيد عبد السلام البوعياشى، ثم تتابع دوى الرصاص يلعلع، فاختلط حابل العدو بنابله، والجثث تتهادى ساقطة كأوراق الخريف، بينما لم يهتد معسكر انوال الى أين يوجه فوهات مدافعه، وبذلك تمضى على هذه الشرذمة المغرورة، وقد حاول اغاثتها فأرسل من انوال جيشا جرارا لنجدتها، بعدما مهد لذلك بصب نيران مدافعه صوب المجاهدين، وقد رأى المجاهدون الذين كانوا فى قلة ما هالهم فانسحب لاول مرة بعض المجاهدين الى الوراء، ولكن بعض الابطال بقوا صامدين فى أماكنهم يقاتلون ببسالة نادرة، وكان منهم السيد عبد السلام البوعياشى، والحاج على التمسمانى، وعيسى بن زيبوح الورياغلى، وعلال بوصريمت الورياغلى، ولم يكتف هؤلاء بالصمود، بل تحركوا الى الامام، فلما رأى باقى المجاهدين الذين كانوا تضعضعوا، رجعوا الى أماكنهم، يقاتلون بحماس من لا يخشى الموت، ووصلت نجدة أخرى من أمزاورو، أرسلها ابن عبد الكريم، فلما تكاثر

القتلى والجرحى فى العدو رجع على أعقابه، بعدما خلف نحو 200 ما بين قتيل وجريح، أما من جهة المجاهدنن فقد استشهد ثمانية منهم عيســى بن زيبــوح الورياغلى، وأصيب علال بوصريمت بجروح فى رأسه وفى فخذه، وانتهت المعركة التى بدأت بالمناوشة، ثم انقلبت الى معركة ضارية بانتصـــار الاسلام مرة ثانيـــة .

مثلث الموت ـ اغريبن ـ أنوال ـ أعرويت

3 ـ معركة اغريبن :

كلمة اغريبن بياء قبل الباء وكسر الراء بمعنى الغرباء تماما، وهى كلمة اتفقت فيها اللهجة الريفية مع اللغة الفصحى مع تحريف بسيط، وهى احدى كلمات شتى تتفقان فيها، مثل الدخان الذى لا يختلف الا فى فتح الدال المشددة فى اللهجة الريفية، ومثل المجاهد التى يقال فى اللهجة أمجهاد، وكلمة التنور التى يقال فيها تينور الى غير ذلك، وقد غلط بعضهم فكتبه اغرببين بالباء بعد الراء وهذا غير سليم .

ويقع موضع اغريبن بين قبيلتى تمسامان وبنى توزين، على الجنوب الغربى لكل من امزاورو وانوال، يبعد على هذه الاخيرة بنحو 6 كلم، وهو فى الواقع موقع هام يضاهى استراتجية ابران بالنسبة لمعسكر انوال، وقد احتله الجيش الاسبانى فى 17 يونيو 1921 م.

ونرى من الافضل سرد بعض تقارير القيادة الاسبانية حسبما جاءت فى تقاريرهم فى نفس الوقت .

(1) «كان الجنرال غوديد يلح فى كثير من الخشونة على الضباط الذين تسند اليهم مهام المراقبين فى القبائل المحتلة ان لا يقتصر عملهم على تنظيم شؤون الاهالى» وكان يصدر تعليماته اليهم قائلا: «ان الضابط المراقب الذى لا يعرف الا الحرب لا يصلح ان يكون، لا محاربا ولا مراقبا، وان الضابط المثالى هو الذى يستعمل كل الطرق للاستفادة من الاهالى واستخدامهم للاغراض العسكرية» (1) .

وجاء فى تقرير اخر ، «ان الرجل الاهلى فى الريف يصعب أخذ المعلومات منه ، ولا يمكن الاستفادة منه الا بشق الانفس، لان له غرضين فى غالب الاحيان، يعطى شحيحا ويأخذ كثيرا.

---

(1) كتاب الكشكول المغربى، للكرنيل منويل مندولا ضابط المدفعية .

وهكذا كونوا فرقة وضعوها فى الموضع المدعو أليمان قرب سيدى بويعقوب، كما وضعوا فرقة فى سيـــدى شعيب، ويظن أن الاصطـــدام سيقـــع مهما تحـــرك أحـــد» (1) .

وتعتبر معركة اغريبين من الناحية الواقعية هى الحلقة الوثقـــى فى انتصار الوطنيين وهزيمة الدخلاء، لها ما بعدها من الرفع بسمعة الريف، فى حقل النضال المثمر الذى أصبح مضرب الامثال فى البطولات، النادرة، التى يظهر رجل الشرق منتصرا على رجل الغـــرب، والتى يستعيـــد بها امجاده التى نشر بها لواء الاسلام فى ربوع العالم، حيث بقى خالدا الى يـــوم يبعثـــون .

ان احتلال موقع اغريبين كما أسلفنا كان يوم 17 يونيو ــ أى بعد ابادة كوكبة سيدى ابراهيم ــ وتمركز قوة المجاهدين فيه بيومين، فكان ذلك يعتبر رد فعل من جانب العدو أولا، ولمراقبة تحركات المجاهديـــن ثانيا، فهو يقع فى هضبة واطئة متطاولة تشرف مباشرة على جميع هوامش مركز انوال، بما فيه موقع امزاورو، وكما يقال فى المثل العربى «اذا جاء القدر عمى البصر»، فان العدو لم يحسب حسابا الى أن موقع اغريبين يبتعد عن الماء بحوالى 4 كلم يقتضى التزود منه ان يقطع مسافة وعرة المسالك، عبر اخدود عميق، تحتف بحافيته أرض صخرية صعبة المراس، وذلك ما يصحح كل ما قيل عن القائد العام المشرف على العمليات الحربية مـــن الارتجـــال الجنـــرال سلفستـــرى الذى يعتبـــر نصـــف قشتـــالى ونصف كوبى، بحكم مولده، فى كوبا، وكان سريع التأثر، وكان يعتبـــر نفسه انه حفيد العالم القديم وابن العالم الجديد، الجندى الذى سيقلب مصير اسبانيا العملاق، الذى سيوقف مد الزمان، انه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يغزو الريف، لان برينكير يحترس كثيرا، ويبالغ فى تأخـــر التقدم الذى ان نفذت أوامره، فان غزو الريف سيفتقر الى سنوات عديدة، لذا لما عقد الاجتماع بين الاثنين فى سيدى ادريس عقب ابران أى فى يونيو 1921 وابدى برينكير تخوفه فى السرعة التى يبتغيها سلفسترى، رفضه هذا، ولما وقع حوار عنيف بين الاثنين، رمى اليه هذا الاخـــير،

---

(1) الكشكـــول المغربى للكولونيـــل مندولاضـــو .

ببرقية ملك اسبانيا المقتضبة وهى «هيأ فانى أنتظر» وقد وضعت هذه البرقية المقيم العام فى ارتباك، فليس له صلاحية معارضة الملك، الذى عينه بنفسه القائد الاعلى لما وراء البحار، فاذا جادل فى التقدم فان ذلك يكون معارضة صريحة لاوامر ملكه، فلم يجد اية شجاعة لاصدار أمره الى مرؤوسه بأن يرجع الى مليلية، وانما اسدى بعض النصائح، بأن لا يتوغل فى غزو الريف، حتى تظهر فرص أخرى، ولكن سلفسترى اجابه حينا، بأن جنوده من القساوة بأشد من قساوة «جنود التنورة» وسبق أن عرفنا أنه يطلقه على المحربين الارياف .

ومع ان بعض المؤلفين العسكريين الاسبان قد دافعوا على سلفسترى كما جاء فى كتاب منويل مندولاضو «الكشكول المغربى»، فى الفصل الذى بعنوان «شىء عن ابران» «ذاكرا فيه بأن ما اخذ على هذا القائد (سلفسترى) انما هو اغلاط طفيفة، لا تخلو منها حروب الدنيا، وان الوصف العام للرجل، هو الشجاعة والاقدام والاخلاص» الى غير ذلك، مما يعد ردا على حملات الجنرال برينكير نفسه على سلفسترى فى كتابه «المعارك فى الريف وجبالة»، وعلى أى حال، فان سلفسترى سواء كان قائدا جريئا ماهرا، أو كان طائشا متهورا ، فانه زج بطائفة من جنوده فى حرج لا مخرج منه، كما زج بهم فى جبل ابران من قبل، وكان جزية عمله هى حياته نفسه، وحياة رجاله الاربعة والعشرين الفا، الذين جرهم فى خيلاء من مليلية، بما فيهم الحركة الاهلية .

وقد وضع المقيم العام بتطوان أمام الامر الواقع، حيث ابرق اليه قائلا: «لقد قمنا فى الساعة الثامنة من صباح يوم 17 يونيو باحتلال جبل اغريبين بين سمار وانوال، وذلك لضمان الطريق الواصل بين ابن الطيب (ببنى وليشك) وانوال، وتركيز العمل ببنى وليشك، فقمنا بتشييد التحصينات وبالتقوية اللازمة للحامية، كما قمنا بجلب فرقتين من المشاة، وفرقة من أصحاب الرشاشات، وبطرية مدفعية، وقد قام رجال البوليس بتراشق بالرصاص مع جيش العدو، فجرح جندى من طرفنا، وقد اضطر العدو الى التراجع للوراء، وكانت جيوش العدو التى شاركت فى هذه العملية تتكون من فرقتين، جاءت واحدة من ناحية زاوية سيدى بويعقوب، والثانية من الرابية الواقعة عند المنفذ» .

الا أن المفاجأة لم تمهل القائد العام، فاثر ابراقه بالاعلام بتراجع عدوه الى الوراء، جاءت برقية هاتفية بالهيلوغراف من رئيس الحامية التى استقرت بجبل اغريبن، فى غده، أى يوم 18 يوليوز، يعلم فيها رئيس الحامية الكومندان «بنيتيس» قيادة انوال «بأن الحامية مفتقر الى الماء، وان محاولتين اثنتين لاجل الوصول عبر الاخدود، قد باءتا بالفشل، ويطلب نجدة لضمان الوصول الى الماء، واعلم من طرف قيادة انوال بأن نجدة ستارسل فى اليوم التالى أى 19 يوليوز، وعلى الحامية أن تستعد لفتح الطريق الى الماء، ويقال أن شخصا من رجال تمسامان الذى كان حاضرا فى انوال، ولاحظ تحركات الجيش داخل المعسكر، لما استرق السمع بأنه يستعد للهجوم على اغريبن لفك الحصار عن الماء، اسرع بصورة سرية يعدو الى المجاهدين بامزاورو مبلغا اياهم خبر ما عزمت عليه قيادة انوال، منذرا اياهم بالشر المستطير ان لم يأخذوا حذرهم وفعلا فان ابن عبد الكريم جمع رؤساء المجاهدين، وأمرهم بتعزيز الفرقتين المعسكرتين على الخطوط الامامية لمعسكر اغريبن، وكلف البعض منهم بتفتيش تلك المراكز الامامية .

وقد صدقت نبوة الرجل المخبر الذى استقى الخبر من منبعه، ففى صباح اليوم التالى 21 يوليوز اندفعت ارتال ثلاثة من الجيوش من انوال، وكان كل رتل يضم الف جندى، بينما تقدمت شرذمة من حامية اغريبن مندفعة نحو الماء تحت حماية المدافع الرشاشة، من القشلة، فكان اليوم حارا طبيعيا وعميلا، فشمس يوليوز تلفح الوجوه محدثة للجنود تصبب عرقهم، الذى اختلط مع غبار التربة من جهة، وتساقط الرصاص كالمطر المنهمر من جهة أخرى، ذلك ما أحدث للارتال الذين يتسلقون الهضبة على موعد مع الموت الزأوم الذى ينتظرهم من المقاتلين الارياف، الذين انبطحوا خلف الاحجار الصلدة ووسط الاعشاب الغاباوية حتى أن العدو ظن من أول وهلة أن ليس هناك كائن حى غير جنود الحامية، الذين ظلوا متعثرين فى كعاب أحديتهم، صوب عين الماء، الا أنه لم يكد يتخطى المنحدرون والصاعدون مواقع الارياف، حتى صبوا عليهم وابل نارهم فارتبك جنود العدو، ولم يتبينوا من أين أوتوا ورأوا بين أعينهم قتلاهم

تتساقط باستمرار، حيث لم يتبين لهم أن أصابوا أحدا من أعدائهم، أم يضربون فى الحديد البارد، ولم ينفعهم الا النكوص على أعقابهم، فرجع المتسلقون منحدرين، بينما المنحدرون متسلقين بعد ما تركوا 132 قتيلا فى لمحة البصر .

وهنا قامت قيامة قيادة انوال، وأصبحت تضرب اخماسا فى اسداس، وتدعو بالويل والثبور، فالى حد الساعة لم يحرزوا ولو على انتصار بسيط تعزية لانفسهم، رغم عدتهم وعددهم .

واثر ذلك، وبعدما ابرق سلفسترى لبرينكير بواسطة الراديو، يعلمه فيها بالموقف المتجدد المحرج، طالبا نجدة من الجنود اجابه هذا: «بأن ليس لديه نجدات» بمعنى انك خالفت تعليماتى القاضية بالتباطىء فى التقدم فلتتحمل نتائج ذلك وحدك، ثم نصحه بأن يتخذ موقف الدفاع، ولا يتوغل، وقد عمل سلفسترى على هذه النصيحة ولو مؤقتا، فقد مرت أيام شهر كامل لم يحدث خلالها الا مناوشات عسكرية من هنا وهناك، وقد استغل المجاهدون هذه الفترة من الوقت، فعملوا على التعبئة العامة لجميع قوى المجاهدين، الذين كانوا فى الرباط الجهادى، وان كانوا لا يتعدون 700 مقاتل، الا أنه اذا كان كل واحد منهم مقابل عشرة من عدوهم، فيكون الجمع من ناحية الكيف هو 17 ألف مقاتل، أى ما يعادل جيش العدو بجثثه الثقيلة، تحت وطأة النكبات، فى أرض افريقيا العذراء.

وفى اثناء هذه الايام التى خلت من المعارك الحاسمة، راح ابن عبد الكريم ينظم صفوف المجاهدين، ويوزعهم على المواقع التى يجب أن يقبعوا فيها ازاء كل من انوال، واغريبن، عاملين على حفر الخنادق تحت الارض، وخلف الصخور، واختيار الاخاديد التى تصلح للمواصلات بعضهم مع بعض، من جهة ومع معسكر المجاهدين «بأمزاورو» من جهة ثانية، وكان رجال ربط الاتصال يمرقون بين الدروب والشعاب، مروق الثعاليب المطاردة، تخطو خطوات ثم تلتفت يمينا وشمالا، احتراسا من مكروه .

ولم يتعب المجاهدون من المواظبة فى خناديقهم، فقد كان على اخوانهم الذين بقوا فى «امزاورو» كاحتياطين يخلفونهم أحيانا عندما

تظهر رغبة أحدهم فى الاستراحة، وان كانت هذه الرغبة نادرة لما فيها من بعض المعرة، التى لا يقبلها الشجاع المتمرس على القتال .

وقد كان من التدابير الوقائية التى يستلزمها الدفاع احتلال واد الحمام، الذى يفصل بين انوال واغريبين وفى الحال يكون عائقا عن اتصال العدو باغريبين، فاحتلال الوادى يعتبر ذا حدين اثنين، وقد تكلف باحتلال وادى الدمام، مائتا مجاهد مشهود لهم بالبسالة، كان على رأسهم السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى، والسيد موح ابن السى امحمد الاجديرى، والفقيه السيد محمادى الشمس، وبوطاهر مكوح الحديفى، كلهم من بنى ورياغل، والحاج بوعلى من تمسامان .

ومن سخرية الاقدار بالنسبة للجيش الاسبانى، انه يرى المجاهدين يخندقون ويتحصنون، ولا يقدم على اتيان أية حركة، بل ظل قابعا خلف متارسه، وكلما ابتعد جندى عن المكان الآمن خطوة أو خطوتين الا واصطادته طلقة نارية من حيث لا يدرى من أين أتت، فترديه قتيلا، حيث يهرول زميله بانحناءة ليجره من رجليه الى خلف الترس .

أما عن حامية اغريبين، فقد اقتضت الخدعة الحربية، أن يغفل المجاهدون عن ارتياد جنود العدو ورود الماء خلسة، ليتزودوا شحيحا، ى يتمكن المجاهدون من تمكين أقدامهم فى المواقع التى يريدونها لفرض سيطرتهم عندما يحتدم القتال، وكانت عين المال التى تدعى عين عبد الرحمن ع تحت انظارهم مباشرة .

وعندما مضت هذه الايام التى يصح أن تسمى أيام المناوشات ع المجاهدون عن حامية اغريبين الوصول الى عين الماء فقتلوا المتسللين ها مرة أولى، ومرة ثانية، فحاول بعد ذلك الكمندان «بنيتيس» ان يصل الماء بالقوة، وجرب ذلك مرتين، فلم يفلح، رغم دعم انوال اليه بقوة رى، تحاول شغل المجاهدين عن اعاقته .

ولما أعياه الامر أبرق الى سلفسترى «بأن جنوده يشربون وهم، وان الحالة سيئة الى حد الانتحار، وانه يطلب نجدة قوية» .
وعلم ابن عبد الكريم بالحالة القاسية التى عليها الحامية فأرسل

شخصا من المغاربة الذين انضموا الى المجاهدين بعدما عملوا مع الجيش الاسباني، حاملا راية بيضاء، علامة على أنه رسول سلام يطلب من رئيس الحامية أن يستسلم فى امان، فأبى هذا وأبرق الى سلفستري يقول: «ان العدو طلب منه الاستسلام ولكنه رفض، كما اقسم جنود الحامية، أنهم لا يستسلمـون الا للمـوت» .

وقبل أن يطلب ابن عبد الكريم من رئيس الحامية الاستسلام، وجه انذارا الى الجنود المغاربة الذين فى صف العدو، والى المتطوعين الذين يدعون «بالحركة» جاء فيه ما يأتي: «انظروا كيف تتساقط مراكز العـدو الذى يظن أنه فى حرز منيع، وانظروا كيف تفر الجيوش الاسبانية أمام زحف المجاهدين، الذين يتعقبونها حتى يقوموا باجلائهم عن جميع الاراضى التى احتلوها بخيانة الاشرار من الريفيين، وعليكم أن تتخلوا عن المشاركة فى جيوش العدو ضد اخوانكم المسلمين، واعلموا أن قتلاكم وأنتـم فى صفوف الكفار مأواهم جهنم، وبئس القرار، وان قتلاكم، وانتم فى صفوف المجاهدين جزاؤهم النعيم هم فيها خالدون، هذا وانى أحذركم أنكم اذا تماديتم فى صفوف العدو، فانه عندما ينجلى عن جميع التراب، وهو أمر محقق بحول الله فانكم لا تجدون رحمة من عدالة السماء، التى تطبقها محكمة المجاهدين عليكم بصفتكم اشرار المسلمين، قادوا خرابا لبلادهم، اعانة للمغتصبين، هلموا قبل أن يفوت الاوان، ارجعوا الى حظيرة اخوانكم بسلاحكم، لتستعملوه حيث أوجب الله استعماله، هلمـوا، ولا تتأخروا ، فالوقـت ثمـين» .

وبعد كل هذه الارهاصات، تبين للجيش الاسباني، أن المعركـة الفاصلة، آتية لا ريب فيها، وهكذا عندما طلع فجر يوم 18 من يوليوز سنة 1921 م. استفاقت حامية اغريبين على طلقات المدفع المأخوذ من معركـة ابران، وطلقات المدافع الرشاشة، وقد هرول جنود الحامية يفركون اعينهم من النوم الثقيل، الذى استمتعوا به فى خلسات اثر انهاك التعب اليومـى لاجسادهم الشاحبة التى لم ترو ضمأها منـذ أيـام .

ان المجاهدين الآن فى مركز الهجوم، بعدما تخطوا مركز الدفاع، ذلك ما أحدث ذعرا شديدا فى جميع المراكـز الاسبانية، وبالاخـص فى

مراكز مثلث الموت: بومجان، اغريبن وانوال، ان المسؤولية المعنوية والمادية يقع ثقلها على قيادة انوال، ولذا شرعت فى قصف خناديق المجاهدين على الوجه المنظور اليها، قصفا شديدا، طبق الحاح حامية اغريبن، على القيام بعملية الارض المحروقة، لتخفيف وطأة الحملات ضدها، وكذلك جهـزت قيادة انوال قافلة محملة بالمواد الغذائية والسائليةوالعتاد الحربى .

وقد تمكنت بعد لأى أن يصل من تبقــى من القافلة الى مركـز الحامية، بعدما خلفت خسائر فى الارواح باهضة، وقد كانت مدفعية العدو تفتت التراب شبرا بشبر، الامر الذى تعذر على المجاهدين من الوجـه المنظور لها أن يتحركوا بحرية، ولم يتمكن الا المجاهـدون على هوامش ذلـك الوجـه .

وقد انضم هؤلاء البؤساء من جنود الرتل المغيث الذين فلتـوا الى مركز اغريبن الى الآخرين الذين يترقبون المصيرالمحتوم، فلم يحفل هؤلاء بأولئك، ولم يروا فيهم غنية لهول الموقف، فأسرع «بنيتيس» بارسال برقية الى انوال يقول فيها: «ان الاغاثة التى وصلت الينا لا تغنينا من شىء، لان معظمها ضاع تحت وابل رصاص العدو، وانه يعد هذه البرقية آخر انذار، لان الحالة سيئة للغاية»، وأجيب من انوال، بالتربص وانتظار وصول النجدة، الا أن أية نجدة لم تصل الى الحامية، رغم محاولات عـدة من انوال، نظرا الى أن المجاهدين أصروا على أن لا يتركوا للعدو أى منفذ لوصول الى الحامية، ولو اصلتهم مدفعيته ما اصلتهم من نيرانها، خصوصا أن عددا من المجاهدين يقدر عددهم بخمسمائة مقاتل عززوا صفـوف المجاهدين على اختلاف مواقعهم، وقد أوصاهم ابن عبد الكريم بالوصاية الأخيرة، وهى أن لا يتحركوا من خنادقهم، وان لا يسرفوا فى استعمال طلقات بنادقهم، الا ما كان يصيب الهـدف بذاته، وان يحفظوا خـزان البندقية (الموزير) المعروفة لدى الاهالى بالخماسية، بحيث يكون دائمـا عامرا بالخمس الخراطش حتى اذا كان وقت الضرورة الملحة افادت فى الحين، وانما أمر بالاقتصاد فى الدخيرة خوف نفاذها لانها الى ذلك الحين لا يتعد الوفر منها عنده عشرة آلاف طلقة، كما أوصى بأن يتركوا العدو يقترب الى ما بين 100 و200 يردة، وحينئذ يكون الهدف محقق الاصابة،

فتخضد شوكته حينما يفاجأ بسقوط القتلى من بين صفوفه، وحذرهم من مغبة النكوص على الاعقاب فان ذلك مهلكة .

وهكذا استمرت المعارك بين حامية اغريبين والمجاهدين، من جهة وبين النجدات التى ترسل من انوال من جهة ثانية، فامتد القتال يوم 19 يوليوز ويوم 20 منه، وفى هذا اليوم ارسل قائد الحامية نداء الى أنوال جاء فيه: «يوجد بيننا عدد كبير من الجرحى والقتلى، وقد نفذ الماء، وتعوزنا المواد الغذائية اننا قد أصبحنا مرغمين على المكوث داخل الخنادق، ليل نهار، حيث ان العدو أصبح لنا بالمرصاد، وقد أشرفت معداتنا العسكرية على النهاية، اننا نرى أن من الواجب ان تستمر بطاريات انوال فى قصفها لجيش العدو، ليل نهار عسى أن يكون فى ذلك تخفيف من الضغط علينا».

وفى هذا اليوم أيضا، وصلت نجدة عسكرية من مليلية قوامها فرقة من جنود «كسادرريس دى الكنطرة»، مؤلفة من 1.400 جنديا، يقودها الكبطان جنيرال «نفارو» وقد رفع سلفسترى الاعلام بها الى قائد الحامية طالبا منها أن تتربص وتنتظر حتى تصل النجدة اليها، التى أرسلت فعلا صبيحة يوم 21 يوليوز، الا أنها لقيت ما لقيته سابقاتها، فرجع منها بعض الفلول لا تلوى على شىء، لان الذعر استولى على الجيش ففقد معنوياته كجيش مقاتل .

وقد استطاع المجاهدون أن يحفروا تحت الاسلاك المستديرة حول المعسكر باغريبين الى أن وصلوا الى داخله، حيث وضعوا علبا محشوة بكبريت قنابل الطائرات التى تسقط من دون انفجار، فلما ملاءوا الخندق اشعلوا النار فيها، فاندفعت تزلزل الارض تحت أقدام الحامية زلزالا، فاندهش الجنود، ولم يكد أن يتبينوا مواقع أقدامهم من الارض .

واثر هذا الانفجار، أرسل ابن عبد الكريم رسولا يطلب من الحامية الاستسلام، حملت الرسالة امرأة كانت تذهب ليلا بقدحين من الماء الى كمندان الحامية، بثمن ريالين وقد كشف خبرها جندى اسبانى هرب من الحامية، فسأله ابن عبد الكريم، وأعطى خبرها، فأرسل الجندى مع مجاهدين الى أن وقفوا على دارها، فجاءوا بها، واعترفت، وكلفها بحمل الرسالة .

وبعد استشارة الحامية، معسكر انوال، أجيبت بالتربص و انتظار نجدة أخرى، الا أن الحال ما حال، ولما يئس الجنرال سلفستري الـذى كان يشرف على ارسال النجدات، يعاونه فى ذلك الجنرال نفارو، ويعاين بنفسه الحالة النفسية المزرية التى قضت على جنوده؛ حيث يولون الادبار عند أول اشتباك مع المجاهدين وان مدفعيته التى اصلى بها الارض نارا حامية لم تفده، ففى عشية اليوم نفسه، ابرق الى الكمندان بنيتيس، قائد الحامية، يأمره فيها بلانسحاب، وفعلا انسحبت الحامية، أى ما تبقى منها بعدما حاولت اتلاف المعدات الثقيلة، ولكن أين لها من وقت لذلـك؟ لان زلزلة تلك الساعة شىء شديد، فخرجوا منكبين دفعة واحدة الى جهة انوال، ملقين السلاح على الارض، بينما مات عدد من الضباط والجنود على الاسلاك كما اثخن المجاهدون القتل فى قفاهم، ولم يصل الى انوال الا حوالى 20 جنديا، أصيب بعضهم بالبكم، والبعض الآخر بالصمم، وقد وصلوا الى نوال حيث رأى اخوانهم هناك اناسا خرجوا من عذاب جهنم، التى بدلت هم جلود غير جلودهم، حتى أن من كان رفقاء قبل ذلك، انكروهم ولم فلحوا ان يتعرفوا على سحناتهم الا بعد لأى .

وقد استشهد من المجاهدين اثناء هذه المعارك كلهـا حوالى 50 جاهدا، منهم السيد محمد بن الحاج السى اعلى أبـرو من بنى ورياغل، السيد عبد الكريم بن الحاج بودرة من أجدير، والحاج حمدش من أجدير، السيد موح بن السى احمد الاجديرى، كان فى أحد الخنادق فلمح العدو خصين من المجاهدين قصدا عين عبد الرحمن للاتيان بالماء فصوب اليهما قة بندقيته، فأصابت السيد موح بن السى احمد فى قلبه فمات، رحمه ه، وكان من صناديد المجاهدين .



الجنرال نفارو مع الضباط الاسرى: خيلابيرتى ــ الكبطان غرثيا البينيا ــ الكرونيل اروخو ــ اليونتان فلوبنتو وبينهم الصحفى لويس

4 ـ معركة أنوال التى قصمت ظهر الغزو الاسبانى

ان سلفسترى الآن أصبح أمام مسؤوليته، فقد ضاع من يده حلم الامجاد العسكرية فى شمال افريقيا فشاربه الكثيف أصبح يرقص على شفتيه لانه أصبح الآن معنيا بالامر أمام المجاهدين قبل أى جندى آخر فحماسهم تضاعف، وايمانهم بالنصر أصبح أقوى من أى وقت مضى، وجنوده قد أنهكهم الذعر من هول ما شهدوا، فأرجلهم لم تعد تقدر أن تحمل أجسادهم الثقيلة، والمجاهدون مخندقون بوادى الحمام على أبواب انوال، وقد انضم اليهم أولئك الذين كسبوا النصر فهم نشوى لا يردهم رداء ولا يتزحزحون قيد انملة على كسب نصر آخر .

وقبل اقراره أية خطة يتخذها من الدفاع أو الانسحاب أو الهجوم، أبرق الى وزارة الحربية يقول فيها: «لقد انتهت عملية اغريبين، التى سبق لى أن أعلنت عنها، وقد بذلت قصارى الجهود، فحالت كثرة جيوش الاعداء دون الوصول الى أية نتيجة، نظرا لما قامت به من الرباط فى الخنادق، وأمام استحالة وصول أية نجدة اضطررت لاصدار الاوامر بافراغ المركز، بعد تحطيم سائر المعدات الثقيلة، وقد لقى حتفه بين الاسلاك عدد كبير من الضباط والرؤساء، كما قام عدد آخر بالانتحار» .

«الحالة تعتبر بالغة فى الخطورة والحاجة ماسة لارسال قوات جديدة كاملة العدة، وذلك أمر يلزم أن يكون على وجه السرعة، وانى لست واثقا من الحالة، نظرا لانقطاع أسباب المواصلات، ان المراكز القريبة الاخرى تطلب منا ارسال النجدة، وانى عندما اتسلم نجدة جديدة سوف أتمكن من استرجاع معظم الجهات» .

واثر هذه البرقية، وفى يوم 22 يوليو 1921 جمع أركان حربه لتقرير ما يلزم اتخاذه، وبعدما عرض الحالة العامة فى معسكره، وباقى المراكز أعلن بأنه رغم وجود العدد الكافى من الجنود المدربين أحسن تدريب، الا أنه يعتقد أن الاهالى من قبيلتى تمسامان وبنى وليشك

سينقضون عليهم من الخلف فينضمون الى العدو، وبعد عرضه للحال العامة، اقترح أن يقوموا بهجوم عام من طرف الجيش، بعد أن تتقدمها حركة المتطوعين المغاربة، الذين تحت رياسة محمد بن على بوثنشوشت من قبيلة بنى سعيد .

وهكذا بعد استراحة يوم الإربعاء 23 يوليوز، وكان اثنان من المغاربة المجندين فى الجيش الاسبانى فرا الى المجاهدين، وأبلغاهم استعداد العدو لهجوم كاسح غده الخميس، وانها محاولة أخيرة له، أما أن ينتصر أو يندحر

فتسلل ابن عبد الكريم بنفسه الى خنادق المجاهدين عبر واد الحمام، ليتفقدهم وزودهم بالعتاد الحربى الذى توفر لديه، وأمرهم بالثبات مبشرا اياهم، لان أحد المجاهدين رأى فيما يرى النائم أن نملة شربت بحرا، وفسرها بأن قوة المجاهدين الضئيلة ستنتصر على اسبانيا كلها، بل العالم الاستعمـــارى .

وقد تحقق صدق خبر الجنديين المغربيين، ففى الفجر من يـــوم الخميس شرعت مدفعية العدو تتقذف بطارياتها حمما من نارها صـــوب مواقع المجاهدين، كما شاركت طائرات أيضا فى قصفهم، وعند شـــروق الشمس اندفع الجنود من معسكر انوال، كالنمل، فغطت أرضية خـــارج المعسكر، تسبقها قوة المغاربـــة المتطوعين (الحركة) وعلى رأسهم محمد بوثنشوشت، حيث كون مسيرة الهجـــوم، فاخترق لاول وهلة صفـــوف المجاهدين، متقدما الى الامام، وكان من بين المجاهدين الحـــاج الراضى الزفزافى، وهو من الابطال المشهود لهم بالثبات فتصدى لهؤلاء الخونة من اشرار المسلمين، فثبتوا حيث لم يزحزهم اختراقهم لصفوفهم، فصوب الحاج الراضى طلقة بندقيته صوب الخائن بوثنشوشت فارداه قتيـــلا، حينئذ انفل جمعهم، فولوا الادبار منهزمين ولما رأى جيش العدو انهزام المتطوعين ذعروا فكروا راجعين من حيث أتوا، بينما لم يعذرهم المجاهدون بل تابعوهم بالقتل مما أحدث لهم ارتباكا كبيرا .

أما المتطوعون من المغاربة، الذين انهزموا لما مات رئيسهـــم، فانهم تخطوا معسكر انوال، وذهبوا الى ديارهم فى قبائلهم، حاملين معهم

الاسلحة التى كانوا زودوا بها، متربصين عاقبة المعركة لكى ينقضوا بدورهم على جيش العدو .

وقد أدرك ابن عبد الكريم أن العدو سينسحب لا محالة من أنوال، الى مركز آخر خلفه، ولذا أمر بقطع خط الرجعة عليه، وهكذا تسلل كل من القاضى السيد محمادى شمس من بنى ورياغل، والحاج بوعلى من تمسامان، على رأس فرقة من المجاهدين الانتحاريين خلف معسكر انوال.

وكمنوا هناك فى قرية تربيعت، متربصين بالعدو ان خرج للانسحاب، واحتلوا جميع المسالك التى هى محتملة للمرور، وفعلا ففى غده 24 يوليوز الذى هو يوم الجمعة، حيث يكون المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها يدعون فى صلواتهم بنصر الاسلام والمسلمين، وفى الصباح الباكر، سمع المجاهدون دوى انفجارات داخل المعسكر، يتلف المعدات الحربية الثقيلة، واثره تدفق من أبواب المعسكر العدو، متجها صوب مركز ابن الطيب ببنى وليشك، حيث تقرر جعله معسكرا، نظرا لوقوعه فى سهل منبسط خال من الاخاديد والصخور، وقد كانت قشلة مميس وقشلة بومجان انضمت الى انوال، بعدما لقيت من نفس المصير، ونوقف فى ابن الطيب لانه لا يمكن للمجاهدين أن يختبئوا هناك، وعندما بدأ العدو يخرج نادى مجاهد من فوق قمة جبل، يقول ان الجيش يفر فأمر ابن عبد الكريم المجاهدين ان يثبتوا فى اماكنهم، خوف أن تكون هناك خدعة حربية، وأمر أربعة من المجاهدين أن يذهبوا الى حيث مصدر النداء، وكان من بينهم القائد شعيب ابن موح ابالى من بنى بوعياش، وكان معه منظار مقرب فوقفوا على قمة حيث رأوا انسحاب العدو، فأطلق شعيب ابالى ثلاث طلقات فى الهواء، اعلاما للمجاهدين بحدوث شىء غير عادى، وهى طريقة مستعملة فى مثل تلك الحالة، ثم اعقبه بالنداء بأعلى صوته، «ان العدو هارب» فهرول المجاهدون من خنادقهم متسلين عقبة الوادى .

وقد اندفع شعيب ابالى بداعى الشعور الذى تملكه الى الامام من دون أية وقاية الى أن وقف أمام الاسلاك الشائكة، وبينما هو يشغله مظهر اندفاع جيش انوال، كالسيل هاربا، فاذا به يرى قشلتى بومجان

ومميس يندفع منها من فيها من الجنود صوب اتجاه انوال فتحول الى جهتهم وجعل يرميهم بطلقات بندقيته، وهم فى حالة من الفوضى لا يكادون يردون عليه ولو بطلقة واحدة، وانما كان دأبهم أن يصرخوا «مينة مينة» وهى كلمة بمعنى الامان .

وهكذا كان أول من شهد ذلك المنظر المسرحى المروع، الى أن وصل اخوانه المجاهدون، أما جيش العدو فلم يفكر الا فى الفرار، ما عدا فرقة «كاسادوريس دى الكنطرا»، التى أخذت على عاتقها شغل المجاهدين، وهى محصنة خلف بوابة انوال، كى تخفف من هول الموقف، بينما الآخرون اندفعوا الى الامام، لا يلتفتون الى الوراء، وقد أطلقوا لارجلهم العنان فارين، ولكن اين لهم الوصول الى المأمن؟، فقد انقلبت الآية عكس ما فكر، وقدر قادتهم، فاللعنة الآن تتبعهم، ولا تقيل لهم عثرة، والرصاص ينزل كالمطر المنهمر، ولا يدرى أحد منهم أين يتجه، فالارض كادت تبلعهم والموت فاغر فاه امامهم، والقيادة تخلت عن جنودها .

فسلفسترى الذى كان يتتبع الانسحاب بالمنظار المقرب على كدية تحت شجرة زيتون، قد لقى حتفه من حيث لا يحتسب، فقد رآه أحد الاهالى العجزة الذى كان يشاهد من منزله الآية الكبرى فعمد الى سلاحه التقليدى «بوحفورة» الذى يحشى بقرطاسة واحدة، تسلل كالثعلب الهرم الى أن كان على مسافة 50 يردة، فأفرغ القرطاسة اليتيمة فى كتف الجنرال المختال وأرداه قتيلا، فصاح فى فرح «ايه يا جنرال» وحل من وسطه حزام الجنرالية الحريرى، ذا اللون الاحمر القانى، واحتفظ به الى أن قدمه للزعيم ابن عبد الكريم، حيث احتفظ هو بدوره، وزين به متحفه الحربى ليشاهده الزوار مكتوبا عليه «هذا هو حزام الجنرال سلفسترى الرجل الذى استخف بعزيمة الريف» .

أما الكرونيل «موراليس» الذى عمل طيلة حقبة من التاريخ فى مليلية، على اذلال الاهالى واستغلال سذاجتهم، والذى يعتبر الرأس المدبر لكل الاحداث، التى كانت تجرى فى الريف فانه لما رأى هول الموقف ركب سيارة عسكرية، وهام على وجهه، فارا بجلده الى جهة ابن الطيب، تاركا الجنود الذين غر بهم، ولما وصل الى دشرة «اقدارا» من فرقة

آل عبد النور من بنى وليشك وجد بالمرصاد له احد الاهالى، كان يرقب هو أيضا من علية منزله ذلك المنظر المسرحى، فصوب اليه طلقة بندقيته فصرعه فى الحين، وقد بقيت جثته هناك الى أن أتت زوجته من مليلية على ظهر باخرة، الى العرض البحرى المقابل لسيدى ادريس، فطلبت من محمد أزرقان أن يتدخل لدى ابن عبد الكريم، فيأذن لها بالبحث عن جثته، فأذن لها، وحملت من مرسى سيدى ادريس مع جثتين اثنتين من الضباط الآخرين .

أما جثة سلفسترى فانه لم يعثر عليها من بين القتلى، رغم البحث عليها من طرف بعثة اذن لها ابن عبد الكريم، وكانت تضم السيد ابن سعيد السلاوى، فلم تهتد اليها، ولذا قيل فى موته أقوال، حتى قيل أنه لم يمت، وانما اختفى فى قبائل الريف، فرارا من عار الهزيمة، وهى أراجيف فقط فرواية قتله على الكيفية التى ذكرناها، كانت رواية شاهد عيان، ومتواترة .

أما الجنرال «نفارو» الذى كان مساعد سلفسترى فى الفترة الاحيرة من معارك اغريبين ـ انوال فقد قاد فلول الجيش المنسحب، وبالاخص فرقة «كاسادوريس دى الكنطرا» التى كانت تدافع عن مؤخرة الجيش المنسحب، يجر وراءه الهزيمة التى لم يكن على أى حال العنصر الاساسى فيها، لانه لم يكن فى وضعية أخذ رأيه بالاعتبار، بل كان رأى «موراليس» والكبطان (مرغيو) أولى بالاعتبار، عند سلفسترى، الا أن الفشل الذريع الذى منى به رأيهما لما جد الجد، ابان عن ضعف مقومات سياستهما، المستوحاة من التخمينات المحبوكة لاغراض دعائية، لا تمت الى الوقائع بصلة، وكان بالنسبة للجنرال نافارو لما كان يقود الفلول المنهوكة، التى وجدت نفسها ضائعة فى بيداء القبائل التى تتعرض لها لا للترحيب، واسداء العون، وانما لابادة بقيتها الباقية، فقد اعياهم تسلق الهضاب تارة والانحدار منها آونة أخرى، ثم تجنبها المسالك المطروقة لتختفى بنفسها، ولسان حال كل واحد منهم يقول للآخر «انج سعد، فقد هلك سعيد» .

فى هذه الحالة لو اختير الجنرال نفارو، لما عدل عن اختيار مصير

رفيقيه سلفسترى ومراليس، ولكن كما يقول الشاعر العربى :

(وما الموت الا خبط عشواء من يصب   يمته ومن يخطىء يعمر فيهرم)

ان على الجنرال الناجى بجلده، أن يضع على عاتقه مسؤولية انسحاب حوالى 300 مركز، من المراكز الخلفية التى كان الجنرال سلفسترى، ومن كان قبله من قادة الجيش، أقاموها بين ظهرانى القبائل، التى أخضعوها، على رأس كل مركز ضابط اختير من بين العسكريين الذين يراعى فيه الكفاءة من ناحية الختل والخديعة لاستمالة الاهالى، وهى الاوصاف التى اشترطها الجنرال «منويل غوديد» فى تقارير ينعى فيها على المراقبين أن يكونوا حربيين فقط، أو سياسيين فقط بل يجب أن يجمعوا بينهما، ليصبحوا قادرين على الاخذ من الاهالى دون العطاء .

وقد اختار الجنرال نفارو أن يسلك مفازة بوفرقوش – دار الدرويش–سترطوطن، بعد أن قطع نهر كرط لانه السبيل الغير المطروق للاهالى، وقد ركب سيارة عسكرية تتبعه أخريات تسير هوينا، تخفيفا على الفارين من المشاة المتعبين .

وقد اكتسح المجاهدون جميع المواقع الخلفية، ولم يستعص منها الا قشلة «تاروضى» بقبيلة بنى وليشك، التى امتنعت من الاستسلام، لمدة يومين وهى تقاتل، ثم استسلمت، تحت ضغط الحصار .

أما قشلة «دار بوزيان» بقبيلة بنى سعيد، فانها استسلمت على يد قدور بن عمر، من بنى سعيد الذى لم يقبل منهم الاستسلام بعد ما نكثوا شرط الاستسلام، بعدم اتلاف المعدات الحربية، فرجع الى القتال، حيث ابيدوا عن آخرهم .

ومن سوء حظ قدور بن عمر هذا، انه كان هاجر الى بنى ورياغل، لما استرد الجيش الاسبانى فيما بعد القبائل التى أجلى عنها، كما سيأتى بعده، وكان يسكن فى قرية ازكين من بنى بوعياش ثم بدا له أن يرجع الى أرضه، ولا أدرى الى الآن على ماذا اعتمد فرجع، وقد اعدمه الاسبان، بمجرد وصوله، بدعوى أنه استأصل قشلة «دار بوزيان» .

ولم يستطع الجنرال أن يقطع المسافة على ظهر جواده مارا على

المراكز وسط القبائل، انطلاقا من ابن الطيب ببنى وليشك الى اسغنغان، كما فعل من قبل الجنرال ليسمو برنكير، عندما بدا للقادة العسكريين أن يقترحوا عليه، ليقف بنفسه على خضوع القبائل بصورة تامة، وبطرق السلم، والاستسلام، فامتطى جواده من «بومجان» مخترقا وسط القبائل الى أن وصل الى مليلية، وكانت رحلة ممتعة، لان بعض السكان تعرضوا له للسلام حسب التقارير الرسمية الى مدريد .

ولو فعل ذلك (أى نفارو) لما نجى برأسه الى جبل «عرويت» بكل تأكيد، وعلى كل فقد نجى الى «عرويت» فى 3000 جندى فى حالة عياء.

الا أنه مما ينبغى أخذ العبرة من هذه الاحداث التى قصصنا قصنها الى الآن، لتذكرنا بمحاولة أخرى مرت فى ظروف شبيهة تماما، وبنفس الاسلوب، وعلى أديم الارض نفسها، وهو ما يقال فى حقه أن التاريخ يعيد نفسه، ففى حوالى سنة 1909 كان أحد أعوان بوحمارة، يسير حملة من قصبة سلوان، واخترق نفس المفازة لاجل ابادة قبيلة بنى ورياغل، التى لم تلن لها قناة، حتى اذا وصلت الحملة الى حيث وصلت الآن حملة الجيش الاسبانى، انكسر الاثنان أمام صمود الايمان بالنصر، ورجعت الفلول بنفس الصورة والمتاعب .

5 ـ معركة عرويت أو هضبة القنفذ

تقع هضبة اعرويت بسكون الراء وكسر الواو بين تيزطوطين وسلوان، وتبعد عن الناضور بحوالى 20 ميلا، وهى هضبة تشرف على سهل بوعاك، وتكون نقطة الاتصال بين الناضور وسهول بنى بويحيى، من جهة وبينها وبين مراكز دار الدرويش وميضار وتفرسيت، من جهة أخرى وتحمى من الجهة الجنوبية مناجم المعدن بأكسان، وسكتها الحديدية، وهى باب المفازة الكبرى، ويسميها الاسبان هضبة القنفذ .

فاذا ما وصلنا توا الى تدوين معركة «اعرويت» وتخطينا ما جرى فى المعارك الاخرى، كابن الطيب، ودار الدريوش بمطالسة، ودار الكبدانى ببنى سعيد، وغيرها، فلان تلك المراكز أخلتها حاميتها من دون قتال يذكر، الا ما كان من مطاردة الجنود الفارين من طرف الاهالى، ولذا

فان هزيمة انوال تنسحب على تلك المراكز، التي تولى شأنها كل قبيلة وجدت فيها بما فيه مركز سيدى ادريس، المحمى ببحرية العدو، فقد استولى عليها أهالى قبيلة تمسامان، بعد معركة اعرويت، أما هذه الاخيرة، فانها لما وصلها الجنرال نفارو، شرع فى اعداد العدة للدفاع، وقد التأم جيشها، وكان ضمن ضباطها الكرونيل فرناندو دى ريفيرا ابن ديكتاتور اسبانيا من بعد .

وكان من سوء حظ جيش العدو، انه كان على بعد كلم واحد من عين الماء، وكان دماس المجاهدين المتعقبين لفلول الجيش يفوق كل وصف، مع تكاثر عددهم بمن انضم اليهم من رجال القبائل التى فكت عنها اغلالها، فكان وصول جماهر المجاهدين مع جيش «نفارو» على جبل اعرويت كفرسى رهان، وبمجرد ما وصلوا أحدقوا بالمعسكر من جميع جوانبه، لضرب الحصار عليه، حيث أصبح يعانى ماعاناه اخوانه فى اغريبين، على أنه الآن لا يترجى أية اغاثة من مليلية، لما أحدق بها من الهول، ولان قوة الجيش قد اندثرت، فهى لا تفكر الا فى النجاة، بقطع البحر من حيث أتت، وأين لها أن تفكر فى الامجاد العسكرية، أو على الاقل حفظ ماء وجهها، أمام العالم الغربى، الذى أرسلها لتمدين البدائيين وهكذا استمر الحصار لمدة 15 يوما كانت حصيلة كل يوم سقوط الجنود، قتلى أو جرحى، حتى أن ابن ديكتاتور اسبانيا لم ينج من قطع ذراعه بانفجار قذيفة أطلقت عليه، يقال أنه رمى بذراعه فى وجه أعدائه، وقد تعفن الجرح، كما تعفنت جروح 169 جنديا آخرين، ماتوا جميعا من جراء ذلك، وبهذا كانت محنة الجنرال «نفارو» أشد من محنة زملائه، الذين قضوا برصاص قاتلة، لاهم غابوا ولم يروا مناظر المآسى التى عاشها .

ان النجدة من مليلية كما قلنا أصبحت مستحيلة، بل لا يعبأ بها أحد، الا ماكان من بعض الطائرات التى ترتفع فى سماء الهضبة بأزيزها، حيث تلقى بعض المواد الغذائية، وكتل الجليد، التى تطيش الى حيث المجاهدون .

ومع مرور الايام، أصبحت الحياة لا تطاق، بسبب الروائح والاوبئة التى خلفتها الجثث التى لم تجد يدا تدفنها، وأمام هذه الحالة

فان الجنرال «نفارو» طلب من المجاهدين أن يكفوا عن القتال للمفاوضة للاستسلام، فاشترط شرطا أساسيا وهو أن يستسلم على يد القائد ابن شلال القلعي، وكان هذا من القواد الذين جاءوا الى انوال، على رأس «حركة ميكـــا»، وعلى أن يكون هو وجنوده فى مأمن واشترط المجاهدون من قبلهم عدم اتلاف المعدات الحربية الموجودة فى الحصن فقبـــل .

وهكذا تم الاستسلام، بتاريخ 2 غشـــت 1921، الا أن حادثـــة بسيطة أدت الى كارثة مهولة، أقامت ابن عبد الكريم وأقعدته، وهو فى «تانوت الرمان» بقبيلة قلعية بدار القائد السى امحمد السيد انى، ذلك أن أحد المجاهدين فلتت منه طلقة نارية، لا يعلم أحد الى الآن ممن روينـــا عنهم أحداث المعارك كيف انطلقت هذه الرصاصة، فظن المجاهدون الذين كانت أيديهم على الزناد، بحكم موقف الاستعداد، ان الامر ينطوى على خدعة حربية، فحدثت مجزرة فى الجنود، وقد قيل أن الجنرال نفارو لـــم ينج الا على يد ادريس خوجة القلعي، الذى خطفه على فرسه وابتعد به.

وعلى أى حالة، فان الجنود الذين نجوا من المجزرة هم 400 نفر، سيقوا أسرى فى حالة ذهول، وبينهم ثلاثون ضابطا، وصف ضابط بين هؤلاء، الاخرين المدعو بسايو، الذى سيأتى الكلام بخصوصه، وقد سيق الجميع الى حيث مركز ابن عبد الكريم بتانوت الرمان، بعدما تركوا جثث اخوانهم تملأ الدروب، وعلى الاسلاك، وأيـــن توجهت كان الطيـــارون الذين يحلقون فوق هضبة القنفذ يشاهدون كل ذلك، ليعودوا الى سكـــان مليلية ليقصوا عليهم ما يذهلهم، مما يزيدهم رعبا على رعب .

الا أن النتيجة السيئة بالنسبة للانتصار الجديد، ان ابن عبد الكريم لم ترضه هذه الطريقة التى ليست طريقته فى الحرب، ولذلك أصبح فى حالة نفسانية لا تطاق، فهو محارب نظيف، يتمسك بأسلوب الشرف، فى كل الحالات، ولكن انى له أن يضبط حماسا يسير كالاعصار، قد انفلتت قيادته من يده أو كاد، فلم يسعه الا أن يصدر الامر اليومى العسكـــرى القاضى بأن من قتل أسيرا أو مستسلما فان جزاءه العقاب بدون هوادة، فنادى المنـــادون فى صفوف المجاهـــدين بأصوات جهورية أصغوا لهـــا، فتقبلوها على مضض، أما القتلى فى جنود العدو فقد اختلف الرواة فى

عددهم، وقد ابلغها بعضهم الى ثمانية آلاف قتيل، وهو الرقم الذى يمكن تصديقه باعتبار ان الجيش الذى كان فى انوال والجيوب المحيطة به والحاميات الخلفية قد أبيد تقريبا عن آخره، فلم ينج منه الا فئات شاردة فقدت كل سيطرة حتى على نفسها، وقد ذهلت القيادة المتبقية المتمثلة فى الجنرال نفارو ان يحصى الاموات أو الناجين، كما شغل أيضا المجاهدون عن احصاء خسائر العدو لانكبابهم عن تعقبه من جهة، وجمع الغنائم من جهة أخرى .

6 ـ الناضور ومليلية :

صدق الشاعر عندما قال: «أين المفر وخيل الله فى طلب» .

وهكذا اندفع المجاهدون كالسيل الجارف فى سهول اعرويت الى الناضور، حيث اقتحموها تأوا بتاريخ 9 غشت 1921 فوجدوها تشتعل حريقا، لان الجيش المنسحب عنها اضرم النار فى خزائنها، لا فرق بين الحربية منها والغذائية، وقد زرعوا فى سكانها ذعرا شديدا، بحيث انتشرت الفوضى، فجنود الاحتلال يهرعون بدون وعى الى الجهة التى توصلهم انى مليلية، فى دفاع منقطع لا يغنيهم فتيلا، بينما السنة لهيب النار ترتفع من خزائن الى خزائن، والمجاهدون يقتحمون المدينة فى حالة لا مبالاة ، يجمعون وينهبون الاسلاب، من دون أن يفرقوا بين ما كان غنيمة حربية سائغة، وبين أمتعة الاهالى التى لا تحل لهم أن يمسوها، .

وفى خضم هذا التسابق الاهوج، فان جماعة من الجنود الاسبان نجئوا الى بناية رحى ءالية تقع فى أحد أحياء المدينة المتطرف، واعتصموا بها، يدافعون بالسلاح الخفيف، ويسدون الضربات الى المجاهدين الذين شغلوا بسواهم، فلاحظ ذلك أحد الضباط المغاربة الذى كان فى صف الجيش الاسبانى، والذى كان قبل ذلك فى مركز انوال وكان يسدى عونا من طرف خفى للمجاهدين .

وهذا الضابط هو الملازم الغول القلعى من مزوجة، لاحظ ضربات الجنود المعتصمين بالرصاص، فعمد الى مدفع كان الاسبان هربوا عنه وتركوه وذخيرته فاستعمله وجعل يدك بقنابله بناية الرحى، حتى اذا

أخذوا من حيث لا يشعرون رفعوا راية بيضاء طالبين تركهم ليخرجوا فاشترط عليهم القائد الغول أن يتركوا السلاح فقبلوا ولكنهم عمدوا الى حيلة لاخراجه معهم فقد وطئوا نعش كل جندى مجروح بالسلاح وحملوا النعش وفوقه المجروح .

وبخروج هذه الشرذمة استصفى المجاهدون مدينة الناضور، بفضل بسالة هذا المناضل، الذى لقى مصرعه باعدامه من العسكريين الاسبان بعدما استردوا قبيلة قلعية حيث خدعوه باعطاء الامان على يد عملائهم فرجع الى وطنه، والقوا عليه القبض واستدعوا أهالى القبائل المحيطة بالناضور وجىء به، فطافوا به على أنظار الاهالى معصب العينين بينما سيف مسدد الى نحره، حتى استنفزوا الاهالى باعدامه بالرصاص بهذه الصورة الوحشية .

ولما كان المجاهدون فى هذا الهيجان العارم فانه عندما وصل الخبر الى ابن عبد الكريم صدم صدمة عنيفة، اذ رأى أن المجاهدين بدأوا يخرجون عن تعاليم الشهامة، التى احتفظوا بها فى معارك انوال وما حولها، والتى مكنتهم من الانتصار، فلم يتمالك أن اصدر اوامره بالنداء فى الناس بلزوم آداب الجهاد المرعية، وعدم الاساءة الى أمتعة الاهالى والا كان العقاب قاسيا، ولكن كان الناس فى صمم .

ولما بدا له أن الجهاد انقلب فتنة عارمة، وأن دخول مليلية على هذه الحالة من الفوضى قد يؤدى الى أسوء العواقب، لان العدو قد حمى المدينة بالعمارات الحربية، فضلا عن التحصينات الدفاعية المحيطة بها، فانه أمر رؤساء المجاهدين بأن يستبقوا الى أبواب مدينة مليلية، لمنع المجاهدين من اقتحامها فى الحالة الغوغائية التى ذرت قرنيها، وذلك لأمرين اثنين :

1) لما يخشى من ابادة المجاهدين فى مجزرة رهيبة، تكون مليلية مقبرة لهم، فى حين يكونون قد انشغلوا بالاسلاب التى أصبحت تشغلهم عن تحصين أنفسهم أمام بوارج العدو، ومدافعه المصوبة على أطراف المدينة، بينما لم يكن فى ميسورهم أن يعرفوا بالضبط مواقع الدفاع، ومدى

قوة العدو، الذى كان فى ميسوره امداد المدينة بالنجدات بين لحظة وأخرى، عن طريق البحر الذى يسيطر عليه .

2) ان اندفاع المجاهدين فى فورة الحماس المنقطع النظير، وقد اختلط بينهم شباب القبائل التى انجلى عليها جيش العدو، وهم اغرار غير منضبطين، ولم يعوا من تعاليم الجهاد شيئا، سيجعل الانتصار المحرز يتحول الى همجية بدائية، تطمس كل معالمها، وبالتالى تكون سبة فى جبين القضية الوطنية الكبرى .

وهكذا قدر لمدينة مليلية أن تبقى بمنجاة من السقوط فى يد المجاهدين، أسوة بالمراكز الاخرى، وبذلك بقيت رأس جسر الجيش الغازى، الذى تمكن بعد استرجاعه هدوءه، أن يعززها، بعد أن كان سكان مليلية الذين كانوا يقدرون بخمسين ألف نسمة، هرعوا الى المراكب البحرية، يتسابقون لركوبها، للنجاة بأنفسهم حيث أعدها لهم أولئك الضباط الذين تتكون منهم حامية المدينة، بمن فيهم، أولئك الضباط الذين كانوا يرأسون نقط الحاميات فى القبائل، قبل هزيمة انوال، والذين كانوا يسمحون لانفسهم من دون رقابة رؤوسائهم، أن يختلسوا رخصا للذهاب الى مليلية، حيث يستمتعون فى المراقص الليلية، فلم يلحقهم ما لحق الجنود الذين يسمونهم باخوان الموت .

وبينما اشتد الهلع، واستولى على السكان، وتسابقوا لركوب المراكب البحرية، هرع أحد المغاربة الذين اشرب حب الجيش الغازى، الى حاكم المدينة، يترجى منه أن لا يخلى المدينة لانه علم أن ابن عبدالكريم أصدر أمره بعدم اقتحام المدينة، وهو أمر مطاع، وقد كان هذا الرجاء بمنزلة صفعة ايقاظ الولهان ، فانتبه الجيش، واستولى على أعصابه ، فركن الى الثبات ، وصدقت نصيحة الرجل الذى استمتع فيما بعد بثمرة هذه النصيحة الغير السليمة من الوجهة الوطنية .

وقد اسندت اليه مهام لا تمت بصلة الى مهامه الحرفية، التى كانت حسبما يقال هى الاتجار مع الجيش فى اللحوم ولذا قيل أنه كان يسوس الاهالى الذين قدر أن يتحكم فى رقابهم، بما كان يسوس به

الابقار عندما يسوقها الى المعسكرات، حاثا اياها بالاصوات الغريبة بالاسراع أمامه يلهثها بالسياط لانها كانت درايته التى حذقها من عمله الدؤوب .

ولما اسدى الى اسبانيا من صنيع الاخلاص، فقد قيل أنه وضعت له صورة مكبرة، يحتضن صورة اسبانيا، وهى مترنحة الى السقوط فى البحر، وقد احتضنها بذراعيه .

وعلى أى حال، فان ابن عبد الكريم ظهر بمظهر عاطفى عندما أمر قومه بالوقوف عند أبواب الحصن الاخير لعدوه الذى أوشك على الانهيار، وهو أكثر منه موقفا حربيا .

وسواء كانت هذه العاطفة سالمة من الوجهة الحربية أو غير سليمة، وعلى ما شاهدنا فى الحرب الاهلية الاسبانية، وبعدها فى الحرب العالمية الثانية، فان أى شعور من هذا القبيل لم يحترمه أحد من الطرفين المتحاربين، وان الجيش الاسبانى نفسه عندما تنفس الصعداء وخرج من مليلية للمرة الثانية مكتسحا القبائل التى كان أجلى عنها، فانه لم يحجم عن استعمال أعنف وسائل ابادة النساء، والاطفال فى قراهم، فقد ضربهم بالقنابل المسمومة حيث نشر الدمار، فضلا عن استعمالها فى ميادين الحروب التى خنقت المقاتلين الارياف، وشوهت أجسامهم، ولم يحتكم الى أية عاطفة بعد انتهاء الحرب، عندما عمد فى آخر فصل من فصول المأساة، فارتكب المجازر بالاعدامات، وهتك الحرمات وجلد الرجال فى قراهم جماعيا أمام أهليهم، وذويهم، ولنضرب مثلا على ذلك، يجدر أن أروى هنا قصة تعذيب عائلتى فى قريتها بعد الاحتلال :

ففى ذات صباح يوم من أيام رمضان المعظم من عام 1347 هـ. عندما استيقظت القرية شاهدت كوكبة من الفرسان الغازية تتركب من 25 نفرا، يقودهم ضابط صف يدعى عبد السلام التمسمانى، عمل باخلاص فى صفوف الجيش الاسبانى، شاهدتهم يتسلقون فى صف منعرجات الطريق الى القرية وقد ارتبكت القرية من هذا المشهد، فتساءلت، وكان والدى رحمه الله هو المعنى بالامر، وعندما وصلت الكوكبة سألت عن

المسجد الجامع، فهناك حطت رحالها، واستدعت والدى واخوانه، وابناءهم حسب لائحة حملوها معهم، وكانوا يتكونون تقريبا من خمسين نفرا .

وبعد محاورة مع والدى فى شأن ما يقال عنه من وجود سلاح مخزون لديه واخوانه، أمروه بالالتحاق بمكان قصى، حيث يشاهد بأم عينه مأساة اخوانه، وهم تحت الجلد والسياط، وقد كان اطلاق سراح والدى فى الحين لغزا غير مفهوم، الا أنه تبين فيما بعد مرماه، بعد المحنة التى لحقته شخصيا حسبما سيذكر، أما اخوانه فانهم سلكوا فى صف مستطيل أمام هؤلاء الناس الذين تجردوا من كل عاطفة انسانية واخلاقية ودينية، فاليوم يوم رمضان والوقت وقت الظهيرة والمكان هو المسجد الجامع، يحيط به قبور من غبر ممن كانوا يعمرون القرية، والكوكبة التى تتركب من المغاربة، كما أسلفنا وحولهم لفيف من جواسيس القبيلة التى كانت لعبت دورها فى الاستعلامات المزيفة عن السلاح ومخزوناته، كلهم يمرحون، وهم فى حالة خروج عن الصوم، يذبحون ويشوون، بينما الجلادون منه يشوون أجساد أعمامنا بالسياط، واحدا بعد واحد حتى أتوا عن آخرهم فى آخر النهار، حيث سمحوا لابى أن يلتحق بداره، ثم عاودوا الكرة مع شروق شمس اليوم التالى على نفس الاشخاص ، واحدا فواحدا على التوالى، وهكذا لليوم الخامس، بينما نحن حول الدار نتلظى من عذاب الضمير، الذى كانت وطأته أشد من وطأة العذاب بالسياط المنصب على أجساد الاعمام، فاذا بضابط الصف مع خمسة أنفار من حراسه يركضون ركضا على خيولهم قاصدين الى دارنا فهرع أبى اليهم، فاختلى به ضابط الصف وبعد برهة أخذوا اخانا الاكبر يوسف، وذهبوا به الى المجزرة البشرية، وقد علمنا من أبينا أن ضابط الصف طلب منه قدرا من المال لم يكن فى مستطاعه أن يتوفر عليه ففهمنا لغز اطلاق سراحه من أول يوم، وكان خلال تعذيب أعمامنا يمرون بأحدهم أمام دارنا متصنعين انهم يذهبون به للتدليل عن مخزون السلاح، وعندما يرجعون به، يوجعونه ضربا أمام النساء والاولاد، وفى الطرقات، وقد حاول كثير من أعمامى الانتحار عندما يذهبون

بالحراسة الى شاهق الصخـــرة أو غدير من الماء مضللين اياهم بأنـــه هناك الســـلاح .

وعندما علم أبى أن كل ما يدور، يدور حوله، وانه أخيرا سينزل عليه غضب هؤلاء الوحوش، فانه ركن الى الفرار، وقد صحبته فى الفـــرار وأنا لم أتجاوز سن 12 سنة الى حدود كزناية، حيث أمرنى بالرجوع الـــى الدار وذهب هو الى فاس، ثم رجـــع وسجن فى مليلية للمرة الثانية لمـــدة أربـــع سنـــوات .

أما الجلادون فانهم بعدما فشلوا فى العثور على السلاح، انتقلوا يجرون وراءهم أولئك التعساء المعذبين، سالكين اياهم فى سلك واحـــد، متنقلين من قرية الى قرية من قرى القبيلة، يفعلون بأهاليها نفس العمـــل، وقد مكثوا يتنقلون لمدة شهرين اثنين، وصلوا بعد الى أجدير حيث مقـــر مراقب الدائرة وقد جروا وراءهم رجال القبيلة الذين حملوا السلاح فيما قبل دفاعا عن وطنهم ودينهم واعراضهم .

وهكذا يبدو أن العاطفة التى غلبت النزعة الحربية فى ابن عبد الكريم، لم تكن شفيعا لدى الغزاة ليرحموا قوما اعزاء ذلوا عندما غلبوا، على أنه فى نفس اللحظة التى كان ابن عبد الكريم يصدر أمره بعدم اقتحام مدينة مليلية، كانت «سنيورا نفارو» لما سقط زوجها أسيرا فى معركة جبـــل عرويت طلبت قتل جميع المغاربة الذين يتواجدون فى ذات الوقت بمدينة مليلية ولم يحل بين اقتراحها وبين قتلهم الا عندمـــا علمت أن زوجهـــا أسيرا، وانها ان أقدمت على قتل المغاربة، قد يدعو ذلك الى قتل زوجهـــا الاسير، أخذا للثأر، فكفت عن مطلبهـــا .

مصاعـب داخليـة نجمت عن الانتصـار

أولا : ان ابن عبد الكريم بعد معركة ابران ونقل مركز الجهاد الى «امزاورو» أصدر قرارا يقضى بجمع السلاح الذى يغنم فى المعارك ليكون ملكا للثورة، وكذلك الذخيرة، والدواب، وجهازات التليفون، مقابل قيمة حددت فى 20 ريالا اسبانيا (الريال = 50 سنتيم) للبندقية (الموزير قصيرة أو طويلة) 15 للبغل و20 للفرس، ولكن عندما بدأ المجاهدون تنفيذ القرار وقع التساهل من حيث الاداء وقد يكون لهذا التساهل ما يبرره، نظرا لفقدان الاطر بالمرة، لان المرحلة مرحلة قتال، لا خبرة للمقاتلـين الا وضع الاصبع على الزناد، وكان يمكن الاغضاء عن جمع السلاح الى ما بعد انتهاء العمليات الكبرى وهى عمليات تطهير الارض، وبالاخص ان أمانى مكبوتة عند المحاربين كانت حافزا قويا على الاستبسال وهـو الاحراز على غنيمة الخماسية، ذات الخزان من نوع جيد، ينباهى بهـا عندما تقاس ماسورتها بالرصاص الى أين يصـل، علامة على جدتهـا أو رداءتها، ولاكن ميلاد تنظيم الثورة يقتضى توفير السلاح لديها .

وكان يمكن السماح لكل محارب أن يحرز واحدة من هذا النوع، ويصادر الباقى، وللاستدلال على ذلك أسوق هنا حادثة رواها لى شعيب ابالى، وهو من المجاهدين الذين قاتلوا باستبسال قال ان القائد حدو بن موح أمزيان كان رئيس جماعة من المجاهدين فى دار عبد القادر بن الحاج الطيب حرمه من غنيمة بندقية تمشيا مع تعليمات جمع السلاح فغضب، ورجع الى داره، وترك الجهـاد .

ثانيا : عندما استسلمت قوة جبل أعرويت، عمد بعض المجاهدين للاجهاز على بعض الجرحى من الاعداء، الامر الذى أقام ابن عبد الكريم وأقعده، كما مر، واستحث السير من «ماورو» الى أن وصل الى تنوت الرمان، فأصدر قرارا يقضى بأن كل من ثبت عليـه أنه أجهـز على الجرحى يعاقب عقابا صارما، وفعلا اتهم بعض المجاهدين، فلما قدمـوا



الجنرال نفارو الذى وقع أسيرا فى معركة
عرويت مع الصحفى الاسبانى لويس.

اليه، تقدم اليه أحدهم قائلا ان جنديا كان سالما، الا أنه لما بغته الامر امتد بوسط الجرحى والموتى، ولما مر عليه أحد المجاهدين، تحرك وأخذ البندقية فصوبها الى المجاهد الذى ادار اليه ظهره، ولما رأيت ذلك عاجلته باطـلاق النار عليـه .

وتقدم اليه آخر ان جريحا جر نفسه الى بندقيته كانت مطروحة على خطوة أو خطوتين، فأخذها وسدد الى عندما كنت ملتفتا الى جهـة أخرى، وقد لاحظت تحركه فعاجلته، ومات، وهكذا كل من قدم اليه تقدم بعذر مقبول الا أنه لم يثق ببعض الحالات فادين مرتكبوها، وقد استاء بعض المجاهدين الذين يعتبرون مخضرمين من المؤلفة قلوبهم من القبائل التى جاءت مع السيل، ولم يستقر اخلاصها بعـد .

وقد يبدو من أول وهلة أن التدبير الوقـائى الذى اتخـذه ابن عبد الكريم هو سليم داخل فى اختصاصاته، من حفظ سمعة الثورة الوطنية، من كل ما يشينها أمام الرأى العام العالمى، وان لكل معضلة حلا داخـل اطار حفظ التوازن بين المصالح والمضار، ولا يتنافى وما يجب عمله لاجل رفع معنوياتهم القتالية، وبالاخص أن العدو لم ينقرض بعد، وقد تكون مليلية هى الحصن المنيع الذى حشر فيها كل قواته، التى تلقت نجـدات من الضفة الاخرى للبحر الابيض المتوسط .

ثالثا : عندما وقف المجاهدون عند أبواب مليلية مكتوفى الايدى، شرع ابن عبد الكريم فى تنظيم القبائل التى انجلى عنها الجيش الاسبانى، والتى كان زعماؤها ممن جروا جحافيل المتطوعين الذى دعيت «بحركـة ميكا» استهزاءا بها، وغنت بها بنات القبائـل فى أهازيجها، وقد حـاول أن يختار من رؤساء القبائل من كانت له غيرة على الجهاد، فجمعهـم وطلب منهم أن يتساوروا فيما بينهم لتقديم من يرونه صالحا وضرب لهم مدة أسبوع، كميعاد لموافاته بالنتائج وقد حدثت فى سبيل هذا التدبير مشاحنات بين العشائر مما خلفت بعض الاثر فى معنويات المجاهدين الجدد.

ورغم ان تدبيره قد يكون مستوحى من الديموقراطية التى مـا فتىء ينادى بها، الا أن الظرف كان ظرف حرب، يجب الاخذ بالاحوط فيها، من تعيين الاشخاص تعيينا مزودين بصلاحيات تؤهلهم لحفظ الاستقرار.

رابعا : ساهمت الاقدار فى خلق المصاعب اذ أصابه مرض اضطره الى أن يغادر الجبهة الى مسقط رأسه بأجدير، وأمر بنقل مركز المجاهدين الى الناضور، حيث أمر عليهم الفقيه ابن على بولحيا، وهو من فقهاء قبيلة بنى توزين، ورغم اخلاصه وتفانيه، الا أنه تنقصه حنكة ابن عبد الكريم كما تنقصه صفة المحارب المغاور، ليكون قدوة للآخرين، الذين يرون فيه الكفاءة القتالية، التى هى شرط أساسى ليقتنعوا بجدارته للرياسة عليهم من ناحية البطولة، وبالخصوص فان الشقة الآن أصبحت متباعدة بين المراكز الامامى فى الناضور، والقيادة الفعلية فى أجدير ببنى ورياغل، فالامر يختلف عنه لما كان المركز بتمسامان .

خامسا : وعندما وصل الى أجدير وشفى من مرضه بعد أسبوعين توافدت عليه وفود قبائل غمارة، كما توافدت عليه قبائل ورغة وقد هيجتها أخبار الانتصارات المهولة، فجاء أعيان ورؤساء قبائلها تحبو متسابقة مع الزمان، وقد ضربوا كلهم على وتيرة واحدة، فطلب رجال غمارة بعث أخيه السيد امحمد الخطابى لترتيب قبائلهم وتنظيم صفوفهم، فلبى دعوتهم، ولم يكن فى امكانه غير الاذعان، ولما كان الامر يتعلق بصنوه فانه يلزمه أن تصحبه نخبة من مجاهدى الريف، وفعلا جهزه بلفيف منهم وبالضرورة، فان اختزال المجاهدين لا يكون الا على حساب المركز الامامى لمليلية، كما دعاه رجال قبائل ورغة للقيام بنفسه برحلة الى مرنيسة وبنى ويلد، من قبائل ورغة، الامر الذى اصطدم فيه مع عمر بن احميدو المرنيسى، وكان عليه أن يستجيب للمطلبين لرفع معنوياتهم .

سادسا : من المقارنة بين التعزيزات الاسبانية والمجهود الريفى حول مليلية، المنخفض قد لا يكون التفسير لذلك الا ما يكمن فى محاولة شغل العدو فى الجبهة الشمالية الغربية بتنظيم قبائل غمارة، للمساهمة فى المجهود المشترك للثورة، التى يجب أن تندلع فى كل مكان من الشمال، ولكن العدو لم يحفل لهذه العملية التى لم يكن قد وضع أقدامه بعد على تراب قبائل غمارة، وانما اكتفى بتركيز حاميات على الجوانب الحساسة لمعارك جبالة، فقد حصن معسكر «وادلو» واقام حامية بقاع اسرع التى تبعد عن وادلو بحوالى 7 كلم .

ونترك الآن الكلام على التنظيمات التى قام بها الامير الصغير المبعـوث الى هـذه الجهـة وما نشأ عنهـا مـن الاصطدامـات مـع العدو وتمرد بعض قبائل غمارة على التنظيم الذى قام به هناك، وعلى رحلة ابن عبد الكريم الى قبائل ورغـة، لنتم الكلام على التعزيـزات الاسبانيـة الى مليليـة .

وقد سبق أن أشرنا الى أن الجيش الاسبانى الذى كان يكتسح قبائل جبالة قاصدا مركز الريسـونى بتزروت، وصـل الى خميس بنى عروص، ولم يبق لاحتلال تزروت الا حوالى 6 كلم، بينما الريسونى لجأ الى ادغال جبل بوهاشم، ولم يفك الحصار المضروب على المجاهديـن فى بوهاشم الا وصول نبأ هزائم انوال، فقرر الرجوع (بالجيش) الى المراكز الحلفية،بينما طار الجنرال برينكير الى الريف، وكان من الجيوش التى تعمل فى نواحى تطوان فرقة (اللفيف الاجنبى) تحت امرة المقدم ميلان ستريبى ويوجد على الكتيبة الاولى منها الكمندان فرانسيسكو فرانكو، فقرر على ضوء احداث الجبهة الشرقية التى وصلت خطوطها الامامية الى أبـواب مليلية، ان يعمل على انقاذها عوضا عن الجلاء عليها، فأمر بتهييىء فرقة «التريسيو ـ اللفيف الاجنبى» التى تضم 8 آلاف جندى للرحيل الـى مليلية، على وجه الكتمان حتى عن الجنود أنفسهم، الذين قطعوا مسافة ما بين تطوان الى سبتة فى 24 ساعة، وهى سرعة متناهية حسب اعراف تنقلات الجيش بمعداته الحربية، التى تستلزم حسب تقديرات القـادة العسكريين مالا يقل عن 72 ساعة ولم يكن من الذين يرأسون الكتائب على علم أين يتوجهون الا رئيس الكتيبة الاولى الذى توصل باشعار مقتضب من المقدم ميلان استريبى فى برقيـة جاء فيها: «ان مليليـة على وشـك السقوط لم يبق شىء البتة فقد هزم جيش سلفسترى، وأصبحت المدينـة بدون دفـاع، وفقد الناس صوابهـم» .

وقد فوجىء الجنود حينما وجدوا أنفسهم ينزلون بميناء مليلية تحت ستار من الكتمـان والحـذر .

وهكذا استمرت الامدادات العسكرية تصل من اسبانيا الى مليلية، حتى بلغت فى أواخر غشت 1922 الى ستة وثلاثين ألف جندى، وقد تمكنت

هذه القوة فى منتصف شهر شتنبر 1922 ان تتدفع من مليلية يقودهـا المقدم ميلان استرييى المذكور صوب الناضور التى أجلى عليها المجاهدون بعد معارك أسفرت عن قتل وجرح 61 ضابطا بينهم المقدم ميلان استرييى نفسه، وفى أوائل اكتوبر اجتازت تلك الجنـود مدينة الناضور يقودهـا انكمندار فرانكو متجهة الى جبل «اعرويت» عن طريق وادى سلوان الذى سماه «طريق الالآم» نظرا لما ازدحم به من جثث قتلى الجيش الاسبانى المتعفنـة .

سابعـا : ولما علم ابن عبد الكريم باستعداد العدو للزحف مرة أخرى على قبائل الناضور، خف الى الخطـوط الامامية فعسكر بقـوة المجاهدين فى معسكر «أزروهمار» بقبيلة قلعية، وعندما خرجت قـوة «التريسيو» من الناضور، اصطدمت بقوة المجاهدين بسهول الفيض فيما بين الناضور، واسغنغان، وقد عمد العدو الى أن يقدم فى صفوفه صفـا من البهائم شد على رؤوسها صفائح من حديد تعمية على المجاهدين ليظنوا أنها وسائل دمار جديدة، وقد خرج من ورائها بقوة كثيفة، ورغم ثبات المجاهدين فانه تكاثر عليهم ولم تجدهم .

حكى لى السيد مرزوق (1) بن عمر من شرفاء زاوية سيـدى عيسى ومن الشجعان المغاور شارك فى هذه المعركة، كما شارك فى عـدة معارك أخرى سيأتى الكلام عنها، (لازال حيا الى الآن) أنه كان ممن حضر المعركة وكان معه عمه موح أمزيان، وكلاهما كان سلاحهما رديئـا أى بوحفورة، الا أن مجاهـدا من بنى بوعياش (قرية امنوذ) كان معهمـا وهو مسلح ببندقية الخماسية، وهى جيدة، ومعه دخـيرة فى «اقراب» مالقة وهى محفظة القرطاس، ولما رأينا العدو فى تلك الكثافة وسلاحى وعمى لا يغنى شيئـا، قلنا للبوعياشى هيا بنا نبتعد الى جهة أخـرى نتحصن فيها، فأجابنا بتؤدة ورزانة قائلا: اصبروا ترواء فصبرنا، أمـا هو فقد صب الذخيرة على الارض وجعل يضرب بكل طلقة جندى صريع الى ان كاد ان يأتى على الذخيرة، فقال الآن هلموا، انتقلوا لان العـدو

---

(1) شاهـد عيـان .

لم يفت فيه كثرة القتلى، بل لا يبالى فكل من سقط حمل حالا، والآخرون يقاتلون، وقد استمر القتال من الفجر الى أن أرخى الظلام سدوله، حيث تعذرت الرؤية، وتعد هذه المعركة كارثة على المجاهدين، فقد انسحبوا تحت جناح الظلام الى حيث يوجد ابن عبد الكريم (وكان يدعى الى ذلك الوقت الفقيه) بأزروهمار، أما العدو فقد وصل الى اسغنغان، كما تقدم لاحتلال اعرويت .

ثامنا : وقد زاد فى محنة المجاهدين، أن بعض الغوغاء ممن كانوا يرتادون مليلية قبل الهزائم جعلوا يهمسون فيما بينهم حول وجود المجاهدين الذين هم من قبائل بعيدة كبنى ورياغل، وبنى سعيد، وتمسامان، وبنى توزين وبنى وليشك، وهم ديارهم بعيدة عن النار، حيث يوجد ذووهم وأموالهم فى مأمن، أما هم، فان المعارك ستجرى على أديم أرضهم، وعلى انقاض ديارهم .

وبدا فعلا أنهم كانوا يحنون الى عهدهم مع الجيش الاسبانى، وفعلا ففى صباح اليوم التالى بينما ابن عبد الكريم يتدابر الحالة مع المجاهدين الذين يقدر عددهم بنحو الف، فاذا بجماعة منهم ممتطين صهوة خيولهم، يقفون فى دائرة خلف القوم موجهين الكلام اليهم قائلين، انكم يا بنى ورياغل جئتم لتوقدوا الفتنة هنا على أرضنا، والآن وقد انسحبتم أمام الجيش الزاحف، فانكم تريدون أن تتركونا للخراب وحدنا، وابن عبد الكريم يصغى من دون ان يرد عليهم، وانما نظر الى قومه ممن معه فنادى على القواد واحدا بواحد، قائلا لفلان خذ مائة من المجاهدي نواذهب بهم الى موقع فلان، وخندق هناك بقوتك وقاتلوا العدو الى الموت، ومن قام من خندقه وحاول الفرار فاقتله حينا، وأنت يافلان اذهب بمائة الى كذا، وهكذا وزع القوم على المراكز، ولما سمع أولئك الغوغاء علموا أن معنويات القوم لازالت مرتفعة، فخافوا وتفرقوا عنهم، أما ابن عبد الكريم فانه نقل مركز العمليات الحربية من أزروهمار خوف طعن المجاهدين من الخلف، وبالاخص وجود صيد ثمين يقدمونه للمصالحة مع العدو، وانتقل المجاهدون الى أن وصلوا الى قبيلة بنى سعيد ثم تقدموا الى أن عسكروا «بماورو» وهو جبل حصين طبيعيا، وجعله

ابن عبد الكريم معسكرا عاما لمدة الحروب فيما بعد الى أن انتقل الى أخشاب أمغار، أما العدو فقد واصل تقدمه الى أن احتل قلعة اعرويت التى كانت جثث القتلى فيها وفى جوانبها متراكمة بعضها فوق بعض، لم يستطع الجيش الاسبانى ان يعمل شيئا لمواراتها، فعمل فى يوم مشت قارس البرد أن يسكب عليها البترول لاحراقها، وابادة الروائح الكريهة المنبعثة من تفسخها، على قارعات الطرق اينما توجهت .

كما احتل أزروهمار، وجعله معسكرا للحملات داخل قبيلة قلعية.

وفى هذه المرحلة الحاسمة المشحونة بالاستعدادات الواسعة من قبل العدو، كانت تلك المصاعب تزيد فى اعباء المجاهدين الثقيلة، فابن عبد الكريم بعدما أمر بعدم اقتحام مليلية الذى بقى الى الآن لغزا غير مفهوم!، رغم تعليله بنفسه فى بعض أحاديثه مع زائريه من أن قتل النساء والاولاد سيصطدم العالم، بينما القضية الريفية تحتاج الى تأييد انكلترا والولايات المتحدة، كما أكد بأن الخراب والدمار ليست هى الطريقة الحربية التى يتبعها .

وقد يكون السبب الحقيقى غير ذلك لانه كان عليه أن يتخذ التدابير الكفيلة وبالأخص فان كلمته كان لها وقع الطاعة العمياء، على أن المدينة كان سيجدها المجاهدون شبه خالية من السكان المدنيين الذين هرعوا الى المراكب .

والذى يبدو أن الباعث الحقيقى هو كون المدينة محمية من البحر، وكان يخشى أن تكون مدينة مليلية مقبرة المجاهدين الذين يكونون قد انكبوا على جمع الاسلاب، فتكون النتيجة من اقتحامها عكسية، وهذا التفسير له وجه من النظر، لان المجاهدين لم يكونوا استطاعوا جر جميع المدافع التى تركت فى أيديهم فى انوال، واعرويت واغريبن الا مدفعا واحدا نصبوه على جبل «بوحرذوف» على رأس قمة تشرف على مليلية يضرب به القائد قدور أزرار من قلعية يعاونه اسبانى أسلم وحسن اسلامه، وكان عمله تحت اشراف السيد اليزيد ابن الحاج حمو من بنى ورياغل الذى تولى نظارة الداخلية فى التنظيم الثورى، على أن المدفع لم يكن ليؤدى مهمة فعالة، لان بطاريات العدو

من مليلية ومن البوارج البحرية كانت تسكته، ولم يكن له مفعول كبير، وقد استشهد الطبجى الاسلامى حيث اصابته شظايا قذيفة العدو على بطنه، فجعل يكرر الشهادة الى أن توفى رحمه الله، أما قدور أزرار فانه بعدما استولى الجيش الاسبانى قبض عليه وسجن ومات فى السجن، وتقول عائلته بأنه سم .

وقد كان المجاهدون قطعوا الطريق عن قشلتين خلفوهما من ورائهم، الاولى تدعى قشلة تمشارط والاخرى قشلة دار بونو فى بنى شيكار بالموضع المدعو تيزى الذى عسكر فيه المجاهدون تحت رياسة السيد عبد السلام البوعياشى، وقد حاول العدو الاتصال بهما فلم يفلح، فقد عمد الى ارسال التموين على ظهر دبابتين، ولكن المجاهدون اسرعوا الى حفر خنادق أمامها، فوقعت أولاهما فى الحفر وارتبك على الاخيرة، فأحاط بهما الرجال الفولاديون، وقلبوهما على ظهرهما، فى حين اشتبكوا مع الحامية التى أتت من خلفهما بالسلاح الابيض وجها لوجه، الى أن استسلمت القشلتان الا أن الذى يلاحظ أنه كان فى الامكان وان لم يقع اقتحام مليلية أنه فى وسع المجاهدين أن يحاصروها حصارا لا يترك لها مجالا للعيش فيها، وقد يضطر العدو فى هذه الحالة الى احدى الطريقتين .

أما اخلاؤها نهائيا، أو الرضوح لمفاوضة يكون الريف فى موقف القوى المنتصر الذى يكون فى استطاعته فرض شروطه .

وبالاخص أن الحصار كان يكتمل بجلب المدافع التى غنمت، وياما أكثرها لوضعها فى موضعها اللائق بها على القمم المطلة رأسا على مليلية، مع احاطتها — أى مليلية — بالرجال الاشداء، على أن يتسلل الانتحاريون منهم ليلا لاحداث الرعب فى ثكنات العدو، حيث لا يعوزهم مثل هذه التسللات التى يحذقونها .

واذا تذكرنا أن العدو كان محاصرا طيلة ثلاثة قرون خلت بدون المعدات الثقيلة فانه لا ينكر فعالية هذا التدبير وهو ضرورى ومنتظر .

تنظيــم مختلــف مرافق الثــورة
تنظيما يتلاءم ومهــام الثــورة

التنظيم الثورى وتذليل المصاعب الداخليـــة :

عندما وصل العدو الى قلعة «ازروهمار» وقلعة «أعرويت» وعلم ابن عبد الكريم بالتعزيزات التى يمد بها الجيش الاسبانى، فكر هو من جهته أن يعزز المجاهدين بوحدات قتالية منتظمة وقارة، بحيث تعتمد على تنظيم مستمر، وبكيفية مضبوطة حتى يضمن المحافظة على توازن القوى المتكافئة مع قوات العدو، واسقط من حسابه الاعتماد على عنصر المفاجأة والحماس التلقائى لان البوادر تدل على أن الحرب ستطول وتتطور، فتلد العجائب فى ميدان الصراع، وهكذا عمد طيلة السنة التى جمد القتـــال فيها الى تنظيم الاهالى تنظيما عصريا، يتلاءم والمسؤولية التاريخيـــة الجسيمة التى تحملها، بحيث أصبح كل شخص بلغ سن 20 وما دون 60 سنة، يعد من المحاربين بالتناوب، واذا دعى داعى النفير العـــام، فالجميع يلبى داعى الجهاد، ولو لم يكن فى حالة التناوب، وكان التنظيم حســب التالـــى :

قائد الطابور تحت امرتـــه 300 مقاتلا .
يساعده قواد ثلاثة كل قائد على رأس 100 مقاتـــل .
وكل قائد مائة يساعده قائدان على رأس كل خمسين مقاتلا .
وكل قائد خمسين يساعده قائدان على رأس كل 25 مقاتلا .
وكل قائد 25 يساعده قائدان أحدهما على رأس 12 والآخـــر على رأس 13 مقاتـــلا .

وهكذا ضبطت الوحدات القتالية فى اللوائح التى تخص كـــل واحدة، بينما يكون قائد الطابور مسؤولا أمام المكلف بالدفاع، وأعدت فى كل قرية ساحة وسطها يتمرن فيها أولئك الذين لم يكونوا ذهبوا الـــى خطوط القتـــال .

وقد كانت التمرينات على الخطوط الرتيبة فى صفين اثنين تحت

نغمات صوت المدرب: (واحد جج واحد جوج) يحدث شعورا بالواجب في غاية الارتفاع .

وكم كان لنا شعور نحن التلاميذ الصغار الذين لم نبلغ مبلغ التةنيئات الحربية، حينما ننتظم في صفوف تخطو تلك الخطوات الوئيدة، تحت صياح منظم صفوفنا، فقد كان شعر رأسنا يوشك أن يطير من منبته للموقف الرهيب، الذي يحدثه دوى الساحة .

وعلى كل فانه رغم هذا التنظيم المبتكر الذي يعتبر حكيما وسالما من الوجهة الفنية الحربية، فانه لابد من الاشارة الى العراقل الجمة التي صادفت تلك التنظيمات في بادىء الامر، وبالاخص بالنسبة للصراع على الجبهة الشرقية في هذه المرحلة، وذلك بالنسبة لتسابق الامدادات من اسبانيا لاغاثة مليلية التي أشرفت على الهاوية .

أ) منها ان التنظيمات بدأت في قبائل الريف الاوسط (الحسيمة الآن)، وتحتاج الى وقت لتعميمها الى جهة قبائل الجبهة الشرقية .

ب) ان خطوط القتال حول مليلية أبعدت المسافة بين الريف الاوسط وبينها، فعلى المحاربين الذين يحل دورهم في الذهاب الى الجبهة، أن يقطعوا مسافة لا تقل عن 130 كلم راجلين، لكي يأخذوا مقعد اخوانهم الذين عليهم أن يعودوا عبر نفس المسافة، وهي حالة بمقتضى الدوام عليها مضنية .

ج) ان القبائل التي أجلى عنها الجيش الاسباني لم تكن بلغ حماسها المبلغ اللائق، لانها كانت استكانت الى جيش الاحتلال، فربطوا معه صلات المعاملات التي تدر عليهم أرباحا، وفرت عليهم رغد العيش، بينما في ظل المجاهدين يجب أن يتحملوا أعباء تموينهم، وتوفير السكن، مع شظف العيش الذي يصحب ذلك الفتح، الذي لا يحمل بين طياته الا مزايا معنوية عاجلة أو آجلة، فالعاجلة ما يمكن أن يتمتعوا به من الاعتزاز بالحرية الوطنية وما شاكلها، وآجلة ما يرجوه من ثواب الله جزاء الجهاد ولهذه الاعتبارات، فان على المقاتلين الغرباء عن القبائل، أن يأخذوا حذرهم من طعنة الخلف التي ربما يسددها أحد من أولئك الذين آثروا أطماعهم على شرف دينهم ووطنهم .

ويوجد هذا العامل من العناصر القوية التى استلزمت حذر المجاهدين، لانه عندما كانت هذه القبائل محتلة كان يسهل على المجاهدين يجابهوها مثل الاعداء سوية، ولكن الآن أصبح أهلها فى عداد المجاهدين لا يجوز من الاحوال تمييزهم من غيرهم، فلهم ما لهم وعليه ما عليهم، ولكن اذا كانت النفس المنطوية على شر فيصعب تمييزها .

وقد كشفت الاحداث فيما بعد، أن تخوفات المجاهدين من استعمال العدو بعض الاشخاص ذوى النفوس المريضة كانت فى محلها، وللاستدلال على ذلك، نأتى هنا بحادثتين اثنتين رويتهما عن مصادر متعددة، وهى شهود عيان ومن جملتهم والدى الذى كان رفيق ابن عبد الكريم عند الحادثتين .

ذلك أنه بعد ما عكف ابن عبد الكريم فى أجدير على تنظيم الوحدات القتالية، وعلى توزيع المسؤوليات على مستوى مجلس الثورة .

قام برحلة تفقدية الى الخطوط الحربية، على الجبهات الشرقية، وكانت هذه الخطوط تمتد على طول حدود قبيلة قلعية المتآخمة لقبيلة بنى سعيد، وبنى وليشك، ودار الدرويش وجزء من قبيلة بويحيى، لان جيش العدو كان استعاد مواقع قلعية كلها وكذلك دار الدرويوش .

وبعدما وقف ابن عبد الكريم على الاستعدادات القتالية للمجاهدين وعزز كل مركز بالرجال والعتاد، رجع الى مركز مورو فى بنى سعيد، وهناك فى قرية حط الرحال للمبيت فى دار رجل من نفس القبيلة ويقال أن شخصين من رجال بنى سعيد الذين لهم علاقة وطيدة مع الجيش الاسبانى وتمتعوا فى عهد الحماية بنفوذ شخصى، دبرا ليلة مصيدة لابن عبد الكريم ورجاله الذين يسيرون فى ركابه، وكانوا حوالى 50 شخصا أغلبهم من زعماء بنى ورياغل، فاتفق مع رب الدار الذى استضافهم على أن يباغتهم الجيش الاسبانى ليلا، عندما يكونون قد اخلدوا الى الراحة، واوصى رب الدار أن يبدى كل ما يطمنهم من كرم الضيافة وحسن الاستقبال، وان لا يغيب عنهم طرفة عين، ولكن كان من الالطاف الالهية، أن جاءت النجدة من حيث لا يشعرون، فقد جاء رجل آخر من نفس القرية، وكان أطلع على المؤامرة فأخبر ابن عبد الكريم بما يدبر ضدهم،

وكان أصحابه مفترقين على دور القرية، فأوعز الى حراسه لاعلامهم ودعوتهم حالا للاستعداد ثم أمر بالرحيل الى جهة أخرى، مبقيا على رب الدار معهم كى لا يبلغ انتقالهم الى العدو، فيأخذ حذره، وفى الحال نصب المجاهدون كمينا مضادا، حتى اذا وصل الوقت المحدد للعملية وهرع العدو الى الاستيلاء على القرية، كانت العاقبة غير ما توقع، فوقع فى الكمين، أما الشخصان المتواطئان فقد انحازا معا الى المواقع المحتلة، وهيئا هجوما على موقع دار الكبدانى حيث مسكنهما، ورغم ذلك فان ابن عبد الكريم لم يمس الشخص المستخدم لهذا الغرض الدنىء باذى، بل أطلقه وأوصاه بأن لا ينخدع مرة أخرى لاغراض العملاء، الذين باعوا ضميرهم ودينهم، قائلا له انهم اذا ضحوا به فانهم لا يعبئون، وليس لهم وازع يردعهم، كما أن الجيش الاسبانى لا يخسر شيئا، مادام انه استخدم بعضنا ضد بعض، وأخذ عليه العهد بأن لا ينخدع مرة أخرى، وانه يرجع بقلبه الخالص الى حظيرة المجاهدين فأقسم على ذلك، وأصبح بعد ذلك من المجاهدين المشهود لهم بالاخلاص والنجدة .

أما الحادثة الثانية فقد وقعت عندما كان ابن عبد الكريم مع أصحابه ذاهبا الى سوق سبت بنى وليشك وكان الركب يمتد صفا واحدا عبر الطريق المؤدى الى السوق، وكان ابن عبد الكريم وسط الركب اذ لاحظ شخصا وسط جموع الذين جاءوا الى السوق، فأمر باستدعاء الشخص اليه، ولما مثل أمامه، أمر أحد الحراس بتفتيش محفظته المعلقة الى كتفه (اقراب)، فوقع العثور داخلها على ورقة من مكتب الاستخبارات الاسبانية بمليلية ترخص للشخص أن يدخل ويخرج من مليلية متى شاء، واوصى الجنود بتسهيل مروره، فدل هذا على أن الجواسيس من أهل البلد منبثون فى صفوف المجاهدين وفى القرى والاسواق، حيث يلتقطون الاخبار، وقد يستعملهم للاغتيالات وغيرها، ولذا فان رجال قبائل الريف الاوسط، ونعنى به بنى ورياغل وتمسامان، وبقيوة، وبنى عمرت، وبنى يطفت، وبنى بويفرح، وتركيست وبنى توزين وغيرها، من حقهم أن يكونوا على حذر من أولئك الذين تجرى العمليات العسكرية على اديم أرضهم، واذا كانوا على حذر فان حرية العمليات تكون مكبوتة، وهو أمر يحط من معنويات المقاتلين .

أما الثالثة فقد كادت أن تكون قاصمة ظهر الثورة لولا الأناة التى يتجلى بها الامير ويظهران ذلك هو الذى دعاه الى التعجيل بالغياب عن حصار مليلية الى أجدير، لان بعض رؤوس الفتنة قد ذرت قرونها فى بنى ورياغل، حيث حن أصدقاء جزيرة الحسيمة الى عهدهم القديم، وكان من جملتهم المدعو شعيب بن الحاج تهامى الدردوشى، وهو من عشيرة المرابطين، وكان ذا جاهلية وعنجهية، فقد أرسل هذا أخاه الحاج حمو الى عمر بن احميدو المرنيسى، الذى كان موقفه ظاهر العداء للثورة .

ذلك أنه نظرا لكون قبائل بنى عمرت ومرنيسة من القبائل التى لها شأن يذكر فى ميادين البطولة، فان ابن عبد الكريم أراد أن يشد بها أزر الجهاد، فقام برحلة الى بنى عمرت ونظم شؤونها، ثم رحل الى مرنيسة، وكان زعيمها القوى عمر بن احميدو، فقصده بجموعه الى داره، وقد استضافهم وأنزل ابن عبد الكريم وعلية قومه فى الطابق العلوى من داره مضمرا الشر وحاول أن يضع ديناميتا فى الطابق السفلى، لينفجر فتذهب ريحهم، ولكن أخاه عبد السلام ابى عليه ذلك، لانه يخالف شهامة الضيافة، فما كان من عمر بن احميدو الا أن أظهر فى المفاوضة لينا، أعقبها اتفاق على جمع كلمة القبيلة تحت رياسته، لاجل أن تنضم الى الثورة، وقد بدا الانشراح على ابن عبد الكريم وصحبه، وفى الصباح الباكر تقدموا الى الامام الى قبائل نهر ورغة لجمعهم على الكلمة المتحدة، وقد كان عبد المالك الجزائرى نازلا فى سيدى على بنداود، بمرنيسة، ولما رحل القوم اتصل بعمر ابن حميدو واقترح عليه اعتراضهم عند الرجوع للفتك بهم، وكان عبد المالك هذا يعمل بوحى من الاقامة العامة بتطوان .

وقد تفطن للمؤامرة أحد زعماء مرنيسة وهو السيد عبد السلام الیدری، فجاء الى ابن عبد الكريم، واعلمه فجمع ابن عبد الكريم قومه وتنكبوا الطريق الذى ذهبوا عبره ولما وصلوا الى قرية عمر ابن حميدو وجده قد حصن داره بوضع تسع بندقيات نوع تساعية من صنع (فرنسيس) سلح بها رجاله، فكانت داره كخلية الزنابير، لا يقدر أحد أن يقترب منها، وكان الرصاص يلعلع من أعلى داره يصك الآذان، فلم يستطع أحد أن ينال

منه منالا، واستمرت المناوشات ثلاثة أيام مات اثناءها من رجال عبد الكريم الحاج الراضى الزفرانى وهو شهم فى الحروب، وقبل بدء القتال مع عمر بن احمدو كان ـ أى الحاج الراضى ـ أجرى مع ابن عبد الكريم حوارا مرا، اذ ضرب على وتيرة هى فى الواقع تفحم الخصم، فقد قال له، لما كنت تأمرنا بقتال الكفار كنا عرفنا صدقك، أما أن تأمرنا بقتال المسلمين فهذا لا يمكن تصديقه، فأجابه ابن عبد الكريم بلباقة مقنعة اذ قال، ان هذا أشد ظلما من الكفار، فقد انحاز اليهم، وهو مسلم، فقتاله واجب، فاذعن الحاج الراضى وذهب توا للقتال، وكذلك مات هناك احمد ابن شعيب بن عزوز أيضا، واثنان آخران، وقد بقيت جثثهم بين الخطين لم يقدر رجال ابن عبد الكريم ان يقتربوا لحملها، لشدة الرماية، فتركوا هناك لمدة ثلاثة أيام، لم يأذن لهم لاخذهم الا بعد ان جاء كل من السيد احميدو الوزانى والسيد التباع أخ سيدى محمد أمزيان، القلعى، فحملوها، وعندئذ رجع الجميع الى الريف تاركين عمر بن احميدو فى حصنه بمرنيسة.

وقد حدث عقب ذلك حادثان هامان كانا نذير شؤم لو لم يعالجهما بحنكة معهودة .

أ) انه دعى الى عقد مؤتمر فى زاوية من زوايا عشيرة المرابطين، لاجل الاستماع الى آرائهم حول القضايا الدموية، التى جرت نتيجة لخيانة بعض رجالها، وحول الغرض من بعث الحاج حمو بن الحاج تهامى الى عمر بن احميدو المرنيسى، وقد كان شعيب بن الحاج تهامى عالما بنوايا ابن عبد الكريم، وخاف أن يوخذ على غرة، فاستعد للقيام بحشر حوالى 50 رجلا، مدججين بالسلاح تاركهم بعيدين عن محل الاجتماع، بقدر 20 ياردة، حتى اذا وقعت محاولة مسه بمكروه قاموا برد الفعل حينا، وقد حضر الى المؤتمر جميع زعماء بنى ورياغل وبقيوة وبنى عمرت وتركيست الذين استمعوا الى جدال عنيف بين ابن عبد الكريم وشعيب بن الحاج تهامى، فقد قال الاول للثانى أين أخوك الحاج حمو، فرد عليه الثانى أين أنت أخوك محمد ـ وكان ذهب مبعوثا الى فرنسا حسبما يأتى ـ ولما ظهر عنف رد الثانى، فان أحد زعماء عشيرة بنى عبد الله، وهو موح ابن عمر أبا محمد اشعر ابن عبد الكريم بطرف خفى، وأشار الى جماعة

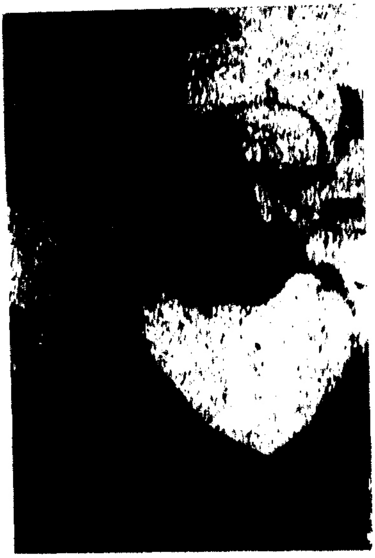
شعيب بن تهامى التى سددت مأسورات بنادقها الى جهة المؤتمر، فأمسك ابن عبد الكريم عن الكلام، ولم يستطع أن يزيد، ولو كلمة واحدة، وانفض المجلس، حتى اذا مرت أيام اوعز الى بعض زعماء بنى ورياغل للذهـاب اليه والاتيان به، وقد وثق بهم فجيىء به الى المجاهدين بشاطىء الحسيمة.

ب) أما الحادث الثانى فيتمثل فى اغتيال السيد احمد بورجلـة وقد كان شخص من قرية تيجرت من عائلة موح بن المرابط على، قتل أثناء هجوم بنى ورياغل على دار السيد احمد بورجلة، فى قضية اتهام القبيلة اياه بالاتصال، صحبة الحاج محمد شدى بجزيرة الحسيمة، وقد تقدم ذلك.

ففى ذات يوم من أيام وجود ابن عبد الكريم فى «أبو دينـر» بتمسامان نصب سلام بن حدو المرابط على كمينا للسيد احمد بورجلـة فأرداه قتيلا، وهرب الى السوانى حيث دخل دار السى محمد ونظرا الى ان ابن عبد الكريم قد جعل حدا باليمين للضغائن الدموية، فان القائد أحديدن على رأس جماعة طافوا بالدار التى التجأ اليها وحاصروه، فما كان منه الا أن تصدى لهم بالرصاص، فتبودلت معه النار فأصيب بجروح بيده، فأخذ وقتل هناك من دون محاكمة وقد راجت اشاعات تقول بأن اغتيال السيد احمد بورجلة كان بوحى من ابن عبد الكريم.

والواقع أن التهمة غير صحيحة، فان الذى تواتر ان وراء اغتياله جماعة من زعماء المرابطين وهم حمادى بن الحاج سعيد الذى كان تـزوج أرملة ولده عبد السلام بورجلـة، والسيد عمر الهشامى وكان ينافـس السيد احمد بورجلة، وموح بن السى شعيب أقيعان وكان يعيش معـه، وقد تبين أن هذا الاخير كان مع السيد احمد بورجلة يوم اغتياله فى ازغار، حيث كان يستخرج الشعير من مطمورة له هناك، وقد استغفله وخفف من ابرة زناد بندقية بورجلة، فلما عاين الكمين عمد الى بندقيته ليسبقه، وكان راميا ممتازا، وشجاعا صنديدا، فأوقد الزناد أولا وثانيا وثالثا، فلم يحصل على نتيجة، وكان خصمه قد أرداه قتيـلا.

وكان ابن عبد الكريم فى ذلك الحين فى بودينار من تمسامان، فلما علم بالحادثة اقامته وأقعدته، وجاء الى السوانى ووجه السيد أحديـدان على رأس 14 رجلا لاخذ القاتل.



Si Muhand Uzarqan of Ajdir, Aith Yusif w-'Ari, the former foreign minister of 'Abd al-Krim; photograph taken in Tangier, 1960

Waryaghar in general. Although there are minor discrepancies in the sources,[20] the offices and their incumbents may be listed as follows:

1. *Khalifa* to 'Abd al-Krim and Commander of the Rifian Army in the West (with headquarters at Targist): his younger brother Si Mhammad.
2. Minister of Finance (*wazir al-maliya*): his paternal uncle Si 'Abdssram r-Khattabi.
3. Minister of Foreign Affairs (*wazir al-kharijiya*): his wife's brother or sister's husband, Si Muhand n-Muhand Azarqan, also from Ajdir (nicknamed, in Spanish, both *Pajarito*, "Little Bird," and *Punto*, "Cigarette Butt"—for the Spaniards said that as a boy he used to pick up and smoke discarded cigarette ends). He died in Tangier in 1969.
4. Minister of War (*wazir al-harb*): three incumbents: (a) Muhammadi n-Si Muhammad bil-'Ali l-Hatimi of Aith Qamra; (b) 'Abdssram nj-Hajj Muhand of ar-Rabda in the Aith 'Adhiya subclan of the Aith Bu 'Ayyash; and after his defection to the Spanish in mid-1923,[21] (c) Hmid Budra, from Ikattshumen in the Aith Yusif w-'Ari. Later, under the Spanish administration which had once jailed him, he became *qaid*, first, of the Uta *qaidate* in Waryagharland, and in 1953 of the *qaidate* of the Nkur. He died in 1966. A post was also created for an assistant Minister of War, and this was filled by Muh n-Bu Rqjar, of Tifarwin in the "true" Aith Bu 'Ayyash.
5. Minister of Interior (*wazir ad-dakhiliya*): three incumbents: (a) Haddu n-Si Ziyyan r-Khattabi of Ajdir; upon his death, (b) Shaik l-Yazid nj-Hajj Hammu of Tafrasth in the Imhawren subclan of the Aith 'Ari; and upon his death, late in the war, (c) Si Muhammad n-Si 'Abdssram r-Khattabi of Ajdir, the son of (2) above and a very young cousin of 'Abd al-Krim.
6. Minister of Justice (*wazir al-'adliya*): four incumbents: (a) the Qadi sh-Shims, from the Aith Bu 'Ayyash; (b) the Fqir ash-Shargi t-Tuzani from the Axt Tuzin; upon his death, (c) Muhand n-'Amar 'Abdallah t-Timsamani from the Thimsaman; and finally (d) the Fqih Muhammad n-'Ari Bur-Hiyan (or Bu Lihya, "bearded"), from the Axt Tsafth clan in the Axt Tuzin (he died in Safi in 1942).
7. Minister of Property (*wazir al-amlak*): two incumbents: (a) Hajj Aghyayar "Rubio," from the Aith Waryaghar, but clan unidentified; and upon his death, (b) Hajj Hmid Shiddi, of Lower Ikattshumen in the Aith Yusif w-'Ari.
8. Inspector of Marine: two incumbents: (a) "Severa" of the Ibuqquyen; and upon his defection to the Spaniards, (b) Haddu w-'Ari nj-M'addjim of Ajdir.
9. Chief *Qadi* (*qadi qudat*): Muhammad n-Salah from the Thimsaman.
10. Chief Tax Collector: Si 'Amar n-Si Muhammadi l-Kammuni from the Imrabdhen.
11. *Nadir* of *Habus* Property: Si Hmid Ugarrudh from the Imrabdhen.
12. Chief Paymaster (*mutasarrif*): Si Muhammad Bu

[20]Our list comes from three general sources of information: 1) personal fieldnotes based on interviews, in 1953-1955, with informants who had themselves held positions of responsibility under 'Abd al-Krim; 2) unpublished and undated documentation from the files of Col. Emilio Blanco Izaga in Madrid; and 3) published materials, especially Hernández Mor, op. cit., 1926-1927, vol. III, pp. 11-24; Gen. Goded, op. cit., 1932, pp. 78-104; and a roster dated Christmas Day, 1924, which is given in Gabrielli, op. cit., 1953, pp. 41-52. There are some mistakes in this last source which my informants in the field were careful to rectify.

[21]This infuriated 'Abd al-Krim who imprisoned him; but Abdssram nj-Hajj Muhand escaped and lived to become a *qaid* under the Spanish. He died about 1948. His son, Ahmad bin 'Abd al-Salam al-Bu 'Ayyashi, a *qadi* in the early 1950's and a *qaid* in the Tetuan Province after Independence, is one of the leading traditional Rifian historians; cf. his *al-Rif ba'd al-Fath al-Islami* (The Rif Since the Muslim Conquest), Tetuan: Instituto Mulay al-Hasan, 1954. As of about 1966, Bu 'Ayyashi had in preparation a second volume to his work, going up to the present day. Although we have not seen it, we have nonetheless greatly profited from numerous discussions with the author himself.

صفحة اخذت بالصورة من كتاب باللغة الانجليزية بعنوان «وايت ورياغل؛ مغاربة الريف، التاريخ والدراسة البشرية» لمؤلفه دافيد منتغومري الامريكاني. تضم الصفحة صورة سيدي محمد ازرقان المكلف بالخارجية وتبين القيادات العليا لثورة الريف، مع تعليق احدهما تحت رقم (20) لبيان المصادر الاربعة التي استقى منها معلوماته. وثانيهما تحت رقم (21)، شرح فيه من هو احد المكلفين بالدفاع السيد عبد السلام الحاج محند من الربضة بني بوعياش مع ترجمة موجزة لبلده الضعيف هذا «المؤلف».



حراس بمدخل مكـــان الاعتقـــال

وكان هذا قد قتل برصاصتين أطلقهما شعيب بن الحاج عياد وعمر بن الحاج شعيب، وقد وجد جماعة من بنى حذيفة لما سمعت باغتيال بورجلة، جاءوا تحت زعامة بوطاهر مكوح، فجادلوا ابن عبد الكريم فى قتله، ورموه بتهمة تحريضه، مما الجأه الى القسم أمامهم، بأنه لا يد له فى قتل احمد بورجلة .

فرار شراط الى تطوان :

استفحل أمر الاتهامات التى يكيلها زعماء بنى ورياغل بعضهم لبعض أثر هاتين الحادثتين اللتين كادتا أن ترجع بالقوم الى نفس الضغائن الدموية ، التى حلفوا على نبذها .

فبعد اغتيال السيد احمد بووجلة، عمد موح بن الحاج عمر البوهمى، وكان رئيسا فى مركز المجاهدين بشاطىء الحسيمة الى تحرير رسالة الى ابن عبد الكريم، الذى رجع الى بودينار بتمسامان، يطلب منه تسليم محمد شراط الذى هو أخو زوجة السيد عبد السلام بورجلة، وصديق شعيب بن الحاج تهامى لمحاكمته، وكان شراط فى بودينار أيضا، فأطلعه على الرسالة، وقد تألم ابن عبد الكريم من صيغة الرسالة التى تأمره بتسليمه، فركب فى جماعته، وذهب بشراط، ولما وصلوا الى وادى سيدى ادريس بتمسامان، استغفلهم شراط وذهب على فرسه الى جهة كزناية، ومنها الى فاس، ثم التحق بتطوان، حيث رحب به المقيم العام »منويل سلفيلا« الذى كان بصدد أن يقوم برحلة الى مليلية، للاشراف على عمليات الحرب بتفرسيت، وكان يروم من شراط ان يستعمله على رأس الحركة، التى كان يرأسها السيد ادريس الريفى، على ان يتصل شراط بالمجاهدين، ليفت فى عضدهم، وفعلا توجه الى مليلية على ظهر مركب تحرسه مدمرتان، وكان على ظهر نفس المركب الشخص المدعو حموش بن الحاج عبد الله بوعزة من أجدير، ويلقب بيلقيش، ويدعوه الاسبان بابن كريشتو، وسيأتى الكلام نقلا عن شراط نفسه عمله فى مخابرات الثورة .

وفعلا وصل المقيم صحبة شراط الى تفرسيت، وطلب من شراط ان يكتب رسالة الى قائد المجاهدين وهو الحاج محند بن السى قدور أزغاى،

فكتب كتابا وحمله لشخص يدعى الشيطان من بنى توزين، ولما وصل هذا برسالته أخذ وقدم لابن عبد الكريم وصحبه عندما وصلوا الى فرقة أيت عكى من بنى توزين، وحالا عقد مجلس محاكمته هناك فأصدر المجلس حكمه بالقتل فقتل فعلا ثمة وقد اعترض على هذا الحكم الفقيه السيد محمادى الشمس، لان قتله كان ارتجالا، وقد رد عليه ابن عبد الكريم بأن الرسالة أرسلت للتشويش على المجاهدين، لكى يتهم بعضهم بعضا، ولاجل أن يتجسس علينا، فقتله كان طبق التشريع الاسلامى من قتل العين بدون جدال، لانه لو تركناه لدخل الشك فى بعضنا، أما المقيم العام، فقد تلقى برقية من مدريد، تطلبه بالحضور اليها، وهناك لم يرجع، أما شراط فذهب الى تطوان، ثم أمر ابن عبد الكريم والده الشيخ محمد ابقوى بأن يكتب اليه ليرجع الى الريف، وفعلا رجع وبعد استنطاقه من قبل ابن عبد الكريم عن جميع مراحله التى قطعها، واعترف له بكل شىء (يقول شراط)، انه قال له ليتنى أقدر على أن أمنح لك عقلا وتفكيرا، ثم أمره بأن يذهب الى دار والده ليمكث فيها وعفى عنه .

تنظيم القيادات العليا للثورة

ونتيجة لهذه الاحداث كلها ولاجل توزيع المسؤوليات على الرجال الذين خلقوا الثورة وذلك ليخفف على عاتقه الثقل الذى يئن تحته، فقد عمد الى تنظيمات مستوى القمة على الشخصيات التى أهلها مركزها وسط القبائل أو أهلها مجهودها الحربى، فكان التنظيم حسبما ورد فى كتاب الجنرال منويل غوديد كما يلى :

الرئيس الاعلى : ابن عبد الكريم الخطابى
نائبه : أخوه امحمد الخطابى
المكلف بالمالية : عمه عبد السلام الخطابى
المكلف بالخارجية : محمد أزرقان المدعو باخارطو
المكلف بالدفاع : عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى
المكلف بالقضاء : محمد بن صالح التمسمانى
المكلف بالضرائب : عمر بن محمد

المكلف بالاحباس : احمد أكـروذ
مفتش البحريـة : حدو بن على المعلـم
المكلف بالداخلية : اليزيد بن الحاج حمـو
المتصرف : محمد بوجبـار
المكلف بالبروتوكول : حدو بـن زيـان
أمين صندوق الجيش : على بن محمد بن فطومة

وهكذا أصبحت الثورة منظمة عصريا ومجسمة فى رجال القبائل الذين ساهموا بالقسط الاوفر من كفاءتهم القتالية أو سمعتهم فى وسط عشائرهم التى يرأسونها والذين كان لهم رأى حصيف فى قضايا الساعة.

تنظيـم القبـائـل :

وعقب تأليف القيادات الثورية على مستوى القمة شرع فـى تنظيم القبائل فى وحدات عشائرية ووحدات قتالية تحت رياسة قائـد كـل قبيلـة .

فقسم بنى ورياغل حسب عشائرها الى خمسة أخماس، كمـا كانت تسمى، فوضع على فرقة بنى بوعياش قائدا وعلى فرقة المرابطين قائدا، وعلى بنى حذيفة قائدا وعلى بنى عبد الله قائدا، وعلى آيـت على وآيت يوسف وعلى قائـدا .

وقسم تمسامان الى قيادتين اثنتين، وبنى توزين الى ثـلاث قيادات ولبقيوة قيادة واحدة وبنى يطفت قيادة واحدة، وترجيسـت قيادة واحدة، وبنى عمرت قيادة واحدة، وكزناية قيادة واحدة، وبنى وليشك قيادة واحدة، ومطالسة قيادة واحدة، الى غير ذلك من القبائـل التى نظمت تنظيما عصريـا .

وقد كان لهذا التدبير اثره الفعال فى حشد القوات القتالية، التى استمرت طيلة الحرب بالتناوب الا عند هجوم العدو فى جهة من الجهات، فحينئذ يكون لزاما على كل قادر على حمل السلاح ان يهرع الى حيـث الخطر، بكل ما أمكن من السرعة، وكانت العبارة المصطلح عليها، التى ينادى بها البراح فى السوق أو الدشرة هى «على حد الصائـم» .

المحـــاكـــم :

وتنظيمات القيادة للعشائر غير تنظيمات تأسيس المحاكم، وهى عبارة على مقر الحاكم السياسى والعسكرى لكل ناحية من نواحى المنطقة المحررة، التى يرجع اليه أمر القواد الذين يعتبرون مسؤولين أمامه، فى الشؤون الحربية والسياسية والاجتماعية، وكانت هذه المحاكم مزودة بالحراس والكتاب والتلفون، وتكون مخزونا للسلاح الذى تفتقر اليه تلك الناحية، أما كلية أو فى بعض الحالات .

وهذه المحاكم هى التى تعطى الاشارات اللازمـــة لاية عمليـــة من العمليات الحربية، وهى التى تقوم بالتخطيطات الحربية التى يرجع فى كل شادة منها وفادة الى ابن عبد الكريم، أما رأسا أو بواسطة ناظـــر الدفاع، وعلى ضوء تعليماته الرسمية تؤلف الكتائب للهجوم على العدو، وقد عممت هده المحاكم فى جميع المنطقة المحـــررة .

الا أن المحاكـــم الرئيسية كانت معـــدودة، وكثيرا ما كـــان ابن عبد الكريم ينتقل بينها للمكوث فى هذه مدة، وفى الاخرى مدة، لاجـــل الاشراف على جميع العمليات الحربية والتنظيمية .

فكانت من جملة المحاكم الرئيسيـــة :

1) محكمة آيت قمرة، حيث توجد له سكنى بعائلته بعيدة عن أنظار جزيرة الحسيمة، وهى التى كـــان يقضى فيها أكبر الاوقات للتنظيـــم السيـــاسى .

2) محكمة المزمة جنوبى أجدير على الضفة الشمالية لواد غيس كانت تشرف على شواطىء الحسيمة وتراقب حركاتها، وفى الحين يعتبر المرجع المباشر لقبيلة بنى ورياغـــل.

3) محكمة اخشاب امغار بتمسامان، كان لها دور فعال فى تهيىء الجبهة الحربية الشرقية، كما كانت مرجع قبائلها، وكثيرا ما كان ابـــن عبد الكريم يقيم فيها، وعندما يغيب عنها يخلفه ناظر الدفاع، أو أحد القواد المشهود لهم بالحنكـــة الحربيـــة .

4) محكمة بنى بويفرح، وكانت مهمتها تضاهى مهمة اخشـــاب

امغار، نظرا لكونها تراقب تحركات العدو السياسية فى جزيرة بادس، كما كانت تسير عمليات الحرب فى جهة غمارة ومراقبة قبائلها، وكانت المعبر الوحيد للمقاتلين الارياف الى الجبهة الغربية، وكثيرا ما كان يحل بها السيد امحمد الخطابى ومنها نظم الهجوم على جزيـــرة بادس، وكان رئيسهـــا الدائم السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى بعدما تأخر عـــن نظارة الـــدفاع .

5) محكمة تركيست، كانت هذه أيضا من المحاكم الاساسيـــة، وبالاخص عندما نشب الخلاف مع الجيش الفرنسى، قد انتقل اليهـــا ابن عبد الكريم، ومنها كان يسير العمليـــات الحربية من الجبهة الجنوبيـــة التى كان يشرف عليها مباشرة أخوه امحمد كما سيأتى .

6) محكمة تغزوت، هذه المحكمـــة تأسست عند اجلاء الجيـــش الاسبانى عن شفشاون، ووادى لاو وتلامبوط كما سأتى، وكان يقيم بها السيد امحمد الخطابى قبل افتتاح الجبهة الجنوبية مع فرنسا، ومنهـــا باشر معركة الوطاء الحمراء من بنى حسان التى قتل فيها الجنرال سرانو وضباط آخرون كما سيـــأتى .

تنظيـــم المخابـــرات الســـريـــة :

وفى نطاق الاستعدادات الحربية التى من أهم أساليبها تنظيم المخابرات السرية المضادة لمخابرات العدو، فان ابن عبد الكريم نظمهـــا تنظيما دقيقا، بحيث كان جل تحركات العدو تصل اليه عن طريق المخبرين الدين يضربون فى طول الجهات المحتلة من الاسبان، أو الفرنسيين وعرضها، وكان بفضلها تصل اليه الجرائد المختلفة النزعـــات .

وقد لعب حموش بـــن الحاج عبد الله بوعـــزة المدعو بلقيش، المار ذكـــره وهـــو من أجديـــر، أكبـــر دور فى هـــذا المضمار، وكـــان الاسبانيون يعرفون عنه هذه المهنة التى يكثر التنقل لاجلها، ما بين الريف وطنجة ومليلية، ومعرجا على الحدود القنالية، حيث كانت أعين المراقبين تتغـــاضى عنـــه .

ذلك انه كان يوهم الجيش الاسبانى انـــه ينقل اليهم الاخبـــار

من الجهة الاخرى، وكان ذلك باذن من الامير ابن عبد الكريم، لكى لا يحاصر عن مهمته الاساسية من طرف الاعداء، ومـــع معرفتهم لازدواجيتـــه فى نقل الاخبار، فانهم يغضون الطرف عنه، وسموه لذلك بمغيل استرغـــوف الريفى، وهو اسم يطلق على شخصية غامضة اسبانية، حتى أنه فى رحلـــة قام بها المقيم العام الاسبانى السنيور منويل سلفيلا من سبتة الى مليلية، لما كان الجيش الاسبانى وصل فى زحفه الثانى الى تفرسيت بعد معارك انوال، وما بعدها وكان الغرض من الرحلة وقوف المقيم العام على تسيير الاعمال السياسية فى الجبهة الشرقية، خوفا من كارثة أخرى، مثل كارثة انوال، اذ تقع تفرسيت فى منطقة انوال، التى تركت هلعا مسيطـــرا على أفئدة الجيش الاسبـــانى .

وفى عرض البحر بدا للمقيم أن يظهر على ظهر الباخرة الحربية التى أقلته فوجد على ظهرها السيد محمد شراط الذى كان ضمن رفـــاق الرحلة، يتحادث مع بلقيـــش .

وقد روى السيد محمد شراط انه لما فاجأت المقيم رؤية بلقش يتحدث معى، جاء ووجه الى الكلام قائلا اياك أن يخدعك هذا الانســـان الغامض الذى هو انسان فلبنى، وعندما ذهب علق بلقيش قائلا، انهـــم عندما يرتبكون يهرءون، قالها وهو رابط الجأش، لم تحدث فيه قولة المقيم أى تأثير لانه حلس الاسفار، ويصح أن يسمى تأبـــط شرا، بالنسبـــة للاسبانيين، فكان يحمل كل الجرائد التى تعتنى بالثورة، ويحمل البريـــد المرسل من مختلف المنظمات الوطنية التى تهتم بشؤون القضايا الوطنية فى العالم العربى، والاسلامى، وقد زعم الجنرال غوديد أن عمل بلقيش فى المخابرات حال بين التفاهم مع ابن عبد الكريـــم .

ومن جهة قبائل ورغة، وفاس كان مكلفا بمخابراتها المدعو موح امنوح من بنى ورياغل، بمعاونة عمر السبوح من بنى عمرت، وكان مركز المخابرات فى قبيلة بنى عمرت، حيث كانا يرسلان من يكون أهلا للثقة، وحمل الاسرار، ليجوب جميع الجهات المحتلة بالجيش الفرنسى .

وفى جهة وجدة والجزائر كان حدو الاكحل البقيوى له علاقـــة متينة مع المراقب المدنى بتاوريرت المدعو غابرييى الذى كان يعتبر حجة

عند الدوائر الفرنسية بالمغرب فى شؤون الريف، فكان حدو الاكحل يستفيد من صداقته، حيث يأخذ الصحيح ويعطى السقيم، وبفضل هذه الصداقة كان يمكن له أن يجوب تلك النواحى، حتى يصل الى القطر الجزائرى، حيث كان يسكن فى عجرود مع عائلته التى لحقها تشريد عند حملة بوشتى البغدادى، ضد قبيلة بقيوة، فاستقرت هناك، وقد جاء أى حدو الاكحل الى الريف ليساهم فى الثورة مع أخيه الذى كان سائقا للسيارات وقد أفاد الثورة من ناحية أخبار العدو، كما أفادها فى شراء المعدات الحربية من بينها طائرات وسيارات .

ويقال أن من بين هؤلاء المخبرين شخص المانى يسمى خوسى كلمبس، وكان يدعى عند المجاهدين القائد الحاج الالمانى، وكان فنيا ماهرا، يقوم باصلاح المدافع والرشاشات وغيرها، وكان يذهب الى المنطقة المحتلة من طرف الجيش الفرنسى، متسترا فى لباس الاهالى، من جلباب وعمامة، الا أنه فى نطاق مهامه عندما زار مدينة توريرت، تعرفت عليه المخابرات الفرنسية، تحت اشراف المراقب المدنى غابرييلى فالقى عليه القبض، وعد أسيرا حربيا .

وكان هناك غيرهم كثيرون منهم التيجانى من طنجة .

وهكذا كانت التنظيمات الوطنية للمخابرات احدى المهام التى لا تستغنى عنها أية حركة ثورية، فأفادت المقاتلين افادة جمة، كانت على حسابها، تحركات العمليات الحربية، أو مفاوضات الاستقلال أو غيرها.

القتلى والغنائم :

الواقع أن الجيش الذى خرج من مليلية لتمدين البدائيين قد فقد جميعا، ما بين قتلى وجرحى وأسرى، وقد اختلف فى تقدير القتلى من معركة جبل ابران الى الوقوف عند ابواب مليلية، فقدره بعضهم فى 18 ألف جندى، وقدره البعض الآخر حسبما وقفت عليه فى تقييد للسيد محمد بن عمر القاضى 20 ألفا، ما بين قتيل وأسير وجريح .

وبناء على أن الجنرال سلفسترى كان جر جيشا مكونا من 20 ألف جندى من مليلية الى أن وصل الى انوال، واحتلها وما حولها، وان

الجنرال نفارو عززه على رأس فرقة «كاصادورس دى القنطارا» وتقدر هذه الفرقة بحوالى 1.400 جنديا، فيكون مجموع الجنود التى وصلت الى انوال هو 21.400 جندى ما عدا من كان فى المراكز التى وضعت لحماية المؤخرة .

واذا قدرنا أن الجنود الذين فلتوا الى مليلية شذر مذر بحوالى 500 جندى .

واذا أسقطنا الاسرى الذين هم 1.100 أسيرا حسب تقدير (روبيرت فورنو) وقدرهم بعضهم بأكثر فيكون مجموع ما قتل تقريبا هو 20 ألف جندى، ماعدا من قتل من رجال «حركة ميكا» التى ألفت من أهالى القبائل المحتلة، والتى كانت تقدر باربعمائة مقاتل .

أما الغنائم فكانت كما يأتى حسب تقدير بعضهم :

19504 بندقية (الخماسية صغيرة أو طويلة)

352 رشاشا

129 مدفعا

ملايين الذخيرة لمختلف الاسلحة

عدد من الخيول والبغال

أدوات الارسال والاستقبال

وقد وجدت فى تقييد السيد محمد بن عمر القاضى العدد التالى:

100 مدفع ثقيل

200 مدفع خفيف

1000 رشاش

30.000 بندقية

ملايين الذخيرة

جميع البهائم والادوات الحربية الاخرى .

وعلى كل فان العددين متقاربان فى الجملة، وليس هناك داع للاخذ بتقدير دون آخر، ما دام المراد أن المجاهدين استغنوا من ناحية العدة الحربية التى جمعت أكداسا فى مراكز المجاهدين وقد حكى لى أحد الذين حضروا فى معارك انوال، واغريبن، وهو الحاج محمد السكاكى،

وكان مرافقا لابن عبد الكريم فى أمزاورو بتمسامان، أنه لما انتهت تلك المعارك، وجمع سلاح العدو ووضع أمام المركز فى ركام استهواه ذلــك، فارتفع فوق الركام، ونام على السلاح، لحفظه من الضياع، ولما رآه ابن عبد الكريم نائما فوقه، تبسم، وقال له السكاكى ها أن العدو بقى بــلا سلاح، فأجابه ابن عبد الكريم هيهــات لو تعلم الاهوال التى تنتظرنــا من قتــال الــعــدو .

قضيــة الاســـرى :

قدر بعضهم عددهم بأحد عشر مائة أسير ما بين جنود وضباط والبعض قدرهم بأكثر من ذلــك .

وقد جمعوا فى مركز أمزاورو بعد انتهاء العملية الحربية الــى أسوار مليلية، وقد جيىء بهم الى أمزاورو، حيث يوجد ابن عبد الكريم بما فيهم أسرى انوال، وجبل عرويت وغيرهما، ولما جمعوا هناك وكــان ابن عبد الكريم أصابته بعض الحمى مــن جراء الجهد المضنى، خــرج اثرها على شفتيه، وبعد عدهم وسلكهم فى كتائب، أقام على كل وحــدة منها حراسا من المجاهدين انتقل بهم يتقدمهم بنفسه، وسلك بهم مسلك القامت، ثم عبر وطاء النكدر، فغيس، ومر بهم أمام جزيرة الحسيمــة على شاطىء البحر، وقد نبهه بعض رفاقه بأن لا يمر بهم على الشاطىء، كى لا يتعرضون لقذف الجزيرة بالمدافع، فأجابه بأنهم لا يستطيعــون ذلك ما دام معنا اخوانهم، وفى الحال فانهم سيرون بأعينهم هذا الحشــد من الاسرى، حتى لا يعودوا يتبجحون أمام دوائر مدريد .

ولما وصل بهم الى أجدير فرقهم، فوضع الجنود العاديــين ومعهم 17 ضابط صف منهم «بسايو»، وكان هذا الاخير ذكيا جريئــا، يعرف كيف يستغل الظروف، فى معتقل بآيت قمرة فى دار هنــاك .

أما الضباط ومنهم الجنرال نفارو والكبطان الرايس الذى سقطت به طائرته فى رأس سيدى شعيب بتمسامــان، فتركهم بأجدير، بــدار «باجذيــذ أشريــك» .

وكان مكلفا بآيت قمرة السيد الشديد، من أعمام ابن عبد الكريم،



جماعة من أسرى الجبهة الشرقية ومن ضمنهم الجنرال تبــرو
يقودهم المجاهد الشيــخ محمد أزرقــان

ثم التحق به مولود بن محمد محند من أجدير، ومن أعمام ابن عبد الكريم، وكان هذا الاخير من جملة المكلفين بحراسة الاسرى، عبر الطريق من امزاورو، وكان مع ابن عبد الكريم على رأس القافلة، ولما وصلوا الى مقر المجاهدين، طلب منه ضابط الصف بسايو أن يأتى له بالماء، ليشرب، فمنح له الماء، ولما أصبح نائب مدير معتقل آيت قمرة، فقد تعرف عليه بسايو هذا، واحتفى به، وكان الجنود فى أزمة غذائية، لما منع ابن عبد الكريم قبول ارسال الاغذية من اسبانيا، بعدما كشف حشوها بالامواس، وقد اقترح بسايو على مولود ان يذهب الى جزيرة النكور ليبلغ الى رئيسها رسالة من عنده، لكى يأتى بالمال والجواب، وكان عند مولود اخوان اثنان أحدهما عمر والآخر حموش، فأوعز الى عمر أن يذهب الى الجزيرة، وذهب معه ليلا الى أن وصلا قبالة الجزيرة، فقطع عمر سباحة بعدما دفن لباسه فى الرمال، تحت زورق على الشاطىء، وقطع سباحة، ولم يرجع فى نفس الليلة، وقد استمهله رئيس الجزيرة الى أن يتخابر مع رؤسائه فى مليلية، وبقى هناك الى ليلة غده، حيث زود باثنى عشر ألف بسيطة مع رسالة، وضع الجميع فى قارورة بالشمع، وعلقها الى عنقه .

وقد وصلت الامانة الى بسايو، وكان مولود هذا هيأ امرأة تأتى بالبيض واللحم ليلا، حيث يكون مولود واسطة فى نقد الثمن، وقد كانت حالة الجنود جميعا تحسنت، بفضل هذه التغذية، ولما خاف بسايو أن يلاحظ مدير السجن السيد الشديد، فقد ابتكر حيلة أخرى، وذلك أنه ذهب بثلاثين ريالا، ودفعها للشديد هذا قائلا له ان احدى البنات السجينات (وكن خمسة أخذن كلهن من قرية ازغنغان كان بعضهن عاملات فى البارات، وبعضهن فى مفوضية الشرطة) كان فى مبطن ثيابهن بعض الأموال الناض، وانها أظهرته الآن، وطلب منه الاذن فى شراء بعض المواد الغذائية، فاذن لهم وهكذا انطمست الحيلة على الشديد، هذا، ثم أنه لما تمت الدراهم طلب من مولود الى ارسال أخيه عمر للمرة الثانية، وأتى بمبلغ ثمانية آلاف بسيطة وهكذا بقيت العملية فى خفاء، الى أن نقل المعتقلون الى قرية آل موسى وعمر، فوق أمزورن لاجل شغلهم فى بناء محكمة هناك، ولم

يبق فى آيت قمرة الا المرضى، وهناك كان المكلف بمعتقلهم المسمى الهادى بويازيضن فجرب بسايو معه الامر، وطلب منه أن يقوم بالاتصال بالجزيرة للاتيان بالمال، وأعلمه بأن العملية أجريت فى آيت قمرة مع مولود، فنجحت وما كان من هذا الا أن أعلم ابن عبد الكريم بالامر، فأمر بتفتيش زنزانة بسايو فعثر على الرسائل مشتملة على أرقام الدراهم، مع اقتطاع مولود منها ثلاثة آلاف وخمسمائة بسيطة أجرة عمله، ثم اعترف بسايو بكل ما جرى .

فاستدعى ابن عبد الكريم مولودا، واستنطقه عن الامر، وحاول الانكار، ولكن داهمه بالحقائق، فاعترف الا أنه ذكر أن المبلغ الذى توصل به هو ألفا بسيطة فقط، فأمره بأن يأتى بها، ولما وصل الى داره امتنع من تسليم نفسه، فأرسل ابن عبد الكريم 14 من رجاله للاتيان به، ولكنه اعتصم، وهددهم بقتلهم اذا هم تخطوا عتبة الدار، وكان مسلحا ببندقيته، فما كان من الحراس الا أن واضبوا على حصاره من دون أن يدخلوا الى أن حضر القائد موح بن السى بوبكر اشان وكان له قرابة مع مولود، فدخل اليه، وأمره بأن يذهب معه الى ابن عبد الكريم فى آيت قمرة، وأثناء الطريق سمع نساء كن فى سوق سبت النساء بآيت قمرة يهمسن فى شأن قتله .

ولما وصل وجد أخويه عمر وحموش تحت الحراسة، وقد وجه هو الى السيد امحمد الخطابى الذى عين قاضى التحقيق فى خيمته قرب دار الحاج محمد الحاتمى التى فيها ابن عبد الكريم، لاجل استنطاقه فادخل عليه، واستنطقه واعترف له بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة بسيطة، وقد وجد مركز آيت قمرة عامرا برؤساء المجاهدين استدعاهم ابن عبد الكريم لمحاكمته، ثم سلمه للحراسة التى كان يقوم بها المدعو الكامبو، أما الدراهم فقد أرسل شخصين من أجدير الى الدار، وأتيا بالمال ما عدا 30 ريالا كانت فضة تركاها لاولاده .

وعندما قرب وقت العصر فان الحارس الكامبو أخذته سنة من النوم، وكان فى باب البيت المعتقل به فتخطاه مولود، وخرج حيث هرب بجلده، وقد سمع قبل الغروب بطلقات نارية علامة على حدوث هروبه

فاختفى عند علوش بن حموش من ادردوشا، وكانت له معه علاقة قرابة .

وبقى عنده هناك، حيث ذهب علوش بن حموش الى سوق أحـد بقيوة وأخوه حمادى الى شاطىء المجاهدين لاستطلاع الاخبار، فعلما أن قيمة رأسه هى عشرة الآف بسيطة، وكان غرضه أن يقطع سباحـة الى جزيرة الحسيمة، للالتحاق بالقائد سليمان الخطابى بتطوان، وهو من أعمامه، وكان يدعى الشيخ سليمان، وقد رجع عن هذه الفكرة، لما علـم أن الحراسة مشددة على الشاطىء، وان الناس يبحثون عليه لكى يظفروا بالبسيطات، فذهب الى جهة فاس، حيث وصل الى بنى عمرت، ووجـد هناك موح امنوح من بنى ورياغل، وكان يبعثه ابن عبد الكريم الى قبائل ورغة أو فاس للاتيان بأخبار الجيش الفرنسى، والقبائل هناك، ووجـد معه موح السبوح من بنى عمر تلنفس الغرض، كما سبق وقد تعرفا عليه، وحاولا اعتقاله، الا أن امرأة للاخير قالت لزوجها اطلقـوا الرجل، فهـل تريدون أن تكون لنا عداوة مع رجال أجدير، فأطلقوه وذهب الى فاس ، حيث وجد هناك احميدو بن موح ابقوى من أجدير، يشترى السلعـة، ومن هناك ذهب الى تطوان، حيث التحق بالقائد سليمان الخطابى، وكان معه هناك السيد محمد شراط، والرايس شعيب من أجدير، والقائد موح ابن حمادى ازحاف وكان ينافس القائد سليمان الخطابى على الاخلاص لاسبانيا، وقد قتل هذا فى قريته بازغار، لما نزل مع الجيش الاسبـانى فى الحسيمة، وهم أخوة أربعة القائد موح هذا وحدو ازحاف (لازال حيا) وحمو ازحاف مات أخيرا، وصديق ازحاف .

أما حدو ازحاف فقد كان من جملة حراس دار ابن عبد الكريم فى أجدير، الا أنه لا يذهب معـه الى المراكز الحربية حسبمـا رواه لى جمع ممن صاحبوا ابن عبد الكريم فى رحله وترحالـه .

وأما مولود فقد رجع الى أجدير، بعد النداء الذى وجهه ابـن عبد الكريم الـى جميع الارياف الموجودين فى تطـوان .

معاملة الاسرى :

قد قيل كثير من جانب الدوائر الاسبانية عن معاملة الريف للاسرى، وكان القصد من ذلك هو ترويج الاشاعات التى تمس ديمقراطية ثورة الريف، وانسانيتها، التى يحق مع الانصاف ان يضرب بها المثل فى حسن معاملة أسرى الحرب، الذين يلقى بهم حظهم التعس فى أيدى أعدائهم، ومن الجدير بالذكر ان نعرف أن أسرى الاسبانيين لم يكونوا يعتقلون فى معتقل تخنوست باسلى بين أجدير والحسيمة، وهو أكبر معتقل للثورة، بل كان يعتقل فيه المغاربة، وانما كانوا يوضعون وحدهم فى معتقلات بأجدير وآيت قمرة، وبوصالح، التى خصصت فيها ديار لايوائهم، وكان الضباط معتقلين فى أجدير، وآيت قمرة بما فيهم الجنرال نفارو، الذى كان رافقه ضابط الصف بسايو، وكان هذا الاخير ماهرا فى تدبير الامور، وهو الذى اتصل بالسيد مولود لاجل الاتصال بجزيرة الحسيمة، كما اسلفنا، وكذلك كان الضابط الطيار المدعو الكبطان الرايس الذى سقط بطائرته فى تمسامان برأس سيدى شعيب وسمى الاسبان باسمه مطار امزورن .

1 — ان قضية الاتصال بجزيرة الحسيمة التى عثر فيها على رسائل متبادلة، وعلى دراهم أرسلت اليهم بواسطة أخى مولود المدعو عمر، دلت على أن الاسرى كانوا فى مأمن من أى عقاب، رغم ثبوت ارتكابهم مخالفات تدينهم، بوصفهم أسرى حرب، فلم يقدم لا الجنرال نفارو ولا بسايو للمحاكمة، وانما قدم الاشخاص المغاربة الذين استخدموا كواسطة، كما تقدم، وهو أمر يحمل ردا قاطعا على الدوائر الاسبانية المشار اليها، من أن امحمد بن عبد الكريم كان اعدم ضباطا اسبانيين والجنود، حسبما جاء فى كتاب غوديد «المغرب ومراحل التهدئة» اذ قال «ان ابن عبد الكريم اساء معاملة الاسرى الاسبانيين اذ اعدم الضباط والجنود وان الامر بالاعدام صدر عن أخيه امحمد وعمه عبد السلام» .

ويدل على أن القضية مختلقة، انه لم يذكر اسماء الذين اعدموا وبالاخص الضباط مع أنه تتبع كل شىء بالاسماء والمواقيع فيما عدا ما زعمه من الاعدام .

2 ــ على أنه ليس لابن عبد الكريم أية فائدة فى اعدام الاســـرى، لانه كان يعلم ان اسبانيا ستدفع غاليا لفدائهم، فهو أمر يدعو الى الاحتفاظ بهم، بل والاعتناء ، وهو ما وقــع .

3 ــ وعلاوة على ذلك فان تموين الاسرى كان يأتى من اسبانيــا نفسها، فقد كانت ترسل باخرة مملوءة بالمواد الغذائية والالبسة على رأس كل أسبوعين، حيث تذهب زوارق من مراسى الحسيمة لجلب ذلك الــى أجدير، حيث يــوزع على المعتقلين، فلو كــان القصد اضاعتهم لتركــوا وشأنهم من دون فتح الباب على مصراعيه لمعرفة كل ما يدور فى شأنهــم فى معتقلات اعدائهم، والحال ان المعــارك تجرى فى امكنة أخرى، بكــل ضراوة، حتى اذا اكتشف ان المواد المرسلة تدس من بينها السلاح الابيض، فأوقف ارسال ذلك سدا لما عسى أن يترتب عن ذلك من الاخطــار .

4 ــ ولو كانت معاملة ابن عبد الكريم للاسرى من القساوة بمثل ما زعموا، لما اصدر قراره فى معركة جبل اعرويت بمعاقبة كل من يجهز على مجروح، أو قتل أسير، وقد كان لهذا القرار رد فعل غير مرض مــن جانب المجاهدين ، كما أسلفنــا .

5 ــ ولما كان اذن للبعثة التى طلبت الدخول الى أرض المعركة فى انوال للبحث عن جثث الضباط والتى كان يرأسها السيد السلاوى، فعثرت على جثث ثلاث ضباط، أخذت الى مليلية عن طريق سيدى ادريس بحرا .

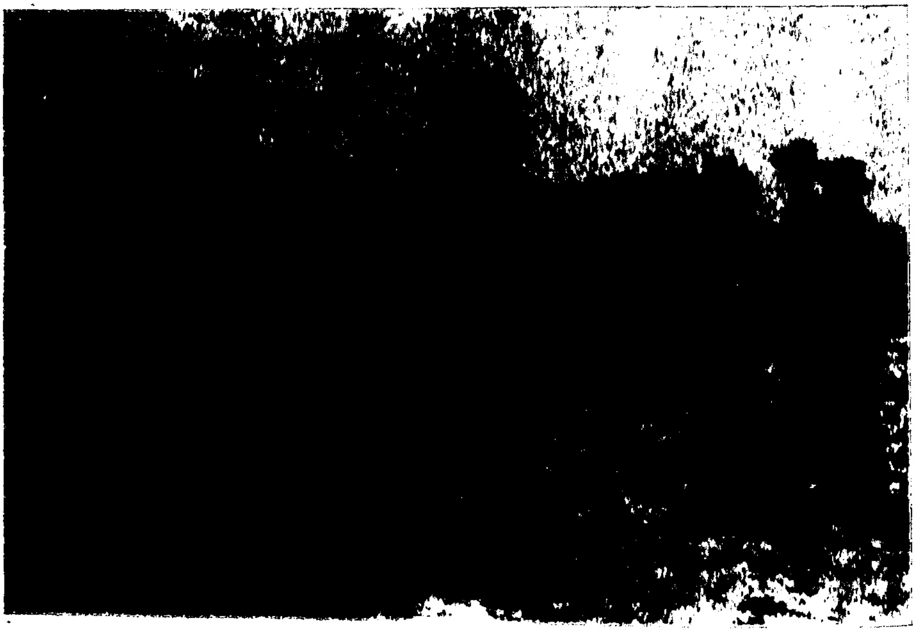
نعم ان بعض الارياف أساءوا هذه الثقة، فهربوا الاسرى الذيــن عندهم الى جزيرة الحسيمة، ومنهم الريكى، ولما ألقى عليه القبض، طلب أمها له ليأتى بمن يعوضهم من الجزيرة، فذهب وطلب من اثنين أن ينزلا الى الشاطىء، ليأخذا أسرى آخرين، ولما نزلا حجزهما، وكان احدهمــا يدعى انطونيو وكان متخصصا فى التليفــون، وقد استعمل فى اصــلاح التليفونــات .

6 ــ ولو كان من القساوة كما يصفــون لما أصدر قراره بعــدم اقتحام مليلية لما كان المجاهدون على أبوابها ينتظرون اشارة الاندفــاع لينقضوا عليها، ليدعوها قاعا صفصفا، وهو أمر لم يكن طريقته فى الحرب، كما صرح به لروبرت فورنو الانجليزى فى القاهرة .

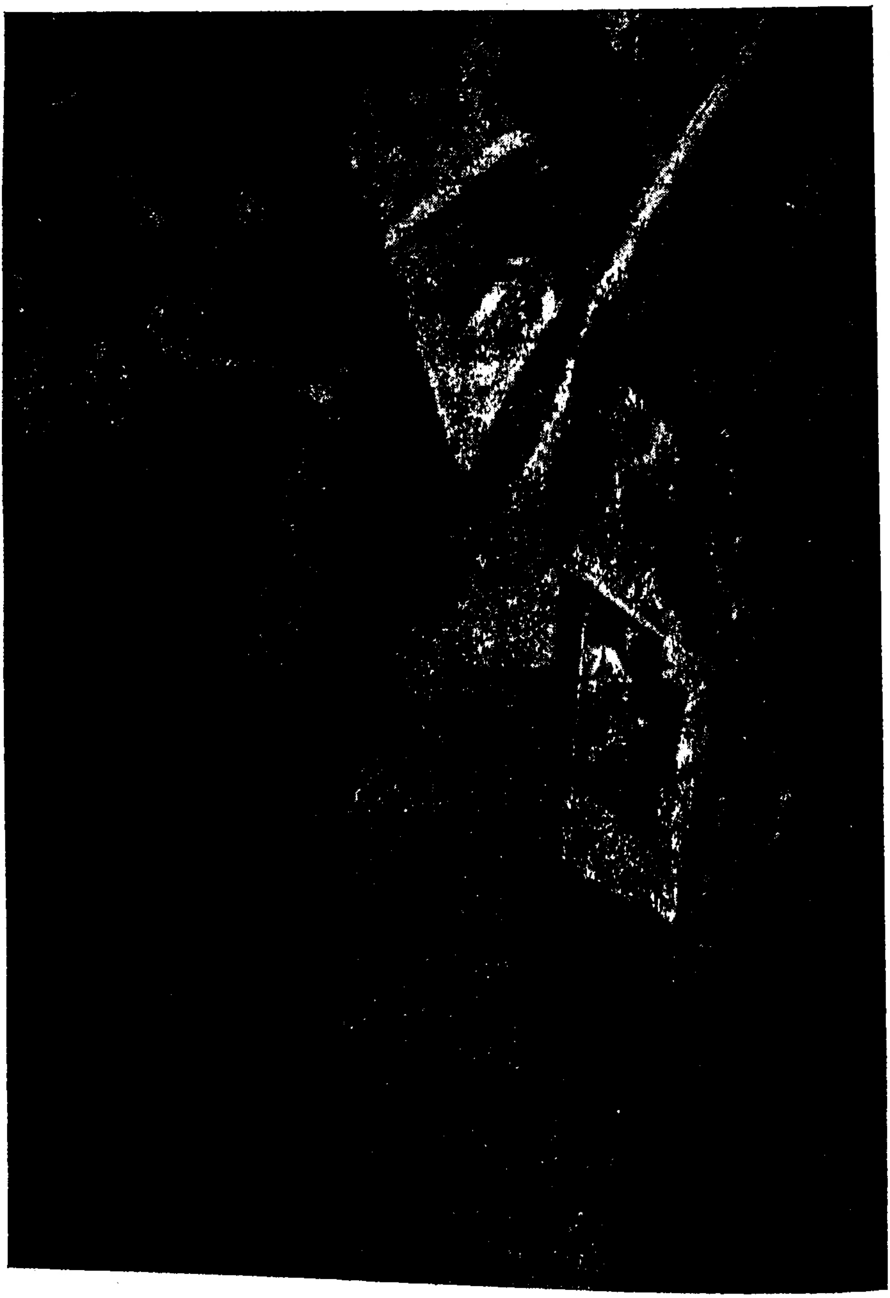
7 — بل كان اعتناؤه بالاسرى الاجانب فاق هذا التقدير، اذ أمر كل من استطاع من رؤساء الثورة المشهود لهم بالاحسان، أن يأوى اليه فئة منهم، وهكذا كان ابى جاء بسبعة منهم الى قريتنا ببنى بوعياش، وكنا ونحن تلاميذ استأنسنا بهم ايما استئناس، بحيث عددناهم كأفراد عائلتنا، يأكلون مما نأكل، وينامون فى دارة متصلة بدار العائلة، ولم تكن عليهم حراسة تذكر، واصبحوا بذلك معتادين للحياة عندنا، ويطرون معاملتهم اطراء جعلهم عندما جاء الامر لنقلهم الى أجدير لافتدائهم، ينتحبون كأنهم يفارقون عائلاتهم، وهذا الواقع شهد به المراسلون الاجانب الذين وجدوا ترحيبا بهم فى الريف، فأطلعوا على ماجريات الامور، فلم يذكر ولا واحد منهم شيئا من مزاعم الدوائر الاستعمارية الاسبانية، التى اطنبت بأمر لم يكن لديها أية حجة عليه، بل بالعكس كانت هناك حجج قاطعة اضفت على معاملة الاسرى كثيرا من التقدير، فقد كان من بين الاسرى أربعة عشر جريحا أصيبوا بجروح خطيرة، ردوا الى الاسبانيين بجزيرة الحسيمة فى الحال، لعلاجهم .

8 — وكان ابن عبد الكريم يتفاوض مع الجنرال نفارو لحمله على الالتزام، بأن لا يفر الاسرى حتى لا يضطر المجاهدون الى مطاردتهم باستعمال الرصاص حينما يعجزون عن ادراكهم باليد، ولكن الجنرال نفارو لم يستطع أن يتعهد بشىء، ولذلك حدثت بعض الحالات من هذا النوع، فكان رجال الارياف لا يستعملون السلاح الا اذا وجدوا ان الفارين يسبحون فى البحر، قاطعين المسافة الى حجرة الحسيمة حيث ييأسون من ادراكهم، ذلك ما وقع لجنديين اثنين، أما الضابطان فقد نجيا الى الجزيرة بواسطة زورق أرسل منها لالتقاطهما .

9 — وقد كان علاجهم مضمونا حسب المألوف فى الريف، فقد كان هناك افراد مشهورون بالطب المحلى المستخرج من النباتات الطبيعية، بل تعدى ذلك الى استعمال الجراحة لاستخراج الرصاص من الجرحى المجاهدين، فقد شاهدت ان أحد اعمامى يدعى سلام بن عمر أصيب برصاصة فى ظهر قدم رجله، حيث مجمع العروق، وبقيت الرصاصة داخلها فاستخرجها عمى السيد محمد بن الحاج محمد بعدما استعمل الامواس المحماة على النار، وقد شفى بعد ذلك مع عرج طفيف .



الضباط الاسرى فى الانتظار بانضباط عسكـرى



مـركـز اعتقــال الاســرى بأجديـر

وعلى كل فان الاطباء التقليديين كانوا يعالجون مرض الاسرى، كما كانوا يعالجون اخوانهم اذ أن الامراض لم تكن متفشية فى الناس، وبالكثرة التى عليها الآن، ويعزى ذلك الى ان المواد الغذائية كانت طبيعية تماما، كما نبتت، ولم تلوث بالحضارات المتمدنة، ولم تلحقها طبيعة المخلوق، كما كان من طبيعة البيئة دوام الحركات التى تجعل العضلات تؤدى وظيفتها الاصلية التى من أجلها خلقت، الا أن الحالة تغيرت عندما صب الجيش الذى جاء لتمدين «لحم الثور الوحشى» قنابله المسمومة التى لم تدع قرية ولا عين ماء ولا الابار والاودية الا ولوثته تلك القنابل، التى تطلقها الايدى الاثيمة، وسلخت جلود وجوههم، فلم تبق شعرة فى رؤوسهم وأعينهم، وبدوا كأنهم مخلوقون غرباء عن الارض، وحينئذ استعصى العلاج، وكل الطب الاهلى، ولم يكن ذلك ذنبهم، وانما ذنب المتمدنين .

10 — وفى الحقيقة فان الفارين من الجنود الاسرى كان يمكن أن يكون وقع الاغضاه عنهم، لما فى بقائهم من عبىء ثقيل على الثورة، وبالاخص عندما قطع ابن عبد الكريم ارسال المواد الغذائية من اسبانيا بعدما كشف ان الاحذية المرسلة تكون محشوة فى داخلها بالامواس والرسائل، ووكل أمر تغذيتهم الى أهالى قبيلة بنى ورياغل، وقد أدى ذلك الى حوار مع الفقهاء الجامدين-حيث زعموا ان المرأة المسلمة، لا يجوز لها أن تهىء الطعام للكفار، وتزعم هذه النظرية الفقيه السيد عمر اكشوط من بنى بوعياش، مما دعا الى عقد مؤتمر فى سوق اثنين بنى بـ وعياش لمناظرة هذا الفقيه، وتولى ابن عبد الكريم نفسه هذه المناظرة بمحضر جمع من فقهاء الريف، فاحتج ابن عبد الكريم عليه بأن الفتوحات الاسلامية توجهت ضد الفرس والرومان وهم ليسوا على دين الاسلام، وكان هناك أسرى تحت قبضة المسلمين ومن أين كانوا يأكلون؟ فأفحم الفقيه السيد عمر اكشوط، ولم يجد جوابا .

11 — مما هو مأثور فى قضية الاسرى الاسبانيين، أنه كان بينهم نساء أخذن فى مواقع المعارك مع الرجال وهن ثلاث: ايزابيلا ولاروبيا وسيبريانيا، وكانت احداهن تشغل فى احدى الحانات، والاخرى

تعمل فى مفوضية الشرطة الاسبانية، والثالثة كانت متزوجة وأما لاولاد، وانها عاشت فى الريف عيشة لا تمت الى الاسر بصلة، وقد أحبت الريف حبا جما، حتى اذا أطلق سراحها بعد انتهاء الحرب، رجعت هى وزوجها لتعيش فى الارض التى احبتها، فقضت عمرها فى الحسيمة الى أن توفيت عام 1940 م. وقد طافت على معارفها خلال السنوات الخمس التى قضتها بين ظهرانهم حتى انها لم تنس ابن عبد الكريم حينما نزل بالقاهـرة ان تكتب اليـه، تذكره بالمعاملـة الحسنة التى قوبلت بهـا، أثناء الاسـر، وتشكره على ذلـك .

ومن الجدير بالذكر أيضا ما أورده الصحفى بول سكوت مورو الذى زار أجدير سنة 1924 م، حينما تحدث الى الاسيرة ازابيلا التـى أجابته عندما سألها هل هى خائفـة؟ فقالت له فى جملة مقتضبة قاطعـة: «مم أخاف»؟ ثم أعلمته بأنها تلقى معاملة طيبة، وكانت محبوبة عنـد أهالى الريف، للباقتها، وقد عينت كوصيفة فى البعثة الطبية بأيت قمرة، وكذلك تزوجت احدى الاسيرات برجل من الريف الذى قتل قبل نهايـة الحرب، فرجعت الى اسبانيا، وهى المدعوة «ماريـا» وكان معها أخوها أوربانا أثناء رجوعها الى اسبانيا بعد الحـرب .

ان هؤلاء الاسيرات اللائى القى عليهن الاضواء من طرف مراسلى الصحف، كن اسرع الى التشكى من الرجال لو كان هناك سوء معاملـة، لانهن خلقن من ضلع أعـوج، كما يقـال، ويتأثرن بادنى اهانة لشـدة حساسيتهن، الا أنه لا ينكر سوء تغذية لما قطعت الامدادات الغذائيـة، كما أسلفنـا .

عمـر سينتـو وتهـريـب الاسـرى :

أحيانا يكون تهريب الاسرى عملية تستهدف الارباح من ورائهـا وبالخصوص فان قطع التموين عنهم من اسبانيا جعل تغذيتهم يشملهـا شظف العيش الذى اعتاده الاهالى بحكم افتقارهم الى العيش فى كنفهم وتحت انفاقهم، لان نظام الثورة كان يئـن تحت كابوس العسرة، فقـد افتقر ذلك النظام الى منابيع المال، فلم يعثر عليها، بعد، لان موارده كانت

عبارة عن لا شيء، فلم ينتظم شيء من اسبا ب الجباية، سواء عن طريق الديوانة أو الاحباس أو الزكـــاة .

ولذا كان الاسرى يهرعون الى مبدأ الهروب بأية واسطة، وكانت الدوائر الاسبانية تستعمل كل الوسائل لانقاذ الاسرى بواسطة تهريبهم.

وقد كان عمر هذا وهو من رجال بقيــوة الاقوياء، ومن قريـــة ازمورن، وله علاقة مصاهرة مع عائلة بوطاهر عزى من اجدير، وفضـــلا عن ذلك فكانـــت ثروته الفلاحية اذا قيست بالنسبـــة للثروات المحليـــة محترمة، وقد اكسبه كرمه احتراما لدى السكان، ونظرا الى أنه كان يسكن قريبا لآيت قمرة، وله د لة على اجدير، فقد حمله الطمع ان يذهب الى عجرود بالجزائر، حيث كان هناك أخوه المدعو حدو الاكحل، الذى سيأتى الكلام عليه عند الكلام على دوره فى ادخال الوسائل العصرية الى الريف، كالطائرة والسيارة، وقد كان الاكحل هذا يسكن فى عجرود، مع فريق من أهل بقيوة، الذين فروا الى الجزائر على ظهر باخرة فرنسية فى حادثـــة مذبحة بوشتى البغدادى لهذه القبيلـــة، وكان الفريق الآخر غرب الـــى مراكش، حيث اودع غياهب السجون هناك .

وقد ذهب عمر الى عجرود مصحوبا بحمادى مورينو أخى بوطاهر عزى من اجدير، لغرض الاتصال بأخيه الاكحل، ليتصل بالاسبانيين فى الجزيرة الجعفرية للاتفاق معهم على تهريب الاسرى، وثمن كل واحـــد من الجنود، وفعلا ذهب واتصل مع رئيس تلـــك الجزيرة، علـــى أن ثمن الجندى العادى هو 35 ألف بسيطة، وأما ما فوق الجنود العاديين فثمنهم أعلى، ولكن ليس لدينا تحديده .

وهكذا رجع عمر سينتو وحمادى مورينو ليعملا على تنفيذ الاتفاق، الا أن الخبر كان سبق الى ابن عبد الكريم بواسطة مخبريه، فاستدعـــى عمر سينتو فقط، لانه الرئيس المدبر، أما حمادى مورينو، فكان فيه طيش وسفه، ولما حضر عمر سينتو الى ابن عبد الكريم انكر كل شيء، ومـــع ذلك فان هذا الاخير انذره بأن يقلع عن صنيعه، ورغم ذلك فقد صمم عمر سينتو على عمله، وفى ذات ليلة، حاول تهريب جماعة منهم وليس لدينـــا عددهم بالضبط، الا أن وسائل نقلهم بحرا تدل على أنهم دون عشرة كما

سيتضح، وفعلا جاء بهم الى مرسى الحسيمة حيث يوجد الآن المصطاف السياحى لمدينة الحسيمة، فوجدوا هناك زورقا صغيرا، ولما عوموه فى الماء امتلأ ماء، ثم افرغوه، ثم عوموه، ثم امتلاء ماء، وهكذا مرارا ولم يدروا من أين يأتى الماء، الى أن قرب الصباح، فرجعوا واختبأوا فى دار حمادى مورينو التى كانت على قمة مطلة على المرسى، ولكن اجتازوا على دار موح بن صديق بو المقاصر، وكانت الدار الوحيدة التى هناك، وقد سقط مطر، فلما عاين اثر الاقدام عرف انها لجنود مهربين، فذهب واعلم محمد أزرقان الذى اعلم بدوره ابن عبد الكريم، فأرسل جماعة من حراسه، وأحاطوا بداو مورينو، فأخذوا الاسرى، وعمر سينتو وآخرين، الا ما كان من حمادى مورينو فانه هرب .

وأخذ المهربون الى سجن المجاهدين، ماعدا مورينو والشخص الذى كان موثقا وكذلك شخص آخر وجده الحراس خارجا من الدار، ولما أوقفوه أعلمهم بوجود الاسرى فى الدار فنجى .

وهكذا عقد مجلس لمحاكمتهم، فكان الفقيه بولحيا هو رئيس المجلس بوصفه فقيه الثورة، فحكم باعدام عمر سينتو والشخص الثانى معه من آيت قمرة وشعيب بن الحاج تهامى، الذى كان مسجونا كما تقدم، فصفوا وصف الجنود، فأعدموا بالرصاص، وكان ابن عبد الكريم فى أجدير.

التنظيمات المالية وفدية الاسرى

بعدما فرغ من تنظيم الوحدات القتالية، ومن توزيع المسؤوليات على مستوى مجلس الثورة، كما سبق فانه استمر فى استكمال الجهاز الثورى، بتنظيم ماليتها التى يتوقف عليها احداث نظام الجنود النظاميين الذين يتقاضون مرتبات من خزينة الثورة، وشراء المعدات الحربية وكان أهم الموارد التى جعلت اساسا لتنظيم المالية :

1 ــ الفدية التى حصل عليها ابن عبد الكريم من اسبانيا، مقابل اطلاق سراح 350 أسيرا، الذين تبقوا بعد فرار الباقى بمختلف أشكال الهروب الى مختلف حصون الجيش الاسبانى، وقد أجريت مفاوضات مضنية، توجتها بعثة من السنيورين فرناندس الميدا المختص بشؤون

الصرف، والويس دى اورتيزا رئيس تحرير صحيفة لبيرتادو الاسبانية أنتى حضرت الى أجدير، وفاوضت ابن عبد الكريم رأسا لرأس، فكان الاتفاق على تحديد الفدية فى أربعة ملايين بسيطة، دفعها الاسبان الى مجلس الثورة، عن طريق باخرة حضرت الى جزيرة الحسيمة خصيصا، لدفع صناديق الفضة، ثم تعود بعد ذلك محملة بالجنود الاسرى، واعتبرت هذه الفدية أضخم اعتماد مالى لثورة الريف، خلال تنظيم شؤونها وشراء المعدات الضرورية للحرب الضروس التى تنتظر الريف .

ولذا فان الدوائر العسكرية الاسبانية، هلعت حينما علمت بمقدار الفدية، واستنكرت ذلك على حكومة مدريد، مدعية ان الجيش فى استطاعته تحرير الاسرى، بدون هذا المال الوافر، الذى تستعمله الثورة للاستمرار فى العمليات الحربية، حتى أن الكرونيل قائد اللفيف الاجنبى ميلانو استريبى الذى عهد اليه بمواجهة خط الجبهة الشرقية فى شهر نوفمبر 1922، استقال احتجاجا على دفع الفدية للريف، وكان هذا القائد رجلا خشنا يصل الى حد الجنون، نزوعا الى القتل، وكان يلتذ بتعذيب جنوده، ويسميهم أخوة الموت وعندما يقع فى نوبة الجنون يشتم ويلعن ثم يبكى، وكان جنوده يكرهونه، وعندما استقال تنفسوا الصعداء، وقد خلفه الكمندان فرانكو الذى اقترح الملك نفسه تعيينه، وقال « انه الرجل الكفء » .

2 — مداخل الزكاة الشرعية التى فرضها الله فى الاموال المنقولات من محصول الفلاحة السنوى، وكل ما يتمول من تجارة وماشية، ويعتبر مدخول الزكوات ملكا للمجاهدين، يستعمل فى خاصة تموينهم بالمواد الغذائية، وقد اجاز التشريع الاسلامى استعماله فى كل ما يتوقف عليه الجهاد من سلاح ومركوب، ولذا أصبحت أموال الزكاة موردا من موارد خزينة الثورة، وقدرت قيمة مدخول الزكاة السنوية بمبلغ 75 ألف بسيطة، وكانت تجمع الحبوب فى كل قبيلة، وتخزن فى المطامر هناك، وكان المشرف على جمع الزكوات السيد احمد أكروذ الذى هو فى نفس الوقت المشرف على تسيير الاحباس ومداخلها .

أما مداخل الاحباس فكانت تصرف فيما حبست لاجله، ولذا

لا يمكن ادماجه فى خزينة الثورة، لان أمر صرفها منظم طبقا للتعليمات الدينية، فلا يمكن تخطى تلك التعليمات، والا كانت اليد التى تتعداها آثمة، لا يجوز الاقتداء بها .

3 — مداخل الغرامات التى تفرض على القبائل التى اظهرت التمرد، ثم ارجعت الى حظيرة الثورة بالقوة، ففرضت عليها عقوبات مالية، وذلك مثل ما فرض على قبيلة بنى زروال سنة 1925 م، لما تمردت بسبب دعاية عبد الرحمن الدرقاوى الغمارى، الذى هو صنيعة فرنسا، فقد فرضت عليها الثورة مبلغ 500 ألف بسيطة .

ومثلما فرضت على قبيلة الاخاس التى تمردت على المجاهدين سنة 1924 م، لما حاصروا لفيفا من الارياف فى زاوية الشيخ التادلى بالاخماس العليا، فقد فرض عليها مبلغ 20 ألف بسيطة .

وكذلك على قبائل غمارة التى تمردت عام 1923 م. على السيد امحمد الخطابى لما ذهب لتنظيم قبائلها، بناء على طلبها، فقد فرض عليها مبلغ 30 ألف بسيطة .

4 — مداخل الديوانة على الخارج والداخل من السلع، الا أن ذلك كان ضئيلا، وكانت السلع تجلب من فاس أو الجزائر، الى سنة 1924م حيث أصبح الاتجار عبرهما محفوفا بالاخطار، وقد قدر مدخول الديوانة بملغ 5 آلاف بسيطة يوميا وهو مبالغ فيه .

المصاريف :

كانت توجد ميزانية مدققة للمصاريف، فمثلا اذا أخذنا سنة 1924 م على حسب اللوائح التى عثر عليها بعد انتهاء الثورة، نجد أن المصاريف مقسمة الى الابواب الثلاثة :

1 — صوائر الجيش .
2 — صوائر الموظفين .
3 — صوائر خاصة .

فبناء على تلك اللوائح، فان الصوائر للستة أشهر الاولى من تلك السنة كانت كما يأتى :

صوائر الجيش كانت 165 ، 311 بسيطة .

صوائر الموظفين كانت 221.936،75 بسيطـة .
الجميـع : 533.101،75 بسيطـة .
صوائـر خاصة : 200 بسيطـة .
أما المداخيل السنوية لسنة 1924، فكانت 6.000.000 بسيطة، فاذا اسقط منها مختلف الصوائر المذكورة آنفا تبقى من الرصيد مبلـغ 566.699،75 بسيطـة .

وهو احتياطى هائل، وهذه نظرة على تسيـير الاعمال، بدقـة وحنكة متناهيين، وقد كانت الاوامر المتعلقة بالمصالح المالية سواء منهـا المداخيل أو الصوائر، تصدر من السيد عبد السلام الخطابى عم الامير ابن عبد الكريم، وهو المكلف بماليـة الثورة، وهو مسـؤول أمام ابـن عبد الكريم مباشـرة .

وكان يقوم بمراقبة الصوائر تحت اسم المتصرف السيد محمد بوجبار، يساعده فى ذلك السيد احمد بن الحاج شـدى .

مـا قيـل عن البنـك الـريـفـى

قيل كثير عن تنظيم مصرف مالى، يدعى البنك الريفى، على أن تصدر الثورة عملة مالية ريفية، وان الاوراق المالية ستطبع فى انكلتـرا (بلندن)، ويكون لونها أخضر، ويكون مقر البنـك بأجدير، وان السيـد امحمد الخطابى هو الذى كان تكلف بمفاوضة الانجليزى وقالت بعـض المصادر الاسبانية انه معروف فى المغرب ومن المرجح أنه المدعو غردانى.

وهكذا اختلقت قصة البنك الريفـى .

أما الواقع فليس هناك أى تفكير فى اصدار أية عملة ريفية، والا كان ابن عبد الكريم يخالف ما وصف به من قيادة حربية من النوع الفريد، فى الذكاء وحصافة الرأى، وبالتالى لم تكـن هناك مفاوضة حول اقامـة بنك ريفى، الا أنه كان هناك أحد الانتهازيين الانجليز ويدعـى غاردنى، كان يتاجر فى تهريب الاسلحة وقد حاول أن يبيع للريف 16 مائة بندقيـة المانية من نوع لبيل، حسب تقارير المراقب الفرنسى الذى كان فى توريرت، والذى كان محل ثقة الفرنسيين فى شؤون الريف، ويقول ان انزالها كـان

غربى الحسيمة فى عام 1924 م. على ظهر يخته «سيلففا»، وحاول مع ابن عبد الكريم ان يغريه ببيع آلة لاصدار الاوراق المصرفية، بعدما قدم نموذجا من تلك الاوراق، واشترط لذلك أن تكون الضمانة كل ما يملكه الريف من الناض، الا أن ابن عبد الكريم لم يصغ لذلك، نظرا الى أنه من المعروف عن ابن عبد الكريم أنه خبر الاساليب العصرية، وهو من الافذاذ فيها، بشهادة اعدائه أنفسهم، وفوق ذلك فهو سياسى مجرب، وله فراسة قوية فاذا كان بهذه المثابة من اليقظة فان تفكيره فى مشروع كهذا ينتج العكس، لان انشاء عملة لا تكون الا للتعامل بها، واذا عرفنا ان المنطقة المحررة محاطة بسياج من الاعداء الاجانب احاطة فكى كماشة، الامر الذى يجعل التفكير فى عملة لا تستهلك فى الاسواق الدولية، ولا تعتبر عملة صعبة يعد نوعا من الشذوذ الفكرى، هو ما لم يظهر قط فى أفكار ابن عبد الكريم، الذى حافظ رغم كثرة المتاعب التى لقيها على التفكير السليم، فاذا كان يعرف مسبقا أنه لا يتوفر على الضمانة الناض، فلماذا يستهلك الوقت الثمين؟ الذى لم يترك له الغازون أية دقيقة للراحة، مع العلم بأن المشروع مثل هذا يستنزف الطاقة العقلية لمدة غير قليلة .

وجوابا عما عسى أن يقال من أنه عثر على بعض الاوراق من هذا القبيل مطبوعة، فان الامر لا يعدو أن يكون هذا الانتهازى الانجليزى طبع أوراقا نموذجية لعرضها عند المفاوضة، وهو أمر لم يتم، ولم يفكر ابن عبد الكريم فيه، فبقيت بعض تلك الاوراق، وقد يكون جمع منها بعض من أصحاب هواية الاوراق النقدية لحفظها، أما اساس التشهير بهذه العملة فقد جاءت فى كتاب الجنرال غوديد (1) .

الاعانة الخارجية :

وكذلك فيما يخص ما أشيع من ذات التاريخ، ان المصريين حفزتهم غيرتهم الوطنية، فجمعوا مالا اغاثة للثورة الريفية، التى أحيت فى نفوسهم العزة القومية، ولكن الحقيقة ان شيئا من هذه الاعانات لم تصل الى الريف وهذا ما صرح به ابن عبد الكريم نفسه .

(1) صحيفة 93 .

فالثورة كانت مولت نفسها بنفسها، سواء فيما يرجع للمال للاكتفاء الذاتى، المبنى على التقشف، الذى اعتاده المجاهدون، كحالة عادية، أو ما يرجع للمعدات الحربية، نظرا الى اكتفائهم أيضا بما يحرزونه بسواعدهم المفتولة فى المعارك الضارية، حتى امتلاءت خزائنهم، بمختلف الانواع، وحتى ان السلاح الذى هرب لم يكن شيئا مغريا، ذلك لأن السلاح المهرب الذى قيل عنه بأنه سلاح المانى، يحتاج الى ذخيرة عندما ينضب القدر المستورد، مع السلاح، بطريق التهريب، فيبقى حينئذ معطلا، بخلاف ما يحرزون عليه فى المعامع، اذ تمدهم بكل ما يلزم .

أما ما قيل من ان الثورة كانت تلقت اعانة فى شكل المواد الغذائية، فان ذلك يعتبر أيضا اغراقا فى الاختلاقات، لان أقطار الاسلام كانت كلها ترزح تحت نير الاستعمار، فلا يمكن ان تحرك ساكنا مع بعد الشقة، فيما بين الريف ومصر، التى وحدها أيدت تأييدا مع تسامح المحتلين الانجليز، ولكن من أين تمر هذه الاعانة الغذائية؟ والحال أن البحر الابيض المتوسط محروس ببوارج الاعداء .

اللهم ما كانت ترسله اسبانيا لابنائها من أسرى الحرب فى الريف، وهو خاص بهم، لا تعدى فيه أيدى الغير .

ثلاثة رجال من بنى ورياغل فى الجانب الآخر

سليمان الخطابى :

مما يجدر ذكره كحادثة تاريخية لجوء الشيخ سليمان بن المجاهد الخطابى الى الجيش الاسبانى، وهى قضية تلقى ضوءا ساطعا على بعض الاحداث التى أعقبها تنظيم ابن عبد الكريم للثورة .

قد سبق ان ذكرنا أن برينكير لما حضر الى جزيرة الحسيمة ذهب لفيف من رجال اجدير لملاقاته هناك، وكان من بينهم سليمان الخطابى، فلما ذهب برينكير، فرضت قبيلة بنى ورياغل غرامة على الذين حضروا الى الجزيرة، فما كان من موح ابقيوى ان دفعها، وكذلك السى بوبكر كما تقدم، أما القائد سليمان فقد امتنع عن دفعها، واعتصم بداره، وقد بعث اليه ابن عبد الكريم يعرض عليه أن يذهب الى مؤتمر سيدى أبى

العفيف، على أن يؤدى عنه ابن عبد الكريم الغرامة، وقد أجابه سليمان بأنه مادام بيده بندقيته فلا يخضع لاداء الغرامة، وكان شجاعا مغامرا، حملته الانفة ان لا يخضع لابن عمه، وهنا نروى الحادثة عن أحد أعمامه الاشيب مولود أزروق كنيته فقد قال ذهب الى جزيرة الحسيمة، وقرر مع رجالها على أن يشعلها حربا على رجال القبيلة، وطلب منهم أن يعينوه بمدفعية الجزيرة، عندما تحتدم المعركة، مع القبيلة، ثم رجع الى أجدير، وذهب توا الى دار موح ابقوى، وقد وجده دفع الغرامة، وبدا منه عدم رضاه على مجيئه، وجماعته منهم مولود بن محمد موحند المذكور الى داره، فقرر أن لا يشعل الحرب، لانه بقى وحده فى الميدان، فأرسل مولودا هذا الى الجزيرة يعلم رئيسها بأن يعدل عن الضرب بالمدافع، لانه لم يجد انصارا لخوض المعركة، واعلمه بأنه سيلتحق بالجزيرة، وفعلا ذهب معه اخوانه علال والعياشى وولده عبد الله، وقطع الى الجزيرة فى زورق، وبقى مولود فى أجدير، وقد أرسله ابن عبد الكريم الى سليمان يطلبه بأن يرجع، قائلا له ان الاسبانيين لا يصلحون لك لانهم لم يصلحوا لى، رغم ثقافتى، ولكن سليمان امتنع لانفته من ابن عبد الكريم وقد ذهب الى تطوان، الى أن كان القتال مع الجيش الاسبانى على شواطىء غمارة، وكان الكبطان كباص مكلفا بالقسم السياسى فى تطوان، وكانت له اليد الطولى مع قبائل غمارة، حيث يقال أنه كان يختفى فى قبائلها فى صورة طالب علم، فانه اعلم سليمان الخطابى بأن رجال غمارة وعدوه بأن يلقوا القبض على قائد المجاهدين فى تلك الجبهة وهو السيد عبد الكريم الحتاش، وكان مخيما فوق تيكساس، فى موضوع يدعى تدقانت، وكان الجيش الاسبانى معسكرا بتكساس، وكانت القوة الاسبانية، متمثلة فى رجال مغاربة بقيادة الكمندان ابرابو .

فذهب سليمان مع جماعة من رجاله لمقابلة قوة الحتاش، وانشبوا معهم القتال، ولكن المجاهدين تغلبوا على قوة سليمان، فهربوا الى تيكساس، وبقى سليمان هناك يقاتل مع بعض أشخاص، وكان هو وحده المسلح ببندقية جيدة، لان الاسبان لم يكونوا يثقون به وبجماعته .

وفى هذه الاثناء ظن الكباص أن سليمان خدعه، وأنه رجع الى

اخوانه المجاهدين، فأرسل رسولا، فأخذه المجاهدون، ثم رسولا ثانيا، وهو محمد بن موح بن حموش، فألقى عليه القبض، وقـدم للقائـد الحتاش، ولما تعرف عليه أطلق سراحه، وتركه معه، ولما لم يرجع الرسولان فقد اعتقد الكباص بأن سليمان التحق باخوانه، فأمر باطلاق عيارات المدافع تجاه المحل الذى يوجد فيه سليمان، أما هذا فقد جرح فى صدغه الايمـن حيث علم الكباص بجرحه، فانجده بكتيبـة برياسـة ابرابو، ثم نقـل الى سبتـة للعـلاج .

ولما انزل الاسبان جيوشهم فى الحسيمة نزل فى الموضع المدعـو سباديا، تحت قيادة الكمندان بريلا، وعند الهجـوم على أجدير، حوصـر سليمان الخطابى فى دار حدو بودراهم بأجدير، وكاد أن يسقط فى قبضة المجاهدين، وكان معه ثمة القائد محمد ازحاف الذى قتل بعد ذلـك فى قرية ازغار، ولم ينج ــ أى سليمان ــ الا باغاثة من الكمندان بريلا حيث جاء اليه ليلا بقوة من المغاربة (الحركة) وجعل ينادى سليمـان سليمـان، ففك عليه الحصار وكانت قوة التريسيـو على الجبل الكبير، وتقيشـت ، وسيأتى تفصيل ذلك عند استعراض أحداث الحسيمة وبعد انتهاء عملية الثورة عين قائد القواد على بنى ورياغل، ثم باشـا على الحسيمة الـى أن توفى، ومن الانصاف أن نسجل أن الرجل كان شجاعا شهما مداومـا للصلاة، وان عمله هذا كان باعثه الانفة وعدم الخضوع لزميل له وابن عمه.

القائد الورياغلى موح بن سعيـد من زاويـة سيدى يوسف

وفى اثناء وجود قوة الحركة تحت امرة ابرابو فى غمارة، كان من ضمن قواد المغاربة المدعو الورياغلى من المرابطين، وكان برتبة اليوتنان، وكان محل ثقة الجيش الاسبانى، حيث كان الساعد الايمن للكمندان ابرابو الذى عسكر فى مثار من غمارة، واستدرجه أحد المجاهدين، وهو عمـر بوكليط من بقيوة، فقد طلبه هذا ان يتلاقى معه خارج معسكر الجيـش الاسبان، حيث نصب له كمينا، فلما خرج احتجزوه، وكان ابن عبد الكريم أمره بأن يستدرج الكمندان ابرابو، ولكن هذا لم يستجب للخدعة، أمـا الورياغلى فقد جيىء به الى سجن المجاهدين، وبقى هناك الى أن أوتـى

به الى سجن سيدى العابد بالحسيمة بحراسة عبد السلام بن الحاج أفقير، وأعدم بأربعاء تروكوت بتمسامان بعد محاكمته بالمحل المعروف بالمجاهدين من طرف محكمة الشعب .

القائد موح أزحاف

كان هذا شجاعا، وقد التحق بتطوان، حيث كان من رؤساء المغاربة، وكان ينافس سليمان الخطابى، ولم يرجح عليه الخطابى الا بقرابته لابن عبد الكريم، حيث حاول الاسبان جعله ندالـه .

فقد جاء مع الحملة التى نزلت فى الحسيمة، وكان ضمن حركة الكمندان بريلا، ولما حوصر سليمان الخطابى فى دار حدو بودراهم، كان يكيد له لاجل ايقاعه بيد المجاهدين، فقد هيأ حيلة لاجل القبض على سليمان، وذلك أنه اتفق مع جماعة من الرجال يلبسون لباس النساء ثم يقتحمون دار بودراهم، حيث يلقون القبض عليه، وكان الغرض من ذلك ليس مصلحة المجاهدين، وانما كان ذلك ليبقى له الجو فارغا للتقرب الى الاسبانيين، ولكن الحيلة لم تتم لان الكمندان بريلا سارع فانجده، وكانت علامة الاشارة هو أن ينادى موح ازحاف بكلمة السر وهى «السبنية حضرت» .

سلاح القتال :

فى بادىء الامر كان امر السلاح موكولا الى ما يملكه كل شخص من بندقية الموزير (الخماسية)، أو بوحفرة حسب مستطاع ومركز الشخص الذى يعنيه الامر، وكان سلاح الموزير يتسرب من الجيش الاسبانى نفسه مهربا بصورة أو بأخرى، حيث يقع التغاضى عن تهريبه، لاجل أن يقتل الاهالى بعضهم بعضا، فى قضايا الدم الموتور، وكان الرقباء السياسيون من الاسبان، يقول بعضهم لبعض شغل الناس، هلموا لاختلاس الاحتلال تدريجيا، وذلك ما وقع بعد موت سيدى محمد أمزيان القلعى، والقاضى السيد محمد العزوزى، الورياغلى حتى امتد ذلك الاحتلال الى الشطر الشرقى من تمسامان ببومجان، وسيدى ادريس.

وكان يبدو للعدو، ان الاحتـــلال بصورة التدريج، هى الخطـة المثلى، التى لا تثير ضجة، أو انتباها من الاهالى المنشغلين فى ضغائنهم المحلية، ولم يثر انتباههم الا عندما اصطدم الخصمان المتحاربان فى أولى المعارك الحاسمة بقمة ابران، حيث كان لهذا السلاح الدور الحاســم، للاحـــراز على ذلك الانتصــار الذى بهر الاعــداء، والذى كان فاتحــة انتصــارات تاليـــة .

ان أولى المفاجآت المفرحة والمغرية للمجاهدين، أن يجدوا فرصة ثمينـــة للاحراز على الاسلحـــة التى خلفها العدو بين أيديهم، فجعلــوا يرمون السلاح العتيق، ليأخذوا خماسية جديـــدة .

وهكذا تدفق السلاح اثر الانتصــارات فى المعارك المتتاليـــة .

وقد حار العــدو بعد ذلك، فلم يجديه الاسلوب القتالى الـــذى يعرفه، وتمرن عليه، فجعل يشتكى من فلسفة قتال جيوشهم النظاميــة، التى فشلت أمام المقاتلين المغاربة، فقد قال أحد قادة الغزاة الاسبانيين (1) ما معناه «للحـــرب المغربية مظاهر خاصة، بالنسبة للارض وللعـــدو (المغاربة)، ورغم ان الفنون الحربية لها مبادىء مبسطة ولازمة، ولابـــد من تطبيقها، لان الاستهانة بها قد تؤدى الى أوخم العواقب، لكن عندمـــا تطبق هذه المبادىء لابد من اعتبار طبيعة الارض، وشكل العدو، ومـــاذا يستعمله من الادوات، ولذا نرى ان الامر يختلف عندما نحارب فى بلـــد كالمغرب، لان الامر يتعلق بمحاربين يبتكرون وسائلهم الخاصة فى فنون القتال، مستوحاة من اتصال بعضهم ببعض، حين يتفقون على العـــداء للغـــير» .

«وعليه فالحرب فى المغرب لها أهميتها الخاصة، ولا يمكـــن أن تكون كالحرب فى أوربا، لان المغاربة لا يرتكبون أى خطأ، بل يستغلـــون اخطاء عدوهم فى الحين» .

وزاد يقول: «وقد يستغرب بعض القادة العسكريين حين أقول، بأن للمغاربة مبادىء أصيلة فى فنون الحرب، يطبقونها بحذافرها، فاذا

---

(1) الجنرال غوديد فى كتابه المغرب ومراحل التهدئـــة صحيفة 41 .

أردنا دراسة أسلوبهم الحربى، نجدهم يستغلون أية فرصة تسنح لهم نظرا الى أنهم سريعو التحرك، ويصعب ضبطهم فى القتال، لاجل القضاء عليهم، أولا لحالة الطقس، وثانيا للارض الوعرة، وثالثا للتحرك الدائم، حيث يظهر العدو ويختفى بسهولة، بحسب ما يناسبه، وفى هذه الحالة يصعب الحرب مع هذا العدو» .

«ولهذه المبادىء الاصيلة من أن الحرب المغربية لها ظروفها الخاصة، غير ظروف الحرب فى أوربا، وان المغربى محارب صعب الاخضاع والانتصار عليه نهائيا، فان جيوشنا تكونت فى عقليتها القتالية، بصورة ضعيفة» .

«ولهذا فان الحرب فى المغرب لا يمكن أن تطبق فيه العلوم العسكرية،، لان المغربى فى قب جلابته يأخذ التموين، ويمكن أن يقاوم بسهولة، جيشا منظما، من حيث التموين، والصحة، وجميع الامكانيات، ومنطقة قتاله، حيث يصل نار بندقيته وهو حر فى تلك المنطقة، يتحرك كيف يشاء، وبصورة فردية، فهو بذلك يكون محاربا كاملا، ولذا قال المارشال بيتان، ان الجنود المغاربة من أشجع الجنود فى العالم، وكمحارب لا يوجد من يماثله فى المعركة، فالريفى والجبلى والغمارى، كلهم محاربون، سريعو التحرك، أقوياء يقاتلون ببسالة نادرة، لانهم متعودون على استعمال العنف من منذ الطفولة» .

واذا كان السلاح متوفرا بعد انتصار انوال، فان المحاربين الارياف نشطوا الى درجة ازعجت الاعداء، ازعاجا كونت لديهم عقدة عدم غلبتهم بأى حال من الاحوال، وهى حالة اسدت كثيرا من المعونة المعنوية لدى الوطنيين المقاتلين، وقد أصبح العدو لا يملك أن يثبت فى القتال، بل من أول وهلة يفكر من أين النجاة بجلده، لانه حسب تعبير غوديد فى مكان آخر «أنه رسخ فى ذهن جنودنا، أن الجندى الريفى له الشرف كل الشرف أن يموت فى المعركة هو موت الحق ضد الباطل، ولذا فلم يمكن تساوى الطرفين المتحاربين فى المعركة وهو سبب انتصار المحاربين الارياف القليلى العدد على الجحافل الاستعمارية» .

فالسلاح المستعمل فى هذه الحرب التحريرية المثالية كان على الشكل التالى :

1 — سلاح مملوك للثورة، مما غنم بعد معركة ابران وأخذ فى المعارك ضد اسبانيا، وضد فرنسا، وهذا السلاح يعتبر سلاحا أساسيا، له احتياط مهم فى المخازن والمستودعات، تحت يد حكام المحاكم، وكان يشتمل على السلاح الخفيف كالبندقية (الخماسية والرباعية والتساعية)، والثقيل كالمدافع والرشاشات ومدافع الهون .

ومن هذا النوع السلاح الذى أخذ من الريسونى عند القبض عليه.

2 — السلاح الذى كان عند الاهالى عند معركة انوال، والذى كان ملكا خاصا لكل فرد، وقد أمر ابن عبد الكريم بجمعه وايداعه فى المراكز الامامية للمجاهدين، على أن يأخذه المقاتلون فى تلك المراكز، وعندما يرجعون الى ديارهم، يدعونه تحت يد أمناء سموا أمناء السلاح، ولم يترك السلاح الا لبعض الشخصيات المسؤولة .

الا أن هذا التدبير قد أحدث بعض الفتور فى همم المقاتلين الذين اعتبروا أنهم بذلك يكونون كجنود محترفين، الذين يطلقون الرصاص اعتباطا الى الامام، من دون تصويبه تصويبا دقيقا، الى الهدف المعين .

ذلك ان السلاح عندما لا يكون مملوكا لصاحبه، لا يهتم به ، ويتعرض للصدأ، وحينئذ لا تكون الطلقة النارية تسير باتجاه مستقيم يحقق الاصابة، فضلا عن البندقية اذا كانت غريبة عن الرامى بها لا يعرف جدتها من حيث كونها غير مستعملة بالكثرة التى تدعها مخروطة الماسورة، الى حد تستوعب الرصاص بتمامه، وهى فنية يعرفها حذاق الرماة.

وهكذا قامت وسوسة، أعقبها تذمر، عند فراقهم لبنادقهم الخاصة.

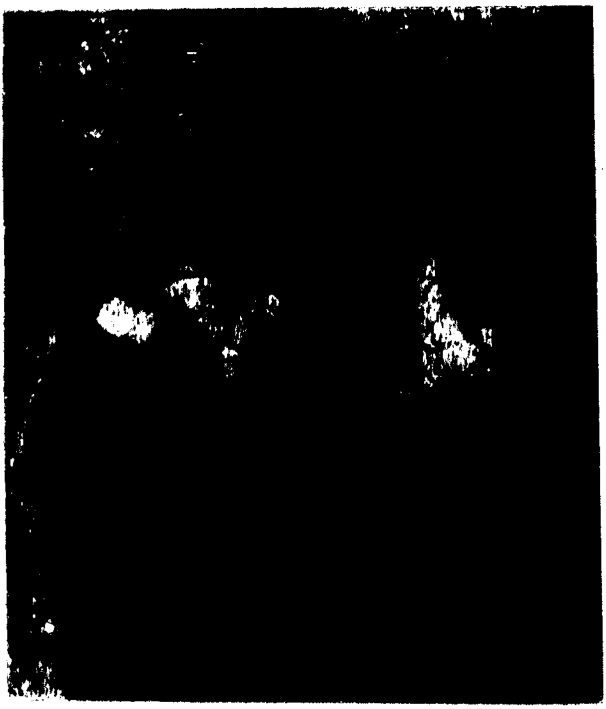
ومع أنه يبدو أن هذا التدبير ضرورى لحفظ سلامة المواطنين، فيما بينهم، وعدم اثارة الاحقاد الدموية، الا أنه اثر تأثيرا ظاهرا فى معنويات المقاتلين، وانحطت الى درجة معنويات الجندى المحترف، لانهم أصبحوا يرون أنهم مجرد دميات تتحرك بارادة الغير، تقاتل بسلاح لا رقابة لها عليه، ولا سابق عهد بها، فقد تكون بندقية فاسدة لا تصلح للقتال، يأخذها من وسط البنادق كيفما تيسر، والحقيقة أن كل من قابلته



Example of 'Abd al-Krim's paper money, which never went into circulation. Photograph from personal archives of the late Col Emilio Blanco Izaga

صورة الورقة البنكية المزعومة التى قيل ان ابن عبد الكريم اصدرها.

ولا يخفى على القارىء افتعالها، وبالاخص عبارات **خمسة ريفانات** وهى كلمة غير مفهومة، ولا يمكن لعربى قح مثل ابن عبد الكريم ان يرتضاها فى عملة للتداول وكذلك اقحام كلمة حكومة بعد بنك، كما لا يرتضى النجمتين السداسيتين وهو وطنى صميم .



الطيار مرتينس الذى سقط بطيارته فى
تمسامان برأس سيدى شعيب يتحدث مع
الصحفى الاسبـــانى

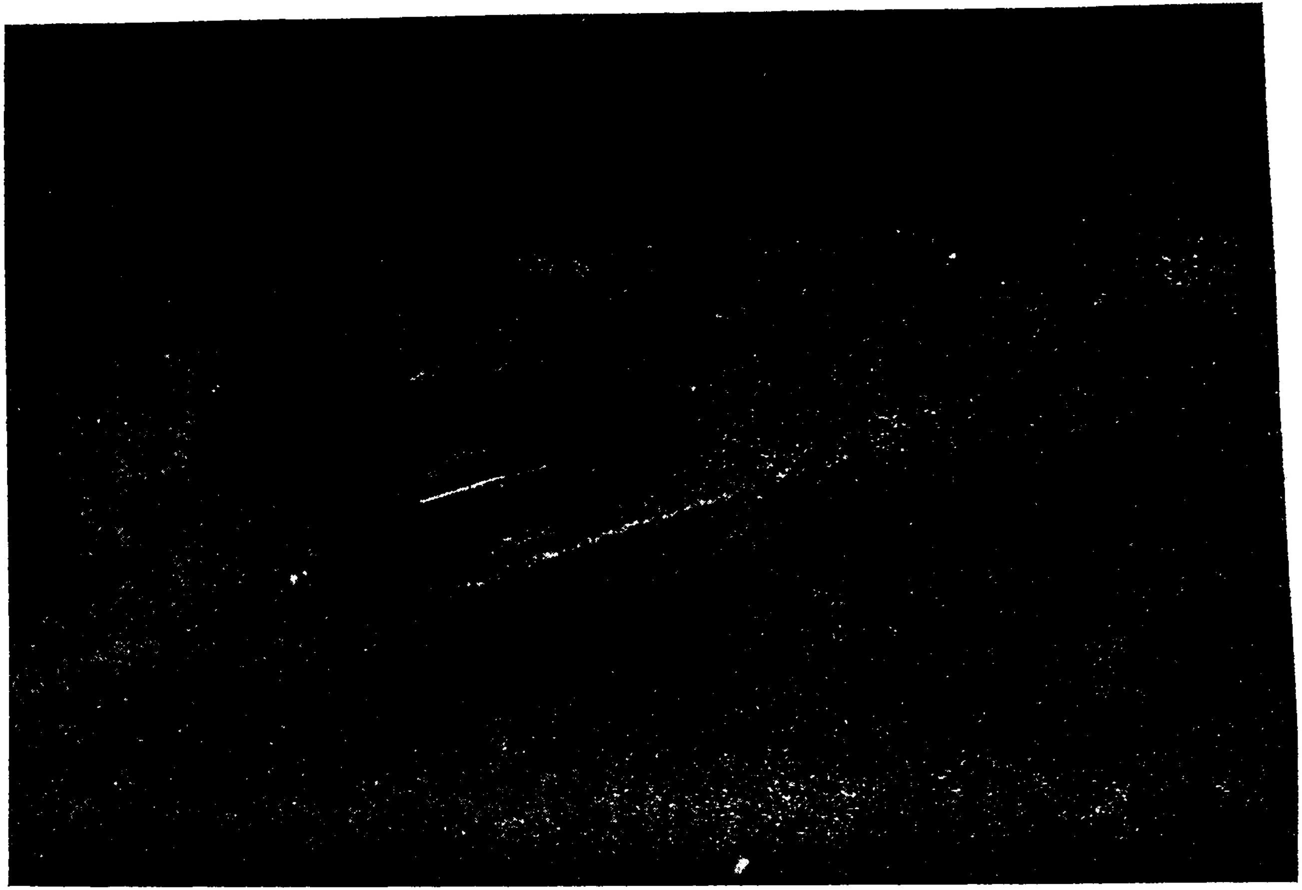
من رجال الثورة اشتكى من هذا التصرف الذى كاد أن يؤدى الى فتور همم القتال .

3 — ومن السلاح القديم المدعو بوحفرة، وهو نوع كان عند المخزن المغربى قديما، الا أن هذا السلاح لم يعد صالحا للاستعمال، بعد ما أحرزت الثورة على ما أحرزت عليه من الانواع الجديدة .

وقد فكروا فى استعماله كعبوات ناسفة تستخدم لنسف ثكنات العدو، فكانوا يحشون ماسورته، الحديدية من الديناميت الذى يحصلون عليه من قنابل الطائرات التى تسقطها أرضا ولا تنفجر، يضعونها فى الخنادق التى يكونون قد حفروها ليلا، تحت أرضية الثكنة، ويشدون خيطا طويلا فى زناده، وعند الوقت اللازم يجبذون الخيط من بعيد، حيث تنفجر العبوة، فتنسف القشلة بمن وما فيها .

4 — من القنابل اليدوية التى يصنعها فنيون بدائيون من الاهالى، على هيأة الرمانة، والتى تحشى أيضا من ديناميت قنابل الطائرات الغير المفجرة، ممزوجا بشظايا القنابل المتفجرة، ذلك أن قنبلة الطائرة التى تزن 200 كيلو، والتى تدعى «غلياط» يصنع منها هؤلاء الفنيون 470 قنبلة يدوية، تستخدم بشكل مفيد جدا، وحاسم عند الهجوم على كمين أو ثكنة .

5 — أما الطائرات فقد حصل الريف على ثلاث طائرات، احداهما كان اشتراها من الجزائر بواسطة حدو الاكحل البقيوى باشراف السيد محمد أزرقان الذى سمى ناظرا للخارجية، اشتريت من ربان الطائرة الذى هربها، والذى انتحل صفة السائح المتجول، وقد جاء بها هذا الربان مصحوبا بالقائد حدو الاكحل الى أن نزلت أولا بالموضع المدعو توفست، بين قبيلتى بنى ورياغل، وبنى يطفت، ثم أصلح لها مطار فى أزهورا من قبيلة بقيوة، بالموضع المدعو بازغار، حيث وضع لها هناك خندق تأوى اليه عن انظار طائرات العدو. أما الثانية فهى طائرة اسبانية سقطت بتمسامان فى رأس كيلاطو، كان يقودها الكبطان «هيرليس مرتين» وهو الذى كان يدعى عند الارياف بالكبطان الرايس، وكان معتقلا بأجدير مع الجنرال نفارو .



الطائرة التى بقيت مغطاة بالعشب بتركيست

وسبب سقوطه انه ضل الطريق، حيث لم يكن يعرف جهـات الشمال، فلما وصل الى تركيست دخل فى برد قارس، حيث وقع له عطب فى الطائرة، فلم يستطع مواصلة الطيران الى أن نزل بها سالمة علـى اليابسة فاحاط بها المجاهدون والقوا القبض عليـه .

أما الثالثة فانها اسقطت فى وادى لو، وبقيت سالمة .

وقد قامت هذه الطائرات بتحليق الى جهة الخط الجنوبى على مرنيسة، ويقال أنها قامت بتحليق صوب مليلية وتطوان، وكان الطيـار حدو الاكحل يعلم الارياف قيادتهـا .

ورغم أنه قتل شقيقه عمر سينتو فى قضية تهريب الاسرى كما سبق، فانه أسدى عملا للثورة لا ينكـر .

وقد كان الطيران الاسبانى يترصدها الى أن عثر على مخباهـا بأزمون، فجاء سرب من الطائرات الاسبانية من خليج الحسيمة، طـار من حاملة الطائرات مارا على مرسى الحسيمـة، فصب قنابلهـا التى حطمتها نهائيا، ويقال أن أحد عملاء العدو ذهب الى تطوان، وأطلع المقيم العـام على مخباهـا .

وكانت نظرية ابن عبد الكريم أن يملك غطاء جويا يرهب بـه العدو، ويكون غطاء للمقاتلين فى المعـارك .

6 ـ السيارات التى كانت تسهل تنقل أركـان الحرب، ولـذا يمكن عدها من الادوات الحربية، فقد كانت للثورة ثلاث سيارات جلبت كلها من الجزائر بواسطة القائد حدو الاكحل وعمه محمد بن عمر عياذ الذين كانا يسكنان فى عجرود من الجزائر، وكان هذا الاخير سائقا ماهرا احداها رونيت والثانية فورد والثالثة توركان بيرى .

وقد سلكا بها طريق حاسى وينرزكا ـ كروا ـ ووادى كرط ـ وادى النكور ـ عقبة ازغار ـ فأجدير .

وقد هيأ لها ثلاثة مآريب (كراجـات)، احدها بازغار، وثانيهـا ببوهم، وثالثها بتركيسـت .

وقد اهتم ابن عبد الكريم بتعبيد طرق السيارات للمواصـلات السريعة، فكانت هناك طريق ثانوية مفتوحة من أجدير الى آيت قمرة،

وكانت حسنة جدا، كما كانت هناك طريق ثانوية من آيت قمرة، الى تركيست وهى دون الاولى فى الجـودة، وكانـت صالحـة للسـير ، كما فتحـت طريق ثلاثية من أجدير الى أربعاء توريرت، ومن توريرت الى سيـدى على بوعقبة بكزناية، وكان الغرض من تعبيد هذين الطريقين تسهيـل ايصال السيارات التى تشترى مهربة من الجزائر، أو المناطق المحتلـة من فرنسا بالمغرب، كما تسهل تهريب قطع الغيار للسلاح .

وقد كانت هندسة هذه الطرق على يد موح موزور من أجديـر وهو أمى، ومع ذلك فان الطـرق التى عبدهـا هى التى سارت عليهـا اسبانيا بعد الاحتلال، مع تغيير بسيـط .

وعندما انتهت الثورة عثر الاسبان على تصاميم للطريق مـن مليلية الى تطوان، عبر تركيست ـ باب برد ـ باب تازة ـ شفشاون ـ تطوان، وكانـت الطريق مرسومـة فى التصاميم بالكيلومترات ما بـين 200م و300م وهى التى اتبعها الاسبان بعد الاحتـلال .

وذلك لان تنقل المدفعية الى جهات القتال، كان يفرض بالحـاح تعبيد الطرق، لتسهيل نقلها حسب الحاجة، فقد لقى المجاهدون مصاعب جمة، حيث ينقلون المدافع على البهائم فى الفترة الاولى، التى أحـرزوا فيها على المدافع، واضطروا لنقلها مثـلا الى بادس والى غمـارة الى أن تمكنوا من الاستلاء عليها فى كل جهة، فاستخدمت فى جهاتها .

كميـة السـلاح الخفـيـف :

كان تدفق السلاح فى مختلف أنواعه من اسبانيا وفرنسا علـى مراكز القتال، وخزائن الثورة، مما يغنم فقط من معارك القتال، بلـغ الحاجة الكافية لترسيخ اقدام الثورة الى ما شاء الله، ولم تكن هنـاك حاجة لشرائه بالتهريب، ومع ذلك فقد وصلت بعض الشحنات عن طريق البحر الى مراسى بقيوة، على ظهر يخت أتى به نقيب انجليزى، وانزل السلاح فى مرسى اسلى وغطـى اليخت بغابـة كثيفة، كى لا تكتشفـه الطائرات الاسبانية، وقد بقى هذا النقيب عند الهادى بن دادى التسولى بداره ثمانية أيام، وبالتفصيل التالى، يتضح أن السلاح كان فى الكفاية الكافية، فقد ضبط الجيش الاسبانى عند الاحتلال وحده حسبما جـاء

فى تقاريره من البنادق المختلفة الانواع من خماسية (اسبانية) وسباعية ورباعية (فرنسية) 110.000 (مائة ألف وعشرة الآف) بندقية عدا ما أخذه الجيش الفرنسى من قبائل تافوغالت الى وزان، ويقدر بنحو 35 ألف بندقية وعدا ما كان من السلاح القصير، كالمسدسات ومدافع الميدان، ومع ذلك فان العدد غير مدقق، لان الاهالى اخفوا كثيرا منها استخرجها منهم بعد الاحتلال بالتعذيب والتقتيل .

الرشاشات :

كانت الرشاشات بلغت حوالى 300 كانت تحت الجيش النظامى منها 100 كانت على شواطىء البحر مركزة على المواقع المهمة تحت التعبئة العامة .

ولاجل اعطاء المثال حسب رواية القائد حدو أوسار، (1) (لازال حيا) الذى كان قائد الرشاشات على شاطىء البحر من خليج الحسيمة الى سيدى ادريس بتمسامان، قال: كان تحت امرته مائة من الطبجيين المتمرنين على الرشاشات، وكانت تحت تصرفهم 25 رشاشة بحساب أربعة طبجيين على كل رشاشة، وكانوا موزعين حسب التالى :

1 — 50 طبجيا على ساحل خليج الحسيمة، من سيدى العابد غربا الى وادى النكور شرقا، تحت تصرفهم 13 رشاشا، منبثين فى أعشاش ابتكروها هم بأنفسهم، تحت سقف من الاخشاب الغليظة المغطاة بغطاء سميك من الرمال، وقد حضرت تلك الاعشاش بكيفية معوجة، انتقاء من شظايا قنابل المدافع، التى تنفجر فى مدخل العش، وعندما ابتكروا هذه الاعشاش واعلم بها الامير ابن عبد الكريم، جاء بنفسه ليزورها، فاستحسنها وأمر لرجالها بكميات من حبوب الزكاة، الا أن الطبجيين لم يقبلوها، معتذرين بأنهم يحتسبون عملهم فى سبيل الله، ولا يريدون عليه جزاء ولا شكورا .

2 — 25 من الطبجيين على شواطىء تمسامان من سيدى عمر اموسى غربا الى سيدى ادريس شرقا، وكان تحت تصرفهم ستة رشاشات.

3 — 25 منهم فوق قمة تيزى عزة بتمسامان، فى منطقة انوال،

---

(1) شاهد عيان .

تحت تصرفهم ستة رشاشات، موزعين على القمم المقابلة لمراكز العدو، وأهمها قمة تيشاوين وجمعية اقـداراً، ببنى وليشك، وكان من جملـة الطبجيين فى هذا المركز الاخـير محمد بن الحاج تهامى ازفزاف، وكـان شاباً قويا مومنا بالانتصار دائما، وهو من عائلة محترمة فى بنى ورياغل، (لا زال فى قيد الحيـاة) .

وقد قال حدو أوسار قائد الرشاشات أن هؤلاء الطبجيين يعدون مسؤولين عن اصلاح الرشاشات وتعهدها حتى أنهم يعتبرون أنفسهـم كأنهم مالكون لها، ملكا خاصا، بحيث لا يستبدلـون الى رشاش آخـر، فكل أربعة لهم رشاشتهم، يعرفون عيوبها ومزاياها، وانما خصص أربعة لكل رشاش لاجل ان يتناوبوا على زيارة الاهل اثنين اثنين .

أما المائتا رشاش، فقد زود بها الجيش النظامى الريفى الـذى أنف تدريجيا، وكان الجندى الرشاش يعتبر أعلى رتبة من جنود المشاة، ولهم ميـزات من ناحية الاجرة اليومية، فقد كان لهم 17،50 بسيطـة وهى أعلى حتى من الجندى الرشاش الاسبانى، كما تميزهم عن أفـراد المشاة بعمامة كحلاء، أو خضراء حسب الرتب، وهم تحت قيادة القائـد احمـد السوسى .

المـدافـــع :

عند انتهاء الثورة، كان يوجد عند رجالها، حوالى 150 مدفعا، من مختلف الاحجام يستعملها طبجيون ريفيـون بمهارة فائقة، وكـان الطبجيون لهم مميزات خاصـة فيما يتعلق بالاجـور التى يتقاضونهـا فكان أجرهم اليومى 17،50 بسيطة مثل جنود الرشاشات .

وقد تدرب هؤلاء الطبجيون على يد الكبطان سربيو الاسبانى، الذى كان اسلم وحسن اسلامه وكان فنيا فى المدفعية بكل معنى الكلمـة ومخلصا للثورة الريفية، وقد قتل بجبل بو حردوف ببنى شيكار مـن قلعية، لما كان يضرب مليلية بالمدفع الذى نصب هناك، فأصابته قذيفة من مواقع العدو على بطنه فاستشهد هنـاك .

وقد خلفه فى مهمة الفن المدفعى أول مواطن له خبرة بالفـن، يعرف بموش كان أسود اللون أبيض القلب، وكان تمرن على المدفعيـة

أيــام المولى عبد العزيز، وبتاريــخ 1923 التحق بالثورة الريفيــة على رأس المدفعية، فكان مخلصا للثورة، وماهرا فى استعمال واصلاح المدافع، وقد توفى رحمه الله سنة 1924 اذ أصابته وهو يؤدى عمله قذيفة مــن طائرة العدو، ثم خلفه شخص فرنسى كان على رأس مدافع خليــج الحسيمــة .

ولاجل اعطاء فكرة عن تركيز مدفعية الثورة، نبين بعض الموقع الحربية الهامة التى نصبت عليها بعض تلك المدافع .

1 ــ مدفع واحد فى جبل اجداين من النوع الاسبانى (كبمانية)، كان تحت مسؤولية محمد بن دادى ومعه أربعة طبجيين آخرين، وهو مصوب نحو البحر يقوم بمهمة حراسة شواطىء المراسى الصغــيرة بين جبــال الحسيمــة .

2 ــ مدفعان اثنان فى الجبل الكبير (ادهر امقران) من النــوع الاسبانى (كمبانية) تحت مسؤولية القائد عمروش بن عبد السلام، ومعه تسعة طبجيون ريفيون بمهمة حراسة أجدير، وشواطىء الحسيمة .

3 ــ مدفع واحد فى دهار تمسامان من النوع الاسبانى تحــت مسؤولية احمد بن احميتوش مع أربعة من الطبجيين الارياف، ومهمتهم رقابة خليج الحسيمة الشرقى .

4 ــ مدفع واحد بدهر طارفة بأجدير، وهو من النوع الفرنسى تحت مسؤولية حدو بن على الورياغلى مع أربعة مدفعيين آخرين .

5 ــ مدفع واحد برأس الطايث، وهو من النوع الاسبانى تحت مسؤولية محمد بن شعيب، ومعه أربعة مدفعيون مواطنون .

6 ــ ثلاثة مدافع على ادهر اسدون، اثنان من النوع الاسبــانى والثالثة من النوع الفرنسى تحت مسؤوليــة حدو البحرى الاجديــرى المعروف بكيخوطى لذكائه ولباقته، وكان معه عشرة من المواطنين والمانى واحد برتبــة سرجــان .

7 ــ مدفعان اثنان على قمة الروكوصا وهما من عيــار 1/2 7 نوع اسبانى، تحت مسؤولية علال بن الحاج وعمر بن علوش، كلاهمــا

من أجدير، ومعهما عشرة مدفعيين مواطنين، وقد استشهدوا مع مدافعهم ماعـدا اثنين منهـم .

8 ـ مدفعان اثنان على جبل المساحين من النوع الاسبانى تحت مسؤولية محمد بن علوش ومحمد بن مسعود كلاهما من اجدير استشهدا مع مدفعيهما، وكان يعاونهما سبعة من المواطنين .

9 ـ مدفع واحد على جبل كيشوش تحت مسؤولية حدو بـن عبد السلام، مع أربعة من المواطنين .

10 ـ مدفعان اثنـان على جبل اعيسـاوى، وهما من النـوع الفرنسي تحت مسؤولية سلام بن الحـاج حمادى ومعه فنى فرنسـى وسبعـة من المواطنين .

11 ـ مدفع واحد على جبل اخزيون من النوع الفرنسى تحـت مساولية حدو بن عبد السلام، مع مواطنين اثنين .

12 ـ مدفع واحد من النوع الفرنسى على جبل مرتاح تحـت مسؤولية محمد بن مسعود، مع اربعة من المواطنين .

13 ـ مدفعان اثنان من النوع الاسبانى على رأس كيلاطاس.

هذه المدافع كلها على القمم والجبـال التى تشرف على خليـج الحسيمة، وما حوله، حيث كان يعتقد أن يقع انزال جيوش الاعداء من البحر، وهى التى أغرقت البارجة الحربية «خوان دى خوانين» التى كان ارسلها المفوض السامى الجنرال برينكير فى بحر سنة 1922 الى خليـج الحسيمة لاستطلاع تلك المنطقة استعدادا لغزو ذلك الخليج من البحـر بانزال الجيوش هناك الى اليابسة، ولما اقتربـت البارجة الى جزيـرة الحسيمة اغرقها المجاهدون بثلاث طلقات من المدفعيـة التى على قمـم الخليج، وقد جرت فى ذات الوقـت معركة حاسمة بالمدفعية بين مدفعيـة جزيرة الحسيمة للاعداء، وبين مدفعية المجاهدين على قمم الخليج، كانت اصابات كثيرة لحقت بالجزيرة، ولكن لتحصينها بالاسمنت المسلح لـم تنل مدفعية المجاهدين منها منـالا .

14 ـ مدفعان على مركز سيدى سعيد بتمسامان احدهما من نوع اسبانى والآخـر فرنسى .

15 ــ مدفع واحد اسبانى على جبل وديا بتمسامان، قبالة مراكز العدو فى خط القتال بتيزى عزة ــ تفرسيت ــ سيدى مسعود ــ سيدى احساين .

16 ــ مدفع واحد من نوع فرنسى على جبل افرنى قبالة تفرسيت، وكان للعدو بتفرسيت مدفع من النوع المعروف عند الاهالى «بولخناشى» وهو مدفع وحشى مزعج، وسمى بذلك لان قطع الديناميت التى تندفع به قذيفته كان يوضع فى أكياس (الخناشى)، فعندما يشتعل الديناميت بالضغط على الزناد يحدث دويا كالرعد القاصف، يصك الآذان، فتخرج القذيفة مرتفعة فوق رؤوس المجاهدين، فى هرج من الاصوات المرعبه، حاف حاف حاف، وكان مصوبا ضد مدافع المجاهدين هناك التى يسكتها احيانا .

17 ــ ثلاثة مدافع على قمم قبيلة بنى توزين على الجهات التى تقابل العدو، اثنان منها اسبانيان والثالث فرنسى .

هذه هى بعض المدافع التى كانت مصوبة ضد مراكز العدو فى الريف الاوسط، أما المدافع التى كانت الى الجهة الغربية فكان هناك :

18 ــ مدفعان اثنان احدهما من نوع اسبانى والآخر فرنسى وكانا فى شواطىء بنى بويفرح مصوبين باتجاه جزيرة بادس .

19 ــ مدفع واحد من نوع اسبانى فى قبيلة متيوة على شواطئها على الضواحى الشرقية لفرضة الجبهة بغمارة .

20 ــ مدفع واحد من نوع اسبانى على الضواحى الغربية لتلك الفرضة .

21 ــ مدفع واحد اسبانى على قمة فوق مرسى تيكساس بغمارة .

22 ــ مدفع واحد اسبانى على قمة فوق قاع اسراس بغمارة.

23 ــ مدفع واحد نوع فرنسى على جبل بوزيتون بقبيلة بنى حزمار الجبلية مصوب ضد مدينة تطوان .

24 ــ مدفع واحد من نوع فرنسى فى قبيلة بنى يدر مصوب تحت عنق المر أمام ظهر القيطون .

25 – مدفعان اثنان احدهما نوع اسبانى والآخر فرنسى على قمم قبيلة بنى حسان، مصوبان باتجاه الممر الوحيد الى شفشاون .

26 – مدفع واحد اسبانى بجبل تازروت بقبيلة بنى عـروص، وهو الذى استخدم ضد الريسونى .

27 – مدافع أربعة من نوع اسبانى مبثوثة حول المركز العـام لقيادة الامير امحمد الخطابى فى قرية تغزوت من قبيلة بنى حسان .

مستودعـات الالآت الحربيـة والـذخـيرة

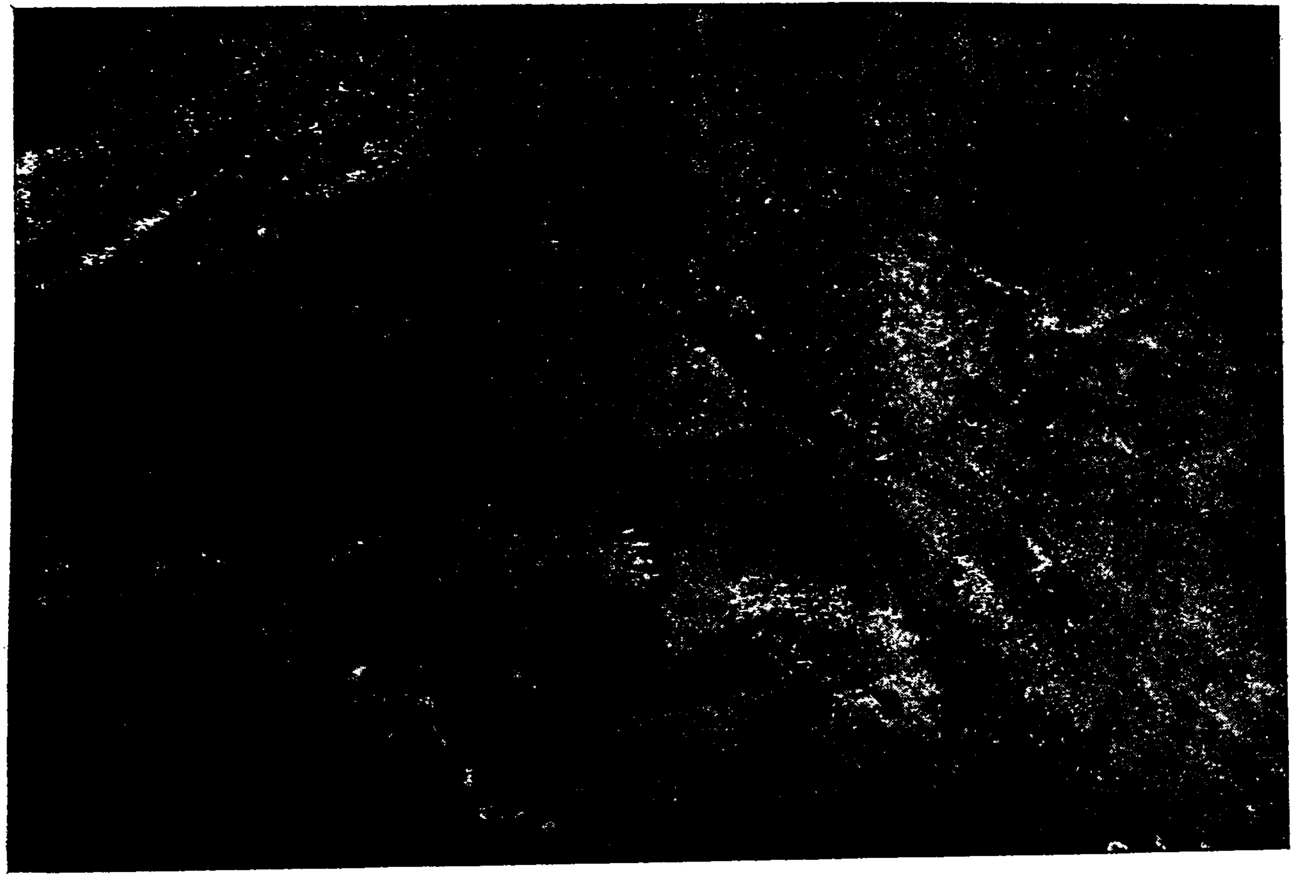
وهذه 42 مدفعا عدا ما كان مبثوثـا فى جبال قبائل ورغة ضـد الجيش الفرنسى، وعدا ما كان فى مستودعات الثورة التى تستوعـب الالآت الحربيـة .

وهذه المستودعات كانت تخفـى، ليبقى أمرها سـرا، حتى لا يتسرب خبرها الى العدو فيرسل طيرانه لاتلافها .

1 – المستودع المركزى فى قريـة ازغار ببنى ورياغل قـرب أجدير وهو الذى كان يحرس فيه حدو ازحاف مع بوراس بـدار السى حدو أكوح، وقد استوليا عند هجوم العدو على أجدير على الاثاث وسلع الكتان التى كانت أخذت من الريسونى والعياشى الزلال، ومما أخـذ فى المعارك التى جرت فى بعض القرى الحضرية فراحا يخفيان تلـك الاشياء لحسابهما الخاص، تاركين واجب الدفاع المحتم عليهما، فى هـذه الحالة التى لا يملك المرء شعوره لجمع الحطام الذى لا تبقى بيده لان اكتساح العـدو كـان سريعـا .

2 – مستودع فى بوهم ببنى ورياغل وهو موضع جرت فيـه معركـة دعيت عند الأهالى والاسبان معا بمعركـة ابلوقا، وكان هـذا المستودع يتوفر على 30 مدفعا، وقذائف الطائرات، والآت حربية أخرى.

3 – مستودع بوصالح من بنى ورياغل، بوصالح قرية على أعالى نهر غيس، وهذا المستودع خاص بالرشاشات، ولم يعرف بالضبط كـم كان فيه، وكان قريبا لمركز سى عبد الله بن يوسف، الذى نقل اليه ابـن عبد الكريم مركز قيادة الثورة العامة بعد نزول العدو فى الحسيمة، وقد جرت فى هذا الموضع معركة دعيت بمعركة تندى وامعيش ذاق فيها الجيش



بطاريات المجاهدين بمركز بوهم بضواحى أجدير مصوبة ضد العدو

الاسباني مــرارة أخرى من مرارات الانهزامــات، حيث كان في عــون المجاهدين امطار غزيرة نزلت مصحوبة بالرعد بينما كانت طلقات المجاهدين يرددها صدى الوديان، والجبال الشاهقة، حيث كان البطل المدعو قوشيح من عشيرة بني عروص الريفية من بني ورياغل، يرسل طلقات التساعية من أعلى قمم جبل حمــام .

4 — وفضلا عن ذلك فكانت هناك مستودعات عى مستوى المراكز الحربية تابعة لمحاكم قواد تسيير الحــرب، وبالاخص المستودع الهــام التابع لمحكمة اخشاب امغار بتمسامان، ومستودع في دشرة ايعكيبا من بني بوعياش، ومستودع بدشرة اكدابا من بني عبد الله .

طريقــة خــروج الســلاح ودخولــه :

المسؤول الاول على السلاح والدخائر الحربية هو السيد محمد بوجبار، الذي دعي متصرفا، ويعمل تحت امرته الفقيه محمد الغمــاري الذي يقطن بتمسامان، وهو المكلف باستصدار الاوامــر الرسمية مــن بوجبار باخراج السلاح من المستــودعات او ادخالها، وتكون الاوامــر كتابيا، حيث يحيط بوجبار ابن عبد الكريم بذلك، وذلك طبقا لطلبــات أكابير المحلات بالجهات المختلفة .

اصــلاح الســـلاح :

يجري اصلاح المدافع والبنــادق التي يعتريها فساد تحــت اشراف المدعو المعلم محند من قبيلــة تمسامان، وكان ماهرا في ذلــك، وله حدادات خاصة لذلك الاصلاح في المراكز المهمة، وتحت اشــرافــه 26 عاملا، جلهم من قبيلة بني بويفرح، عشرة منهم كانوا كخبراء فنيــين حربيين مكلفين بالتفتيش على الاسلحة اينما كانت، صالحة أو غير صالحة، وكان العمال الآخرون يقومون باعانة المعلم محند في تأدية عمله على الوجه الاكمل، وفضلا عن هؤلاء، فكان هناك مجاهدون في مختلف المراكز يحذقون اصلاح المدافع كما كان يفعل شعيب افــدح .

مـخــزن البنــزيـــن :

كان بقبيلة بنى بويفرح خزين خاص للبنزين، الذى تستعمله السيارات الثلاث، والذى جمع مما يؤخذ من الغنائـم، وقد أوصى ابــن عبد الكريم بالاحتفاظ به، وارسالــه الى بنى بويفرح، فكان الخزيــن يتوفر على كمية كبيرة منه، ووضع بعيدا عن أنظار الطيران الاسبــانى، بعد احتياط كبير، ليبقى سره مكتوما بــين افراد قلائل متحلين بالثقــة الكاملة، الى أن استولى عليه الاسبانيون عند انتهاء الثورة، كما استولى على السيارات الثلاث سنة 1926 م .

الوســائــل البحــريـــة :

وصل الى الريف فى اثناء الثــورة زورقان اثنان من الــزوارق، البخارية ذات المحركــات من نوع «لا نشــا» واحد هذين الزورقــين اشترته القيادة البحرية التى يشرف عليها حدو بن على المدعو المعلم من أجدير، الذى يعمل مفتشا وكمندان البحرية بشواطىء الريف، اشترته من أمريكانى حيث أوصلها الى فرضة الشاطىء الجميل بالحسيمة، الذى يدعوها الاسبان كالا بونيتا، وهناك وضعت عليه أكوام من الغابة، لكى لا يهتدى اليه الطيران الاسبانى، فيتلفها، وكان تحــت امرة كمنــدان البحرية، قائد بحرى برتبة كبطان، وســائق فنى فى الميكانيك، وهــو جزائرى يعاونهما طاقم بحرى، مكون من 30 بحارا من المواطنين، وهــم بصفتهم جنودا نظاميين يتقاضون 60 بسيطة شهريا مثل جنود المشاة.

الـخـيــالـــة :

لم تكن هناك فرقة للخيالة تشارك فى المعارك، وانما تكونت كوكبة من الخيالة، كانوا يركبون خلف ابن عبد الكريم فى ترحاله، وكانوا يدعون «الحفاظ»، كلمة مشتقة من الحفظ، وكذلك كانت فى المحاكم الاخرى خيالة يقــوم بمهام المأمورين المعينين لتلك المحاكــم .

الجيــش النظــامــى :

رأى ابن عبد الكريــم أنه من آكــد المهمات ان ينشىء جيشــا

نظاميا يكون درعا للعمليات الحربية، وذلك بعدما أحرز على فدية الاسرى التى تجعله فى الامكان اداء أجوره، طبق سنن الجيوش النظامية.

ففى بحر سنة 1341 هـ. موافق 1922 استدعى شعيب بن حمادى (1) المدعو افلاح، وهو من قرية احدوشا قرب أمزورا (لازال حيا)، تعرف عليه ابن عبد الكريم فى انوال، الذى جعله مركزا لقيادة الثورة بعد هزيمة الاعداء، وذلك بسبب حذقة فى اصلاح قطاع المدافع، فأمره بأن يلتحق بأزغار، حيث توجد حدادة للمعلم محند لاجل استكمال الفن المدفعى، وهناك وجد أشخاصا آخرين منهم القائد احمد السوسى، وشخص تركى وآخر المانى، ومكثوا هناك يصلحون المدافع، وذات يوم أصلح زكروم (2) مدفع وتركه فى الطاير، وذهب لزيارة أهله، وكان بعض الناس غاروا منه فاخفوا الزكروم، ولما زار ابن عبد الكريم الطاير وجد المدفع معطلا، فأرسل الى شعيب افلاح ليستفهمه وربما ليوبخه، وعندما جاء بحث عن الزكروم فوجده مهيأ فى المدفع، وأطلق منه قذيفة فسر ابن عبد الكريم، ثم ان شعيب افلاح ازال الزكروم من المدفع وأخذه عنده، وكان بمحضر ابن عبد الكريم فسأله فى استغراب، لماذا أزلت عنه وتركته معطلا؟ فقال أن حسادى اخفوا الآن الزكروم، وفى يوم ما يقولون بأنه باعه للعدو، ولذا فانى عندما أذهب آخذ الزكروم لاحتضنه، حتى اذا جاء وقت استعماله ركبته فيه، فتفرس ابن عبد الكريم فيه الصلاحية وأمره بتجنيد الجيش النظامى.

وهكذا ففى بحر عام 1341 هـ. ذهب الى سوق اثنين ببنى بوعياش يعاونه القائد عمر بن موح بن سعيد وهو من الشجعان الملحوظين (لازال حيا)، فاستطاعا جمع 60 نفرا كونا بهم نواة الجيش النظامى.

وقد تدربوا على يد احديدان من أجدير، ثم تتابع انخراط الافراد فى الجيش النظامى بعد تدريبهم بأجدير على يد احديدان المذكور.

وأول فوج كان تحت رياسة شعيب افلاح 50 جنديا، وتحت امرة عمر بن موح بن سعيد 25 جنديا، الى أن وصل الجيش النظامى الى 900 جنديا فى ظرف قصير، حيث قسموا على طوابر ثلاثة.

---

(1) حكاية عنه وهو شاهد عيان.

(2) يطلق على قطعة الغيار التى توجد فيها ابرة الزناد.

الطابور الاول : تحت رياسة القائد موح بـ ن عمر الجوع من المرابطين .
الطابور الثانى : بقيادة شعيب افلاح .
الطابور الثالث : تحت قيادة محمد بوحوت من قلعية (لازال حيا).
كان الجندى يحمل بندقية مقلدا من جهة الشمال محفظة الذخيرة تدعى اقراب مالقة، ويزيد الضابط من قائد خمسين فما فوق توشيحه بمسدس عن اليسار .

وأما شعارهم فعمامة من ملف أخضر، جلبابة قصيرة من لون بنى، ويزاد للقواد شارات مميزة لهم على الجندى العادى، فلقائد الطابور ثلاثة خيوط حمراء على العمامة، ولقائد المائة خطان احمران، ولقائد الخمسين خط واحد أحمر عريض وللمسؤول عن 12 ويدعى المقدم (برتبة سرجان) خطان صغيران أحمران .

أما الاجور فلقائد الطابور 150 بسيطة شهريا ولقائد المائة 100 بسيطة ولقائد الخمسين 80 بسيطة ولقائد خمسة وعشرين 70 بسيطة، وللجنود العاديين بما فيهم المقدم 60 بسيطة شهريا .

وعندما يكون الجيش فى منطقة من المناطق الحربية فيكون خاضعا لحاكم تلك المنطقة، الذى يدعى كبير المحلة، ويبلغ الامر الى الجنود حسب التسلسل العسكرى القيادى، سواء ما يتعلق بالتنظيم العسكرى، أو ما يتلعق باطلاق الرصاص .

وهذه التعليمات ينفذها قواد الطوابر بدقة .

وأول استعراض لهذا الجيش النظامى، كان فى تيكساس بقبائل غمارة، التى كان يعمل فى تنظيمها الامير امحمد الخطابى، وذلك فى سنة 1923 م، حيث أقيمت له دعاية فى الاسواق تحت اسم الجيش الريفى، وكان يصل فى مجموعه فى ذلك التاريخ الى مائتين، اذ انضم اليه المتقاعدون المغاربة من الجيوش الفرنسية الذين حاربوا فى الحرب العالمية الاولى، وكذلك المتقاعدون من الجيش الاسبانى، أو الذين هربوا من ثكنات الاعداء، وعلى كل فان الامير امحمد جدد تنظيمه فى تيكساس، وأمر الذين انضموا الى

الجيش الريفى ممن عمل مع جيـوش الاعداء أن يدربوا الآخـرين على التعاليم العسكرية الاجنبيـة .

تنظيم السكـان فى الوحـدات القتاليـة :

وحسب تقارير العسكريين الاسبان سنة 1927 م ، فان القبائل نظمها على نفس أسلوب الجيش النظامى من ناحية التسلسل القيادى وكان فى التقارير التى حصلت فى أيدى الجيوش الاسبانيـة، أنه فكر فى تنظيم دقيق سواء بالنسبة للقبائل أو القوة المحاربة النظامية بما فيـه قضية التموين الحربى، ونهضة الاقتصاد الوطنى التى كانت تشغـل باله كثيرا، حتى يكون الاستغناء على الاعانـات الخارجية، وقد وضـع لذلك مشروعا لمدة خمس سنوات، أبرز فيه كل الجهود التى يمكـن أن يبذلها لاجل تكوين امارة منظمة تنظيما عسكريا عصريا وان يستغل كل الامكانيات التى يعثر عليها من رجاله المناضلين، الذين يعتبـرون أهـلا لكل الاختيارات التى يراها، لانهم من الناحيـة الخلقية الدينية فهـم متحلون بها الى درجة مستحسنة جدا، وهى عنصر هام فى تسهيل المهمة، لان الرجل المتدين له وازع خلقى سالم لتنفيذ أية خطة .

ومن الناحية القتالية فانهم شجعان أقوياء محاربون بطبيعـة تكوينهم، وفوق ذلك فهم متصفون بالعدالة نفسانيـا .

ولذا تقول تلك التقارير الاسبانية، فان مشارعه هذه لم تكـن خيالية، بل كان فى استطاعته أن يكون جيشا نظاميا من البواسل يبلـغ تقريبا 80 ألف رجل، وذلك بناء على العمليـة الحسابية التالية، التـى أجراها المراقبون الاسبانيون :

«فاذا قدرنا ان المنطقة التى حررها يبلغ سكانها 500 ألف نسمة، يسقط نصفها من النساء والصبيان، يبقى 250 ألف من الرجـال، واذا أخذ منهم من يبلغ ما بين 20 سنة الى 40 سنة، يكون مجموعهـم 100 ألف رجل، واذا أسقطنا من هذا العدد من هم مجندون فى الجيش الاسبانى أو الفرنسى من رجال المنطقة المحررة، واسقطنا العجزة، يبقى صحيحـا حوالى 65 ألف جندى قوى، على أن السلاح كما أسلفنا لم يكن ليعوزه،



الضابط غوثيا الاسير فى حرية التكلم مع صحفى اسبانى بينما
حراس السجن يراقبون من بعيد

طالما أن المعارك مستمرة، وانه باستطاعته شراؤه مهربا بطريقة أو بأخرى، فانه كان من الممكن اذا أحرز على الاستقلال أن يكون امارة مثالية فـــى شمـــال المغـــرب» .

الاستعـــراض الضخـــم للجيش الريفـــى :

وقد بدت هذه الافكار واضحة عندما رجع الامير امحمد الخطابى من الجبهة الغربية، مصحوبا بالجيش النظامى فى سنة 1924 م، حينما تحرشت الجيوش الفرنسية بقبائل ورغة، فقد وصل الامير والجيش الى محكمة بنى بويفرح، وتعتبر مركز القيادة العامة للخط الغربى الشمالى حيث يسرى نفوذها على قبائل بنى بويفرح، وبنى يطفت وبنى اكميل ومسطاسة وقبائل غمـــارة .

روى قائد الطابور شعيب افلاح قال: جاء الامير مصحوبا بأركان حربه من تغزوت، بعد افتتاح شفشاون وبعد معركة الوطاء الحمـــراء ببنى حسان، وجاء معه من الجيوش النظامية طابوران اثنان، قوامهمـــا 700 جنديا على رأسهما شعيب افلاح هذا، والقائد موح بن عمر الجوع.

وقد وصل الجميع ذات صباح الى محكمة بنى بويفرح، حيـــث كان على رأس القيادة العامة فيها السيد عبد السلام بن الحاج محمـــد البـــوعيـــاشى .

وبعد تنظيم استعراض ضخـــم أمام الامـــير، والقائد العـــام، للجبهة الغربية الشمالية، وناظر الدفاع السيـــد احمد بودرة، وناظـــر الداخلية السيد اليزيد بن الحاج حمو والفقيه بولحيا، مع جمع من زعماء القبائل الذين جاءوا لملاقاة الامـــير .

وقد ملك هذا الاستعراض اعجاب الحاضرين، اذا جاء بعـــد الانتصارات المحرز عليها ضد الجيش الاسبانى المنسحب من شفشـــاون ووادى لو، وتلامبوط، وجميع المراكـــز، التى كانت خارج تطوان، كمـــا كان أول استعراض للجيوش النظامية فى الريف .

وبعد كل ذلك، تقدم قائدا الطابورين بابلاغ القائد العام الـــذى يعتبر رئيس الجيش المباشر ما دام الجيش فى منطقة نفوذه، تفاصيـــل عن عدد الجيوش والضباط، وحالتهم المعنوية والاجتماعية .

واثر ذلك أصدر القائد العام الامر اليومى بتسيير ما يحتاجه الجيش للمبيت، من الاخبية والمؤونة وعلف الدواب، فكانت ليلة مريحة، شعر فيها انفار الجنود والاهالى بالاعتزاز .

وفى غده ارتحل الامير، وارتحل الجيش معه، ولما وصلوا الى سوق أحد بقيوة، تقدم الامير الى آيت قمرة مع أركان حربه، أما الجيش فقد بات فى سوق الاحد حيث كان على رأس هذا المركز القائد علوش بن شدى وفى غده التحق بآيت قمرة، وقد أصدر الامير ابن عبد الكريم الامر اليومى بأن يتحرك الجيش الى محكمة ازغار، حيث يجب أن يعسكر هناك، الى صدور أمر جديد، وذلك لاجل اقامة احتفال كبير يتناسب والانتصارات التى أحرزت عليها الثورة فى جميع الجهات، حيث كانت منطقة الثورة تمتد من ضواحى تطوان وطنجة والعرائش الى حدود قبيلة قلعية، أى جبال الريف تقريبا كانت تحت نفوذ الثورة.

وقد جرت احتفالات شيقة فى قرية أزغار، لعب فيها أصحاب الخيول لعبة البارود، الذين تقاطروا من مطالسة وبنى توزين وكزناية وتمسامان وبنى وليشك .

وهكذا أصدر الامير الامر اليومى بعد الاحتفالات بأن يستريح الجنود لمدة 15 يوما، تعطى الرخصة بالتناوب على أفواج منه، وذلك استعدادا للرحيل الى ورغة، لفتح الجبهة الجنوبية مع الجيش الفرنسى الذى كان تحرش مع قبائل ورغة، والذى طرد الحامية الريفية التى قوامها خمسون جنديا، والتى كانت معسكرة فى قبيلة بنى ونجل، تحت قيادة السيد عبد الكريم البحرى من أجدير حسبما سيأتى مفصلا عند الكلام على الجبهة الجنوبية .

تنظيم الصحة :

ان اقامة جهاز لعلاج السكان من الامراض التى اشاعتها بالخصوص القنابل السامة التى تسقطها طائرات العدو بدون هوادة، وبدون التمييز بين النساء والمرضى والعجزة وبين المجاهدين فى ميادين القتال، كانت شغل ابن عبد الكريم الشاغل .

فقد استقدم أحد الاطباء المغاربة من فاس يعرف في الريف بالمحبوب، وهو ملون البشرة، وكان نظيفا حسن المعشر، وله خبرة واسعة في الطب العام، وكان عمله شاقا، نظرا لعدم وجود أي مستشفى أو مستوصف يتوفر على أدوات العلاج والادوية، ومع ذلك فقد قام بمجهود، وان كان محدودا الا أنه يعتبر نواة مع ما يجده في الاهالي من استعداد للقيام بعلاجات بدائية من تضميد بالنباتات ومن القيام بأعمال جراحية بدائية لاستخراج شظايا الرصاص من أعضاء المجروحين، ومن جبر الكسور بطريقة شد القصب على العضو المكسور الى غير ذلك من تلقيح الجذري وداء الكلب .

ورغم ان الاسبانيين، زعموا أن حرب الريف ما هي الا معركة قام بها عصاة، وانهم بذلك لا يستحقون الاستفادة من أعمال الصليب الاحمر.

فان ابن عبد الكريم في نطاق الاحتياجات استقدم سنة 1923 م، طبيبا، وقابلة فرنسيين، وتدعى القابلة الآنسة بونزو، حيث بدأ في علاج أخت الامير التي كانت في حالة النفاس، التي سببت لها في اعراض مرضية خطيرة، وقد شفيت بعناية هذا الطبيب، الا أنه لم نعثر على مدة بقاء هذه البعثة بالريف، وما هي الاعمال الصحية التي قامت بها الا ما نعلمه من كاتب فرنسي آخر يسمى فونتين في كتابه «الظاهرة الريفية العجيبة» الذي حكى أشياء غريبة عن علاج أخت الامير ، اذ زعم «أن المريضة تمنعت أن يراها الطبيب مفضلة الموت على ذلك، وانه سمح له (فونتين) بالدخول، وكان يتصل بالطبيب في غرفة أخرى تفلونيا، ليعلمه بالامراض التي تعاني منها» .

وبالبداهة، فان المرء لا يستسيغ هذه الحكاية، ذلك أنه اذا سمح له برؤية المريضة، وهو أجنبي أيضا فلماذا منع الطبيب بالخصوص، وثانيا فانه كان هناك قابلة وهي امرأة لا تمتنع المريضة منها، وهي أقرب الى قبولها من فونتين .

وقد ذكر أن الدخول الى آيت قمرة كان في مارس 1923 وانه رجع الى الريف في شهر ماي لمعالجة المرضى بالجذري، ولكن لم يذكر هل البعثة الطبية ذهبت معه الى فرنسا أو بقيت في الريف .

على أنه من المعلوم أنه فى بحر سنة 1925 م، جاءت بعثة فرنسية وجهها الصليب الاحمر، تحت اشراف طبيب فرنسى يدعى (كود)، كان الغرض من مجيئها معالجة المرضى الفرنسيين، ولكن البعثة اسدت كثيرا من الخدمات الانسانية للارياف .

وقد استغل ابن عبد الكريم فرصة وجود الدكتور (كود)، فطلب منه أن يخطط لمستشفى كبير فى الموضع بأعالى أجدير، فى أرض عين حلوف بالراس الجديد، وكان الدكتور وافق على ذلك واظهر استعدادا لخدمة الانسانية فى هذا البلد المعزول عن الحضارات التى ينعم بها غيره، نظرا لجشع الاستعمار، الا أن المشروع فشل لسبب الهجوم العام الذى قام به الجيش الاسبانى على أجدير .

تنظيم العدلية :

كان هذا الجهاز أيضا يشغل بال الامير، لانه جماع أمر الجنس البشرى الذى يراد له أن يحفظ فى ممتلكاته، واعراضه، ودينه التى هى أمور ضرورية للحياة الجماعية فى الوحدات السكنية، مهما كانت البدائية، أو كانت الحضارات .

وقد رأى أن التشريع الاسلامى كفيل بكل احتياجات الانسان فى ميدان الحياة العامة، ولا ينقصها الا تطبيق مصادره على الوجه الذى أريد منه .

وهكذا كانت المالية تجبى عن طريق القانون الشرعى من الزكاة والاحباس مثلا، وقد نصب على رأس كل قبيلة قاض، يفصل بين الناس، طبقا للتشريع الاسلامى ولا دخل فيها لرؤساء المحاكم (الادارات) بل القاضى يصدر حكمه بوحى من المصادر التشريعية الاسلامية وبكامل الاستقلال .

ويجدر بى أن أذكر قصة كنت عشتها، وأنا تلميذ فى كتاب قريتنا «الربضة»، ذلك أنه بايعاز من والدى عين الفقيه الامام لمسجد القرية وهو العلامة النحوى الصوفى شيخى وعمدتى فى المرحلة الابتدائية السيد محمد بن محمادى التوزانى الحسانى قاضيا على بنى بوعياش،

وكان المسجد هو موضع التقاضى حسبما هو مستحب لدى أئمة الفقه الاسلامى، تسهيلا على المتقاضين، لان المسجد محل عمومى يؤمه كل واحد فكان لعمى السيد محمد بن الحاج محمد خصومة مع بعض أفراد جماعة خربوش فى شأن عقار، ولما كان عمى لا يتوفر على الحجج الكافية، فان القاضى حكم عليه، مما أثار حفيظة عمى ففارق مجلس الحكم تعنتا فما كان من القاضى الا أن تبعه وأمر المتقاضين جميعا أن يكونوا عونا للقضاء، وأن يرغموه على رجوعه لتنفيذ الحكم عليه، ففعلوا، وسر أبى كثيرا حيث لم يجعل القاضى فى حسابه أن الذى عينه هو شقيق المحكوم عليه .

وهذا ان دل على شىء، فانما يدل على مدى استقلال القضاء لدى قادة الثورة .

أما ما يخص الاحكام التى يستوجب الاعدام أو قطع بعض أعضاء الجسد فى السرقة مثلا، فان ذلك موكول الى الفقيه السيد ابن على بولحيا، الذى يرأس مجلسا للقضاء يتكون من الزعماء المرموقين من الناحية الخلقية، وصفاء الطوية، وشهامة المجاهد، وغالبا ما يكون ذلك اما قصاصا حسب الاية القرآنية «ولكم فى القصاص حياة» ويدعى هذا المجلس محكمة الشعب .

وقد وقعت حادثة فريدة من نوعها، اذ قتل الشخص المدعو الازعر من قبيلة بقيوة الزعيم المدعو مورو السى بيرا من بقيوة أيضا، فأحيل على المجلس القضائى الذى أصدر الحكم باعدام القاتل، واعطى السلاح لورثة المقتول بموجب أنهم أولياء الدم، فنفذ فيه القصاص، وتحققت حكمة الآية «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب» فان هذه الحادثة التى مرت على وجهها الشرعى قضت على الانتقام للضغائن الدموية فحفظ جنس البشر من الاغتيالات وهو عين الحياة .

أما حادثة قتل السيد احمد بورجلة الذى قتله سلام بن حدو ابن المرابط على، فان القاتل هرب الى دار بالسوانى، ولما طلب بتسليم رأسه للعدالة أخذ يطلق النار، الامر الذى تبودل معه اطلاق النار فجرح ثم مات، فلم تتمكن العدالة من اصدار الحكم عليه، لانه كقاتل نفسه،

الا أن حالات الاعدام بسبب خيانة الثورة، فهى متعددة، فقد أعدم شعيب ابن الحاج تهامى لانه أرسل أخاه الى مرنيسة لدى عمر ابن احميدو الذى اعتبر عميل الجيش الفرنسي، وسبق أن تمرد على المجاهدين، وأطلق النار عليهم من داره بمرنيسة فصرع أربعة منهم .

كما أعدم عمر سينتو البقيوى، شقيق القائد حدو الاكحل، وذلــك فى تهريبه لجماعة من الاسرى من سجن آيت قمرة عوض رشوة مبلغهــا 35 الف بسيطة لكل جندى عادى، ورغم انها لم تتم نظرا لعرقلة هيــاج البحر وكان ذهب الى الجنرال حاكم الجزر الجعفرية، واتفق معه علــى كيفية التهريب، وأخذ الثمن، فحوكم من طرف المحكمة الشعبية، وأصدرت الحكم باعدامه، فأعدم حالا، كما أعدم شريكه من آيت قمــرة .

وكما أعدم موح بن سعيد المدعو القائد الورياغلى الذى كــان منخرطا فى الجيش الاسبــانى برتبة ملازم أول، وقد حصل على ثقــة الاسبانيين، وقام بادوار فى جزيرة الحسيمة، ولما جاء مع حركة ابرابو فى تيكساس، القى عليه أحد المجاهدين القبض فحوكم واعدم كما سبق.

وكان ينعقد مجلس المحاكمة غالبا فى مسجد المجاهدين، بموضع نادى البحر الابيض المتوسط الآن .

أما موح أزرقــان وولده عمر الذين ارتكبــا خيانة ضد الثورة، حينما سولت لهما نفسهما أن يذهب الولد عمر أزرقان الى مليلية، واتفق مع حاكمها السياسى ان يبدأ الاغتيالات فى صفوف المجاهدين، ابتــداء من والدى السيد عبد السلام بن الحاج محمد، الى ابن عبد الكريم، وزود بالسلاح والذخيرة، فان الغالب أن احدهما وهو الوالد موح أزرقان لــم يحاكم بل أعدم فى تمسينت بعدما هجــم الجيش الاسبانى بحــرا على بنى ورياغل، أما ولده عمر فقد حوكم قبل ذلك وأعــدم .

وكما أعدم أيضا محمد بن الحاج عمر التفرسيتى لخيانة الثورة لاتصاله بمليليــة، برئيس مصلحــة الشؤون الاهلية، لتدبير مؤامــرة ضــد الثــورة .

الاهتمام بالتعليم :

وفى نطاق تكوين الاطر للثورة فان الاهتمام توجه نحو تنظيم التعليم تنظيما عصريا يتلاءم وأهداف الثورة، لتكوين المؤسسة على قواعد عصرية، وكانت باكورة الاعمال فى هذا المجال هو تأسيس :

1 – مدرسة بأجدير عاصمة الثورة استقطب الشبان الذين حصلوا على جملة صالحة من التعليم، وكان برنامج التعليم الذى وضعه ابن عبد الكريم بنفسه يشمل الرياضيات والعلوم، والقواعد العسكرية العامة، وعين لادارتها أحد علماء بنى ورياغل، وهو العلامة السيد محمد ابن الحاج حدو من قرية ازغار، الذى كان مثالا للرجل الوطنى الصالح، وكان ابن عبد الكريم يشرف عليها اشرافا مباشرا بحيث يزورها كلما سنحت له الفرصة، ويختبر التلاميذ فى معلوماتهم، ويسدى النصائح للادارة، ووضع مرتبا للمدير بمبلغ 20 ريال اسبانيا، وكان مبلغها مغريا فى ذلك التاريخ .

2 – مدرسة زاوية ادوز معقل الشيخ الحاج حسون البكرى بقبيلة بقيوة، وقد اشرف ابن عبد الكريم بنفسه فى وضع منهاجها فى احدى تحركاته الى تلك الجهة، حيث أقام عليها مديرا الفقيه السيد محمد مشبال أحد علماء قبائل غمارة، وقد استقدمه بعدما طرد فقيها كان فى الزاوية المذكور، بعد ما حاول معه أن يفهم فى أمر التعليم فلم يتفهم، وعين له نفس المبلغ .

3 – كما أنه لم يغفل أيضا التعليم الدينى ففى شفشاون أسس معهدا دينيا بواسطة أخيه السيد امحمد الخطابى وعين فيه مديرا الفقيه العمرتى بنفس المرتب .

وهكذا فى جميع الجهات، فضلا عن التعليم العام الذى فى مساجد القبائل التى غيرت مفاهم التعليم بادخال أناشيد وطنية والحساب .

شعيب أفلاح يروى المعارك الاولى فى قبائل غمارة :

عند انتهاء شتاء سنة 1922 بعد احراز الانتصارات بالجبهة

الشرقية وقد وصلت اصداؤها الى قبائل غمارة، فتلقوها بالاكبار والاعتزاز، فان هذه القبائل كونت وفدا هاما يضم حوالى 300 زعيما وعالما، جاءوا حاثين السير الى ابن عبد الكريم، ذلك الرجل الذى رن اسمه مقرونا بتلك المعارك والذى دعى صنيع الانتصارات، ولما وصلوا الى بنى ورياغل، وجدوه فى قرية أمزون، حيث محل عقد المؤتمرات بعيدا عن انظار جزيرة الحسيمة، بعدما كانت تعقد فى أربعاء سيدى ابى العفيف على ضفاف وادى غيس .

وكان الغرض من عقد ذلك المؤتمر :

1 — عرض نتائج الانتصارات التى أحرزت فى الجبهة الشرقية انطلاقا من ابران، الى أسوار مليلية، حيث اتسع نطاق المسافة بين بنى ورياغل، والخطوط الامامية حول مليلية .

2 — تقديم اقتراحات فيما يخص الامدادات التى يجب أن يستمر بعثها الى مراكز القتال، وتنظيم الارساليات القتالية بالتناوب، حتى لا يتطرق العياء الى المجاهدين .

3 — دراسة كيفية تموين المجاهدين الذين ابتعدت الشقة عنهم، وفيما اذا كان الاستغناء بمؤونة القبائل التى أجلى عنها جيش العدو .

4 — تنظيم مسؤولية القبائل الداخلية حتى لا تنبعث الضغائن الدموية فيما بينهم .

وقد وصل الوفد عند ما كان الاجتماع منعقدا، فجاؤوا يرددون الاستفتاح التالى :

أهل الله جئناكم قصدنا حماكم
ولولا فضل الله لما زرناكم

وقد تقبلهم ابن عبد الكريم، ورحب بهم، فتقدموا بالتهنئة واشتكوا لقائد الثورة ما عليه قبائلهم من فوضى طالبين أن يعيرهم قسطا من خبراته الاسلامية والحربية، لكى يستنيروا بآرائه فى تنظيم شؤون قبائلهم على أن يبعث اليهم أخاه امحمد الخطابى يقوم بالمأمورية على أن يجد منهم طاعة وعونا، فأجابهم ابن عبد الكريم الى ذلك، وأمرهم بأن يرجعوا الى بلادهم ليهيئوا الجو المناسب على أن يلحق بهم أخوه

عندما يجهزه بالرجال الاكفاء، والمعدات الحربية، مما غنمت فى معارك الشرف بعدما يتم احصاء وضبط الاسرى، وقد استمروا طيلة مقامهم بالدعاء للمجاهدين بالنصر، وقامت قبيلة بنى ورياغل بضيافتهم على أحسن حالة .

وهكذا بعد أن هيأ قوة تتكون من حوالى آلف مجاهد، مشهد لهم بالمهارة القتالية، أرسل أخاه على رأس تلك القوة، فقد خرجت من أجدير فى يو م مشهود، وقد قطعت المرحلة الاولى الى بنى بويفرح حيث حطت الرحال فى جنانات، وكانت تحمل مدفعين اثنين على ظهر البغال مع ذخيرتها، ثم قطعت مراحل أخرى على الترتيب التالى: مرحلة تالوت بقبيلة مثيوة، مرحلة خميس ووزاى ببنى خالد، مرحلة الخميس بقبيلة بنى سلمان، مرحلة سوق أحد بنى زيات، وهناك حطت الحملة رحالها، للاستقرار، وجعلها مركزا للعمليات .

وكان على رأس تسيير المدفعين الطبجيان :

1 ـ شعيب افلاح المذكور وهو من بنى ورياغل نصب مدفعه بموضع تندمنت، شرقى تيكساس، حيث يوجد مركز جيش العدو .

2 ـ محمد بن الحاج مسعود الاجديرى، نصب مدفعه بموضع «كلدت» غربى تيكساس، وكان مستشارى قائد الحملة السيد احمد بودرة، وصديق الشاوى وعلوش بن حدو بن على البقيوى، وكان هذا الاخير هو الواسطة بين قبائل غمارة وبين السيد امحمد، عندما مر بقبائل غمارة، التى كان يجتمع الى أعيانها، لاخذ رأيهم فى حشد رجالها للجهاد، وكيفية تموين المجاهدين، وقد كان يبدو على القوم أنهم مستعدون للتضحية بكل ما يقدرون عليه من جهد وتجمع منهم حوالى عشرة الآف شخص .

وهكذا احتشد الرجال الى مركز المجاهدين بأحد بنى زيات، فبدأ انشاب القتال على موقعين اثنين للعدو، فجماعة من المجاهدين بما فيهم الارياف وغمارة الى حامية «قاع اسراس» على الضفة الشرقية لوادى لو، وجماعة قليلة بقيت مع المدفعين الذين يصبان النار على قشلة تيكساس، بسيدى احمد بوزيد، واستمر القتال سبعة أيام، لم

يحرز أى من الطرفين على الانتصار، وقد بدا للمجاهدين أن يتراجعوا عن القتال، نظرا الى أن قبائل غمارة بدت تتراجع عن حماسها، مما فت فى عضد بنى ورياغل، الذين رأوا أنهم أفرطوا فى الاتكال عليهم وبالاخص فيما يخص تموينهم، الذى هو ضرورى لوجودهم، فقامت جماعة تتكون من حوالى 200 مقاتل من بنى ورياغل، واقترحت الرجوع من حيث أتوا وهنا كان للطبجى شعيب أفلاح موقف حازم، اذ نادى جهارا فى القوم بأنه عار وشنار أن نرجع ونترك المهمة التى جئنا من أجلها عرضة للضياع، وعلى كل فان الخوف تسرب الى الجميع، لان رجال غمارة سرعان ما ينقلبون مع انقلاب التيار الذى يعصف بهم. فالقائد الخطابى ورجاله يتوقعون كل لحظة أن يهاجموا من جهة غمارة، وقد قطعوا عليهم التموين، الا ما يشترونه. وقد يمنعون عليهم حتى الشراء، ولذا فكر أولا: وضع شعيب افلاح على رأس حراسه، وزوده بذخيرة لبندقيته، وأمره أن لا يبتعد عنه. ثانيا: كتب رسالة على لسان قبيلة الاخماس اليه نفسه، كأنهم يعلمونه بالقدوم عليه، للاتصال به فى موضع ازلكان، بين قبيلتى بنى خالد وبنى سلمان وأرسل علوش بن حدو بن على البقيوى بها الى رجال غمارة، ليقرأها عليهم وأعلمهم بأنه عزم على الرحيل الي ازلكان، وكل ذلك اتقاء لشرهم حتى لا يأتوا بحركة ضدهم، لان الاخماس كانت لها غلبة على قبائل غمارة، عند نشوب خلاف دموى بينهم حيث تركن تلك القبائل الى الدعاء على الاخماس بقولهم «الله افلس الاخماس» ، وقد وصل الارياف الى ازلكان، ومن الصدف انهم وجدوا هناك بعض رجال الاخماس، وقد رحل السيد امحمد وقومه الى أن وصلوا الى باب برد، وهناك وجدوا رجال غمارة قد اعترضوا طريقهم، فبدأوا بالتحرش معهم اذ طالبوا القوم بأن يشتروا ثورا يذبحونه على قبيلة بنى خالد، لكى يتركوهم يمرون، واذ شاور القوم فى الامر، فقد اعترضوا على الخضوع لهم، وكان من بين المتحمسين الطاهر الولقاضى، وعلال بوصريمت وعلوش بن المدنى وقالوا اننا سنمر بالقوة .

وهكذا طلبوا من السيد امحمد أن يركب على فرسه، كما ركب

من كان له مركب، ثم تابعوا السير شاهرين أسلحتهم مخترقين وسط جموع قبائل غمارة، التى بقيت مشدوهة، لا تقدر على الاتيان بأدنى حركة، خوفا منهم، وقد همس بعضهم الى بعض قائلين: «اتركوا المصيبة تمر» .

وقد استمر السير الى أن نزلوا على الشيخ حمامو من قبيلة بنى رزين، فاستضافهم وأحسن ضيافتهم ثم رجعوا الى الوراء حيث نزلوا بقبيلة بنى سميح بتالا الحسن، ومكثوا هناك شهرا كاملا، كان الامير خلالها يكاتب الرجال العقلاء من غمارة، وبنى سدات، وبنى كميل، ومسطاسة، وقد تقاطر الرجال، واسترد القوم قوتهم، وجعل رجال غمارة ينقلبون مع التيار الجديد، ثم قفل الجميع راجعا بما تبقى لديهم من رجال بنى ورياغل الى الجبهة ثم الى الريف .

الهجوم على جزيرة بادس :

بعد أن رجع من قبائل غمارة بدا له أن يهاجم جزيرة بادس، وهى تقع فى حدود قبيلتى بقيوة وبنى بويفرح، وكان حمل معه مدافع أربعة، وكان يرأس الطبجيين الاشخاص التالية :

احميدو اعراص من أجدير، شعيب بن المعلم من أجدير، شعيب بوجبار من أجدير، عمر بن الحاج من بقيوة من مدشر تذكنت، وقبل الهجوم فتحت المدافع نيرانها على الجزيرة، ففتحت فيها ثغرة فى الطابق الاول السفلى وحينئذ تقاطر المجاهدون بدون وجل للدخول من الثغرة وكان امحمد الخطابى يسير العمليات الهجومية من غار يدعى «غار المشور»، وكان بيده منظار مقرب يرفع الجزيرة كاملة أمامه، وكان حماس المجاهدين كبيرا، ومع ذلك فلم يمنوا بخسائر كبيرة فى الاول ، وانما استشهد شخص واحد من قرية تفنسة من قبيلة بقيوة .

ودام حصار الجزيرة لمدة شهر كامل، رغم وجود الحماية من البحر التى تقذف حممها على المجاهدين والتى كانت السبب العائق لاستسلام حامية الجزيرة، الا أنه رغم عدم استسلامها فان المعركة كانت نصرا بالنسبة لما أقدم عليه السيد امحمد، ذلك أن القبائل المحيطة

بالجزيرة جاءت تسعى كلها للمشاركة فى الهجـوم، وكانت سمعت عـن الانتصارات فى الجبهة الشرقية، فأرادت أن تحرز شيئا من هذا القبيل، واعتبر هذا الهجوم خطة حربية هامة، نظرا لاستقطاب تلك القبائل بما فيها قبائل غمارة، التى لاجلها شد الرحال لتنظيمها، وعليه فانه استوفى غرضه من المعركـة، فاذا لم يصـل الى هزيمة العدو، فانه كسب تلـك القبائل المحيطة بالجزيـرة .

امحمد الخطابى فى مهمـة دبلوماسيـة :

واستعدادا للايام المشهودة التى يجـود بها الزمان فى خضم الاحداث التى يعيشها العدو، فانه قرر :

1 ـ تعزيز الجبهة الشرقية بالمناضلين الاشداء على أن يقـود المعارك هناك ناظر الدفاع السيد عبد السلام البوعياشى، ويكون الخط ممتدا ما بين ميضار وتفرسيت وسيدى مسعود .

2 ـ تعزيز الجبهة الغربية بالامير امحمد الخطابى على رأس الجيوش النظامية والمجاهدين المتطوعين وقبل القيام بالعمل الحربـى فى الجبهة، تقرر بعث بعثتين اثنتين الى عواصم أوربا التى لهـا احتكاك بالشمـال .

وهكذا بعد رجوع امحمد الخطابى من تحركاته الى غمارة وبعد هجومه على جزيرة بادس عقد الزعيم ابن عبد الكريم اجتماعا حضـره كل من أخيه امحمد وعمهما السيد عبد السلام وصهرهما السيـد محمد بوجبار وصهرهما السيد حمادى الحاتمى، كما حضره من بنى بوعياش السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى، وحضره من بقيوة حدو الاكحل وقد عرض الزعيم فكرة ذكر لهم أن أخاه هو الذى ابتكرها، وانه بدت له مواتية، ولذا فهو يتبناها وشرحها لهم حسب التالى :

1 ـ من المعلوم أن فرنسا قد احتلت الشق الجنوبى من المغرب، ولذا فان عملنا فى الشق الشمالى يعنيهـا بالذات وانها وان التزمـت الحياد الآن فان الحوادث التى تجرى هنا تدق منها على الوتر الحساس.

2 ـ ولذا فان اكتفاءنا بالانتصارات الحربية وحدها لا تجدينا

فى الميدان الــدولى وبالاخــص أن الاستعمار الاوربى الآن ينظــر الى الاقطار الشرقية بنظرة الاحتقار، ولا يسمح لنا أن نحرز امجادا حربية على حساب سمعتــه .

3 ــ وقد فكرنا الآن أن نقوم بحركة دبلوماسية لتؤازر عملنا الحربى وذلك ببعث بعثتين: احداهما الى فرنسا التى كما أشرنا، يعنيها أمرنا مباشرة، وذلك لاتصال برجال حكوماتهــا واحرار شعبها لعجــم عود الجميع ومعرفة الاستعداد لاستساغة تضحياتنا ضد اسبانيا، وقد توخينا من فوائد ذلك على الحد الادنى ان نعرف دولة فرنسا اننا معهــا فى سلام وان احتلالها للجنوب لا يزعجنا ما دام هى لا يزعجها انتصارنا هنا.

أما انلكترا فانها يعنيها أمرنا أيضا لموقع جبل طارق من أرضية معاركنا الآن مع اسبانيا ومالها من المصالح فى مدينة طنجة التى لا يفتأ انتصارنا أن يصل اليهــا .

4 ــ ونظرا الى أن أخى امحمد عاش وقتا فى احدى عواصــم أوربا وهى اسبانيا وعرف أسلوب سياستهم وتقاليدهم وطرق التــواء ساساتهم فانى أقترح أن نعينه للبعثة التى نوجهها الى فرنسا يرافقه فى ذلك السيد حمادى الحاتمى نظرا لحيويته مع ما يتحلى به من الثبات، ونعين السيد امحمد بوجبار لبعثة انجلترا لما له من مزايا كبح جماح السرعة ولما يتحلى به من برودة الدم مثل رجال انكلترا، يرافقه السيد عبد الكريم اللوه .

وهكذا كلف حدو الاكحل بتهيىء جواز سفر امحمد الخطابــى والحاتمى من الجزائر، أما بوجبار ورفيقه فقد هيىء لهما جواز السفر فى طنجة بواسطة بنكريستو بلقيش لعبد الكريم اللوه، وفى فاس لبوجبار.

وفعلا سافرت تحت ستار التخفى البعثة الاولى خلال سنة 1923 عن طريق فاس فالدار البيضاء حيث مكثت فيما بين فاس والدار البيضاء مدة 20 يوما تنتظر الفرصة للسفــر .

ثم سافرت الى باريس تحت أسماء مستعارة، وقد وجــدا ان أبواب الوزراء التى يطرقونها موصدة ضدهما فاتصلا بالاحزاب الاشتراكية وقد اظهر زعماؤها تفهما لقضايا الاستعمار التى يناهضونها، ولكن لــم

يكن فى ذلك كفاية، فانقلبا راجعين، بعدما مكثا فى باريس قرابة سنة لم تسفر عن أية نتيجة، الا ما كان من النتيجة الواحدة، وهى أن مبدأ الاستعمار مبدأ واحد اينما كان، وان ما كان متوقعا منه قد بدا واضحا وان على الثورة الريفية ان تعتمد على نفسها وعلى تضحياتها لكى يصغى اليها أساطين الاستعمار فى فرنسا كما فى اسبانيا .

وحتى عندما عادا من باريس عن طريق الجزائر وجدا صعوبة كبيرة للوصول الى الريف نظرا الى أن الدوائر العسكرية الفرنسية فى الجزائر شددت الحراسة على الحدود بين المغرب والجزائر لما علمت عن طريق رجال المخابرات الفرنسية من أن الرجلين الذين كانا فى باريس قد غادراها للرجوع الى الريف، فشددت الحراسة عسى أن تعثر عليهما، وبفضل الطرق المختفية تمكنا من الافلات من قبضتهم .

أما وفد بوجبار فقد ذهب الى لندن عن طريق طنجة وقد قابل اللورد سيسل وطلب منه المساعدة لاجل عرض قضية الريف على العصبة الاممية، وذلك على الاقل لاجل نفى مزاعم العسكريين الاسبانيين من همجية الريف ولألفات نظرها الى نضال الريف، لاجل حريته ضمن مجموعة أحرار العالم الذين يبغون العيش فى سلام ووئام، وبالاخص مع جيرانهم وان الريف ينسى كل الالآم التى أحدثتها المعارك الدامية التى جرتها اسبانيا فى ربوعه، وانه مستعد لنسيان كل ذلك لخير الشعبين.

وقد رجع بوجبار أيضا كما رجع زميلاه مقتنعا بالمبدأ الصحيح القائل «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى» .

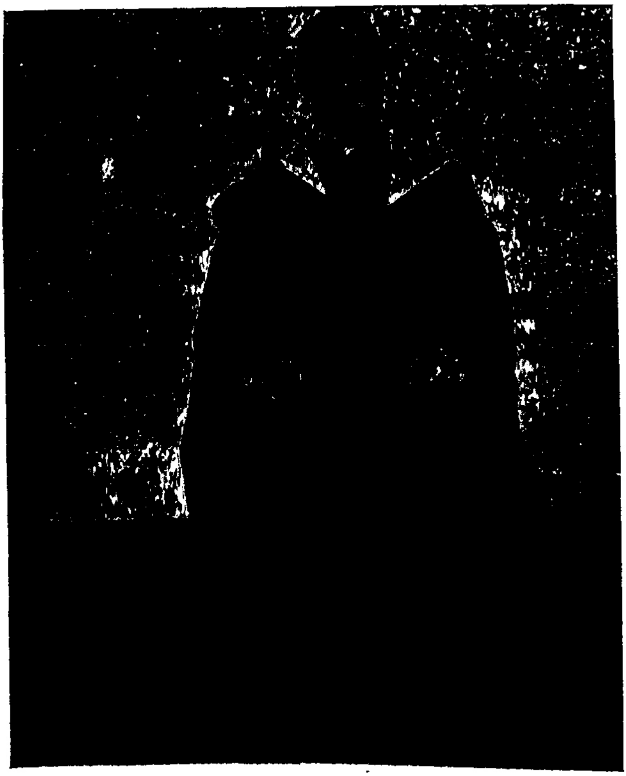
ومما تجدر الاشارة هنا أن بعث البعثتين معا الى الخارج كانت تحت الكتمان من رجال الريف، ولذا كان الاجتماع الذى نوقش فيه مصغرا مقتصرا على الخواص، وقد تبين فيما بعد أن هذا التدبير كان سالما، اذ عندما علم به بعض الزعماء الآخرين سارت بينهم همسات فى شأن ارسالهم الى عواصم النصارى الذين هم أعداء الاسلام كما يفهمون .

وقد جاهر بعضهم وهو شعيب بن الحاج تهامى الدردوشى فى تحد سافر لما عقد ابن عبد الكريم مؤتمرا فى زاوية آل هشام لاجل الحوار مع شعيب المذكور، عن بعث أخيه الحاج حمو الى عمر بن احميدو

المرنيسى الذى بدا منه تمرد على الريف فأجابه، وأنت أيضا أين بعثت أخاك؟ وقد كاد زمام الامور أن يفلت من أيد الجميع لولا ثبات بعض زعماء بنى ورياغل، وقد أدى ذلك فيما بعد الى اعدام شعيب بن الحاج تهامى فى ظروف أشرنا اليها فيما قبل .

توزيع العمل الحربى :

وعندما استجمع ابن عبد الكريم هذه النتائج المرة وعرف عن كثب بواسطة البعثتين أن لا سبيل الى الخلاص من الاستعمار الا مجد السلاح، فانه على ضوء ذلك عمد الى توزيع المسؤوليات الحربية فوكل لنفسه أمر تسيير العمل الحربى مباشرة على الجبهة الشرقية، ووكل الى أخيه التسيير على الجبهة الغربية على أن يتولى تأليف جيش يكون نواة للقوة النظامية، الذى كان يتمتع بسمعة المقاتل الصنديد الكفؤ لما أقدم عليه وبالاخص فانه يعتبر مثقفا عاليا أحرز هندسة المعادن .



امحمد الخطابى
وهو طالب فى مدرسة
الهندسة بمدريد



صحفى اسبانى يستمع الى تصريحات السيد امحمد الخطابى فى تغزوت ومعه حدو المعلم ــ ومحمد كيخوتى ــ وعبد الكريم ابن سـلام ــ وأزرقـان

البطـــل امحمد الخطـــابي
والمعـــارك الحاسمـــة على أرضيـــة قبائـــل
جبالـــة وغمـــارة ونهايـــة الريسونـــي

المناضـل امحمـد الخطـابى
فى جبهتـى جبالـة وورغـة



مـن هـو البطـل امحمـد الخطـابى

كما سبق أن قلناه عن الزعيم ابن عبد الكريم، من أننا لا نضفى أوصافا من وحى قلمنا، وانما نستشهد بأقوال أعداء الثورة الريفية فـى ابانها، كذلك نستشهد هنا أيضا بما قالوه فى حق بطل معارك غمارة وجبالة ووادى ورغـة .

فقد وصفه الجنرال غوديد فى كتابـه «المغرب ومراحل التهدئـة» فقال: «انه كان العضد الايمن لاخيه (ابن عبد الكريم) وهو متخرج مـن مدرسة الهندسة الاسبانية بمدريد، وهو بطل شجاع، يظهر أنيقا بمناظره التى يلبسها على عينيه، قاد الهجوم ضد الجيش الاسبانى فى جزيرة بادس، وقاد جحافل المحاربين الارياف الى جبهة جبالة، فهجم هناك على الجيش

الاسبانى، ورد الامور الى نصابها، حتى بين تلك القبائل التى حاولت التمرد، ثم قاد حملة أخرى الى جبهة قبائل ورغة حيث اصطدم مع الجيش الفرنسى» .

وقال المراسل الاميركي «شيان» مراسل جريدة «شيكاغو تريبيون» «أنه زاره فى الجبهة الغربية، حيث وجده فى خيمة كبيرة، بيضاء، تعج بركام من الاوراق ومجموعة من نماذج الصخور التى جمعها من مختلف أرجاء الريف، وكان ضليعا فى علم المعادن، ومهندسا عسكريا» .

وذكر غر ابيبلى المراقب السياسى الافرنسى فى تاوريرت فى ذلك التاريخ «ان جهاز الهاتف الريفى، كان من صنع امحمد بن عبد الكريم، الذى كان طالبا فى مدرسة المهندسين الاسبانيـة» .

وقال المراسل الاميركى وارد برايس مراسل ديلى ميل الذى زار الريف عام 1923 «كان امحمد الخطابى فى الثانية والثلاثين من عمره، وقد برهن على أنه ادارى كفؤ وقائد ممتاز» .

«ومهما يكن من شىء فان تعاونه القلبى، واخلاصه التام، كانا عاملا عظيم الاهمية فى النجاحات الريفية» .

وانه يمكن أن يكون رئيسا للاركان مثاليا» .

وأهم من ذا وذاك، ما قاله أحد قادة الاسلام العصاميين، الذى أنجبه هذا الوطن العزيز، فى سلسلة من أنجب من العظماء، وهو الزعيم الخالد الاستاذ علال الفاسى .

فقد قال فى حقه وأخيه الكبير وعمهما هذه الشهادة المأثورة (1) «وقد ساعدنا الحظ بالاجتماع بالامير الكبير وأخيه (امحمد الخطابى) وعمه، فرأينا منهم روحا متيقظة، وفكرا متنورا، وعزما على النضال لا يكد، الامر الذى يدل على أنهم من الابطال المتازين، الذين يفتخر بانجابهم» .

---

(1) المغرب العربى منذ الحرب العالمية الاولى ص 134 .

امحمد الخطابى يقود المعارك على الجبهة الغربيـــة

بعد فشل المحاولة الاولى لتلتف قبائل غمارة حول الثورة الريفية التى قام بتجربتها البطل امحمد الخطابى، وبعد الرحلة الدبلوماسيـــة التى قام بها الى فرنسا بعد ذلك مباشرة، والتى باءت بالفشل أيضا كما أسلفنا، رأى ابن عبد الكريم على ضوء هذه الاحداث التى أتت بعكـــس ما كان الاستعمار يقدرها من الفت فى عضد الثورة فكانت النتيجة شـــد عزيمة المجاهدين ليبرهنوا لاولئك المتربصين، أن السلاح هو خير المفاوض الذى يسمع صوته باهتمام، قر رأيه على توجيه الضربة الاخـــرى على أبواب مقر القيادة العامة للجيوش الغازية بتطوان، التى طالما جذبـــت الحبل مع المجاهدين الذين يقطنون على حدود الخط الممتد من «واد لو» الى شفشاون فأصيلا والقصر الكبـــير .

الجيش النظـــامى يتحـــرك :

ولتفادى ما عســـى أن يحدث من تفكك المتطوعين، ولضمـــان عناصر النجاح الاولية للحملة، فانه شرع فى تنظيم كوكبة من الجيـــش النظامى، وبعد اتمام التمرينات الاولية رحل هذا الجيش الى قبائـــل غمارة حيث التحق بالقائد عبد الكريم الحتاش من أجدير قائد تلـــك الجبهة المحلية، اذ ذاك، وكان يقيم فى مركز بأعلى تيكساس من قبيلـــة بنى زيات الغمارية حيث كان يعسكر بالمتطوعين من المجاهدين الارياف ومن انضم اليه من قبائل غمارة، معسكرين قبالة معسكر العدو علـــى الشاطىء من تيكساس الى «ود لو» .

وعندما التحق هذا الجيش بقبائل غمارة فتح المجال للمجاهدين الذين كانوا فى حالة تطوع للانخراط فيه، فلم ينصرم عام 1341 هـ. حتى كان هذا الجيش يصل الى 300 جنديا على رأس كل مائة قائد، فكـــان شعيب افلاح قائد مائة وموح بن عمر الجوع من بنى ورياغل قائد مائة

ومعه قائد الخمسين عمر بن موح بن سعيد، وعمر بوكليط من بقيوة قائد مائة .

وعندما استكملت هذه القوة تنظيماتها اللازمة، شنت هجوما معززة بالمجاهدين المتطوعين على مراكز العدو على شاطىء البحر الابيض المتوسط .

وهكذا تمكن المجاهدون من استرداد المواقع التى كانت بيد جيوش العدو، فاستردت تيكساس، وميباخت من بنى زيات، وقاع اسراس، وامغوس على وادى لو، وتبرنبيس .

وبعد هذه الانتصارات الاولية، عمدت المخابرات الاسبانية التى يراسها الرائد الكباص بتطوان الى بث الشقاق فى قبائل غمارة، لاجل ان تنشق على المجاهدين .

وعندما شعر بذلك القائد الحتاش، وزع الجيش النظامى على قبائل غمارة، لتحذيرهم من مغبة مسعى الكباص، فترك معه مائة القائد شعيب افلاح، وارسل مائة القائد موح بن عمر الجوع الى امثار، وكذلك مائة القائد عمر بوكليط، حيث تمركزت على المواقع التى يظن أن تشعر القبائل بوجودها، كقوة نظامية تردع المنشقين من الغوغاء .

وهنا افترقت القبائل على اتجاهين اثنين :

احدهما مستمر على ولائه للثورة، وكان تحت زعامة القائد السيد المحراش وكان شجاعا، يحكم القبائل المتاخمة لوادى لو، والقائد السيد اليزيد بن صالح، من قبيلة بنى رزين، وينحذر من دار علم وصلاح ورياسة فى قبيلته، وكان كفؤا لتلك الرياسة .

أما الاتجاه الثانى يعاكس الاتجاه الاول اذ استثقلوا تموينهم من جهة ولان الكباص لعب دوره هناك وكان أقوى شخصيات من هذا الاتجاه هم السيد محمد الحياوى من بنى سلمان والشريف المكى الوزانى من بنى زيات (1) والحسن بن صالح من عائلة اليزيد بن صالح، وكان قلب لعائلته ظهر المجن .

(1) الشريف الوزانى هذا شارك بعد ذلك فى الثورة الريفية مشاركة فعالة، اذ انتقل الى أجدير، وكان أحد قادتها المخلصين .

وقد كاد هذا العمل أن يفت من عضد المجاهدين لولا هذه الفئة التى هاجرت من مساقط رؤوسها لاجل جمع شتات المجاهدين، ولرد عادية الطغيان الاستعمارى واحباط أساليبه المتشعبة، لولا عقلاء غمارة .

فقد قطعت تلك القبائل المؤن على المجاهدين، واتلفت اسلاك التليفون التى تربط بين الريف مارة على مخكمة بنى بويفرح التى كانت مقر القيادة العامة للجبهة الغربية، ومركز المجاهدين فى تيكساس ، ونواحيها، وفى هذا المجال يستملح ذكر ما ورد على السنة المتفكهين أن جماعة من غوغاء غمارة لما قطعوا أسلاك التليفون، أخذت جماعة طرفا من السلك التليفونى والاخرى الطرف الآخر، على بعد عدة أمتار، فجعلت هذه الجماعة تنادى الاخرى بواسطة السلك، ولما لم تسمع احداها نداء الاخرى، رموا بالسلك، قائلين ان ولد عبد الكريم الريفى، يكذب علينا بهذه الاسلاك، التى لم توصل كلامنا بعضنا الى البعض . كما يشاع، ان بعض أولئك الغوغاء قالوا فيما بينهم عندما شرع المهندسون الارياف لفح الطريق، لا نأذن لمد أسلاك التليفون، التى يتكلم فيها الشيطان، ونأذن بفتح الطريق، كما قالوا، اننا نقبل اداء خمسة ريال ونمتنع عن اداء خمس بسيطات، وهى حكايات منقولة عن الالسن للتفكه، قد تكون صدرت عن بعض الاغبياء أو تكون مصطنعة الا أنها تدل على أى حال، على الحالة النفسية التى كانت يتردد صداها فى ذات الوقت .

وعلى كل فانه مع كل الاسف، فقد وقع اصطدام بين الاخوان الامر الذى يكون قد لبى بعض مخططات العدو، فقد تجمع جماعة فى امثار، محاولين حصار الجيشين الذين كانا معسكرين هناك، لولا ان جيش القائد شعيب افلاح خف من تيكساس الى امثار، ايضا، حيث عسكر بالموضع المدعو أحذران، حيث احاط الجيش النظامى بالجموع المتمردة من جهتين اثنتين، كان على احداهما القائد موح بن عمر الجوع، يقود 180 جنديا، وعلى الاخرى القائد شعيب افلاح يقود 130 جنديا، ونشبت بين الطائفتين معارك قتل فيها من الغوغاء أشخاص، واعتقل 45 منهم، كما

اعتقل القائد محمد البيحياوى وسيق الى سجن أجدير وكان ذا شخصية قوية فى القبائل الشماليــة لغمارة .

وقد ترتب عن ذلك حصار فى قبيلة بنى سميح التى وقعت على اديمها تلك الاصطدامات، اذ آوت أولئك الغوغاء، الذين اختفوا فى الدور حاملين أسلاك التليفون بعد قطعها، لاخفائها هناك، فكان الجيش يبحــث على الاسلاك، لارجاع ربطها كما كانت، وقام عقلاء تلك القبيلة برتــق تلــك الفتــوق .

وبعد القضاء على الفتنة، انتقل الجيش النظامى الى دار السيد اليزيد بن صالح بقبيلة بنى رزين، وقد وصلت الاغاثة من الريف، حيث وصل القائد المغوار، موح ازذاذ من بنى ورياغل، الذى أصبح مضــرب الامثال فى الشهامة والنجدة، وقد أتى معه بفوج من الجنود النظاميين وان لم ينخرط هو فى الجنديــة .

وبهذا الفوج تم تكوين طابورين اثنين، احدهما تحت رياســة القائد شعيب أفلاح، والآخر تحت رياسة القائد موح بن عمر الجــوع .

وقد أصبح قوة تحفظ مكاسب الثورة، ولا سيما بعدما خــاض معها مناوشات برزت قدرته على حفظ الامن، ورد الامور الى نصابهــا، فاستكانت هذه القبائل، ورجعت الى الجادة، حيث قطع الطريق علــى المخابرات الاسبانية من أن تنال منالا فى مؤامراتها السرية .

وهنا يجدر بنا حفاظا على امانة التاريخ، ان نروى التحركــات والوقائع حسبما حكاها لنا القائد شعيب افلاح (1) الذى يعتبر أول قائد للجيش النظمى الذى رافق تلك التحركات، وخاض جل المعارك فى تلــك الجبهة، وقد يعجب المرء حينما يسمع من الرجل عن وقائع مر عليهــا 50 عاما، وهى محفوظة باسمائها واسماء الاشخاص على ظهر قلبــه، قال: انه بعدما هدأت الحالة فى غمارة، واستتب الامر، وأخذ المجاهدون الامر بيد صلبة، التحق بالمجاهدين هناك السيد امحمد الخطابى، وكان محبوبا عندهم لحنكته، ودماثة اخلاقه، وسعة صدره، ومعرفته بالاساليب

---

(1) شاهــد عيــان .

العصرية القتالية، وكان ميمون الطلعة، يتيمن به المجاهـدون، لانه لـم تنكسر له راية فى الجهـاد .

وأول ما نزل كان بموضع تفسى، فالتفت حوله قوتان، نظاميـة ومتطوعة، اذ بلغ عدد مجموع القوتين 1.500 مقاتلا من بواسل المقاتلين، الذين يمثلون قول الله تعالى «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبـوا مائتين، وان تكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا» .

انتهاء مهمة برينكير والحالـة فى الجبهتـين

اعتبر الاسبان ان الجنراليسمو برينكـير، مسؤول عن هزائم الجيش الاسبانى فى الجبهة الشرقية سنة 1921، ابتداء من دهر ابـران الى الناضـور، والواقع أن المسـؤول الحقيقى هو الجنرال سلفستـرى كما أسلفنـا .

وقد حاول برينكير أن يستقيل من منصب الاقامة العامة، والقيادة العامة بالمغرب، ولكن حكومة مدريد التى عرفت أسباب الهزائم الحقيقية، لم تقبل منه عرضه، فاستمر فى مهمته الى أواسط سنة 1922 م، حينمـا عينـت محله الجنـرال الريكارد وبورغيث بتاريـخ ماى، ثـم رأت أن تجرب شخصية مدنية عـوض العسكريين، الذين قد تكون الغطرسـة العسكرية هى التى جلبت نفور الاهالى من التفاهم مع اسبانيا فعينت السنيور لوبس سلفيلا، فى هذا التاريخ كانت وضعية الجيش الاسبانى، شبيهة بالوضعية التى كانت قبل معركـة انوال، اذ استرجع الجيـش فى جبهة الشرق المواقع التى كان أجلى عنها سنة 1921، واستولى عليها واحدا بعد الآخر، الى أن وصل الى تفرسيت، واحتل قمة تيزى عـزة، وسيدى مسعود، وسيدى احساين على شاطىء البحر، كما احتل ميضار من بنى توزين، ثم حاول الاستلاء على قلب قبيلة بنى توزين، فهجـم على موضع الما من فرقة اغربيان، بالباء بعد الراء وهى غير اغريبين باليـاء بعد الراء التى كانت احدى مثلث الموت سنة 1921 .

وقد كانت المعارك تترجح بين الشدة والليونة حسبما سيأتى :

وكان المقيم العام المدنى بعد أن جمد المعارك فى الجبهة الغربيـة

التى يمتد خطها من تيكساس فاخدود تلامبوط الى شفشاون شمالا ومن أربعاء عياشة الى مشرع القلة جنوبا، حاول أن يجرى اتصالا فى الجبهة الشرقية، فأرسل السيد ادريس الريفى مع ابن سعيد السلاوى الى تفرسيت لاجل فتح حوار مع زعماء الريف هناك، ولما لم يحصلا على نتيجة ما، فانه قرر أن يرحل بنفسه الى الريف، ليحاول أن يجرى اتصالا، وقد صحب معه القائد محمد شراط، الذى كان هرب من الريف الى فاس، ثم التحق بتطوان، كما سبق .

وهكذا ارتحل المندوب السامى الى تفرسيت، ولكن لم يكد يستقر هناك، حتى وصلت اليه برقية من مدريد تستدعيه للمثول اليها .

بريمو دى ريفيرا والانسحاب المفجع

فى هذه الاثناء ، كان الدكتاتور الاسبانى الذى كان معجبا بالانظمة الدكتاتورية، حيث يرى أنها أصلح لنظام الحكم فى اسبانيا، أسوة بدكتاتورية موسولينى بايطاليا، وذلك للقضاء على الانحلال الذى أصاب الدوائر الحاكمة بمدريد، قام بتاريخ شتنبر سنة 1923 بتدبير انقلاب حكومى، فاستولى على الحكم وأخذ الامور بيد من حديد .

وبعدما استتب له الامر باسبانيا، حاول علاج قضية الثورة الشمالية، بأسلوبه الخاص، على أن يعمل على تجميد العمليات الحربية فى الجبهتين معا، الشرقية والغربية، على أن يأمر بانسحاب الجيوش الى خطوط تكون درعا للمدن المحتلة، والتى بدا فيها الاستقرار، مثل مليلية، وتطوان، والعرائش، والقصر الكبير، ويحتفظ بهذه المواقع، على أن يستعمل الوسائل الاخرى التى تغنى عن وسائل اراقة دماء الشبيبة الاسبانية، وينتظر ما يأتى به الوقت، الذى يكون فيه الحوار المشوب بالخديعة للاهالى السذج حسب رأيه .

وهكذا سمى نفسه مقيما وقائدا عامين لاسبانيا بالمغرب، علاوة على أنه الحاكم بأمره فى اسبانيا .

وكان واثقا من نفسه على أن يأتى بمعجزات لم يأت بها أحد قبله معتمدا على سمعته الكبيرة، التى كان يتمتع بها فى أواسط الجيش

الاسبانى، والجماهير الشعبية على السواء، نظرا للامجاد التى يعتز بها فى قضايا استعمارية بالفلبين والمغــرب .

ان الرجل الذى كان يحكم كاتالونيا، كانت تعتمل فى نفسه مــن ذلك التاريخ عبث اراقة الدماء الاسبانية وضياع المال فى المغرب، وعندما استولى على الحكم فى اسبانيا، كانت الفكرة فى المستطاع تنفيذها لانهــا كانت اختمرت واقتربت من الحقيقة، حسب تفكيره .

وفى نوفمبر 1923 عمل على الاقدام على خطته بكل جرأة، ضاربا عرض الحائط باحتجاجات قادة الجيش عن المخطط الذى يتوقع أن يلاقى كارثة، قد تكون أقسى من كارثة 1921، ومع أن الرجل متشبع بالدكتاتورية من قمته الى أخمص قدميه، فانه لا يثنيه عن عزمه ذلك الاحتجاج الطارخ، واذ سمى نفسه قائدا عاما للجيوش فى المغرب، فانه ذهب الى تطوان، ليتكلف بنفسه على تنفيذ مخطط الانسحاب وكان عليه أن يجيب عن أسئلة الصحفيين، الذين يتلقفون التصريحات، للاحراز على السبق فى نشرها.

وعندما يكون المرء مشبعا بفكــرة، مومنا بها، فانه يكثر مــن تردادها، ولا يبالى، وهكذا صرح للصحفيين بمخططه كاملا مبرزا كيفية الانسحاب، ومتى يكون، ومن أين يتم الانسحاب، وقد اعتبرها الزعيــم ابن عبد الكريم هدية المقيم العام الجديد الى الثورة، فعمل على انتهازها فرصة لتكبيد العدو هزائم أخرى تنسيه هزائم 1921 م .

فى طريــق الانتصــار الاكبــر ســنــة 1924

يحاول بعض الكتاب الذين يلتقطون أخبارا متقطعة من هنــا وهناك، من دون تنسيق تواريخها، ولا معرفة مواقع احداثها، ان يغطوا جهلهم بتفاصيل المعارك، فيزعمون أنه لم تقع معارك كبرى ما بين سنة 1922 وسنة 1924، فقال أحدهم، وهو روبت فورنو فى كتابه «عبد الكريم أمير الريف» فى صحيفة 86، «انه لم تقع الا معارك قليلة بين سنة 1922– 1924 على الرغــم من وجود مائتى ألف جنــدى اسبانى فى مراكــش، حوالى أواخر عام 1922، كانت اسبانيا اذا تتخذ موقف الدفــاع» .

واذا تتبعنا ماكتبناه عن المعارك التى جرت فى الشــرق من أول

الزحف الثانى للجيش الاسبانى من مليلية، لاستعادة ما فقده فى الهزائم سنة 1921، حيث لقى فى زحفه ما عهده من خلايا الزنابير التى طالما أوجعته، وعن المعارك التى جرت فى الشمال الغربى على وادى لو، المنحدر من جبال شفشاون، متعرجا بين الجبال الشاهقة، ذات الصخور الصلدة، حيث اختار العدو قمة تلامبوط ذات التضاريس الوعرة، لمركز قيادتـــه، ليشرف فيها ذات اليمين وذات اليســـار، لضمان طرق المواصـــلات الى شفشاون، ولحمايـــة الحاميات الموزعـــة على طول شاطىء البحـــر، الى تيكساس شمالا، فان المعارك، وان كانت سجالا، فان العدو لم يخط خطوة الى الامام، الا بعد ان يخلد تاريخا فى المآسى والآلآم، فاذا مكـــث فى أزروهمار، وجبل عروى مدة سنة، قبل أن يخاطر بالزحف الى الامام، فانه لم يكن ذلك الا للمعارك الضارية التى لقيها، وعند ما تخطى هذه المواقع، فانه شهد هـــولا فى دار الدريوش، وناضـــور بنى وليشك، وسيـــدى احساين، وسيدى مسعود وتفرسيت، والما وميضار وتيزى عزة .

كما شهد هولا فى تيكساس، ووادى لو وتافوغالت والفران وتملابوط، وتاغزوت .

وكل هذه المعارك جرت ما بين 1922—1924، ولم يلتزم قـــط خطة الدفاع، بل قام بهجومات كبيرة فى جميع الميادين، الا أن الصمود الذى لقيه من المقاتلين الوطنيين، جعلـــه يرتطم على صخور الايمـــان ، والثبات، فهو الذى أردعه رغم بلوغ قوته الى مائتى ألف جندى، وبالتالى هذا الصمود هو الذى جعل شعب اسبانيا، وبعض دوائرها ان يناديـــا بالشعب، على حكومـــة مدريد، اذ وصفا مراكـــش بأنه مقبرة الشبـــاب الاسبـــانى، وقد تعـــدى الشعب الى الجنـــود، فتمردت فرقـــة برشلونة العسكرية، حينما اشعرت بالعبور الى المغرب، وقتلت ضباطها، وكادت البلاد أن تقع فى فوضى لا قرار لهـــا .

فلولا تلك المعارك الكبرى، والخسائر الفادحة التى منيت بهـــا اسبانيا فى جيشها وماليتها، التى بلغت تكاليف الحرب سنة 1923 عشرين مليون ليرة استرلينية، لما تسنى للدكتاتور الاسبانى الجنرال بريمو دى ريفيرا أن يصعد من الحضيـــض الى قمة زعامة اسبانيـــا، ونقول مـــن

الحضيض، لان الرجل كان يحتل رتبة فى اسبانيا لا تؤهله لان يكون الزعيم الاوحد، والدكتاتور الحاكـم بأمـره .

وعلى حسب وصف بعض الناقدين، وهو «البرتكـار» قائلا على أنه (أى بريمو) أكثر لباقة من ان يكون دكتاتورا صالحـا» .

وحكى عن الدكتاتور نفسه أنه قال: «لو أننى كنت أعرف أنـى سأصل ذات يوم الى سلطان، فقد كنت درست أكثر» (1) .

وهذا كله يفيد أن الرجل لم تؤهله الى ما وصل اليه الا المعارك الكبرى التى سالت منها دماء الشباب الاسبـاني على ربوع الشهامـة والنجدة فى الثورة، لانه لما عجزت حكومة مدريد رتق الفتوق التى انخرقت عنها، بسبب الغزو الاستعمارى فى المغرب، بحثت عن رجل له شعبية فى الجيش الاسبانى وله ميولات استقراطية ونزعة انسانية، فاهتدت الى (ريفيرا)، لانه سبق ان القى خطابا يدافع عن الانسحاب من المغـرب، حيث أبعد الى كتالونيا بسبب تلك النزعة الانسانية، التى أظهرها عندما كان أساطين الاستعمـار الاسبانى يعتبـرون الفكرة، نيلا من مجدهـم العسكرى، واجراما يرتكب ضد ذلك المجد، ولكن عندما اصطدمت العظمة الاستعمارية، بالصخرة الوطنية فى الشمال، ذهبـت اعتبارات الامجـاد العسكرية ادراج الرياح، فجاءت تلك الريـاح بما يشتهى الديكتاتـور الاسبانى، الذى قدم مساعدة لا تنسى من حيث لا يشعر، الى الثـورة الريفية، فاستكملت أو كادت سلطتها على الشمال، من الاطلسى الى ملوية.

لولا أن الحرب الصليبية انبعثت على مستويات الدول الاستعمارية، فنادت بالتضمان وجرت جيوشها الجرارة، معززة بوسائل الدمار، لاجـل ضرب الحصار على «لحم الثور المتوحش» حسب تعبير البروفيسور كون، أو الوعول الوحشية حسب تعبير أحد وزراء بريطانيـا .

بريمو دى ريفيرا ـ والريسونى ـ واخريـرو :

وهكذا ، وفى 13 شتنبر سنة 1923، تسلم دفة الحكم بمدريـد،

---

(1) كتاب أمير الريف صحيفة 88 .

وعندما أسلمت اليه مقاليد الامور، بادر الى عبور البحر الى تطوان، فـي نوفمبر من تلك السنة، وزيادة على مهامه الكبرى، عين نفسه مقيما عاما لاسبانيا بالمغرب، وحاكما عسكريا مطلق التصرف، وكان مخططه الاساسى ترك الحروب فى مراكش، وعدم اراقة مزيد من الدماء، على أن يكتفـى بالاحتفاظ بما يمكن أن يكون حفظا لشرف اسبانيا العسكرى من المدن الهامة .

وقد كان مولاى احمد الريسونى، يتتبع باهتمام مخططات رفيرا التى تقضى بتهدئة الامور وعدم اثارة الضغائن الدموية التى سار عليها اسلافه العسكريون، ولذا بادر لما وضع أقدامه فى المغرب، بتقديم تهانى رقيقة، مرحبا بقدومه الى المغرب، واضعا نفسه رهن اشارته، لكى يتمكن من تنفيذ مخططاته السلمية، حسب تعبيره، وكان الريسونى يسعى من وراء هذه التهنئة تخفيف المصاعب التى أهدرت كرامة الايتام والارامل الذين خلفهم الغزو الظلوم، يبكون عائلاتهم فى البيوت والطرقات، وعند منابع المياه، وفى أى مكان من قرى وقبائل ايالته، التى عليها أن تحكم حكما استبداديا متسلطا على مشروعيتها النضالية .

ولم يكتف بمجاملة التهنئة بالكتاب، بل شفع ذلك بأن أرسل ولده البكر الخالد، محفوفا بوفد من أعيان أنصاره، من قبائل جبالة، الى مدينة أصيلا، حيث شهد مع ريفيرا الذى خلف الجنرال اسبورو على الاقامة العامة، استعراضا ضخما، شارك فيه الجيش الاسبانى وأهالى القبائل المحتلة، والتى اعترفت بالهدنة التى كان الريسونى اقامها مع المقيمين العامين قبل ريفيرا، انطلاقا من عهد الجنرال بوركيطى، الذى جاء ليخلف الجنرال برينكير، والذى غير موقف اسبانيا مع الريسونى أساسا، اتسم بعطف اسبانيا عليه، لاستعماله لابعاد قبائل جبالة عن الريف، واذ اقتضى الحال، استعمالها لصد أى تحرك يقوم به الارياف جهة الغرب، وحتى اذا دعت الحاجة، فان الريسونى اولى بزعامة منطقة الشمال، وليس ابن عبد الكريم .

وهكذا عمد الجنرال بوركيطى، فأرسل مولاى مصطفى الريسونى الذى كان يسكن بطنجة ومحمد بن المكى الريسونى الذى كان يسكن فى

تطوان، أرسلهما الى تزروت، يقترح على مولاى احمد الريسوني أن يجتمع بالجنرال كاسترو خيرونا أولا لمعرفة الشروط الاولية للريسوني، فيما يتعلق بموقفه ازاء الريف، فاجتمع به، ووقع الاتفاق على الاجتماع بين المقيم العام والريسوني فى الموضع المدعو «دباز» يقع هذا الموضع قبالة ثلاثاء بنى يدر، اسفل ضريح مولاى عبد السلام.

وقد انفض الاجتماع على الاتفاق على مبادىء الهدنة، ريثما يقع الاتفاق النهائى، واثر هذا الاتفاق نقل الجنرال بوركيطى من الاقامة العامة، وخلفه الجنرال اسبورو على الاقامة العامة، وقد سار هذا على منوال خلفه، فاستمر فى مفاوضة الريسونى، وقد عقد معه اجتماعا بالموضع المدعو سيدى موسى بأسفل تزروت، معقل الريسونى، وقد كان الجيش الاسبانى، وصل فى زحفه الى تزروت، مما جعل الريسونى ان ينتقل الى جبل بوهاشم، بما تبقى معه من الانصار.

ولاجل أن يهىء جو الاقامة العامة لقبول شروطه، فانه اشاع بأنه سيرحل الى الريف، حيث ينضم الى المجاهدين، وقد أوعز الى قبائل الاخماس، التى تعتبر القبائل الاشد لاء له، أن يعلنوا أنهم يهيئون المراكب لرحيله، وقد يكون قصده صحيحا.

ولما علم المقيم العام بذلك، بادر الى الاجتماع به بسيدى موسى، فوقع الحوار على القواعد التالية التى قدمها المقيم العام :

1 — ان يدخل الريسونى الى تطوان لتنصيبه خليفة للسلطان، فى مكان الخليفة مولاى المهدى العلوى الذى توفى.

2 — ان تدخل الاقامة العامة الاصلاحات الادارية، والتنظيمية، على القبائل المنضوية تحت سلطة الريسونى حالا.

3 — نزع السلاح عن القبائل الخاضعة له، ووضع القوة الاحتياطية من المغاربة، لحفظ الامن والاستقرار.

أما الريسونى، فقد اشترط شرطين اثنين، مقابل موافقته على الشروط الآنفة الذكر :

1 — ان ينسحب الجيش الاسبانى من منطقة نفوذه (جبالة).

2 — ان لا يتخلى عن معقله بتزروت، بل يكون هذا المعقل هو مركز الخليفة السلطانى، ومن هناك يدير أعماله المنوطـة بـه .

وعندما جاء ريفيرا كان كـل شىء مع الريسونى على مايـرام، فألح عليه بتولية الخلافة فى تطوان، وليس فى تزروت، لان تطـوان هى العاصمة، واذا لم يكن مستعدا لنفسه بذلك، لتقدم سنه، فاسبانيا تكتفى منه بالاذن لولده خالد، ليتولى مكان الخليفة السلطانى، وقد رضى بهذا الاقتراح، فتوجه ولده خالد الى أصيلا، لمشاهدة استعراض الجيـوش، والاهالى أمام حاكم اسبانيا، الذى لم يرق له أن يرى استعراض الاهالى، وهم مدججون بالسلاح، فأنكر ذلك على قادة الجيش الذين سمحوا لهم باستعراض كمقاتلين، وليسوا دميات تتحرك .

أما خالد، فانه التحق بعد ذلـك بالاقامة العامة بتطوان، حيـث اجتمع بالمقيم العام رأسا لرأس لوضع الصيغة النهائية، للاقتراح الـذى يحمله المقيم العام الى اسبانيا، وقد شيعه خالد الى سبتة، وعندما رجـع من اسبانيا الى تطوان كان احمد الريسونى قد استفحل مرضه، ولـزم الفراش، ولم يشأ أن يغادر معقلـه (تزروط)، رغم الحاح المقيم العـام عليه بأن يحمل الى مدينة سبتة أو طنجة لعلاجه، ولكنه امتنع لاستجابة تلك الرغبة الملحة، مفضلا أن يموت فى معقله، على أن يغتال تحت ستار العلاج، حسب رأيه، ولما اشتد عليه المـرض، استـدعى ولده خالـد من تطوان للالتحاق به، وقد التحق به فعلا، وبقى معه الى أن وقع الهجوم على تزروت من طرف المجاهدين، كمـا سيأتى، وقد بقى مقام الخليفـة السلطانى بتطوان شاغرا مدة بقاء الريسونى، وولده فى تزروت، فلـم يعين فيه الخليفة مولاى المهدى الا بعد مصير الريسونى الاخير .

انفصال احمد اخريرو عن الريسونى وثورة قبيلة أنجرة عن الاسبان

كلمة اخريرو هكذا، بفتح الهمزة وسكون الخاء وكسر الراء الاولى وضم الثانية مشبعة، هى لقب المجاهد الخطير، المدعـو احمد بن محمد اسبو، وهو من أهالى قبيلة بنى حزمر، قرية تمزقت، اظهر من البسالة فى الحروب الريفية الاسبانية، ما جعله من الخالدين، وقد كان من أنصار مولاى احمد الريسونى، ثم انضم الى المجاهدين، لما وصل الامير امحمد

الخطابى الى قاع اسراس، فأظهر بطولات نادرة، الى أن استشهد رحمه الله فى موقعة المناصرة بقبيلة بنى يدر، حيث حملت جثته ودفن بضريح مولاى عبد السلام من مشيش، بجبل العلم .

ذلك أنه لما كان فى ركب ولده خالد، أطلع عن كثب بالنوايا الخذلانية التى تسير عليها قضية الجبالة، ورغم أن عائلة اخريرو، كانت مهاجرة الى تزروت، وعين لها محل الاقامة بالحصن الذى قبالة تزروت، فانه لم يستطع أن يقبل الصدمة التى صدم بها، من جراء ما بدا له، من تلك النوايا المنطوية على غير ما عاهد المجاهدين عليها مولاى الريسونى، لما كان فارا الى جبل بوهاشم، والذى كان يبدو عليه العزم على الجهاد، لما كان يطوف بضريح مولاى عبد السلام مع أطفال الكتاب، حاملين الواح القرآن على رؤوسهم، يدعون الله برفع الغمة عليه، وعلى أنصاره، ولكن لما انفرجت أزمة ضميره بالمهادنة مع الاسبانيين، قلب ظهر المجن لتلك الدعوات .

وفى أثناء وجوده ــ أى اخريرو ــ فى تطوان قرر أن ينفض يده من الريسونى، وما يرومه، وان يلتحق بالامير امحمد الخطابى فى قاع اسراس، وقد ابتدأ انفصاله بأن جمع قوة من أنصار الجهاد من قبيلة بنى حزمار، وآخرين من قبائل أخرى، فهجم ليلا على تطوان، ودخلها، الى أن وصل الى ساحة الفدان، (ساحة الحسن الثانى الآن)، سالكا شارع المصلى القديمة، الذى كان يعتبر الحى الجديد الذى يسكنه الاسبان، فاحدثوا ذعرا شديدا فى السكان، باطلاقهم الرصاص على من وجدوه من الجيش الاسبانى، فكان لعملهم هذا نذير شؤم على الاقامة العامة، والجيش الاسبانى الذين ارتبكا ارتباكا شديدا حتى انهما لم يهتديا الى ما وقع، الا بعد أن انسحب اخريرو وجماعته صوب جبال غرغيز الصلدة.

وهنا تجدر الاشارة الى عدم صحة ما قيل من أن هجومه على تطوان، كان بايعاز من قادة الجيش الاسبانى بتطوان الذين يعارضون مخطط (ريفيرا)، وانهم أرسلوا علي الريسونى (وهو ولد أخى مولاى احمد الريسونى) ليوعز الي اخريرو بالهجوم على تطوان، انتقاما من المقيم العام.

كما لا صحة لما رواه فى كتاب «عبد الكريم أمير الريف» مؤلفه

روبت فورنو من أن سبب انفصاله عن الريسونى هو أن اخريرو، استبد بأكثر من حقه من غنائم معركة بوادى لو، فشنع عليه ذلك الريســونى، فنشأ بينهما خلاف، فانفصل عنــه .

فكل هذه الاراجيف عارية عن الحقيقة، وانها حيكت للحط من قيمة البطولية، التى لم يغفل عنها التاريخ، لانه أمــين .

واثر هذا الهجوم الخاطف على تطوان، والانسحاب الى جبــال غرغيز، تحولت أنظار المجاهدين الى معقل الريسونى الذى يهادن الاسبان على حساب الجهاد، فقاموا بتحرك، وقد انضم اليهم مجاهدون آخرون، حيث بلغــوا حوالى 400 مقاتــلا، وقد وصلوا الى قبيلة بنى عــروص، فعسكروا فى قرية اشقاقرة بمسجد سيدى بوبكــر .

وكان مع الريسونى بتزروت جوالى 750 من أنصاره، ولما علم بتحرك اخريرو وجماعته أمر أنصاره بأن يتلاقــوه لاجل ان يردوه الـــى حظيرته، بالطواعيــة أو القتال .

وهكذا تحركوا أيضا الى أن نزلوا بمدشر الحمدانش بمسجــد سيدى الحبشيش، وتقابل الفريقان ولم يشأ احدهما أن يقترب من الآخر، خوفا من الاصطدام بالسلاح، بل اعتصم كل منهما فى موقعه الا أنه بعــد حوار بين بعض الزعماء، قرر زعماء فريق الريسونى أن يذهب الى الفريق الآخر، فبعد النقاش تبين لانصار الريسونى أنه لا حق لهم فى استعمــال السلاح فى اخوان لهم بسبب انهم لم يستطيعوا أن يقاتلوا اخوانهم، بينما الاسبان يبقون فى مأمن، يتفرجون على الجميــع .

ولما أدرك الريسونى أن سلطته على وشك التلاشى على قبائل نفوذه، أمر أنصاره بأن ينصحوا اخريرو وجماعته بأن يبتعدوا عن قبائل جبالة، ويتجهوا الى قبائل غمارة التى وصل اليها رجــال الريف، حيــث لا يكون هو محل شك فى خرقه للهدنة مع الجيش الاسبــانى .

ثــورة قبيلــة أنجــرة على الاسبـان

وقد كان لهذه الانتفاضة التى قام بها اخريرو اثرها المحمــود فى قبيلة أنجرة، هذه القبيلة التى كانت ضمانة خلفية للجيش الاسبانى،

والتى كانت المعبر المأمون للجيش فيما بين سبتة وتطوان، وسبتة وطنجة على شاطىء البوغـاز .

ولما علم زعماء القبيلة بانتفاضة اخريرو وجماعته، قام زعيمهـا السيد العربى بن الخضر، فهجم على حامية اسبانية كانت فى المنار علـى الشاطىء، واسر رجال الحامية كلهم، وساقهم الى حيث مسكنه بأنجرة، واحتفظ بهم، وانضم اليه رجال انجـرة، فى ثورة عارمة ضد حاميـات العدو، وقد ارتبك قادته من هذه الطعنة الخلفية، التى تنذر بشر مستطير، وقد كان ممن حرضوا على هذه الثورة المجاهد ولد السى احميدو الخراز، من بنى عروص، وهو أخو البطل الشهيد السى محمد ولد الخراز .

وقد طلب الامير امحمد الخطابى من السيد العربى بن الخضر، أن يرسل الاسرى الاسبان اليه فى قاع أسراس، بينما الريسونى طلـب أيضا منه أن يرسلهم اليه، لكى يردهم الى الجيش الاسبانى، عربونا على استمرار الهدنة التى حامت حولها شكوك من طرف الاقامة العامة التـى ترى ان كل الذين فتقوا الفتوق عليها، هم من أنصـار الريسونى، فتلـح عليه بأن يكف عاديتهـم .

ورغـم انفـلات زمـام الامـور وشيـكـا، الا أنـه لـم يرض أن يعلم الاقامة بذلك، لانه سيكون موقفه آنذاك ضعيفا، وانما يعتذر بأن جماعة من الاغرار لا قيمة لهم، هم الذين يحاولون تعكير صفو الهدنة، التى يحافظ عليها بما له من شرف الكلمـة .

معـارك على اخـدود وادى لــو

وبعد هذه الاحداث التحق اخريرو وجماعته بالامـير الخطابى، حيث شارك فى جميع المعارك التى ستذكر، فقاد المجاهدين من نصر الـى نصر، فى المعارك المحلية، وفى اثناء وجوده على الضفة الشرقية لواد لو، برفقة الجيش النظامى الريفى، فقد بدا له ولقائد الطابور شعيب افـلاح أن يحتلوا موضعا يقع ما بين مركز واد لو، الذى جعلـه العدو القاعـدة الامامية، لتحركاته على شاطىء البحـر الابيض المتوسط، بين سبتـة وتطوان، ووادى لو، بينمـا له قاعـدة أخـرى بأعالى قبيلة بنى زجـل،

بالموضع المدعو «تلامبوط» حيث يربط الاتصال بين شفشاون ووادى لو، وكان بين هاتين القاعدتين ثكنات على امتداد الوادى الهابط من تغزوت، الى البحر لضمان الاتصال بين القاعدتين .

وفعلا قاد القائدان المذكوران 500 مقاتلا، ما بين نظاميين ومتطوعين، فاحتلوا موضع تافوغالت بدون ان يتحرشوا مع العدو، ولما علم العدو بوجود المجاهدين فى تافوغالت أرسل 300 فارسا من قاعدة تلامبوط، حيث عسكروا فوق تافوغالت، على رأس جبل، ذى قمة مسطحة، وهناك نزلوا عن متون خيولهم، وأقاموا حارسين، الى أن يهيؤوا للاغارة على المجاهدين، فى تافوغالت، من حيث لا يشعرون .

وقد تفطن المجاهدون للمكيدة، فعملوا على كسب السبق، معتمدين على عنصر السرعة، فى مثل هذه المواقف، التى لا تخلو من المفاجآت الغير السارة، فنظم المجاهدون أنفسهم، لاجل ابادة العدو الجاثم على هامتهم، لكى يلقنوا له درسا من النوع الذى لقن فى شتى الاحتدامات، التى رجع فيه — ان رجع — بخفى حنين .

وهكذا تكلف كل من أفلاح واخريرو، بازاحة الحارسين الجاثمين على الصخرتين بطلقتين فى آن واحد اذ ارداهما صريعين فى رمشة عين، ثم تقدم المجاهدون من ورائهما، يحصدون الفرسان حصدا، فلم يفلت من الثلاثمائة فارس الا ثمانية بأعجوبة، أما المجاهدون فقد مات منهم ثلاثة، وغنموا كل ما أتوا به، من جملة ذلك 180 فرسا والباقى لقى حتفه فى المعمعة، وكان ذلك صباح يوم الجمعة 27 ذى القعدة عام 1342 هـ.

وكانت هذه المعركة من احدى المعارك التى جرت بسرعة مدهشة، فى حين لم يشعر العدو بالانتصار فيها الا بعد حين، وذلك أنه لما سمع من مركز وادى لو للطلقات النارية، ظن أنها مناوشات عادية فأرسل مع عشية ذلك اليوم 40 جنديا مغربيا، ممن ينضوون تحت لوائه، لاغاثة جيشهم، الذى يظنون أنه فى مركز حصين، مع أنه كان فى ذلك الوقت فى خبر كان، وكان الثمانية الناجون من الموت لا زالوا ضالين فى تلك الإدغال، يتعثرون بين الشعاب والهضاب ترفعهم هذه تارة، وتخفضهم تلك آونة

أخرى. ولما اقتربت كوكبة الاغاثة من تافوغالت، ورأت ما هالها، نكصت على أعقابها، فرجعت من حيث أتت حاملة النبأ المفجع .

واثر ذلك، أى فى غده، قرر جيش العدو بمركز واد لو، أن يشن هجوما عاما على الجهتين: جهة الضفة الشرقية لوادى لو، وكان يعسكر قائد الطابور موح بن عمر الجوع على تلك الضفة بجيوشه النظامية، مع المجاهدين المتطوعين، وجهة تافوغالت حيث أرسل اليها مائة من المجندين الاسبان، على أن القى بثقله الى الضفة الشرقية، نظرا الى أنها تكون مركز الامير الخطابى فى تاغسا .

وقد وصلت هذه المائة الى مدشر تافوغالت، حيث كان المجاهدون انتقلوا الى القمة، التى وقعت فيها المعركة، فاستمالت سكان القرية الى جهتها، نتيجة لاتصالهم الذى كان قبله، فأظهروا التمرد على المجاهدين، والانحياز الى جيش العدو، ولكن عندما تقابل المجاهدون مع هذا الجيش انكسر وخلى وراءه ثمانية عشر بندقية، غنمها المجاهدون، وقد استشهد من جهتهم ثلاثة، فلما انكسر العدو سقط فى أيدى سكان القرية، وقد أدبهم المجاهدون بمصادرة أموالهم المنقولة، فرجعوا الى الجادة وجعلوا يذبحون ذبائح العار كما يسمى .

أما الهجوم الاكبر الذى شن على الضفة الشرقية، فان المجاهدين هناك ثبتوا واستبسلوا، فكان الحرب سجالا بين الفريقين، الا أن النجدة التى أتت من خلف العدو، حيث جمع المجاهدون الذين كانوا فى تافوغالت امرهم، فشنوا هجوما من خلف العدو بقيادة افلاح واخريرو، ففوجىء العدو، بقتال كاسح فوقع بين نارين، ان تقدم احترق، وان تأخر غرق، فانكسر شر انكسار، ورجع بعد لاى الى وادى لو، بعد ما خلف قتلى وعتادا.

أما المجاهدون الذين أتوا من الخلف، فقد استشهد منهم أربعة من الارياف، عليلوش بن موح امزيان وموح افلاح، واثنان آخران، وقد جرح قائد الطابور شعيب افلاح، وموح بن صديق بو لمقاصر من أزغار ببنى ورياغل، وحملا الى تاغسا عند امحمد الخطابى .

معركــة بــاب تــازا ببنــى زجــل

بعد هذا الانتصار استرسلت المعارك من قشلة الى قشلة، حيث تستسلم هذه، وتباد أخرى، حسب الآتى :

1 ـ انتقل المجاهدون بمن فيهم من الجيش النظامى الى قبيلة بنى زجل، وكانوا تحت قيادة احمد اخريرو، ونزلوا بترينس، لمهاجمة الثكنات الاربع، فى الموقع المدعو باب تازا (وهو غير باب تازة بالاخماس المعروفة) وكانت هذه الثكنات برياسة رائــد .

أما السيد امحمد الخطابى فقد نقل مركز القيادة العامة من تاغسا الى تيكساس، ليكون قريبا من مواقــع القتال، الذى توجه الى قاعــدة تــلامبــوط .

فقد حاصر المجاهدون قشلات باب تازا الاربع، وقطعوا عنهــا وصول المؤن، فطلب الرائد للرئيس هدنة مع المجاهدين، واثر المفاوضــة، تربص به أحد المجاهدين، فارداه قتيلا، فانحلت عرى قوة الثكنات، وكــان أحد الجنود المغاربة ممن يعملون فى صفوف العدو، حارسا على سطــح دار احدى الثكنات، فنادى عليه قائد المجاهدين، وطلب منه أن يقتل رئيس الحامية، وكان برتبة ملازم أول، فامتثل الامر، وقتله، وحينئذ هجــم المجاهدون، واحتلوا القشلات الاربــع، واخذوا منها 45 أسيرا، كلهــم مغاربة، من جيش «الريكولارس» وبينهم ملازم أول اسبانى، أصيــب بجروح، وقد بعثوا بالاسرى الى مركز بنى معلى، الذى كان يعسكر فيه القائد الهادى بن عزوز من بنى ورياغل، على رأس المجاهدين هناك .

واثر هذا الانتصــار انتقل الامير الخطــابى الى دار الســى العربى قيوش، ليتسنى لتعليماته الحربية أن تصل بالسرعة المتطلبــة ويرقب المعارك عن كثــب .

قشــلــة افــــران :

كانت بين هذه القشلات الاربع، وبــين قاعدة تلامبوط، قشلــة تدعى افران، سميت بذلك لوجود فران فيه يطبخ الخبز لتموين جميــع الثكنات، التى توجد على طول الاخدود النازل من تلامبوط الى وادي لو.

ففى العشى من اليوم الذى وقع الاستلاء على ثكنات باب تازاء، استولى المجاهدون على هذا الموقع وكانت قوتهم تتكون من مائة جنـــدى نظامى، كلهم من بنى بوعياش تحت امرة قائد المائة عمـــر بن موح بـــن سعيد، فهى التى تولت الاستلاء على هذه القشلـــة .

قائد تلامبوط وثكنات باب عوانة واد ريوه ـــ وتغزوت :

بعد هذا التطهير الذى انتظم مسلسلا، لم يبق على رأس الاخدود الا ثكنات أربع، وكانت تجمعها دائرة قطرها حوالى 50 كلم مربـــع، فضرب المجاهدون الحصار عليها من كل جهة، وقد انضم الى المجاهدين قائد من قبيلة بنى حسان، يدعى القائد احمد بنسعيد، وكان يسكـــن فى قرية تغزوت، وهى جبال صخرية ذات رؤوس حادة، لا يوجد أصلـــح منها لحرب العصابات، وكان قبل ذلك من أنصار مولاى احمد الريسونى، ثم خرج عنه عندما اتفق مع الاسبـــان، لاحتلال شفشاون عن طريـــق قبيلتـــه .

وقد استمر حصار هذه القلاع الاربع، حيث كانت الاغاثة تأتى اليه من دار قوبع، وهو نقطة الاتصال بين شفشاون وتطوان، فاشتـــد احتدام القتال، لمدة ثلاثة أيام، فى معـــارك مهولة، مات بشر كثـــير من الجانبين، وفى اليوم الرابع، اتصل جيش دار قوبع بجيش تلامبـــوط، وفتح طريقا لانسحاب من تبقى من جيوش العدو الى دار قوبع، حيـــث تجمع هناك، محافظا على طرق التموين بين شفشاون وتطـــوان .

قشلـــة قلعـــة بنـــى زجـــل :

واثر ذلك مباشرة وبدون عناء سقطت فى يد المجاهدين قشلـــة فوق تلامبوط الى جهة شفشـــاون، تدعى قعلـــة، وبسقوط هذه القلعـــة أصبحت مدينة شفشاون مفتوحة أمام المجاهديـــن .

انتقال القائد العام الخطابى الى تلامبـــوط :

وعلى نمط ما يتمشى عليه القائد الخطـــابى من الاقتراب الـــى مواقع القتال، فانه نقل مركزه الى تلامبوط، وتدعى أذغوص، حيث جعل من هناك يعد العدة للهجوم على جيوش العدو بشفشاون .

وهكذا فقد هيأ قوة المجاهدين الهجومية على الشكل التالى :

يزحف القائد ادريس خوجة القلعى، بقوته التى كان يعسكر بها بموضع يدعى مشكالة ببنى دركول، من الاخماس شرقى شفشاون.

وقسم القوة التى اكتسحت مواقع العدو حسبما أسلفنا الى ثلاثة ارتال، وكانت تتكون من آلف مقاتل، رتل بقيادة عمر اداود من بنى ورياغل، غربى شفشاون .

ورتل بقيادة مسعود بن الحاج على من بنى خالد، غمارة، على طريق المواصلات بين دار قوبع، وشفشاون، أى الشمال الغربى .

ورتل بقيادة سيكوكة من قبيلة بنى زحل .

بينما يصعد الجيش النظامى، والمتطوعون بقيادة القائد اخريرو وشعيب افلاح، الذى شفى من الجرح من تلامبوط، على جبال شفشاون وقد تسرع هذا الجيش، فشن هجوما قبل أن تصل القوات الاخرى، لوضع جيش العدو، فى شفشاون، بين فكى كماشة، فتصدى له العدو، واصلاه نارا حامية، قتل من مجاهدى اغمارة 75 شهيدا، بينما انكسر جيش افلاح النظامى، واستشهد من قواده عمر اليدار من بنى ورياغل .

الا أن حادثة نزلت كنجدة الاهية، فانكسر العدو، ذلك أن كبطان الجيش الاسبانى الذى كان التحم مع المجاهدين لعبت برأسه نشوة الانتصار المحلى، فخرج من مكمنه، وجعل ينشر يديه بارزا للعيان، ويقول ها أناذا يعنى لا يبالى بعدوه، فحاول شعيب أفلاح أن يجعله هدفا لرصاصة بندقيته فلم تنفجر القذيفة، فما كان من القائد الحسن بن عمر تحاجيت من ترغة، ان صوب نحوه طلقة نارية فارداه قتيلا، فكان سبب انكسار جيش العدو .

وقد استعمل المجاهدون المدافع التى غنمت فى المواقع التى سقطت فى أيديهم، وكانوا تدربوا على استعمالها بشكل صحيح .

معركة تغزويت :

ولنفس الاسباب التى أشرنا اليها، فى الرواية عن شعيب

افلاح، أروى هنا فى هذه المعركة، عن الشخص الذى أثار هذه المعركـــة، وانتصر فيها وهو القائد احمد بنسعيـــد الحسانى (1) .

تقع قرية تغزويت على الجانب الغربى لاخدود تلامبوط، الذى يدعى فى رأسه الاعلى بواد السى فـــلاو وعند مصبه بالبحر بواد لـــو . وقد أقيم خزان المـــاء بتاغزويت لتوليد الكهربـــاء التى تمـــون تطوان وسبتة والعرائش وغيرها من مدن الشمـــال .

قال القائـــد ابن سعيـــد، «انه كـــان من انصار مولاى احمـــد الريسونى، وعندما انحاز الى الجيش الاسبانى، كان نصبه قائـــدا على بنى حسان وأقره الاسبان عليها، عند احتلالهم لمواقع قبيلته، وتلامبوط، ووادى لو، بأمر من الريسونى .

وعندما جاء القائد العام الخطابى الى تيكساس اشتبه الريسونى فى ولائه له، فأوعز الى الجيش الاسبانى الذى عسكر فى دار قوبع بـــأن يستدرجوه الى المثول أمامهم، لالقاء القبض عليـــه .

ولهذا الغرض ارسل قائد حامية دار قوبع جنديين احدهما برتبة ضابط الصف لاستدعائه الى دار قوبـــع، بدعوى تسلم الاسلحـــة من الجيش، ليوزعها على أنصاره، للدفاع ضد الثورة الريفية، عند الهجـــوم عليه، فما كان من القائد احمد بن سعيد الا أن القى القبض على الجنديين، وقتل ضابط الصف، أما الجندى العادى، فقد استبقاه، وأرسله الى الزعيم ابن عبد اكاريم بأجدير، عربونا عن اخلاصه للثورة .

ولما علم الجيش الاسبانى بما فعله بالجنديين سير حملة للاغارة عليه، وقد صمد ابن سعيد مع لفيف من اخوانه وأنصاره يقدر عددهـــم بمائة مقاتل، وعمـــدوا الى حرب العصابات، حيث تفرقـــوا فى رؤوس الجبال الشاهقة، متمرسين وراء الصخور الصلدة، فلم يستطع جيـــش العدو أن ينال منهم منالا، فرجع منكسرا، بعدما ترك خسائر فى الارواح، منهم ضباط نزع عنهم شارات القيادة ليقدمها الى السيد امحمد الخطابى

---

(1) شاهـــد عـــيـــان .

بتيكساس، بواسطة القائد الهادى بن عزوز، الذى كان معسكرا فى بنى معلا .

وقد كلف الامير هذا الاخير، بأن يستعلم جلية الامر، خوفا أن يكون عمل ابن سعيد خدعة حربية لكون ابن سعيد كان قائد الريسونى، أقره الجيش الاسبانى ، الامر الذى يعتبر خطيرا على الثورة، لانه كان على رأس قبيلة تعتبر أصعب قبيلة فى جبالة وكان الخطابى يعطى 50 ألف بسيطة، لمن يأتى به .

وعندما ثبت لديه صدقه، فقد عمل على نقل العمليات الحربية الى دار القائد ابن سعيد، حيث يكون مسيطرا على طرق المواصلات، بين المجاهدين الى تيكساس، والريف، حيث يعتبر المحل عنق المواصلات بين قبائل جبالة: بنى سعيد، وبنى حسان، وبنى زجل، والاخماس، على أنه أيضا يكون موقعا استراتجيا، لاجراء عمليات تعقب الجيش الاسبانى المنسحب من شفشاون .

اعلان الانسحاب :

ان الجنرال الذى أصبح الرجل الاول فى اسبانيا، وما وراء البحار، استبدت به نشوة الانتصار على خصومه من بنى جلدته، فلم يتمالك نفسه عندما أحذق به مراسلو الصحف العالمية، يمطرونه أسئلة محرجة بالنسبة لقضية حفظ ماء وجه اسبانيا، يطلبون منه الاجابة عنها، لالقاء الاضواء عن مخططه، الذى دافع عنه فى يوم ما، الذى سبب له الابعاد الى كتالونيا، ثم الآن بسببه أصبح الحاكم الاول لاسبانيا، فكانت أجوبته صريحة، لا غبار عليها، وهى تقتضى تعميم الانسحاب من الخطوط الامامية، من الجبهتين معا، الشرقية والغربية، والاحتفاظ بحدود آمنة لمدينة مليلية وبخط تطوان جنوبا، سماه خط «استيلا» وهو اسم وراثى لنبالة عائلته، ويمتد هذا الخط على نهر مرتيل، فالمحنش، ويسير محاذاة طريق طنجة الآن الى ان يفترق عن طريق العرائش، مع تغيير طفيف، وان يبتدىء الانسحاب فى وقت كذا، ومن مكان كذا، وبطريقة معينة .

ان استعماله أسلوب الصراحة الواضحة، بهذا الشكل، أمام جماعة من الصحفيين الغير المنضبطين، يعتبر من أخطر العواقب على الجنود الذين يوجدون فى الخطوط المواجهة لعدوهم، لانها تكون معرضة للترصد والتعقب، ومعرفة من أين يضرب؟ وفى أى وقت يضرب؟ وبأية طريقة يضرب ؟

ولذا أقام وأقعد هذا التصريح الدوائر العسكرية الاسبانية، لمخالفتها أساسا للفنون الحربية العالمية، فاذا كان لابد من الانسحاب، فانه يكون تحت ستار الكتمان، الشديد وفى جناح الظلام، فى غالب الاحيان، ولذا قيل أنه لما سمعه المرشال اليوطى، وهو من أساطين الحروب الاستعمارية لم يملك نفسه ان صاح قائلا: «ياله من قائد، ان الانسحاب عندما يكون لازما للجيوش، لا يعلن عنه سلفا، للعدو» وقد قال «البرتكار» فى أبحاثه عن السبيل الى الدكتاتورية «ان الاعلان عن الانسحاب بتلك الطريقة وفى خضم من الصحفيين، ذوى اللسان اللذق، يعتبر عملا جنونيا».

وفى الواقع، ان العمل جنونى بالمعنى الصحيح، جر على الجيوش عواقب وخيمة، أدت الى حالة مزرية، سواء فى الجبهة الغربية أو الجبهة الشرقية، فقد تلقى رجال الثورة أخبار الانسحاب، التى حملتها الجرائد التى كانت تصل الى ابن عبد الكريم، بانتظام، من طنجة، والجزائر، وحتى من مليلية، بحماس منقطع النظير «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» وكانت مهمتهم سهلة، لان العدو نفسه ابان لهم معالم الطريق أمام المعارك التى تنتظرهم .

الانسحاب فى الجبهة الغربية :

كنا وقفنا فى الزحف الذى قام به المجاهدون فى هذه الجبهة الى معركة تغزويت، حيث وضعت دار القائد احمد ابن سعيد مقرا للسيد امحمد الخطابى القائد العام لهذه الجبهة بعد أن طهر جميع الجيوب التى كانت منتشرة على شعاب وهضاب الوادى النازل من شفشاون الى وادى لو، وكانت المعارك كلها لصالح المجاهدين .

واذ علم القائد العام مما نشرته الصحف عن اعلان (ريفيرا) ان

الانسحاب سيكون من شفشاون، المدينة التى تحتل عمق قبائل جبالـــة، وسط شواهق الجبال، التى تشرف على القبائل الوسطـــى لغمارة، وقـــد تجمعت فى ضواحيها وعلى الطريق الوحيد للمواصلات بينها وبين تطوان.

وتعد القبائل التى شهدت انهزام العدو خصبة بالمعارك الحربية، وتتكون من مجموع هذه القبائل من الناحية الادارية الآن، دائرة احـــواز تطوان وعندما كنت على رأس هذه الدائرة فقد هيأت لمكتب التعريب لائحة عن معالمها، واسماء المعارك التى شهدتها، التى لم يتيسر لى ارسالهـــا ولاجل توضيح وضعية أرضية الانكسار المفجع للجيش الاسبانى أثنـــاء العمليات الحربية من شواطىء وادى لو الى عملية الانسحاب التى ابتدأت من شفشاون والحاميات المنبثة عن طريق شفشاون ــتطوان أثبت هنـــا هذه اللائحة التى تبين وضعية تلك القبائل فى القديم والحديث .

موجـــز للمعالم الرئيسية لارضيـــة تلك المعــارك

القـــرى الحـــديـــثـــة

قريـــة دار ابـــن قريـــش :

قريش بفتح القاف وكسر الراء المشددة وسكون آخره حسب نطق الاهالى ولم تسمع عربت قط، وأضيفت اليه كلمة دار، لان الموضع كان منزلا لـ شخص يدعى ابن قريش ولذا سميت عليه .

بنيت القرية مع الاحتلال الاسبانى حوالى عام 1925، وسكانها يبلغ عددهم الآن 980 نسمة، أصلهم من قبيلة بنى حزمار احدى قبائل جبالة تطوان، تشتمل حالا على مسجد للخطبة وزاوية للفقراء وحمام، وحدائق محلية وصهريج للعوم ومياه غزيرة عذبة ومستشفى لامراض السل ومستوصف ومدارس ابتدائية وبنايات للاقسام الداخلية الابتدائية والبيطارة ومركز تليفونى، وهى قاعدة قبيلة بنى حزمار التى يقوم بها حكام القبيلة المحليون ـ القائد ـ الخليفة ـ القاضى أحيانا، بينها وبين تطوان مسافة 13 كلم. بالجانب الشمالى لطريق تطوان ـ شفشاون .

قـــريـــــة وادى لـــو :

بفتح اللام وسكون الواو وأضيف اليها الوادى لكونها تقع على الضفة الغربية لواد ينزل من أعالى جبال شفشاون عندما يمر بالاخماس السفلية دعى هناك بسفلـو وعند مصبه بين قبيلة بنى سعيد وبنى زجل دعى لـــو .

والقرية حديثة الوضع اذ بنيت مع الاحتلال الاسبانى حيث وضعت قاعدة لقبيلة بنى سعيد حوالى 1930 .

وتقع هذه القرية على شاطىء جميل بين سفوح جبال غمارة وجبالة، ويروى منها حوالى ألفى هكتار من الاراضى المنبسطة الخصبة. وتشتمل القرية الآن على مسجد للخطبة وحمام ومستوصف

ومركز للتجديد القروى ومدارس ابتدائية عصرية وأصلية، وهذه الاخيرة حولت من قصبة كـانت بنيت أيام الاحتـلال الاسبانى معتقلا لـذوى الجرائم الكبرى من قتل وغيره. وهى قاعدة قبيلة بنى سعيد، يقيم فيها حكامها ــ القائد ــ الخليفة ــ القاضى، مسافتها من تطوان 46 كلم. على الشاطىء البحرى الى الشرق .

قريـــة أربعـــاء بنـــى حســـان :

سميت بأربعاء بنى حسان بتشديد السين المفتوحة وفتح الحاء قبله لاقامة سوق الاربعــاء فيهــا .

وهى قرية حديثة الوضع بنيت حوالى 1930 لتكون قاعدة لقبيلة بنى حسان وبنى ليث يقيم فيها حكامها ــ القائد ــ الخليفة ــ القاضى الموظفون الباقون المستوصــف والمدارس الابتدائية، وتقع غربى طريــق تطوان ــ شفشاون ازاء كلــم 35 على قمة هضبة مشرفة، بينها وبــين الطريق المذكور حوالى 3 كلــم .

بها مسجد للخطبة ومركز تليفونى، يقطنها عدا الموظفين عائلات قليلة لا تتعدى أحيانا عشرة عائلات، وجلب اليها الماء من عين قريبـــة.

قريـــة ثلاثـــاء بنى يـــدر :

يدر بفتح الياء وكسر الدال المشددة وسكون الراء كما ينطق بها الاهالى، سميت بذلك نسبة لقبيلة بنى يدر الجبلية، وأضيفت اليها كلمة الثلاثاء لاقامة سوق فى نفس اليوم هنـــاك .

وهى قاعدة للقبيلة المذكورة تحتوى الآن على مسجد للخطبـــة يصلى فيها الموظفون ومن جاورهم من سكان المداشر ومدارس ابتدائية ومستوصـــف .

يقيم بها حكام القبيلة ــ القائد ــ الخليفة ــ القاضى أحيانا ــ الموظفون، جلب اليها الماء من عين قريبـــة .

القبـــائـــل :

قبيلــة بنى حــزمــار :

الكلمة بالحاء المضمومة والزاى الساكنة والميم المفتوحة والـراء الساكنة حسب نطق الاهالى، ولم تسمع معربة يجهل وجه التسمية الا ما يؤخذ من اضافة بنى اليها مما يدل على انها اسم للجد الاول للقبيلة.

السكان الاصليون حسمبا يقال نزحوا من سوس الا أنه انكب عليهم مهاجرون أندلسيون وشوفاء ادريسيون فاختلطوا .

والقبيلة من ضواحى مدينة تطوان الى الجهة الشرقية يفصل بينها واد المحنش الذى يدعى عند مصبه بوادى مرتيـل ويوصف أهلهـا بالكياسة والشـح حتى قيل فى حقهم، «لا تخالـط المعدنى ولا تدايـن الكتانى ولا تصبح عند البوخلادى ولا تبيت عند الزينانى»، عدد سكانها الآن 13.465 نسمة، وهى مقسومة الى جماعتين قرويتين:

1) جماعة ابن قريش الفوقى (03—6—16) سكانها 6261 نسمة.
2) جماعة ابن قريش البحرى (04—6—16) سكانها 7204 نسمة.

الوقائع الحربية التى شهدتها هذه القبيلـة

واقعــة طــلــويـــة :

كلمة طلوية بفتح الطاء وضم اللام مع هاء التأنيث اسم لمكـان يقع بين قريتى بوسملال وبنى صالح وتدعى الآن طريطة، وقعت فيـه معركة حربية بين الاسبان والمجاهدين حينما خرج الاسبان من تطـوان يحاولون احتلال جبل غرغيز الذى كان يعوق استقرارهم فى تطوان، وقـد تولى الدفاع فيها المجاهدون الحزمريون بقيادة بطل من ابطالهم، هـو القائد اخريرو وذلك حوالى سنة 1923 وقد انتصر فيها المجاهدون وانهزم الاسبان راجعين الى معقلهم بتطوان بعدما خلفوا خسائر فى الارواح .

وقعــة قشــانــة :

كلمة قشانة بفتح القاف والشين المشددة آخرها هاء التأنيـت موضع بين قريتى بوخلاد والزينات جنوب دار ابن قريش، وقعت فيـه

المعركة بين الجيش الاسبانى والمجاهدين من قبائل بنى حزمار وبنى حسان وبنى يدر لما هجم الجيش الغازى محاولا احتلال طريق تطوان شفشاون، وقد حاصره المجاهدون فى هذه الموقعة 20 يوما ثم انهزم ورجع الى تطوان بعدما خلف خسائر فى الارواح والعتاد .

عيون الماء النافعة :

عين بوعنان :

بضم الباء وسكون العين، تقع بضواحى تطوان الشرقية الجنوبية عن بعد 3 كلم بسفوح جبل غرغيز، ماؤها هاضم نافع للكلى.

عين الجوع :

تقع عن طريق تطوان–شفشاون بحدود كلم 21 سميت عين الجوع لان ماءها هاضم بسرعة .

شلالات وصهاريج الاصطياف :

العين الزرقاء :

تقع بين جبلين فى أعالى الكيتان عن بعد 10 كلم من تطوان وماؤها غزير يتكون منه شلال صغير أقيم بأسفله صهريج للعوم وهو مصطاف جميل بين شواهق الجبال الصخرية والاشجار الملتفة .

المعامل الصناعية الحديثة :

الاسمنت المغربية :

لصناعة دقيق الاسمنت فى المغرب ينتج 100 ألف طن سنويا تقريبا، انشىء عام 1946، يستخدم من العمال ما بين 130–150 يوميا، يقع قرب تطوان بـ 7 كلم فى موضع يدعى تامودة وهو موضع مدينة تامودة الرومانية المندثرة الآن .

كولما (ك. و. ل. م) :

بضم الكاف وكسر الواو وسكون اللام وفتح الميم، مركب من

حروف أولية للكلمات الاسبانية كمبانية (شركة) اليكترو كيماوى (الكهربائية الكيماوية) مروكى (مغربية)، هو معمل للمواد الكيماوية، يقع بقرب تطوان عن بعد 3 كلم عن طريق وادى لو أسس فى سنة 1948 ينتج:

من المواد الكوستيكية	1800	طنا سنويا
الحامض الكوريديريك	4000	طنا سنويا
الفوسفاط البيكالسيك	1600	طنا سنويا
البكلوريت الصودى	6000	طنا سنويا
كلورو الجير	100	طنا سنويا

ويستخدم من العمال ما بين 130 — 150 يوميا .

شركة المعادن المغربية :

تنتج من السلك 100.000 طن ومن المسمار 60.000 طن، انشئت عام 1954 تقع على الضفة الشرقية لوادى المحنش على بعد 3 كلم من تطوان .

يستخدم بها من العمال حوالى 35 يوميا .

اورافريكا :

مأخودة من كلمتى أوربا افريقيا فامترجت، وهو مصنع للمنسوجات يقع عن الضفة الشرقية لواد المحنش عن بعد 3،5 كلم عن تطوان، ينتج سنويا 200.000 غطاء، يستخدم من العمال حوالى 170 يوميا، انشىء سنة 1954 .

شركة نسيج الشمال :

مصنع للمنسوجات، يقع على نفس الضفة وفى المسافة أسس سنة 1963 يستخدم حوالى 90 عاملا يوميا، تنتج حوالى 60 ألف غطاء سنويا .

س. م. س :

كلمة مأخودة من كلمات اسبانية سيراميكا (القش) مديرنا (عصرية) سوسييضاض (شركة) .

معمل للآجور ومشتقاته يقع ازاء معمل الاسمنت بتامودة، الانتاج 2.000.000 قطعة، أسس عام 1950، يستخدم حوالى 60 عاملا.

المصايف :

أزلا : بفتح الهمزة وسكون الزاى، مصيف شاطىء الابيض المتوسط، يقع عن بعد 14 كلم من تطوان عن طريق واد لو، رماله نظيفة ملساء ذهبية دافئة يتخللها نسيم بحرى منعش .

أمسا : بفتح الهمزة وسكون الميم وسين مفتوحة على نفس الشاطىء يبعد بـ 21 كلم، متسع بقدر كلم واحد بين جبلين .

اوشتام : بفتح الهمزة والواو وسكون الشين المعجمة وتاء مفتوحة، فرضة على نفس الشاطىء تبعد عن تطوان بنحو 30 كلم، يمتاز بالهدوء والرمال الذهبية ونفس الخصائص المارة .

واد لو : شاطىء فى اتساع 5 كلم تقريبا له نفس الخصائص مع وجود لواد لو المنحدر عن جبال تلامبوط الحادة، ويمتاز بوجود مرافق الحياة من العمارة والصحة والتهذيب مع مناظر طبيعية واصطناعية حيث يوجد قبل مصب الواد سد لتجمع المياه وتوزيعها فى السواقى لرى المنبسط الذى يحوى 2000 هكتار تقريبا، وهذا المصطاف يبعد بـ 56 كلم عن تطوان .

الجبال :

غرغيز : بغينين معجمتين بينهما راء أولاها مضمومة وثانيهما مكسورة آخره زاى، هو جبل شرقى تطوان ويسامت جبل درسة ولذلك تقع تطوان بين فكى الجبلين ويحدث لها تقلبا فى الهواء مزعجا ويحضن الجبل (غرغيز) قبائل بنى حزمار، بنى حسان وبنى سعيد، فى شكل حدبة ظهر البعير يطل برأسه على تطوان، وذنبه بدار قوبع على واد السفلو بالاخماس السفلية وسنامه بمشيخة الخمس، وقد ارتفع على هذا الجبل ابان الحرب الريفية المدافع التى كان المجاهدون يجرونها الى أعلى هذا الجبل لضرب الجيش الاسبانى فى تطوان حيث صبت عليهم

وابل من القذائف بقيادة أحمد بودرة الورياغلى، وسيأتى الكلام على تلك المعارك .

قبيلة بنى يدر : الكملة بالياء المفتوحة والدال المكسورة ينطق بها البعض مشددة بناء على أنها اسم للشخص الاول الذى نزل فى القبيلة، والبعض الآخر ينطق بها مخففة بناء على أنها أخذت من كلمة غدير ثم حرفت وعند الاهالى ان الوجه الاخير هو الصحيح لانها هكذا كانت تسمى قديما، وذلك لغدير كان بموضع يدعى مكوت أسفل مدشر أشتونة بربع السحتريين وكانت فيه ضفادع كثيرة، وكان من عادة القبيلة البربرية أنها اذا أرادت الحرب مع بعض القبائل المجاورة تذبح ثورا أسود على هذا الغدير وتدفعه فيه طعاما للضفادع وبعد الانتصار تفعل كذلك .

تقع هذه القبيلة يمين طريق تطوان-طنجة، ابتداء من 7 كلم عن تطوان، وتتسع الى جهة جبل العلم بفتح اللام وهو الجبل الذى يوجد فيه ضريح مولاى عبد السلام ابن مشيش .

وفى هذه القبيلة جبال وشعاب وادغال، ولذا يقال عند الدعاء بالضياع، ضيعه الله كما ضاع السائل فى شعاب بنى يدر .

سكانها 14.351 نسمة ينقسمون الى جماعتين قرويتين هما :

بنى يدر الشرقى سكانها 6876 نسمة .

وبنى يدر الغربى سكانها 7505 نسمة .

الوقائع الحربية التى شهدتها قبيلة بنى يدر

وقعة المناصرة : وقع الحصار على الجيش الاسبانى تحت قيادة المجاهد اخريرو الذى سقط هناك شهيدا، وذلك حوالى سنة 1923 .

حرب سبع سنوات : يقول الاهالى أنها نشبت بين قبيلة بنى يدر وقبيلة بنى عروص المجاورتين فى شأن دين لا يتعدى سنة بلايين (البليون جزء من عشرين جزءا من ريال حسنى) أقرضه شخص يدعى على امزو من قبيلة بنى يدر الى شخص من بنى عروص فماطله هذا ونشبت بينهما حرب دامت سبع سنين ولا يعرف بالضبط تاريخ الواقعة.

قبيلة بني سعيد :

تقع على شاطيء البحر الابيض المتوسط بامتداد 30 كلم من حدود قبيلة بنى حزمار بمصطاف ازلا المتقدم الذكر .

وتمتاز القبيلة بمناظر خلابة، كونها انبساط ماء البحر الرقراق

قيل لاضافة بني سعيد وجهان: الاول للرجل الاول الذى نزل المحل والثانى، وهو الاكثر عند الاهالى المسنين، ان لفظة سعيد وصف وليست علم شخص ذلك فى حوالى 600 هجرية كان تسلط على القبيلة شخص يدعى بوطواجين (هذا الشخص حقيقى وليس خياليا، الا أن القصة ربما كانت خيالية وهو الذى قتل مولاى عبد السلام بن مشيش شيهدا) وكان فرض على القبيلة أن تقدم له فتاة كلما وصل الى قرية، وعندما وصل دور قرية اشورضة بالضاد من هذه القبيلة تقدم اليه شاب فى لباس الفتاة المفروضة حاملا خنجرا، وعندما اختلى به طعنه فقتله فوصف الطاعن سعيدا ونسبت ابناؤها اليه تيمنا وتخليدا لشجاعته .

سكانها 12.933 نسمة ينقسمون الى جماعتين قرويتين هما :

جماعة اعبد لاتن سكانها 7237 نسمة .

جماعة زاوية سيدى قاسم سكانها 5716 نسمة .

المواقع الحربية التى شهدتها هذه القبيلة

معركة كاف بودمان :

بضم الباء وسكون الدال وفتح الميم ونون ساكنة، ولم تسمع معربة مضاف اليها كاف أى الغار وهى موضع على وادى ازرزا بزايين بينهما راء ساكنة والمعركة وقعت بين الغزاة الاسبان وبين المجاهدين المغاربة بقيادة امحمد عبد الكريم الخطابى الذى كانت له القيادة العامة فى تغزويت من بنى حسان، كما يأتى انتصر فيها المجاهدون وترك الجند الاسبان ضحايا فى الارواح وذلك عام 1924 .

معركة احظيفة :

بفتح الهمزة وسكون الحاء وكسر الظاء وفتح الفاء، موضع يقع

بين قبائل بنى حسان وبنى سعيد وبنى زجل يقال للموضع على العموم افرطان، كان يقصد العدو معسكر تغزويت انكسر فيها العدو أيضا وذلك فى السنة المذكورة (1924) .

معركة قبة لرزة :

بضم القاف وفتح الباء المشددة بالاضافة الى كلمة لرزة بكسر اللام وسكون الراء وفتح الزاى مع هاء التأنيث موضع قرب مدشر تزغارين بكسر التاء وسكون الزاى وفتح العين المعجمة، ثم راء مكسورة، قرية بفرقة بنى بزاز من البز كلمة عربية وقعت المعركة بتاريخ 1342 هـ. انتصر فيها المجاهدون على الجيش الاسبانى .

قبيلة بنى حسان :

كلمة حسان المضاف اليها ـ بفتح الحاء والسين المشددة ـ قبيلة تقع بين حذوة البعير بجبل غرغيز شرقا وبين جبل بوهاشم غربا، كما تحتضنها قمة شفشاون أصل سكانها من برابرة صنهاجة اختلطوا بالمهاجرين العرب، يبلغون حالا 18741 نسمة وتنقسم الى ثلاث جماعات قروية :

جماعة اسوماتن 8467 .
جماعة الواد 6761 .
جماعة أولاد على منصور 3513 .

معارك قبيلة بنى حسان

ـ معركة حبانة التى سيأتى الكلام عنها مفصلا

ـ معركة الفنيدق

كلمة الفنيدق بتصغير فندق يسميه الاسبان (فندليو) موضع قرب مدشر بنى موسى من فرقة بنى على ببنى حسان، خلف فيها الجيش الاسبانى دبابتين احداهما دمرها مدفع المجاهدين والثانية اشعلت فيها النيران بعد أن وضع المجاهدون الارياف سدودا من الاحجار اندحر

فى هذا الموقع الاسبان اندحارا رجعوا على أعقابهم الى معسكر دار ابن قريش .

معركة تغزوت :

بفتح التاء وسكون الغين المعجمة وضم الزاى، آخرها تاء التأنيث الساكنة موضع يقع بين جبال شاهقة مؤهلة لحرب العصابات مسقط رأس مجاهد يدعى احمد بن سعيد، كان أول من استدرج الجيش الاسبانى لخوض المعركة، وذلك انهم ارسلوا اليه كوكبة من معسكر دار قوبع يستقدمونه، فحصد تلك الكوكبة وتحرش مع الجيش الاسبانى ووقعت معركة اسفرت عن انهزام الاعداء، ذلك ما دعى الامير امحمد ابن عبد الكريم ان يقدم من تيكساس الى تغزوت ليقيم فيه معسكره الذى قاد من هناك معارك التى صوبت ضد الاسبان، وسقط مولاى احمد الريسونى أسيرا .

المعامل :

معمل الكهربائية المغربية ش. م.

يقع هذا المعمل على سد لو بقبيلة بنى حسان قرب تلامبوط لتوليد الكهرباء التى تمد مدن الشمال الغربية ومعاملها، ينتج 36896300 كلواط سنويا، كان تأسيس أوله عام 1923 بتطوان ثم نقل الى هناك، يستخدم من العمال 70 عاملا يوميا .

السدود :

سد لو :

وهو السد الذى وضع لتوليد الكهرباء بوادى السفلو الذى يدعى عند مصبه بوادى لو .

سد النخلة :

سد يقع بقبيلة بنى حزمار على وادى النخلة عن يمين طريق تطوان شفشاون عند كلم 20 يزود السد مدينة تطوان بماء الشرب بعد

تصفيته فى طريطا ويمر فى قنوات مطمورة الى المصفـــاة يجمع من الميـــاه 14050000 متر مكعـــب .

ومن الوجهة التاريخية لقبائل جبالة على العموم، فانها تعتبر قلاعا حصينة فى حركة الفتوحات الاسلامية الاولى، وكانت تكون رأس الجسر لنشر الاسلام فى العدوة الاخـــرى شمالى البوغاز، نظـــرا الى الموقـــع الاستراتيجى لتلك الجبال، التى تقع على مخاض، يربط شاطىء جبـــل موسى القابع على رأس مدينة سبتة، بتلال مدينة وزان، وجبال شفشاون، وكما تنتهى تلك الجبال أيضا الى شاطىء قصر المجاز (القصر الصغـــير)، تلك الفرضة المؤهلة لان تكون محطة مفضلة بين جبال أنجرة، التى تتصل مباشرة بشاطىء طنجة لتجمع المقاتلـــين .

ومن هنا يمكن للباحث ان يستنتج من الاثار التاريخية، التـــى تتوفر عليها تلك الجبال، ان القائدين الفاتحين موسى بن نصير، وطـــارق، بن زياد الليثى، كانا جعلا هذه الجهة مركزا لعملياتهما الفتوحية الجبارة، لتوجيه الحملات ضد اسبانيا القوطية، وكانت منطلقا لتلك الحملات ، وهى بالطبع تكون بأسرها منطقة طنجة، التى تضافر التاريـــخ على أن يجعلها منطلقا لتلك الحمـــلات .

ومن أهم تلك الآثار، التى تدل على ان الفاتحين كانت لهما فـــى قبائل جبالة متسع لجولاتهما، ما يوثر عن مسجد موسى بن نصير فى قبيلة بنى حسان، وهو مسجد عتيق على ربوة عالية مربع الشكل طوله 5 أمتار وعلوه 4 أمتار، وسقفه مقبو، وقد عرف به أبو الحسن مصباح، فى احدى رحلاته الى تلك الجهة عام 1124 هـ. فقال (1) «ان أهل البلد اجمعـــوا على أنه من عمل موسى بن نصير، وهم يسمونه مسجد موسى بن نصير، نقلوا ذلك خلفا عن سلف» .

ويسمى أيضا عند الاهالى بمسجد الملائكة، لمكان القدسية التى أضفاها عليه بانيها الفاتح العظيم .

ومن تلك الآثار أيضا تسمية الجبل الذى يقع على هامة مدينـــة

---

(1) كتابة المخطوط : سنـــا المهتـــدى .

سبتة غربا، والمطل على مرسى بليونش، بجبل موسى ابن نصير، كما اعتاد المؤرخون فضلا عن الاهالى أن ينسبوه اليه، لانه كان منطلقا له الى الاندلس بعد عمليات طارق، وهذا الجبل يعتبر جغرافيا امتدادا لجبال تلك القبائل، التى تكون سلسلتين طويلتين، يفصل بينهما مخاض الاخماس بنى حسان وبنى حزمر، يبتدىء بين جبلى بوهاشم ــ شفشاون، وينتهى منحدرا الى ما بين جبلى غرغريز ــ درسة، ويتفتح عن سهل شاطىء، الى أن يفضى الى جبل موسى .

هذا بالنسبة لموسى بن نصير، وأما بالنسبة لطارق بن زياد فان أهالى قبيلة بنى حسان يدعون أنه من قبيلتهم، منسوب الى فرقة من هذه القبيلة تدعى بنى ليث، ولا زالت بهذا الاسم الى الآن، وانه كان واليا على قبائل طنجة التى هى قبائل جبالة، وانه أقام مسجدا بالاخماس عند شلال شرافات، ولا زال قائم الذات بصومعته .

وقد تواتر عند الاهالى أنه من عمل طارق .

ولذلك يمكن أن يفترض أن طارقا البربرى، الليثى بالولاء، قد تكون عائلته نزلت فى هذه القبيلة وسميت ببنى ليث، لان كلمة بنى ليث عربية بالتأكيد، أو أن ليث كنانة هم الذين نزلوا فى تلك القبيلة مع 27 ألف عربى الذى أرسله ولد موسى بن نصير الى منطقة طنجة كما يأتى، وان ولاء طارق منسوب اليهم، ويؤيد ذلك ورود شخص آخر من هذه القبائل لهذا النسب، وهو يحيى بن يحيى الليثى، راوى موطأ الامام مالك، فقد جاء فى «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضى عياض قوله (2) «قال الاصيلى (وهو من علماء الاندلس ومحدثيه أصله من مدينة أصيلا المغربية) ويحيى أبوه هوالمكنى بأبى عيسى، وهو من مصموضة طنجة ويتولى بنى ليث، ولا يعلم على الصحة سبب ذلك» .

ثم قال (أى القاضى عياض) «دخل يحيى بن وسلاس مع ابن أخيه نصر بن عيسى فى جيش طارق، وأسلم وسلاس جدهم على يد زيد بن عامر الليثى (ليث كنانة) فهذا والله أعلم سبب انتمائهم الى ليث» .

---

(2) ج. لث ص 379 طبعة وزارة الاوقاف بالمغرب .

ولالقاء الضوء على هذه الجبال أيام الفتوحات الاسلامية لمعرفة وضعيتها السكنية فى ذلك الوقت، لابد من الاشارة العابرة الى ما يقرره التاريخ (1) ذلك أن موسى بن نصير لما تولى امارة افريقيا، عقب حسان ابن النعمان، (يلاحظ أن هذا لم يدخل المغـرب الاقصى) ودخـل ـ أى موسى ـ الى المغرب فاتحا، فكانت رحلتـه الاولى من سواحل البحـر المتوسط ودخـل الريف الذى كان يـدعى فى ذلك التاريخ «بالسـوس الادنى» (2) ولم يعرف بالريـف الا عندما نزل العـرب هناك ويقـال أن جماعة منهم قال لهم رئيسهم ريفوا هنا، أرعوا غنكم الريف، أى الخصب.

ومن الريف توجه موسى بن نصير الى قبائل سبتة، وهى قبائل جبالة التى كانت تدعى بجبال غمارة، حيث صالحه صاحبها يليان الغمارى الذى كان على دين النصرانية وكان مقره بسبتة، ويحكم طنجة ومناطـق غمارة بما فيها قبائل جبالة، والى حدود عهد صاحب الاستقصاء المتوفـى عام 1315 هـ. كانت تعرف بهذا الاسم، فقد جاء فى كتابه (3) لما تكلـم عن ثورة زيطان، بقبائل الاخماس وغزاوة، قال «ثار بقبيلة الاخماس فى جبال غمارة فزحف اليه ببلاد غزاوة قرب وزان» وكما جاءت فى قضيـة المتنبى حاميم الذى يدعى أهل قبيلة بنى حسان أنه من قبيلتهم ينتسـب الى مدشر لا زال يسمى حاميم الى الآن، ويؤيد ذلك ما جاء فى الاستقصاء «وكان ظهوره بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تطوان (4) .

وبعد افتتاح قبائل غمارة، توجه الى طنجة حيث عين طارقا ابن زياد واليا على قومـه، ومن هناك دخل الى قلب المغـرب بأعالى درعـة وصحراء تافيلالـت .

وبعد ما عهد الى ولده (ولعله عبد الله) للتوجه الى سوس الاقصى، توجه ـ أى موسى ـ الى القيروان .

---

(1) ابن خلدون والاستقصـاء .
(2) الاستقصـاء ج. ل. ص 86 .
(3) الجـزء 8 ص 95 .
(4) الجـزء الاول ص 175 .

أما ولده فانه فتح قطر سوس الاقصى، وأخذ من قبائل مصامدة (مصموضة) رهائن، بعث بهم الى طنجة (أى قبائلها) لان مدينة طنجة كانت عبارة عن قصبة صغيرة، وأرسل مع الرهائن قوة من البربر تقدر باثنى عشر ألفا، ومن العرب تقدر بسبعة وعشرين ألفا .

واذا كانت مدينة طنجة لا تتحمل هذا العدد الضخم، فان المراد من طنجة، هى قبائلها، وبذلك أصبحت تلك القبائل عامرة بخليط من البربر السكان الاصليين، والاثنى عشر ألف المبعوث بهم، ومن العرب الذين يكونون أغلبية، الامر الذى أدى مع مرور الزمن اللى اضمحلال اللغة البربرية فى تلك الجبال، حيث اكتسحها لهجة عربية محلية، كما ترك العرب الاثر فى تسمية القبائل بأسماء عربية مثل بنى ليث، بنى حسان، بنى خالد، بنى سلمان، بنى احمد، بنى سعيد الى غير ذلك .

ومن هذا الموجز يتضح ان طارقا يكون برز كقائد بربرى عظيم، وعمل على اشاعة الانضباط بين البربر والعرب، استعدادا لخوض غمار الفتح فى اسبانيا، بعدما أسلم يليان، وأغراه على الغزو بعدما شرح ثغرات اسبانيا العسكرية، فى قصة نفوره من ملك اسبانيا الذى يدعى عند العرب بلذريق .

وبعدما استأذن موسى بن نصير اعتمد على البربر فقط، حيث حشر 12 ألف مقاتل بينهم قلة قليلة من العرب 14 نفرا على احدى الروايات، 300 نفرا على رواية أخرى .

وعلى كل ، فان المراد ان الاعتماد كان على البربر، وربما لانهم من أرومة طارق، يعرف صمودهم واخلاصهم له، وربما لان العرب غرباء عن البلد، لا يعرفون مسالكها، وغرباء حتى عن طارق فى اللسان والعادات الى غير ذلك، ويدل على ذلك أن الحملة بعد ذلك كانت من العرب، تحت قيادة طريف بن مالك النخعى، الذى قصد بحملته المكان الذى يسمى الآن بطريفة .

وذلك لان المدة الوجيزة التى استغرقتها هذه العمليات كانت لا تسمح بتاصيل جذور الالفة، واستكناه خبايا الضمائر، فالرحلة الاولى لموسى بن نصير الى هذه الجهة، كانت عام 88 هـ. وبعدها كان ولده فى

سوس الاقصى، وفى عام 92 هـ. كان جواز طارق بقوته الى اسبانيا .

وهنا يفضى بنا القول الى الاشارة العابرة الى خطبة طـارق، والذى يبدو أن كل التأويلات المشيرة الى أنها كانت باللغة العربية مبنية على اعطاء صفة البلاغة العربية للخطبة، ليعد طارق من أدباء الفتح الاسلامى الاول فى المغرب والا فالواقع ان بلاغة الخطبة كانت بالمعنى فقط وكان الفاظها بالبربريـــة .

أولا : ان طارقا يجر جحافل بربرية فى عهد حداثة اسلامها، قضت مدة وجيزة كما سبق لا يمكن ان تتمكن من اللغة العربية واقتضى المقـام فى وضعه ذلك، أن يخاطبهم بما يتذوقونه، أى بلغة رضعوا لبانها، ولـو فرضنا أن طارقا كان بليغا فى العربية، فانه لا يستعملها حيث لا تنفعـه، والا كان حواره من باب حوار الصـم .

ثانيـا : ان الخطبة رويت فى صيغ عربية مختلفة، فابن حبيب الذى هـو أقدم رواتها، رواها على الصيغة التالية: «أيها الناس، أين المفر، البحـر من ورائكم، والعدو أمامكم؟ فليس لكم والله الا الصدق والصبر، الا وانى صارم الى طاغيتهم بنفسى، لا أقصر حتى أخالطه أو أقتل دونه» .

وأوردها الطرطوشى فى سراج الملوك بتغيير فى ءاخرها، وابن قتيبة أوردها طويلة، وأطول منها ما جاء فى وفيات الاعيان، وأطول مـن الجميع ما جاء فى تحفة الانفاس .

ويدل هذا الاختلاف على أن الخطبة كانت بالبربرية، عبر عنها كل مؤرخ حسب تخيلاته فى اداء معانيها، وكذلك كان الشأن أيضا فى الابيات الثلاثة المنسوبة اليـه .

أما ما استنتجته بعض التأويـلات من الاسماء العربية لعائلـة طارق، فانه من المألوف أنه اذا أسلم أحد تخير من الاسماء «عبد اللـه» لاستشعاره العبودية، ويمكن أن يكون جده عبد الله من هذا القبيـل .

ويمكن أن نفترض أيضا، ان العرب الفاتحين أنفسهم، لما رأوا ما أتى به هذا البربرى من الفتوح، استنكفوا أن ينسب هذا الفتح الى بربرى حديث العهد بالاسلام، فأضفوا الصفة العربية على طارق وآبائه لطمس معالم الامجاد البربـريـة .

ويدل على ذلك أن موسى نفسه أمر طارقا بالوقوف حيث يصله كتابه، ثم غد السير الى أن يقف على جبل موسى عام 93 هـ. ولما اجتاز الى الاندلس، قبض على طارق لانه نسب الفتح لنفسه (1) على أن موسى نفسه لم ينج من تجريده من مكاسب الفتح، فقد استدعاه البلاط الاموى الى المشرق فجرده من جميع المسؤوليات كما جرده من الغنائم، وتركه شخصا عاديا بين قومه .

هذا من الناحية التاريخية أيام الفتوحات، أما بعد ذلك فان هذه القبائل ضربت طولا وعرضا فى الصلاح والتعلم والجهاد، أنجابا، وارتيادا، ولها ميزة خاصة فى الشمال، ولاحتوائها على مدن ذات اشعاع صلاحى وعلمى، فمدينة تطوان التى تقع على الطرف الاسفل لاخدود بوهاشم ــ شفشاون شرق وغرب تاريخها الحافل بالامجاد، ومدينة وزان التى تحتضن أقوى عائلة شريفة ذات حيثيات تاريخية، لانحدار جدها مولاى عبد الله الشريف عن أخ لمولاى عبد السلام بن مشيش وهو يملح بن مشيش (2) ومدينة شفشاون بموثقها ابن عرضون، ونوازليها الشريف العلمى، ومؤرخها ابن عساكر كل ذلك جعل من هذه الجبال ظاهرة قل نظيرها ، وارتادها كثير من فحول التاريخ ، فالعائلة المشيشية التى تناسل منها الشرفاء العلميون ، نسبة الى جبل العلم، الذى اختاره عميدها ومؤسس العائلة مولاى عبد السلام ابن مشيش قد شرفتها واكتسبت لها شخصية ذات قيمة، وشرفاء وزان أيضا، قد أثروا تأثيرا بالغا فى استقطاب أنظار المغاربة أجمع الى نظرة احترام وتقدير، كما حفلت العائلة الريسونية بالصلحاء والعلماء، ومن فضل العائلة المشيشية انتشرت احدى الطرق السنية، وهى الطريقة الشاذلية بعناية تلميذ مولاى عبد السلام وهو أبو الحسن الشاذلى التونسى مولدا المتوفى بالمغرب بجبال شفشاون .

وفى ميدان التأليف والقضاء انجبت أيضا أمثال أبى عبد الله محمد بن عرضون والفقيه العلامة أبى القاسم ابن على بن خجو

---

(1) المعجب ص 12 .
(2) الاستقصاء الجزء الاول ص 158 .

الحسانى من قبيلة بنى حسان تولى القضاء فى تلك الجبال بمهارة واقتدار، والفقيه القاضى سيدى احمد بن يحيى الغزاوى الذى اقتعد كرسى الافتاء والقضاء فى غزاوة ونواحيها وفى ميدان التصوف والصلاح أمثال الصوفى الزاهد سيدى يوسف التليدى بالاخماس، وقبيلة بنى حسان أيضا انجبت العالم المجاهد المعروف بالفقيه المجلاوى المتوفى ببنى كرفط وهو من االعائلة الشريفة ببنى حسان، المعروفة بالعائلة العمرانية، التى لها زاوية للصلاح والعلم فى جبالها، والتى ينتسب اليها المجاهد احمد بن الحسن العمرانى المعروف باحميدو خربان، الذى كان له القدح المعلى فى الجهاد عند الغزو الاسبانى، والذى آخر من اعتصم فى جبل العلم مع ثلة من المجاهدين، فلم ينزل الا عندما استحال الدفاع، فالقى عليهم الاسبان القبض وعذبوه وسجنوه، وعمر طويلا الى أن توفى رحمه الله سنة 1970 كما انجبت القائد احمد بن سعيد الذى سيأتى الكلام على جهاده، وببنى مستارة العسرى مؤرخ الابتهاج الذى شرحه البلغيثى المتوفى 1280 هـ. أما جماعة من العلماء فى أوائل القرن 20 فقد برز فيها أكبر مدرس فى تلك الجبال الفقيه العلامة المجاهد سيدى بن يرمق، شيخ علماء الشمال، والمدرس محمد البقالى ببنى مستارة المتوفى سنة 1957 .

وفى انجرة كان هناك الصوفى العلامة المؤلف سيدى احمد بن عجيبة الذى خلف تراثا كبيرا فى التصوف، المتوفى عام 1324 هـ. وهو من العائلة الشريفة التى لها صدى حسن فى قبائل جبالة وغمارة وحفلت بالعلماء والصلحاء، وفى بنى عروص الفقيه المدرس سيدى محمد تيدة، تولى القضاء والتدريس، والفقيه المدرس السيد عبد السلام بن الحاج صروخ المتوفى عام 1339 هـ. وفى الخلوط كان هناك الفقيه المدرس السيد المفضل، وهؤلاء وغيرهم اشاعوا اشعاعا علميا استحوذ على جميع رواد العلم فى الشمال، عدا من حفلت به مدنهم التى دونت فى كتب التاريخ، وبالاخص مدن الشواطىء كطنجة وأصيلا والعرائش والقصر الكبير .

وعى نضالى ينبعث بقبائل طنجة

أما فى قبائل ضواحى طنجة، الذى كان يبدو للجيش الاسبانى، وعملائه، أنها بمعزل عن شرارة ثورة الريف، فانها اندفعت فى ثورة عارمة.

ولاستقصاء البحث عن مظاهر الوعى القومى، فى جميع جهات الشمال، نتطرق هنا للعملية الجريئة، التى قامت بها جماعة من المجاهدين الاحرار فى ضواحى طنجة وبالذات فى دشرة الرملة من قبيلة بنى مصور، ثم امتدت ثورة مندفعة الى قبائل الجبالة.

كان الشريف السيد الطيب الحداوى (1) (لازال حيا) وهو من عائلة تنتسب الى الشرفاء العلمين، كان أحد أجداده يدعى السيد عبد الله الحداوى، أسس زاوية الناصريين فى دشرة الرملة وقد استقطبت سكان الجهة، ولا تبعد عن طنجة الا بحوالى 30 كلم شرقيها، وقد أقام الجيش الاسبانى عند احتلاله هذه الناحية معسكرا يدعى «الركايع»، وكان هذا المعسكر هاما يربط الاتصال بين سبتة وأصيلا والعرائش، فضلا عن كونه يقع فى ضواحى مدينة طنجة.

وكان السيد الطيب الحداوى يحترف التجارة فيما بين طنجة والدار البيضاء ومراكش.

وفى احدى رحلاته فى المركب الافرنسى، الذى كان الرابط الوحيد للمواصلات، علم بواسطة جريدة فرنسية كان يقرأها احد الضباط الافرنسيين، واغتاض للخبر فرماها فلما وصل الى مراكش اجتمع بشيخ الطريقة الناصرية هناك، وطلب منه الاذن ليلتحق بالثورة، ولكن الشيخ استمهله حتى يتصل بوزير العدل فى ذلك الوقت الشيخ الامام سيدى عبد الرحمن بن القرشى، أيام السلطان مولاى يوسف، وبعد أيام رد عليه الشيخ الناصرى بأن له الاذن ليلتحق بالثورة، ولكن أوصاه بأن يتحرى صدق رجال الثورة فعزم الحداوى أن يذهب الى الريف

---

(1) نروى عنه الوقائع وهو شاهد عيان، ونلاحظ دقة متناهية فى حكايته.

ليستقى الخبر من منبعه، وفى طريقه وجد السيد عبد الكريم اللوه فى فاس، ولم يكن يعرفه، ولكن تفرس فيه أنه من الريف، وكان واقفا فى بوجلود مع شخص مشبوه فيه يدعى العرائشى، فلمح اليه الحداوى أن يتبعه الى ضريح مولاى ادريس، فسأله واكتفى بشهادته التى أفادته بأن الثورة ثورة اسلامية وطنية ضد الاجنبى الغازى .

وهنا عزم على الرجوع الى طنجة، وأصحب معه السيد عبد الكريم، وكان لا يتوفر على جواز السفر، ولما كان السيد الحداوى معروفا بالتجارة، وله معارف فى مكاتب المواصلات، فانه تكفل بالسيد اللوه، وذهبا معا الى الدار البيضاء ومن هناك ركبا الباخرة الى طنجة على هذه الصفة .

وهنا لم يعلم شيئا عن السيد عبد الكريم اللوه، الا عندما اتصل به مرة ثانية كما سيأتى .

أما السيد الحداوى فانه عزم على فتح جبهة ضد الجيش الاسبانى بضواحى طنجة، فعمل على الاحراز على السلاح، وكان يخرجه على بهائم التموين من طنجة الى الزاوية، واخفائه هناك حيث كان يقوم باخفائه أخوه السيد عبد السلام الحداوى القائم بشؤون الزاوية .

ولما تجمعت ثلة من أنصار الطريقة الناصرية، وبعد استكمال التهىء خرجوا من الزاوية مسلحين الى ادغال جبل هناك، وجعل يرسل الى من يتوسم فيهم نصرة الثورة من قبائل الجبالة، الذين كانوا تحت سلطة الريسونى، الذى استقطب سكان تلك القبائل ضد الثورة الريفية.

ومن المجاهدين الذين كونوا النواة الاولى الفقيه السيد محمد بن تاويت الطنجاوى، واستمر فى الكفاح، فتجمع لديهم حوالى 50 مجاهدا، وكانت تأتيهم المؤونة من طنجة على ظهر البغال ، وكانوا يقسمون أربعة أقراص من الخبز على 20 نفرا ، وبينما هم فى حالة اخفاء ، اذ عثر عليهم رعاة المواشى، فابلغوا الخبر للسكان، وكان منهم أعوان الريسونى، فطاروا بابلاغ الخبر الى صهره العياشى الزلال قائد بنى مصور الساكن بقرية بوغابش .

وهنا كان الحذر يقضى بسبق الاحداث، قبل أن تسبقهم، فيقعون

فى المصيدة، وبالاخص ان معسكر الركايع كان مزودا بوسائل الدمار من جيش وعدة بينما الريسونى بالمرصاد لكل من يخرج عن طاعته .

فأول عمل قاموا به فى البداية هو ارسال بعثة تتكون من عشـرة رجال يجرون 8 بهائم محملة بأدوات التقطيع لاجل قطع الاسلاك التليفونية واسقاط أعمدتها أرضا، حتى تنقطع المواصلات الهاتفية بين المراكز وحتى لا يتيسر للجيش أن يردها الى حالتها بسرعـة .

وعندما قام هؤلاء بمهمتهم فى نقطة تجمع تلك الاسلاك بالموضع المدعو الآن (كروش الابيض) فى ليلة واحدة رجعوا ليلا والتحقوا برفاقهم الذين التفوا من بعيد حول قشلة الاربعاء، متسترين بالغابة الى الصباح.

وفى نفس الليلة لما حاول الجيش الاسبانى أن يتكلم فى التليفون فلم يجب، خرج ضابط القشلة وأمر بصب النيران صوب كل جهة مـن الجهات الاربع، ولكن لم يهتد الى شىء، لان المجاهدين كانوا تترسوا خلف الصخور والعوائق الطبيعيـة .

ولما انبلج الفجر بدأوا المعركة، ففوجىء العـدو، ولم يستطـع معسكر الركايع ان يعمل شيئا لصالح هذه القشلة، لانه اندهش من قطع الاسلاك التليفونية، وظن أن تمردا عاما فى القبائل، ولم يستمر القتـال طويلا، بل استسلم من بقى حيا من جنود القشلة، وكانوا من المغاربـة المجندين الا رؤسائهم وغنم المجاهدون سلاح القشلة .

وخوفا من اختلاف المجاهدين على السلاح، فان السيد الحداوى ابتكر مخرجا لذلك، وهو أن المجاهديـن قومـوا كل بندقية بمائة ريـال حسنى، فعمد هو وقومه بعشرة ومائة ريال، فنقد ذلك للمجاهدين وأحرز السلاح، وفرقه على من يستحقه بالشجاعة .

وبعد هذه العملية الجريئة، وعندما علم القائد السيد محمد بـن التهامى البراق الودراسى بحركة المجاهدين وكان يرابط فى قبيلة بنـى حسان، ضد الثورة الريفية لضمان طريق مواصلات الجيش الاسبانى بين تطوان ــ شفشاون اختفى هذا من بنى حسـان فى جماعة من المقاتلـين الذين كانوا تحت سلطته، وكان عددهم 120 مقاتلا، وقد أبلغ الريسونى بأنه التحق بالسيد امحمد الخطابى بتكساس وأشيع ذلك بين قبائل الجبالة،

ولكن البراق هذا التحق بجماعة الرملة فتعززت به تلك القوة، وأمر بحصار قشلة علانس بوادراس، وقد قضوا عليها بسهولة وقال السيد الحداوى بأن انضمام القائد البراق الى مجموعتهم أقامت الريسونى وأقعدتـــه وأرسل عبد الرحمن صردينا وقاسم الدكالى الى أنصاره يحث على القضاء على الفتنة قبل أن تتســـع .

ولكن الواقع أن زمام قبائل الجبالة بدأ يتجه الى الثورة، فأثر ذلك مباشرة انضم الى المجاهدين قائد مقاتل مغوار وهو السيد العربى بـــن حليمة من قبيلة بنى يدر، وكان لا يشق له غبـــار .

وبانضمامه توسعت دائرة العمليات الحربية، فتوجهت مجموعة الى حصار معسكر ثلاثاء بنى يدر، وكان أكبر معسكر فى الجبالة يضـــم ضباطا كبارا قيل أن من بينهم من ينتمى الى العائلة المالكة باسبانيا، وكان حول ذلك المعسكر قشلتان تابعتان له، وهما قشلة الصباب، وقشلة أذرو بين بنى يدر وبنى عروص، ولما وصل المجاهدون تحت قيادة ابن حليمة ومن بينهم الحداوى وكانوا ثلاثمائة طوقوا معسكـــر الثلاثاء وأرسلـــوا جماعة الى قشلة أذرو فقضوا عليهـــا .

أما معسكر الثلاثاء وقشلة الصباب، فقـــد صمدا صمودا طـــال أكثر من شهر، ولكن فت فى عضدهم انهم فقدوا المواد الغذائية من مأكـــل ومشرب، فكانت الطائرات تلقى لهم ذلك، ولكن قل أن تصيب الهـــدف، وكانت عين ماء قريبة من معسكر الثلاثاء، فكان الجنود يتساقطون عليها كالذباب رغم الخطر الداهم على حياتهم، حتى أن بعض موتاهم سقط فى العين، فتوددت ومع ذلك يقصدونها بنهم .

وعندما وصل الحال الى هذا الحد فان المقيم العام عمل على حشد قوة كبيرة لفك الحصار عنه، وكان اليوم يوم الاحد، سمح بعض المجاهدين لانفسهم أن يذهبـــوا الى سوق أحد قريب، والبعض الآخر كان ذهـــب الى فض خلاف نشأ بين المجاهدين الذين تكفلوا بقشلة أذرو، وقد عمـــد الحداوى الى ارسال رجـــال لاطلاق بعـــض الطلقات فى الهواء لتقاطـــر المجاهـــديـــن .

وفعلا وصل الجميع، فخندقوا فى الوادى الذى هو الممر الوحيد المفضى الى المعسكر .

أما العدو فقد صب جام غضبه على الادغال والاحراش، بقنابل الطائرات وبطاريات المدافع، التى نصبت على طول الجهات التى بدا أن الجيوش جراد منتشر يحمل الدمار لكل كائن حى، ولكن صمود المجاهدين رغم النار المحرقة التى لم يقهم منها الا المتارس الطبيعية، ولما بدا للعدو أن قد أحرق كل شىء، فانه تقدم فاصطدم مع المجاهدين اصطداما لم تزحزحهم جهنم تلك، فجرت معركة حامية دامت يوما وليلة سقط فيها ضحايا من الجانبين، وكانت المعركة مسترسلة من دار ابن قريش الى بنى وسيم فلما لم تغنه تلك المدمرات رجع عن أعقابه وعمد الى الاستجداء، اذ طلب السماح باخراج المعسكر بأى ثمن يطلبه المجاهدون، اذ أرسل ثلاثة جنود مغاربة يحملون علما أبيض يعرضون هذه النظرية .

وهنا اختلف رأى المجاهدون، فمنهم من رأى أن يرجع الامر الى امحمد الخطابى ليقول كلمته ومن هذا القبيل الطيب الحداوى، ومنهم من رأى ان يسمح لهم على أن يتركوا المعدات الحربية وقد ترجح الرأى الاخير نظرا لكون رجال بنى يدر يعتذرون بأن القتال على أرضهم ويكون مدعاة لخراب ديارهم .

وفى هذا الاثناء جاء شخص يذكر أن أربعة من الشرفاء الوزانيين، كانوا راكبين الخيول نزلوا فى بناية قشلة مهجورة، فهرول السيد الطيب مع جماعة، فلما دخلوا عليهم وجدوا أن ثلاثة منهم انجليزيون بينهم كرونيل متقاعد يقودهم السيد احمد بن القائد ادريس امقشد (أطله من بنى ورياغل من دشرة تفراست سكنت قديما فى طنجة) وقد أبدوا رغبتهم فى الذهاب الى ابن عبد الكريم، فسارع الحداوى لارسال رسول الى قرية دار الراعى التى يوجد بها المركز الامامى للثورة، فاعلموا ابن عبد الكريم بالانجليزيين، فأمرهم بارسالهم محروسين بستين من المجاهدين.

وبعد ذلك لما غلب السيد الحداوى عن أمره فى قضية المعسكر، استسلم لرأى الاغلبية، فخرج المعسكر فى حالة يرثى له وهنا جاء قائد

يدعى القائد الورياغلى مع جماعة من قومه، فوجدوا السلاح مكدسا وكان فيه أنواع منه مما كان يستعمل فى الحرب العظمى، منه الطليانى ومنه الالمانى ومنه الامريكى ومع ذلك، فان جماعة الورياغلى استطاعوا أن يستعملوه بكل سهولة، ثم أن الحداوى فارق بنى يدر وكر راجعا الى الرملة حيث وجد رسالة من ابن عبد الكريم يأمره بأن يعمل على الاتيان بالسيد عبد الكريم اللوه من طنجة اليهم .

وفعلا قام بالمأمورية، فجاء اليهم الى الرملة، وكان الريفى الوحيد الذى شارك معهم فى الاعمال التى قاموا بها من بعده (1) .

ويجدر بنا هنا أن نذكر سبب وجود السيد عبد الكريم اللوه بطنجة فى ذلك الوقت بالذات، فقد سبق حكاية السيد الحداوى عن مرافقته من فاس الى طنجة .

ذلك أن السيد اللوه كان قبل ثورة الريف فى طنجة، ربط صداقة متينة مع عائلة انجليزية تدعى عائلة ارنال، وبالاخص مع رئيس العائلة المدعو جون ارنال، وهذا كان من حزب العمال الانجيلزى، وكان فى طنجة يعطف على العمال المغاربة فى جبل طارق، حتى أدى الامر به الى ادخال أربعة منهم فى حزب العمال .

ثم لما قامت ثورة الريف وهزمت الاسبان فى انوال وما اليه، جاء السيد عبد الكريم اللوه الى الريف واتصل بابن عبد الكريم يؤازر الثورة .

وبعدما استقر جاء صديقه جون ارنال الى الريف فسلك طريق توريرت (وكما سبق فقد كان مركز المخابرات الافرنسية بخصوص الريف) فى ثياب بدوى مغربى، فلما وصل الى كزناية بمنطقة نفوذ القائد موح بن عمر اختو اشتبه فيه، فالقى عليه القبض .

---

(1) وكان معهم طالب ريفى كان يتابع الدراسة فى جبل الحبيب ثم عمل ككاتب معهم، وقد أرسله المجاهدون برسالة الى ابن عبد الكريم وأعطوا له بغلة يركبها وبندقية وعندما وصل الى غمارة باع الجميع واختفى عن أنظار الريف .

وقد تمكن الانجليزى أن يرسل اعلاما الى السيد عبد الكريم اللوه، الذى أطلع بدوره ابن عبد الكريم (يقول السيد اللوه، بأنه أطلعه بواسطة والدى سيدى عبد السلام الحاج محمد الذى كان يتواجد اذ ذاك عند ابن عبد الكريم) فأمر هذا بأن تتوجه قوة من الرجال يأتون به بأية طريقة كانت .

وفعلا أوتى بالانجليزى، ولما وصل كان ابن عبد الكريم قام برحلة الى جهة بادس لاجل مهاجمة الجزيرة بالمدافع، فذهب السيد عبد الكريم اللوه بالانجليزى اليه فوجده أقام قيادة الهجوم فى مغارة قبالة الجزيرة، وكان بيده منظار مقرب، وهنا قدم صديقه اليه، فكان السيد عبد الكريم اللوه يقوم بالترجمة بينهما، وكان مما قاله الانجليزى لابن عبد الكريم، أنه ينصحه بأن لا يترك الثورة بدون شعار ينضم شؤونها، فقال له ابن عبد الكريم، وماذا تقترحه أنت؟ فقال الانجليزى أقترح أن تعلن الجمهورية الريفية، لكى يسمع دويها لدى الدوائر العالمية، حتى يمكن لها أن تؤازره (1) .

ومن هذه الحكاية يتضح مما قاله الجنرال غوديد فى كتابه (المغرب ومراحل التهدئة) الذى نقلناه فى الجزء الاول صحيفة 36 من أن أقتراح الجمهورية كان من وحى السيد عبد الكريم اللوه والتجانى، انه لم يكن للسيد اللوه الا وظيفة المترجم فقط، ولم يكن اقتراحه حسبما فى الكتاب المشار اليه صحيفة 86—87، وكما يمكن أن تكون كلمة التجانى محرفة عن كلمة الانجليزى، ولذا يرفع الالتباس المشار اليه .

وفى هذا الميدان فان ابن عبد الكريم يريد استغلال وفادة الانجليزى لفائدة الثورة، فتحادث معه لاجل ايفاد وفد الى لندن، فقر رأيه على

---

(1) سبق فى الجزء الاول صحيفة 36 أن ابن عبد اكلريم لم يعمل بهذه النصيحة، وكما جاء فى كتاب ابن عبد الكريم أمير الريف أن ابن عبد الكريم لم يرتض لقب سلطان وانما اكتفى بلقب أمير المجاهدين، وانما الاجانب هم الذين حاولوا اضفاء صفة غير مقبولة عنده ومنهم جوريف كليمس الذى هرب من اللفيف الاجنبى وعمل فى الثورة .

توجيه صهره السيد محمد بوجبار، والسيد عبد الكريم اللوه على ان ينتظرهما الانجليزى فى طنجة ريثما يهىء الوفد الذى زوده بمناشر كتبها ابن عبد الكريم بخطه، أخذ كل عضو طائفة منها .

وحسب حكاية السيد بوجبار، فانه ذهب عن طريق تاونت عين معطوف فى صفة شخص تاجر عادى، ووصل الى فاس، وأحرز هناك على جواز السفر بطريقته الخاصة، وذهب الى الدار البيضاء، حيث ركب فى البحر الى جبل طارق معرجا على طنجة اذ ركب من هناك السيد عبد الكريم اللوه ومعه صديقه ارنال، ومن جبل طارق توجهوا الى لندن، وقد تمكنوا من الاتصال ببعض الدوائر الرسمية كما اتصلوا ببعض الاحزاب الانجليزية، وكان لوجودهم فى لندن صدى كبير لدى تلك الدوائر والرأى الانجليزى العام وتحدثت الصحف باسهاب، وكما اتصلوا بالوطنيين العرب مثل الامير شكيب أرسلان وغيره وكتب الامير شكيب عن القضية الريفية فى الصحف وفى كتابه «حاضر العالم الاسلامى»، وقد اتصل بالوفد مباشرة واستفسره بدقة عن أحوال الثورة .

كما أن الدوائر البريطانية اهتمت كثيرا بالوفد وخصصت له طائرة طارت به فوق لندن وضواحيها للتعريف عليها، وقد أسدى ارنال هذا خدمة حسب طريقته فى تسمية الثورة بالجمهورية .

وعند انتهاء مهمة الوفد رجع الاثنان كل عن طريق خاص به فالسيد بوجبار سلك طريق الدار البيضاء ووصل الى أجدير حيث أبلغ ابن عبد الكريم مهمتهما .

أما السيد اللوه فقد التحق بالرملة وتعاون فى تنظيم المجاهدين هناك هو والسيد الحداوى وقد انضم اليهم حوالى 700 مقاتلا حسب رواية الحداوى .

ولما شعرت قشلة الركايع بالخطر الذى يجثم قبالتها فقد عمدت على اصلاء زاوية الرملة وضواحيها بقنابل المدافع والطائرات التى استعملت سائل النابالم حيث أصيب به ثمانون من المجاهدين من بينهم السيد عبد السلام الحداوى الذى توفى بعدما ارسلوهم الى طنجة للتداوى.

وفى أعقاب ذلك وصلت رسالة من السيد امحمد الخطابى الى

السيد الحداوى يأمره بأن يقوم بهجوم على دار القائد العياشى الزلال بقرية بوغابش (وكان هذا مريضا بالنقرس والرومانتزم) وكان يكاتب ابن عبد الكريم يقول أن الجهاد فرض على كل أحد أما بالنفس أو بالمال أو بما تيسر والحال انه لم يقم بأى شىء .

وهنا ذهب الحداوى والسيد اللوه مع عشرة من الرجال، وذلك خفية عن رفاقهم الى الزلال ليطلبا منه أن يقلع على التمويه على الثورة فينضم عمليا، ووجدا أن الزلال محروس بثلاثمائة من الجنود والانصار فطلبا منه أن ينضم الى الثورة بأن يرسل معه ولده محمد ويأمر خليفته السيد الهاشمى الغماط بمائتى مقاتل، يذهب بهم الى مدشر القصير، فارتبك الزلال، ولكن لم ير بدا من الانصياع ونفذ مقترحاتهما ولما علم الريسونى بذلك اتصل به، والح عليه بأن يأتى بالسيد الحداوى حيا أو ميتا، ولما امتنع الزلال قام الريسونى بتهديده ، فما كان من هذا الا أن أعلن عن الرجوع عن المسلك الاول، فطلب من الحداوى أن يرسل ولده محمد مبررا ذلك بأن أمه قلقة عليه .

أما مجاهدو الرملة فانهم هجموا على جبل الحبيب حيث كان هناك بمدشر النزلة جماعة من زعمائها يستقطبون السكان وعلى رأسهم المدعو الطاسى صهر الزلال، وبدر الدين صاحب الريسونى والفقيه عبد العالى والقائد البخات، وهذا الاخير رجع الى المجاهدين وذهب الى السيد امحمد الخطابى بتغزويت، وأما الآخرون فانهم اخلوا المنزلة وذهبوا متسلقين الجبال الى تزروت ، وفى طريقهم ظن الجيش الاسبانى أن الجماعة من المجاهدين فاصلتهم الطائرات نارا حامية فتفرقوا شذر مذر حيث ذهب الطاسى الى مدينة أصيلا التى يوجد على رأسها السيد مصطفى الريسونى باشا، والباقى كل الى وجهة تيسرت له .

وانتقل الزلال الى الزينات تحميه قشلة الركايع .

وعقب ذلك استسلم الريسونى فالتحق السيد الحداوى بالسيد امحمد الخطابى بتغزوت مع جمع من قومه، حيث ذهب من هناك مع السيد امحمد الخطابى الى الريف عن طريق وادى لو – وامثار الى بنى بويفرح، والى أجدير حيث بقى هناك الى أن وقع احتلال الشمال ؛

الانسحـــاب الاسبـــانى

ان مخطط الانسحاب لم يكن مستوحى من انسانية الدكتاتـــور الاسبانى، أو من ارستقراطيته، كما يقال، وانما كان نتيجة مفعول قتـــال الثورة الحـــاد .

ففى هذه الجبهة كان المجاهدون قد وصلوا الى مركز تغزوت، ببنى حسان، بعد ما قاموا بتطهير شاطىء اغمارة فى تيكساس، الى وادى لو، ومن واد لو الى تغزوت، باحتلال ثكنات العدو المنتشرة على واد لو ــ أفرطان، وهو الواد الذى ينزل من تغــزوت الى البحر، وشمل التطهــير المركز الهام بتلامبوط حسبما فصل فيما سبق .

وعليه، فانه الى غاية شهر يوليوز 1924، لم يبق بيد الجيـــش الاسبانى الا المر الوحيد الممتد ما بين تطوان عبر أربعاء بنى حسان الى شفشاون، ومن ناحية أصيلا والعرائش والقصر الكبير، فان مراكز العدو كانت متقدمة الى قبيلة بنى عروص، وثلاثاء الريصانة، والقلعة من قبيلة بنى يســف .

أما الريسونى فانه لم يستطع فى هذا الظرف أن يقوم بأية حركة لفائدة نفسه، أو لفائدة أصدقائه، وانما كان قابعا فى حصنه بتزروت، تحت وطأة مرض الحبن، بينما جماعة من أنصاره حيارى لا يدرون ما يأتــون ولا مـــا يفعلـــون .

ويقال بأن الامير الخطابى أوعز الى احمد اخريرو، أن يكتب الى الريسونى، لينضم الى المجاهدين قبل فوات الاوان، ولكن طبيعته منعته من أن يصغى لنداء الاخــوة والدين . (1)

وكان يظن أن ليس لاحد أن يصل الى معقله أو يستنزله منه.

وتحت هذه التأثيرات، قرر الجنرال بريمو دى ريفيرا البدء فـــى عملية الانسحاب، مهما كلفه ذلـــك .

وبالرغم من تذمر القادة العسكريين، الذين اعتبروا أن الانسحاب

---

(1) فقد جاء فى كتاب عبد الكريم أمير الريف ص 129، أن اخريرو كتب الى الريسونى يدعوه الى الانضمام للثورة .

معناه ضياع أمجادهم العسكرية فى شمال المغرب، التى كانت نتيجة معارك ضارية وطويلة، انطلاقا من معركة الثعلب على ضواحى مليلية سنة 1909، التى منوا فيها بهزيمة نكراء، عندما صدهم دفاع المجاهدين تحت رياسة الشهيد سيدى محمد أمزيان، الى معارك أخرى تترى حسبما فصلنا.

ولاجل أن يخفف من وقع قراره بالانسحاب على أولئك القادة، الذين من بينهم الجنرال سيرنو والجنرال كسترو خيرونا، والجنرال الريكارمى والجنرال كيبيودى لانو، والجنرال فريديركو برينجر أخو برينكير الذى كان مقيما عاما قبل ذلك، والجنرال منويل غوديد والكرونيل فرانكو، والكورونيل أوفيلو، فانه طبع منشورات باللغة العربية أطلقت من الجو بواسطة الطائرات على القبائل، ومراكز تجمعات المجاهدين، يعلن فيها أن اسبانيا لا تنوى مطلقا مغادرة المغرب، ومما جاء فيها :

«لا يجوز أن يؤخر شرف اسبانيا دقيقة واحدة، أو يؤجل انقاذ القوات الاسبانية التى أرسل الرتل لاغاثتها» كما توعد القبائل المتمردة (أى المنضمة الى الثورة) وهى القبائل التى كان الجيش الاسبانى قد استولى عليها، وكما أصدر الامر الى الجيش فى جميع الخطوط باحراق القرى التى ينسحب منها، ونهب أموالها، وانزال القصاص برجالها .

الا أن هذه الاوامر كلها لم تغنه شيئا، فان القبائل لم تتمرد كما وصفها، وانما استردت حريتها التى سلبت منها، بفعل الغزو الظالم، وها هى قبائل بنى سعيد، وبنى زجل والاخماس وبنى سعيد وبنى يدر وبنى حزمر على ضواحى تطوان كلها تنفست الصعداء، فسارعت لحمل السلاح مؤازرة الثورة المباركة التى يقودها مجاهدون ابرار .

ولم يخف أولئك العسكريون انتقادهم لسياسة الانسحاب التى أمر بها الجنرال بريمو، ووصفوه بجهل المشكل، وانه بذلك جعل أصدقاءهم من القبائل عرضة للانتقام من المجاهدين، وقد ألقى أولئك القادة اللوم، ليس على القبائل، وانما على سياسة التخلى عنهم، حسب تعبير أحدهم، وهو الجنرال غوديد، فقد قال فى كتابه «المغرب ومراحل التهدئة» فى العبارات التالية «أن رئيس الحكومة الجنرال بريمو دى ريفيرا لم يكن يشعر بالمشكل المغربى، ولم يدركه، وان السنة التى قضاها فى الحكم، لم

يبال بهذا المشكل وكان يظن أن المفاوضة ما بين المقيم العام الاسبانى وبين ابن عبد الكريم فى شأن احلال السلم بتنـــازلات من جهة، وبين المقيـــم والريسونى من جهة أخرى، هى التى تحل مشكل المغرب العويص» .

«ولم يستيقظ، الا عندما حشد امحمد ابن عبد الكريم فى بنــــى معلة، قبالة مواقع: صولانو ـ وتازا طابورين اثنين من الارياف، وحركـــة من 600 مقاتل، تحت قيادة عبد الكريم الحتاش من بنى ورياغل» .

«وقاد امحمد ابن عبد الكريم نفسه الهجوم من تغزوت، بمعونة حدو المعلم، الذى كان يعمل كخليفة له» .

«وعندما طهر خط وادى لو، انضمت اليه قـــوة مهمة من بنـــى حسان، بقيادة اخريرو والقائد احمد بن سعيد كما وصلت قوة من الريف قوامها 400 مقاتل تحت قيادة موح ابرقاش من بنى ورياغل» .

«وفوجىء ــ أى بريمو ــ بهذا التمرد الجبلى، الذى أيقظ فيـــه فكرة الاهمال المشكك، فظن ان الحل الوحيد لوقف هذا السيل من التمـــرد ضد الجيش الاسبانى هو الانسحاب من المواقع الامامية، التى توجـــد فيها القوة الاسبانية، منتشرة فى مواقع، داخل قبائل غمارة، والجبالة» .

«ان قراره بالانسحاب يدل على عدم فهمه لنفسية المقاتل المغربى، الذى عندما يلاحظ تقهقر العدو وعوضا عن أن يتوقف، يغالى فى ضغطــه عليــــه» .

«وهذا ما كان منتظرا، فان العدو ضاعف من هجماته، وهـــؤلاء رؤساء القبائل الذين كانوا بجانب اسبانيا لحد تلك الساعة، خافوا مـــن الانتقام، الذى يتعرضون له، سواء فى شخصهم أو ممتلكاتهم عندما تنسحب القوة الاسبانية، فانهم اندمجوا فى التمرد، ولا يمكن أن نتهمهم بالخيانة، لان اسبانيا هى التى الزمتهم باتخاذ هذا الموقف، لتخليها عنهم» .

«أما الذين انسحبوا مع الجيش، وانحاشـــوا الينا، فانهم لـــم يستطيعوا أن يقدموا أية خدمة لاسبانيـــا لان شخصيتهـــم قد انحطـــت أمام اخوانهـــم» .

وعلى أى حال فان الجبهة الغربية تطـــورت الى صالح الثـــورة الريفية، فى سرعة مذهلة، ففى صيف 1924 وقع الهجوم الريفى علـــى

خط الجبالة، بكل حماس وشجاعة، ويعزى لابن عبد الكريم انه قال في مذكرته: «ان قضاءنا على تمرد قبائل غمارة وجبالة أحيى في نفوسنا شجاعة وقوة وحماسا، وجعلنا نوسع هجومنا الى مدينة شفشاون، ورد القوة الاسبانية الى الوراء، من القبائل الجبلية الى حدود تطوان» .

وشهد الجنرال غوديد في سرد الحالة التي عليها الجيش الاسباني في ذلك الوقت على الصورة التالية :

«كانت المواقع التي تحتلها اسبانيا (أي ما بين شفشاون وتطوان ـ وشفشاون ووادي لو) مهددة ومحاصرة بمواقع طبيعية، وببعدها عن القواعد التي تمدها بالاغاثة» .

«وهذه الحالة هي التي مكنت العدو من تطويقها، وقطع المؤونة في الوقت الذي يراه مناسبا» .

«وفيما يتعلق بالقيادة العسكرية الاسبانية فانه كان بامكانها أن تطلب المساعدة لحماية المقاتلين (الجيش) من مخاطر المواقع التي توجد فيها، لكن وقع ما كان مما لا مفر منه، وان القوة الاسبانية كانت مرغمة لرد هجوم القوة الريفية، لكن بدون جدوى، ودون أن تتمكن من ربط مراكز التموين بعضها مع بعض» .

«ورغم المجهودات التي قامت بها تلك القوة لاجل فك الحصار، الا أن ذلك لم يأت بأية جدوى الامر الذي وجدت معه القوة الاسبانية، أنها مضطرة الى التخلي عن خطوطها، وعن قواعدها المطوقة، فاستسلمت».

ان هذه الشهادة من أحد القادة العسكريين الذين عاشوا المعارك، يدل على ما أشرنا اليه، من أن الانسحاب لم يكن هبة من الديكتاتور الاسباني للثورة، وانما كان تحت ضغط القتال البطولي المسترسل، من تطهير موقع الى موقع، الى أن وصلت المعارك الى عنق القنينة، وهو مجاز دار قوبع، وحاول أن ينقذ الموقف بالانسحاب تحت حماية الاغاثات الهائلة التي جرتها أعمدة القوة الغازية .

«وهكذا، فقبل الشروع في عملية الانسحاب، كان العقيد فرانكو، بتاريخ يوليوز 1924 أرسل لتعزيز الحاميات التي تمتد ما بين تطوان الى شفشاون، والتي يقع عبأ الانسحاب على حسابها، فقاد فرقة اللفيف

الاجنبى (التريسيو) لتنظيم الانسحاب فى ظروف مواتية، ولكن سرعان ما فوجىء بمعنويات الجيش قد نزلت الى الحضيض، نتيجة الضغوط المستمرة على تلك الحاميات، من طرف المجاهدين الذين شدوا الخناق عليها، حيث استمر حصار بعضها لمدة واحد وأربعين يوما، وأخرى لمدة 73 يوما وأخرى كاد أن يقضى عليها العطش، فجعلت تشرب الخل، وحامية أخرى اشعل رئيسها النار فى الخيام والاكواخ، بما فيها من جثث القتلى» .

وحسب تقارير قادة الجيش الاسبانى فان الهجوم الكاسح الذى شنه المجاهدون لم يكن ابن وقته، بل كان مخططا مدروسا باتقان، وقالت تلك التقارير، بأن الوثائق التى حصلت بأيديهم سنة 1926، ضمن عدة أوراق فى ملف الخرائط الفرنسية، تدل أن هجوم وادى لو كان مدروسا قبل ذلك، وانه كانت هناك عدة أسهم فى تلك الخرائط، تشير أول ما تشير الى مواقع وادى لو، ثم تمتد تلك الاسهم، فتشير الى طريق شفشاون وتطوان، وعندما تشير تلك الاسهم الى النقط الرئيسية، فانها تتوجه ضد المواقع الاسبانية: افرطان - تغزوت - دار قوبع - ميسكريكة .

وان الانتصار الذى حصل عليه الريف هناك، تبعته موجة من الحماس، داخل القبائل الجبلية التى كانت متأثرة قبلها باسبانيا، فانقلبت تلك القبائل عليها، الامر الذى ضاعف من صعوبات الجيش الاسبانى المتناثر هنا وهناك، على القمم، والشعاب التى أصبحت موحشة كالغول، يفتح فاه لابتلاعه ؟

محاولة لتخفيف الضغط

وقد فكرت قيادة الجيش الاسبانى فى محاولة لتخفيف الضغط عن طريق الانسحاب من شفشاون الى تطوان، فقرر أن يقوم بهجوم من وادى لو، بعد ما عزز قوته هناك، متجها نحو تغزوت، على ضفتى وادى افرطان وهى ذات تضاريس حجرية صعبة، تعلو الى عنان السماء، فى أوج قمتها بفرقة الخمس من بنى حسان، على الضفة الغربية، ومثلها كذلك على الضفة الشرقية عندما تصل الى تلامبوط فى قبيلة بنى زجل .

وعلى كل، فان جيوش العدو سوف تضيع فى مرتفعات المسالك الوعرة، المحتفة بتلك الاماكـــن .

وهكذا، فانه اصطدم مع المجاهدين فى ثلاث معارك، الاولى فى وادى زرزا ببنى سعيد، والثانية بموضع يدعى محافر البغلة على وادى افرطان، والثالثة بموضع يدعى لرزة، فقد ترك المجاهدون فرصة لتلــك القوة لترتكز فى هذه الاماكن، حتى اذا اطمأنت، احدق بها المجاهــدون، وعمدوا الى نصب الالغام التى يصنعونها بأيديهم، من قنابل الطائرات الغير المنفجرة، فيفكونها ليأخذوا الديناميت منهـــا لوضعه فى عبـــوات تحشى بشظايا القنابل المنفجرة مع وضع حبات الاشتعـــال .

ففى الليل يقترب الفدائيون من مكـــان تجمع قوات العـــدو، حيث يفجرون تلك العبوات، مع رمى القنابل اليدوية، فيحدث ذلك دويا، تنفرط منه قلوب الاعداء، ويقع الارتباك فى صفوفه، حيث لا يدرى الى أين المفر؟ فاذا خرج من مكمنه ضاع بين تلك الاحجار التى تصدمـــه .

وهكذا، قضى على هذه التجمعات الثلاث المهاجمـــة، من دون ان تنال من المجاهدين منالا بل لم تشغل بالهم أساسا، نظرا لهذا الاسلوب الدقيق، فى خوض المعارك، بدون خسائر تذكر، بينما العدو اندحر تلقائيا.

الانسحـــاب من وادى لـــو ووضعيـــة القرفـــة

وعندما فشلت هذه المحاولة، فان القيادة العسكرية الاسبانية، قررت اخلاء مركز وادى لو من أصله، وأمرته بالانسحاب الى تطـوان عن طريق البحر، بعدما جمعت الحاميات المتبقية هنا وهناك، ونقلتهـم على المراكب، وعندما شعر بها المجاهدون أصلوها نار مدافعهم، فاغرقوا لهم المركب المسمى «كتالونيا» ونجى الباقون تحت تعقب المجاهدين لهم.

وكان يوجد من بين الذين احتجزتهم اليها لاثارة الشقاق بـــين أهالى الوطن المهاجم، القائد محمد القرفة، وهذه العائلة من شرفاء البقاليين.

واستبدت عائلـــة القرفـــة بالرياســـة فى قبيلـــة بنى سعيـــد، مـــدة من الزمـــن .

وفى أثناء انسحاب الجيش الاسبانى عن وادى لو، عز على محمد

القرفة هذا أن يترك عشه وعش عائلته، فيعبث به أهالى القبيلة، فقرر أن يصمد لاحداث الوقت، واقترح على الجيش الاسبانى أن يزوده بمائة من المجندين المغاربة يمكثون معه لحراسة ممتلكاته، ولم يمكث عندما غادر الجيش ان جرد المجندين من سلاحهم وأمرهم باللحاق بتطوان، وأرسل الى امحمد الخطابى أنه يضع نفسه تحت تصرفه ان شاء اقتص منه، وان شاء استبقاه لصالح الثورة، وطلب منه أن يبعث اليه القائد احمد بن سعيد .

فاستدعى الخطابى القائد احمد بن سعيد، وأبلغه قصة صديقه القرفة، واستفسره عنه، فطلب ابن سعيد منه ان يهبه له الى ضمانته، واجابه هذا الى ما أراد، بعدما بين له أنه يدرك ان القرفة تخلى عنه أصدقاؤه، فخاف على نفسه وماله، فاستنجد به، ومع ذلك فانه يتركه الى ضمانة ابن سعيد .

ثم ان المجاهدين تعقبوا الجند المنسحب عن وادى لو الى تطوان، فذهبوا الى أن عسكروا ببنى معدان من قبيلة بنى حزمار على الضفة الشرقية لوادى المحنش، وعسكر هناك القائد احمد اخريرو على أبواب تطوان، بقوات من رجال بنى حزمر، وكانوا يتسللون الى داخل تطوان من الفجوات التى ينتهزون فرصها، لاشاعة البلبة فى صفوف الاسبان .

وقد شهد أحد مراسلى الصحف، وهو «ولتير هاريس»، بأن الرصاص كان يتساقط فى الشوارع، وكان فى مقدور سكان المدينة أن يشاهدوا من نوافذ المنازل المعارك تدور على بعد اميال قليلة من البوابات.

وقد قال الجنرال غوديد فى صدد انسحاب الجيش من خط وادى لو، ما يأتى: «وعندما انسحبت القوة الاسبانية عن خط وادى لو، كان ابن عبد الكريم مترددا فى صحة الانسحاب الجماعى للقوة الاسبانية، ظانا ان عملية الانسحاب من وادى لو هى خدعة حربية، ولذا انتقل الى تامبوط، وقد تأكد من هناك بأن الانسحاب الجماعى أمر واقعى، فأصدر أمره الى القائد حدو بن المعلم من أجدير، الذى كان يعد خليفة له، وكانت

مهمته الاصلية مراقب ومفتش عام للبحرية الريفية، بأن يبدأ الهجوم على مواقع خط شفشاون» ؟

وأول موقع بدأ الجيش الاسبانى الانسحاب منه، هو موقع دار انعزف بالاخماس السفلية ازاء دار أبى الحسن الشاذلى، وهو موقع يعتبر صلة الوصل بين مواقع شفشاون، والقلة بقبيلة بنى يسف وبينهما قشلتان لضمان المواصلة احداهما بالاخماس بالهوطة والاخرى ببنى يسف بفدان الجبل، وكانت كقلعة، تعتبر بمثابة تعزيزات لهذه القبيلة، التى كان بها ألف وخمسمائة (1.500) جندى، وكانت تعد الدرع الواقى لسلطة الريسونى فى نطاق حزام من القبائل، يتمثل فى الاخماس، وسماتة وبنى يسف وبنى عروس، ولكن لما رأت قبيلة الاخماس انسحاب الجيش الاسبانى من هذه القلعة فت فى عضدها وجعلها ذلك فى حيرة، وأبدت بعض عشائرها ترددها فى الاخلاص للريسونى واسبانيا كما أنها لم تخلص للثورة أيضا، بل ارتكبت أعمالا غوغائية كما سيأتى بعد .

المعركة الكبرى بحبانة والحمراء ببنى حسان:

حبانة بالحاء المهملة، وهو الاسم للاخدود الذى يبتدىء من نهاية السهل العريض المدعو الحمراء المنتهى الى كدية بسوق اربعاء بنى حسان.

وفى خضم هذه الاحداث التى روعت الجيش الاسبانى والتى أبانت عن صعوبة المواقف التى تترتب عن هذا الانسحاب، فان رئيس الحكومة الاسبانية تكفل بنفسه بتسيير العمليات الحربية فى المغرب .

واخذ على نفسه أن يشرف شخصيا على عملية الانسحاب، فقام صحبة الجنرال سيرانو اوريثى برحلة استطلاع علم بها المجاهدون، فنظموا كمينا لهما، وكادا أن يقعا فيه، الا أنهما نجيا بأعجوبة، وعند رجوعه من تلك الرحلة، صمم على ان لا يترك الحاميات متناثرات على القمم الموحشة، بعدما عقد اجتماعا حضره جميع قادة الجيش، وقد أبدى هؤلاء معارضتهم لمخططه، الذى كان يقضى بالانسحاب الشامل، والاحتفاظ بتطوان فقط، والمدن الساحلية الاخرى، ويقال أن الكرونيل فرانكو تدخل شخصيا معه فحمله على تعديل المخطط بعض الشىء، بأن احتفظ بخط مرتيل — وادى

المحنش ــ بوصفيحة ــ الفندق ــ ضمانا لطرق المواصلات مع العرائش، وهو الخط الذى كان فى عهد المقيم العام الجنرال خردانة، والذى دعى بخط بريمو دى ريفيرا، أو خط استيلا .

وبعد هذا التعديل الطفيف، بدىء فى تنفيذ عملية الانسحاب، وقد كلف بها الجنرال ازبورو وهو الشخص الذى ورد ذكره كثيرا فى سياسة اسبانيا بمليلية، يقود قوة الاغاثة تتكون من 40 ألف جندى، تحت الاشراف الشخصى للمقيم العام، وذلك بعدما قام سرب من الطائرات الاسبانية يتكون من 19 طائرة بالاغارة على القرى التى خلفها، وراء الجيش الاسبانى، عن شواطىء البحر، وعلى ضفتى وادى لو وافرطان وتسبب فى مذابح بشرية للنساء والولدان، أما الرجال فهم على شواهق الجبال، التى هى اعشاش العقاب، لا يلحقهم أى أذى، من طائرات الاغارة، بل كانوا يسددون بنادقهم اليها، حيث اسقطوا منها سبعا، اثنتان سقطتا فى أيدى المجاهدين، والباقى شوهدت وهى تحترق، حيث سقطت فى جهات العدو .

وقبل خروج الرتل الاسبانى من تطوان ولتأمين سلامة الانسحاب أصدر المقيم العام أمره اليومى الى جنوده يهددهم فيه بعقوبة قاسية، اذا نسوا واجبهم لانقاذ القوات الاسبانية وشرف اسبانيا، بفعل الكسل أو الاهمال، وعليهم فى انسحابهم ان لا تأخذهم الرأفة فى انزال القصاص بأولئك المتوحشين الذين يتعرضون للقوات الاسبانية، بما فيه نهب أمتعتهم واحراق قراهم .

وقد نظمت ارتال الاغاثة بقيادة اساطين الجيش الاسبانى بعناية فائقة .

وهكذا تكلف الجنرال الريكرمى باحتلال سوق أربعاء بنى حسان، وهو مركز مهم يتوسط طريق المواصلات بين شفشاون ــ تطوان، ويشرف على المر بأكمله، وحينما تحرك متجها الى المركز، تركه المجاهدون، الى أن ابتعد عن تطوان، فأطبقوا على قوته من الخلف، والجناحين الايمن والايسر، بينما لم يستطع أن يتقدم ولو خطوة واحدة، وكانت معركة الفندق فى مدشر بنى موسى على الوادى الذى يصب فى وادى النخلة

فوقع فيما لم يكن يظنه، وقد طلب من تطوان ارسال اغاثة لكى يستطيع الرجوع اليها، وقد تكبد خسائر فادحة، فى الارواح، وفعلا أرسلت اليه تغطية من الطيران، التى لم تهتد الا الى احراق القرى، كما أرسلت اليه اغاثة برية تمكن بعدها من الرجوع بما تبقي من جنوده .

واثر هذه الملحمة فقد أرسلت ارتال موزعة حسب التالى :

1 — الجنرالان الريكارمى وكيبيودى لانو يقودان القوة التى تسير على وسط الممر، الذى يمر على دار ابن قريش، فعين ألجوع، ثم على قرية بنى موسى الى الحمراء، ثم دار قوبع .

2 — يحمى هذه القوة على الجناح اليسارى قوة يقودها الجنرالان سيرانو وكسترو جيرونا، على أن تعمل هذه القوة لمنع المجاهدين الذين يكونون تمركزوا على القمم التى تكون حذوة الجمل، انطلاقا من جبل غرغيز الى قرية الخمس المشرفة على دار قوبع وتغزوت .

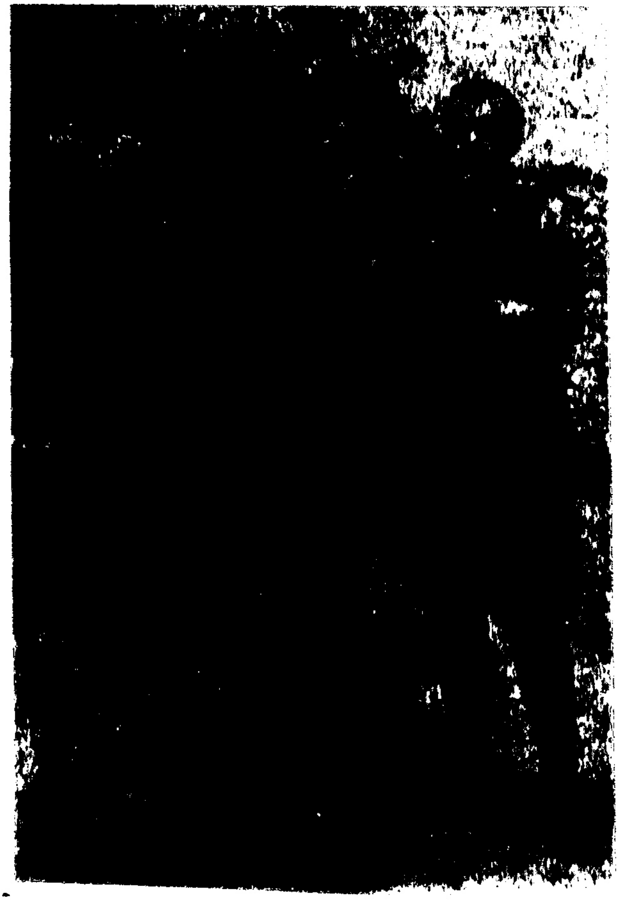
3 — أما الجناح الايمن فتحميه قوة يقودها الجنرال فريديريكو برينكير، وعليه ان يتسلق هضاب منكال، والجبال المتصلة بأربعاء بنى حسان، الى أن تصعد على أسفل جبل بوهاشم .

4 — على أن يقود الرتل الاوسط الكرونيل أوفيلو على رأس قوة النقل، تكون مهمتها اضافية لحماية مؤخرة هذا الرتل من قطع خط الرجعة، وقد استطاعت هذه القوات متجمعة ان تصل الى أربعاء بنى حسان، فى 28 شتنبر سنة 1924 .

ثم واصلت قوة الجنرال سرانو تقدمها الى أن وصلت الى مدينة شفشاون، فدخلتها يوم 30 شتنبر، ثم تبعتها قوة الرتل الذى يقوده الجنرال ريكلمى، ودخلت يوم 2 اكتوبر الى مدينة شفشاون وقد بقيت قوات أخرى على طول طرق المواصلات الى تطوان .

وشرعت تلك القوة ترسل نجدات الى الحاميات الهامشية، التى كانت الى ذلك الوقت فى أماكنها لتحمى اخلاءها لتلك المواقع، وقد استغرق عملهم هذا مدة ستة أسابيع .

أما قوات المجاهدين الى ذلك الوقت لم تكن تلتحم مع القوات



ضابطان فى سلاح الطيران وقعا فى الاسر
فى معارك وادلو وهما الكبطان غرسيا والتلينتى فلورنيو

الاسبانية، الا بصورة اصطياد، متقطعة تغير هنا وتضرب هناك، وتهاجم القوافل القادمة، من تطوان او التى ترجع اليهـا .

وفى 13 نوفمبر 1924 خرجت القوات الاسبانية بصورة جماعية من مدينة شفشاون، تحت جناح الظلام، وفى سرية تامة، بعدما ركـزوا حراسة على الحواجز الضرورية من الخلف، كما ركزوها أيضا فى المقدمة، تسير على حذر، لتفتيش الممـر .

وكان الجنرال كسترو جيرونا، يقود طليعة الجيش المنسحب، كما كان الكولونيل فرانكو، يقود المؤخرة، تحت امرته الفرقة الاجنبية .

وقد استمرت فى مسيرتها لمدة خمسة أيام، قطعت فيها ما بـين شفشاون وسوق أربعاء بنى حسان وهى مسافة لا تتعدى 30 كلم على وجه التقريب، اذ وصلت حراسة المقدمة فى 19 نوفمبر بينما القـوات الرئيسية حطت فيما بين دار قوبع وسوق أربعاء بنى حسـان .

انه من سوء حظ هذه القوات المنسحبة ان تفتح السماء ميازيب المطر المنهمر، يوما بعد يوم، مما يجعل مسيرتها بعرباتها وحيواناتهـا، وكعاب أحذية جنودها، تتلطخ فى الاوحـال، حيث ضاعف من متاعـب عمليـة الانسحـاب .

وقد وصف الكرونيل فرانكو فى ذلك الوقت الوضع أدق وصف، اذ قال: «وخطواتهم مثقلة بالوحل، وطوفان من المطر يلسعهم، والبنادق مغروزة فى الطـين، والعربات غارقة فيـه حتى محاورها، وان عربـات الاسعاف المحملة بالمرضى المحمولين، عاجزة عن شق الطريق، عبر هـذا الخليط من الرجال والمدافع، والشاحنات والبغـال» .

أما المجاهدون فكانت وضعيتهم ملائمة، لانتصارهم تماما، كما لو كانوا على موعد مع هذه الامطار المباركة التى لا تزيدهم الا صلابة، وخفة لسرعة اختفائهم عند الحاجة، فى غطاء من الضباب، حينما يظهرون فى جهة أخرى للضرب والثخـن .

وهكذا كان امحمد الخطابى عقد اجتماعـا مع قواده حضـره القائد اخريرو والقائد بوحوت، وهو من قلعية (لازال حيا الى الآن)، وكان فى الجيش الاسبانى، ثم انحاز الى الثورة، وأسدى اليها كثيرا من المعونة

لشهامته وخبرته بالطرق الحربية الاسبانية، وقد كان يرأس طابورا من القوات الريفية النظامية، كما حضر هذا الاجتماع القائد حدو المعلم، والفقيه ابن على بولحيا والهادى بن عزوز، والقائد احمد بن سعيد، وقد قر رأى المجتمعين، ان تترك الاغاثة تصل الى شفشاون، وعند الانسحاب منها يتعرض لها المجاهدون، حيث يكون الجنود قد انهكهم الانسحاب، تحت عواصف من الامطار، عن اديم أرض موحلة، وهناك يضرب المجاهدون ضربتهم التى لا تبور .

وهكذا كان المخطط الريفى، الاستعداد لشن هجوم عام، عندما تصل القوات المنسحبة الى ما بين حبانة والحمراء .

وقد كلف الخطابى المقاتلين، بأن يضعوا ثقلهم على الذرى المحيطة بهذا الاخدود، من سوق الاربعاء، الى دار قوبع، على أن يختفوا ما أمكن الاختفاء، عن أنظار العدو، وبالاخص مقدمة الحراسة، حتى اذا تكامل اجتماع الجيش هناك، وركنوا الى الاستراحة، انقضوا عليهم من كل جهة ومكان .

وفعلا، فعندما انتهى الانسحاب الى التوقف فى هذا الاخدود، هرع المقاتلون، متسللين من الشعاب والتلال، منصبين نيرانهم بدون هوادة، كأنهم على موعد مع السيول العاتية، التى انفجرت تجرف الطرقات والمسالك وتزيد فى مصاعب المجندين المنسحبين فى حالة يرثى لها .

وكان الامير فى تخطيطه قسم المجاهدين الى خمس فرق، كل فرقة عين لها الجهة التى عليها أن تقوم بدورها البطولى، تحت أحد القواد المذكورين، مع رجال قبائل بنى حسان وبنى سعيد وبنى زجل وبنى حزمر .

1 — ترأس القائد احمد بن سعيد قوات قبيلة بنى حسان .

2 — القائد بوحوت ترأس الجيش النظامى .

3 — القائد حدو المعلم ترأس المجاهدين من الارياف، يؤازره الهادى بن عزوز .

4 — أما القائد احمد اخريرو فقد كان على رأس رجال بنى سعيد وبنى حزمر .

وقد كانت العدة متوفرة لديهم، بما غنموه من المدافع التى

سقطت فى أيديهم، فجروا الى تلك الذرى التى تمركزوا فيها من المدافع عشرة، من العيار الكبير، وعددا كبيرا من الرشاشات، وما يكفى من الدخيرة والبنادق، وكان استيلاؤهم على تلك القمم تاما، بحيث لا يستطيع أحد من قافلة الحراسة للجيش الاسبانى أن يفكر فى الانعزال، عن محيط الجيش، والا كان مصيره أن يقع فى مصيدة المجاهدين، الذين يصوبون الطلقة رأسا الى الهدف .

وقد أعطى أحد المراسلين الاميركان وهو ويت ميللر الذى زار سوق أربعاء بنى حسان، لمشاهدة الحالة عن كثب، وقد زوده المقيم العام بسيارته الرفيعة، ومساعد له أنيق، فقد قال حسبما نقله الانجليزى روبت فورنو، «كانت السيارة تغرز مرة بعد مرة فى خفر الطين، فكان لابد لنا أن نخرج منها، كى ندفعها أو ننتزع بعض الاغصان من الادغال القريبة، ونحمل السيارة كى نعطى العجلات الخلفية قوة على الجذب» .

«وكان الطريق الغارق عدة بوصات من الطين يتلوى بين جبال عابسة نصف قاحلة، وكانوا يحاولون ان يسيروا عليه فى اتجاهين وهو لا يتسع سوى لاتجاه واحد، من دون أن يحضروا عمليا أى موضع للعبور، وسألت رفيقى لماذا لا تمهدون طرقا جانبية، وتضعون مرشدين على الهضاب وتسمحون بالمرور فى اتجاه واحد، لمدة من الزمن، ثم يطلقون المرور فى الاتجاه الآخر، لدى تلقى الاشارات من المرشدين، فى مواقع التلال؟ فأجاب الضابط الذى يقودنى، أوه ان الريفيين سيقتلون المرشدين».

وهذا الوصف كاف لادراك الحالة النفسية للجيش المنسحب، ووضعيته التى هو عليها، ولادراك سيطرة المجاهدين على الموقف سيطرة تامة، تجعل حالتهم المعنوية لا تقهر، وقد زادتهم جرأة نيران مدافعهم التى تصب بدون هوادة على العربات والبهائم التى احتلط حابلها بنابلها، مما أحدث فوضى، واضطرابا، فى الجنود الموحلين، حتى أنهم لم يهتدوا من أين يوخذون ؟ .

فالمجاهدون يقاتلون من خلف الصخور، والادغال، فلا يلبث الجندى أن يسقط أمام اخوانه صريعا وهم لا يدرون من أين أصيب، وقل أن تكون الطلقة تخطىء الهدف، وقد قال أحد الضباط الاسبان، ممن نجى

من مذبحة الحمراء، والحبانة «كنا نقاتل أشباحا، وكنا نخسر ثلاثين رجلا، لقاء رجل واحد منهـم» .

وعلى كل، فان الحالة المزرية التى تواجدت عليها فى ذات الوقت القوة الاسبانية التى كانت تضم 40 ألف جندى لا يمكن أن توصف، لانه زيادة على تعرض كل واحد منهم للقتل من حيث لا يحتسب، فان الجوع والبرد والمطر المنهمر، والعوائق الطبيعية، والخسائر التى خلفتها مدفعية المجاهدين فى الدواب والشاحنات كل ذلك كان باعثا على مأساة قل نظيرها فى تاريخ الحروب، فقد قال الصحفى الامريكى فى نفس الموضوع: «تحدثت مع ضابط يعسكر مع فصيلته على جرف صخرى، على عطف الجبل، (بالحبانة) كان وجهه الذى لم يحلق منذ أيام محفورا بخطط طبعها عايه القلق وكانت بزته موحلة ومهترة، وكاد ينفجر باكيا، وهو يرينى الاكواخ المتداعية التى تدلف سقوفها، والتى نام رجاله تحتها، فى بوصة الوحل حرفيا، طوال أيام، ودلنى على كوخ كان يمكننـــى أن أقسم أنه لا يتسع لاكثـــر من خمسين رجلا، وقال أن 160 جنديا ناموا هناك، مغطين الارض العارية، مثل السجادة، دون أى فاصل ما بينهم على الاطلاق، ان هؤلاء المساكين لم يأكلوا شيئا الا بعض سردينات لكل منهم طوال اليومين الماضييـــن، اننا لا نستطيع أن نحصل على أى غطاء أو طعام فى هذا المكان، ولابـــد لنا أن نبقى هنا كى نقاتل الرماة، ونحمى جناح الانسحاب، وقال أنه لم ير قط جنودا فى مثل هذه الحالة من الاعياء، والغم، والقذارة، وكان الكثير منهم حفاة، وعندما يأخذ منهم اليأس من اصابة أى أحد من الرمـــاة، فانهم يعمدون الى اطلاق نيران مدافعهـــم على القرى التى لا يمكـــث فيها الا النساء والصبيان، والعجزة، أما الرجال فانهم بالطبع يعرفون أنهم فى مخابئهم وراء الصخور والادغال، يتربصون بالجنود، لاصطيادهم، بطلقاتهم الناريـــة» .

وهكذا فعندما التحمت الملحمة الكبرى فى الحمراء بقرية أنسرطة، كان السهل الفسيح، والذى تسيطر عليه مباشرة الـــذرى المتناثرة علـــى الجناحين، وسقط من جملة القتلـــى الجنرال سرانو، ثم عندما أرســـل ضابط سام ليحل محله سقط قتيلا أيضا، كما جرح فى نفس المحل الجنرال

برينكير، وقتل فى المحل نفسه الف جندى عدا من قتل على اخدود حبانة، وعلى وادى بنى موسى، النازل الى وادى النخلة، يكون منظرا مأسويا.

وحسب تقارير الدوائر العسكرية الاسبانية، عن احصائيات الخسائر فى الارواح، كانت كما يأتى :

القتلى جنرال واحد، وهو سرانو، وستة من الكرونيلات، وثمانية من الكمندانتيات، و175 ضابطا من مختلف الرتب،والجرحى من الضباط 600 و 17.000 من الجنود القتلى والمفقودين (1) .

وقد اتلف المجاهدون اثنتين من الدبابات احداهما وضع الارياف سدودا من الحجارة، فانحبست وصبوا عليها نيران بنادقهم، والثانية كان أحد المجاهدين وهو الحاج بالخاضر من بنى بوعياش، تمكن من غرز حديدة معقوفة الرأس فى مؤخرتها، وجعل يحدث ضوضاء فاندهش جنودها، فتوقفت عن السير بينما الآخرون يقتربون منها، ويرمون عليها قذيفة يدوية فقتلوهم .

أما الجنرال كسترو جيرونا، فانه استمر فى تقدمه صوب دار ابن قريش، حيث وصلها فى طائفة من الجنود، بينما الباقى بقى منقطعا فى سوق الاربعاء، محاولين اللحاق به، فى صورة فردية تقريبا، يحثون السير، بينما الرماة يتبعونهم، لشد الخناق عليهم، حيث سقطوا صرعى على حافة الوادى .

وقد شهد صحفى آخر ممن اعتنوا بحرب الريف، ويدعى فنست شيان فى كتاب له، تحت عنوان «مغامرات بين الريفيين» .

حالة أخرى بعد مرور المعركة بشهرين، حيث رجع من زيارة ابن عبد الكريم بأجدير، ومر على نفس الطريق الذى انسحب منه الجيش الاسبانى، فقال «أنه شاهد استحكامات مهجورة، وعربات مقلوبة ، وأكداسا من الجثث، وكانت الطريق فى يناير 1925 لا زالت تروى قصة الانسحاب الرهيب، وكانت رائحة الموتى الباعثة على الغثيان، تهب من ناحية دار قوبع، بينما كانت الطيور المتخمة تحط فوق الادغال، وكانت

---

(1) كتاب عبد الكريم أمير الريف ص 127 .

قرية أشروطة تعرض مشهدا رهيبا، فقد كانت الجثث المسودة، وبعضها نصف متلهبــة، والاخرى مجرومة، متراكمة بعضها فوق بعض، وقد عــد 700 جثة فى بقعة لا تزيد عن فناء وزارة الحرب فى مدريد، كما رأى بقايا من البزات العسكرية، وبنادق مهجورة، وعندما نزل على الاخدود، الذى يصل الى وادى النخلة وجد بعض جثث متفرقة، محاطة بالساقية التــى تجتاز الطريق، بعض منها نصفها فى الماء، والنصف الآخر خارج الماء، وقد رأى فى مقبرة واحدة فى سوق الاربعــاء، دفن فيها 700 قتيل اسبانــى، وضعتها نساء متدينات يتبعن الجيش الاسبانى» .

أما المعركة الاخيرة، فهى التى وقعت على وادى النخلة، «حيث كان الجيش الهارب ينجو بجلده فى آخر لحظة من المأساة، فقد تركــوا وراءهم عربات مصفحة، لتغطية انسحابهم، وقد خلف عليها أربعة عشر من الجنود ثلاثة أيام، يطلقون النار صــوب المجاهدين، بينما لم يصــل لديهم من الطعام ما يقتاتون به، كما لم يستطيعوا أن يردوا الماء تحــت وابل من رصاص الرماة، وفى اليوم الرابع وعندما كل الجنود التعساء عن الاستمرار فى القتال، فان الريفيين جروا مدفعا، والقوا القذائــف على مكان العربات، فانفجرت بين تلك العربات المصفحة، فقتلت ثمانية منهم، وجرحت اثنين وبقى أربعة على قيد الحياة، فاستسلمــوا، وأخذوا الــى مقر قيادة الامــير السرى» .

وفى 13 دجنبر دخل الذين نجوا من الكارثة الى تطوان، فى حالــة من اليأس والعياء، فما كان من القائد الاعلى للجيش الاسبانــى، الا أن اعترف بالهزيمة، اذ صرح لبعض الصحفيين، بأن ابن عبد الكريم هــزم الجيش الاسبانى، لانه يملك تفوقا فى الارض، والمتعصبين من اتبــاعه (يا سبحــان الله ان يكون الدفــاع عن حوزة الوطن تعصبا، ولا يكــون الغــازون كذلــك) ؟ .

وقال ان جنودنا سئموا الحرب، وهم يخوضونها منذ سنوات، وهم لا يرون سببا يدعوهم الى القتال والموت، من أجل هذا الشريط مــن الارض، العديمــة القيمــة .

ثم قال: وأنا شخصيا أؤيد الانسحاب الكامل من افريقيا، وتركها لعبد الكريم، لقد صرفنا ملايين لا حصر لها من البسيطات، فى هذا المشروع، ولم نكسب فلسا واحدا، وفقدنا عشرات من الرجال القتلى فى أرض لا تساوى هذا الثمن .

ومع هذا التصريح الذى يبدو أن الرجل اقتنع بعدم جدوى هذا الغزو، الذى ابان أنه لم يمكن يحمل بين طياته أسباب الحضارة، لاشاعتها بين الافارقة، كما يدعون فى تبريراتهم، وانما القصد هو تنفيذ مشروع استعمارى، يجب أن يكون مردوده يساوى الثمن المبذول، فانه تنكر مرة أخرى، حينما أعلن للشعب الاسبانى «ان عقاب الريفيين سيكون عاجلا وأكيدا» .

هذا ما يخص الانسحاب من شفشاون، و لوضعية القاسية التى تم فيها .

وهناك انسحاب آخر من جميع المراكز الإمامية، ففى بنى عروص كان الجيش الاسبانى يحتل تزروت والموضعين اكرانة والجام، فقد انسحب الى أربعاء عياشة وأقام حامية على رأس السوق، بمحل يدعى «مكرط»، ثم يمر على النجد السفلى لبنى كرفط، بالموضع المدعو «كدية أولاف» ثم ثلاثاء الريصانة، كما انسحب من مركز القلة، بعد معركة بين الاهالى، والجيش الاسبانى المنسحب، وكاد أن يسقط الكبطان برميخو، والذى كان على حامية القلة .

أن الانسحاب من قبيلتى بنى يسف وأهل اسريف حسب تعبير الجنرال غوديد قد تم بصعوبة قصوى .

أما بالنسبة للمراكز التى كانت بقبيلة الاخماس السفلية، وهى دار العزف — وفدان الجبل — والهوطة، فانها انسحبت بدون تعقب، وبذلك تكون الاخماس السفلية هى القبيلة التى لم تساهم فى المجهود الثورى، بل عارضته، ووضعت المصاعب أمامه كما يأتى :

دخـول السيد امحمد الخطابى الى شفشـاون

بعد انتهاء معارك الانسحاب، وبالذات بتاريخ 14 دجنبر 1924، أى بعد وصول فلول الجيوش الاسبانية الى تطوان، هيىء للامير دخول رسمى الى شفشاون: المدينة المقدسـة .

وفى شأن ذلك قـال الانجليزى روبرت فورنـو، فى كتابه محمد ابن عبد الكريم أمير الريف، صحيفة 12 طبعة دار دمشق تعريب الدكتور فؤاد أيوب، «وقـدم عبد الكريم شخصيـا (يعنى السيد امحمد حسـب اصطلاحه ويطلق على الزعيم الكبير لفظة «كريم»)، كى يسترد المدينـة نزل عند بوابتهـا عن حماره وخلـع نعليه، وسـار عارى الـرأس حافى القدمين الى الجامـع .

ولاجل دحض هذه الصورة الخياليـة التى يعمد اليها الكتـاب الاجانب، مهما كانت نواياهم، لابتداع صورة بدائية للشرقيين عامـة، مهما عظمت الاعمال المجيدة الخالدة، ننقل هنا صورة دخول الامير، بمـا يتناسب وعظمة الانتصار الباهر، مع وجود الكماليات لتلك العظمة، بمـا خلفه الجيش المنسحب من فاره الخيول المطهمة، وقد استعد للدخـول استعدادا عسكريا، تحت أصداء الموسقى العسكرية بأناشيد حماسيـة هى بنت الساعة الرهيبة، التى أوحت للشاعر العبقرى، سيدى الحسـن القادرى التلمسانى فتفتقت قريحته عن نشيد الثورة، ومطلعـه :

فى ثنايـا العجاج والتحـام السيـوف
بينمـا الجـو داج والمنايـا تطـوف
يتهـادى نسيـم فيـه أزكـى سـلام
نحـو عبد الكريـم الامـير الهمـام
ريفنـا كالعـرين نحن فيـه الاسـود
ريـفـنـا نحـميـه الـخ ......

وننقل بعض الفقرات عن ذلك الدخول عن أجنبى آخر، كـان

يخوض ضد الارياف معارك ضارية، ولكن لم تمنعه أن يقول الحقيقة، فقد قال الجنرال غوديد :

«ويوم 14 دجنبر 1924 دخل الى مدينة شفشاون امحمد ابن عبد الكريم، ونظم له استقبال رائع، وكان يتقدمه 200 من جنود الريف، فى نظام عسكرى، ورايتان محمولتان من طرف الحاتمى والصديق الخمليشى ثم غادر السيد امحمد ابن عبد الكريم مدينة شفشاون، لما كثرت الغارات من طرف الطائرات الاسبانية والفرنسية، وكثر سقوط القنابل، وتركز فى القيادة العامة، بتغزوت ببنى حسان وخلف نائبا عنه فى شفشاون السيد احمد بورجلة (وهو السيد احمد بن السى شعيب اقيعان من بنى ورياغل، وليس السيد احمد بورجلة صاحب زاوية آل هشام)، ونصب عن مدينة شفشاون كباشا السيد المفضل بنينو» هذا هو الوصف الذى أعطاه قائد عسكرى اسبانى، كان حاضرا يراقب كل تحركات عدوه، وهو وصف متجانس مع عظمة الانتصار الذى أحرزه المجاهدون، ومع ما لديهم من الخيول التى كانت ولا زالت هى الوسيلة المفضلة فى تنقلات عظماء التاريخ، عبر البرارى والجبال على السواء، وليس فى هذا الدخول الى المدينة المقدسة على هذه الصورة من الروعة ما يحط من قيمة تواضع الخطابى المجاهد، لان اظهار القوة فى مثل الموقف الذى يحتف بالمجاهدين فى ذلك الحين، هو أمر متعين وأكيد.

نهاية الريسونى وقبيلة الاخماس

يبدو من الدراسة للاوضاع التى سادت فى قبيلة الاخماس بعد انسحاب القوة الاسبانية، انها كانت السبب الرئيسى للتعجيل بانهاء قضية الشريف الريسونى، على ما انهيت عليه.

ذاك أنه لما دخل السيد محمد الى شفشاون، كانت قبيلة الاخماس السفلية تبيت الغدر بالثورة، وتولى كبير الفتنة فرقة الحصانة، من الاخماس، التى أبت لاول وهلة ان تحضر الى شفشاون لمشاهدة روعة

الانتصار، ودخول المجاهدين أسوة بقبائل جبالة، التى اختفت بأسرها بيوم الانتصار .

ورغم ذلك، فان السيد امحمد غض الطرف عن ذلك، وعده أمرا بسيطا وضروريا فى بعض الحالات، التى ينتقل فيها الاهالى من وضعية الى أخرى، كما اعتبر أن الشريف الريسونى، عندما يرى كابوس الاستعمار قد أزيح عن القبائل، التى تأتمر بأمره، فانه لا يلبث أن يعلن تبريكه لهذا الفتح المبين، فينضم الى المجاهدين، ليساهم بمجهوده الذى طالما أعلن عن أنه مجاهد لا يعمل الا بوحى من تعاليم الاسلام .

ولكن تبين فيما بعد ان الاسبانيين كانوا حريصين على أن لا يسقط فى قبضة الارياف أسيرا، ولذا اقترحوا عليه أن ينسحب الى معقله الاطلى بمدينة أصيلا، حيث يكون تحت حماية الجيش الاسبانى، ولكنه امتنع، لانه كان يعتقد أنه لم يزل قويا فى قبائل جبالة، وانه اذا لم تكن عوادى الدهر القاسية التى مرت عليه من صباه الى بلوغه سن الهرم، لم تنل منه، فانه بالاحرى أن تكون جماعة الارياف، تتخطى عتبة جبل بوهاشم، المحصن بقبائل الاخماس، وبنى يسف وسماتة وبنى عروس .

وفى هذا المضمار، قال روبرت فورنو «وكان لابد للاسبانيين وهم يخلون شفشاون من تأمين سلامة الريسونى فى الوقت نفسه، اذ لم يكن مرغوبا فيه أن يقع فى الاسر، بينما الريفيون يحتلون الاراضى التى انسحب منها الاسبانيون، ورفض الريسونى أن يترك قلعته فى تازروت، حيث يملك مخزونات كبيرة من الحبوب والثروات، وأعلن فى كبرياء أن الريفيين لم يتمكنوا من ازاحته عن حصنه» (1) .

وقال فى معرض دعوة امحمد الخطابى لانضمامه الى صفوف المجاهدين .

«وبينما كان الريفيون ينتشرون فى المنطقة رفض الريسونى دعوة عبد الكريم الى الاستسلام، والانضمام الى الريفيين، ضد الاسبانيين، وقطع أذن أحد الرسل، وحلق رأس رسول آخر، وهى اهانة رهيبة بحق المسلم» .

---

(1) صحيفة 120 .

ويؤكد هذا النص ما رويناه عن جمهرة المجاهدين الذين احتككوا مع الريســـونى، من دعوة الخطابى للريسونى بطرق سلمية أخويــة، للانضمام الى الثورة، أسوة بالمقاتلين الاحرار، ولكنه أبت عليه طبيعتــه أن يصغى لنداء الحق، الا أنه كما يقال اذا عــرف السبب بطل العجــب، فقد روى فورنو، ان الاسبانيــين أوعــزوا اليه أن لا يستسلم للاخــوة، ووعدوه بأن يؤيدوه بغارات جوية على التجمعات الريفية، التى تتجــه صوب منطقة الاخماس، وغيرها، وفعلا فقد قامت اسراب من الطائرات تقذف بالقنابل المسمومة، وقد حركوا زعماء هذه القبيلة وعلى رأسهــم القائد عبد السلام ولد الفار، والقائد احمد الخمال من قبيلة بنى يسف، ليعملوا على خلق المصاعب أمام المجاهدين .

وفعلا، فان الريسونى كتب من جهته الى كل من احمد الخمال، وعبد السلام الفار، رسالتين متشابهتين بأن لا يستسلموا للارياف، وكانت هذه الرسالة عند احمد الخمال، وحكاها لى بنفسه لما كنت قاضيا بقبيلتى بنى يسف وبنى زكــار .

ويؤيد ما جاء فى هاتين الرسالتين ما حكاه المراسل الامريكى «فنسنت شيان» الذى شهد بنفسه القاء القبض على الريسونى، فقد قــال هــذا المراسل بخصوص اللحظة الاخيرة ما يأتى: «وانفجر بحنــق فى وجهنا لما جلسنا القرفصاء على الارض أمامه، سأل:لماذا جئتــم الى؟، لقد قلت اننى لا أريد كائنا من كان، لست أريد شيئا سوى الموت، لقــد طلبت أن أموت، فأنا لا أريد أن أكون أسير الكلاب، وابناء الكــلاب .

وفى جملة أخرى، جاء فيها «لقد طلبت أن أموت، وأنا أريد أن أموت، لماذا لم يقتلونى فى الحال؟ لن يكون الريسونى أسيرا قط، وعبدا للكلاب فى المكان، حيث كان الريسونى يسود، لقد أخذوا جوادى، وسرجى فليـأخذوا ما تبقــى» .

يمكن أن تكون هذه العبارة منمقة من المراسل، حسب طبيعتــه الصحفية الا أنه فى الحقيقة فان الرجل عندما يفقد الحرية التى طالما اعتز بها فى تصرفاتــه الغير المحدودة، طيلة أجيال، ويفقدها فى الحــال، فى حين يجد نفسه لا يستطيع أن يعمل شيئا لانقاذ تلك الحرية فانــه لا

يكون فى مقدوره الا الانتحار باطلاق سيل من الشتائم، ويكون على الذى أخضعه بهذه الصورة، أن يتقبلها بدون انفعــال .

ورغم كل هذا، فان ما رواه الانجليزى «روبرت فورنو» من أنه قطع أذن رسول، وحلق رأس آخر، هى رواية من نوع ما يحلو للاجانب أن ينمقوا به كتاباتهم، عندما يتكلمون على أعدائهم، فيبحثون عن الغرائب التى يوسمونهم بها امعانا فى خلق الفكاهات لقرائهم، والا فانه لم نسمع هذه الرواية عن أى أحد، سواء من انصار الريسونى، أو من الذين كــان لهم سبق فى مباشرة الحوار مع الريسونى، من الطرف الآخــر .

بـــدء المصـــاعـــب :

أما نوع المصاعب التى وضعتها قبيلة الاخماس السفلية ومــن كان من ورائها، فاننا ننقل هنا عن القائد احمد بن سعيد روايته، وهــو شاهد عيان، بل كان أحد العناصر الاساسية التى انضمت الى الثورة فى الوقت المناسب، قال: «قام الريسونى بتحريك قبائل الاخماس للغــدر بالمجاهدين، وانه (أى الراوى) هو الذى نبه السيد الخطابى الى نوايــا الاخماس السفلية، الغير السليمة، لانــه علم أن الاسبان اعتمــدوا على الريسونى، بعد الانسحاب، لطعن الثورة من الخلف، وكانوا يظنون أنــه لا زالت سيطرته على قبائل الجبالة قويــة، أما بالوعد أو الوعيد، وقبــل الانسحاب، زودوه بمزيد من السلاح والمــال، على أمل أن يكون العرقلــة الاخيرة للزحف الثورى على قبائل جبالــة .

وهكذا حرك الريسونى قبائل الاخماس، وسماتة وبنى يسف ومن من وراءها من المنضويين تحت طاعتــه .

وقد كانت جماعة من الارياف تتكون من 50 مقاتلا تركزوا بقرية ايرجافن من الاخماس السفلية، وعندما كشر رجال القبيلة بزعامة فرقــة الخصانة وبنى جبارة عن انيابهم، وابدوا التمرد العلنى، تحصن هــؤلاء المجاهدون بضريح الشيخ التادلى، حيث تمرسوا فى صومعة المسجــد، التى جعلوا منها اعشاشا لبنادقهم بعدما احدثوا فيها ثقبا، كما جعلــوا مرافق أخرى لنفس الاعشــاش .

ولما علم امحمد الخطابى بهذا الحصار، تشاور مع زعماء الجبالة الموجودين معه، وكان من جملتهم القائد احمد بن سعيد، وباشا شفشاون المفضل بناينو وهو أصله من الاخماس، ويسكن فى شفشاون، وكانت فيه خفة، فتقدم أمامه وقال له: انى أخضع الاخماس بخمس وعشرين مقاتلا، فقط، ولكن احمد بن سعيد رد عليه قائلا بأن كلامه هراء، وان الاخماس محركـــة من طرف الريسونى، الـــذى حرك من طرف الاسبان، الذيـــن يجمعون كل من فيه نزعـــة شيطانيـــة .

فعلينا أن نأخذ الامر جديا بالاستعداد للمصاعب الجديدة، ولكن المفضل بناينو أصر على مقترحه، وظهر انه كما يقال «أنا لها» فاطمأن اليه الخطابى وزوده بخمسين مقاتلا، معظمهم من الارياف، ومعهم من زعماء جبالة من الاخماس الفوقية القائد السى حمان من بنى دركون، وولـــد السعدية من بنى زيد الخمسية، وولد القاسم بن موسى .

وهكذا تحركت القافلة الى أن نزلت بباب تازا، وفى أول الامـــر أظهرت الاخماس السفلية الطاعة، فقدمت جماعة «تنفايا» وجماعة بنـــى زرويل، وجماعة بنى صالح ذبائح العار، طبق عادة القبائل، تتقدمهـــم الاعلام البيضاء، علامة على بياض القلـــوب .

فلما وصلوا وأحاطوا بالقافلة، وبنت لهم غرة منهم، وبالاخص أنهم وجدوا على رأس القافلة المفضل بنابنو وهو معروف لديهم بالخفـــة أطلقوا عليهم النار، وأخذوا المفضل بناينو أسيرا، بعثوا به الى الريسونى بتزروت، وتحصن باقى المجاهدين فى مسجد الشيخ التادلى .

تهـــيء الهجوم على الاخمـــاس السفليـــة

واذ قد وصل التوتر بين الاخماس والمجاهدين الى هذا الحـــد، فان امحمد الخطابى أمر بتجهيز حملة قوية، لوضع حد للتمـــرد الذى ان تسامح فيه، فان العاقبة ستكون وخيمـــة .

وهكذا كانت الحملة على الشكـــل التـــالى :

تحرك القائد احمد اخريرو من داو قوبع، على رأس ثلاثمائـــة

من مقاتلى بنى حسان، وبنى حزمار، وبنى سعيد، يعاونه القائد احمـد ابـن سعيـد .

وتحرك من بنى دركون بالاخماس الفوقية القائد ادريس خوجة على رأس ثلاثمائة مقاتل من الريفيـين، من ترجيست، وكتامة، كانـوا معسكرين هناك تحت امرة القائد موح أبرقـاش .

وتحرك القائد اليزيد بن صالح على رأس 200 من مقاتلى غمارة كانوا معسكرين فى مدينة شفشاون .

وتحركوا الى أن وصلوا الى الموضع المعروف «بموزكر» فانضم اليهم سكان هذه الجهة، وفى غده تحركوا الى أن نزلوا على بنى جبارة، وهناك نشب قتال بين الطرفين واستمر يومين على أشده، ثم استسلـم المتمردون وفك المجاهدون الحصار على رجال ضريح الشيخ التادلى .

ولتأديب المتمـردين فقد فرضت الحملـة عليهم غرامة ماليـة استخلصوها بحيازة أموالهـم .

ولا صحة لما ذكره الجنرال غوديـد من أن الحملة تعدت حدود الانسانية، فبقرت بطون الحاملات فهو من الحملات المسعورة التى يشنها قادة الجيش الاسبانى عندما يعجز عن ادراك أى مجد عسكرى .

ويجدر أن ننقل فقرات من كتابه فى هذا الموضوع، فهى تؤيد ما أشرنا اليه من تركيب الحملة، وكيفيـة استئصالها للتمرد الذى كـان الاسبان يعلقون عليه آمالا، سرعان ما خابت، فراحوا يوصمون المجاهدين بما هم برآء منـه .

وسنجد فى هذه الفقرات شهادات من أحد قادة الجيش لما هى عليه الحالة العامة، قال: «وبانسحاب القوة الاسبانية، زاد سيطرة ابـن عبد الكريم، وزادت كذلـك وسائل القتال عنـده، وليس لكثرة القبائـل انجبلية التى مدته بكثير من الرجال، والعتاد والمال فحسب، بل حتى بسلاح الحرب الذى وقع فى قبضته، والذى خلفـه الجيش الاسبانى» .

«ولكن ابن عبد الكريم اصطدم ببعض الصعوبات، لبسط سيطرته على قبئل جبالـة» .

«أولا: وقوف قبيلة الاخماس ضده، وهى أقوى قبيلة فى قبائـل

جبالة، وتحافظ على استقلالها بكل حرارة، وبمعنى الحرية العامة» (يلاحظ بادىء ذى بدء من هذه العبارة ما كان يعلقه الاسبان على هذا التمرد) .

«ثانيا: رفض الشريف الريسونى للانضمام الى ابن عبد الكريم وذلك ان فرقة الخصانة من الاخماس، لم تكن قد بعثت بممثلين عنهـا، لاستقبال ابن عبد الكريم فى شفشاون، ومشاركتهم فى الدخول فى طاعـة القيادة الريفيـة» .

«ولذا فان باشا شفشاون المفضل «بناينو» قاد جماعة من الرجال الى فرقة الخصانة، وفى هذا الحال، قامت هذه الفرقة بالتمرد واشهـرت الدفاع بالسلاح، وأخذ قومها الباشا أسيرا وقدموه الى الريسونـى واعتقلـه هـذا» .

«ولما علم ابن عبد الكريم بذلك أمر بهجوم على قبيلة الاخماس من ثلاث مجموعات من الحركة: احداها بقيـادة اخريرو بثلاثمائـة من جبالـة، جاء بهم من دار قوبع والقائد اليزيد بن صالـح من قبيلـة بنى رزين بمائتى مقاتل من غمارة، انتقل بهـم من شفشاون وحركـة من الريفيين من تركيست وكتامة بثلاثمائة مقاتل، دخلت من الاخماس الفوقية على بنى دركـون» .

«وفى ظرف يومين كان احتلال الاخماس، وحملوها غرامة مالية وارتكبوا مجازر دموية ضد فرقة الخصانة» .

وعلى كل فان القافلة تسير، فعندما انهيت قضية الاخماس، اتجه بعض من المقاتلين الى قبيلة بنى يسف حيث كان هناك القائد احمد الخمال، فلما وصلوا الى قرية الخمال، وجدوها خاوية على عروشها، فقد رحـل الخمال كما رحل من قبله قائد الاخماس عبد السلام ولد الفار، والتحقوا بترروت مع من تبعهم من افراد القوم، ظانين أنهم يكونون مع من يوجد هناك الدرع الواقى للمحافظة على ما تبقى من أحلام، قد تكون ذهبـت مداعبتها لعقولهم أدراج الريـاح .

واذ لم يجد المجاهدون فى بنى يسف من يناوشهم، فانهم عمدوا الى مصادرة أموال الخمال المنقولة، ومـن يسير فى ركابه، فرجعـوا من هناك متسلقين الى جهة سماتة، حيث نزلوا بالموضع المدعو بوسرواس

لارجاع هذه القبيلة الى الجادة، فلم يبق أمامهم الا اخضاع مركز تزروت.

وفى هذا الحال، فان القافلة أحاطت بمعقل تزروت، وحسب تقرير الجنرال غوديد فان القوة التى أحاطت به كانت على الشكل التالى :

القائد اخـريرو كان يرأس 300 مقاتـل من الجيش الـريفى النظامى و300 من رجال الحركة و400 مقاتل كانوا تحت قيـادة محمد أبرقاش من بنى ورياغـل .

وحسب رواية القائد احمد بن سعيد (1) فانه شارك فى هذا الهجوم فى أوله مائة مقاتل من الارياف مع مجموعة من مقاتلى جبالة تحت رياسة القائد اخريرو، يعاونه احمد بن سعيد، وانه عندما نشب القتال وصـل القائد اليزيد بن صالـح برجال غمارة، والقائد مسعود الخالدى برجـال من بنى خالد الغمارية والقائد احمد المصلوحى برجال من بنى احمـد، والقائد الطالب الشاونى برجال قبيلة سماتة، والقائد احمد البقر، وهو وان كان من بنى عروص، الا أنه لم يتفق قط مع الريسونى، بل كـان يعارضه، وقد التفت حوله جماعته من بنى عروص، وهذا الرجل هو الذى ورد ذكره فى قصيدة نشرت فى ديوان الشفق الباكى حيث جاء فى مطلعها:

«يهـوى الزعيم (ابن عبد الكريم) حين يصعـد صاعـد»

أما قوة الريسونى فى ذات الفترة فكانت تتكو من مائتى مقاتـل رسميين محاطين به، يضـاف اليهم حوالى 400 من رجـال قبائل بنى عروص وسماتة وبنى يسف، والاخماس ممن انحازوا اليـه .

وقد استعمل المجاهدون بعض قطع المدافع والرشاشات، التـى جروها الى هناك، ومر القتال فى يومه الاول على أشده، ثم استسلم فى اليوم التالى المائتا مقاتل، الرسميون المحيطون بالريسونى، وباستسـلام هؤلاء انفض جمع الآخرين مع رجال القبائل، حيث تفرقوا فارين شذر مذر، فكانت آخر لحظة مأسوية بالنسبة لرجل عاش حينا من الدهر طليقا حرا يتصرف من دون رقيب ولا حسيب، فاستسلم للاقدار التى كانـت على موعد مع أيام حياته، حيث لفظ أنفاسه فى منفاه بتامسينت ببنـى ورياغل، بعد بضعة أشهر حيث دفن هناك رحمه الله وغفر له .

---

(1) شاهـد عـيـان .

وهنا نترك وصف مأساته للمراسل الامريكى «فنيست شيان»، الذى شهدها من أولها الى آخرها فقد قال: (1) «ودخل اخريرو، وطلب سيف الريسونى، فرفع الرجل العجوز نفسه اذ لابد أنه كان يبلغ السبعين من العمر وأشار الى المخصى الاسود الواقف الى جانبه، وتناول أخريـرو السيف، وسلمه الى معاونه القائد حسن، عندئذ غطى الريسونى وجهه باحدى طيات عمامته، (وهنا نعرض عن بعض الفقرات الجارحة التى هى من وحى غريزة المراسل الاجنبى التى كما سبق أن بينت دواعيها عندما يتكلمون عن المسلمين)، ثم قال هنا :

«ان الريسونى كانت له احدى وأربعين زوجة، وانه اختار أربعة منهن لصغرهن وروعتهن، وان أصغرهم تبلغ 14 سنة وأكبرهم 18 سنة، ثم جعل يصف الصغرى، كل هذا من تنميق الصحفى الذى يشوه الحقائق، فالريسونى اذا كانت له شدة فى سلطته، فانه كان يعتبر نفسه، ويعتـز بذلك، لانه من سلالة الرسول، له مبادىء علمية صحيحة يعرف ما يحل له من النساء، ويدل على هذا التنميق وصفه لصغرى زوجاته وصفا دقيقـا مع أن الريسونى كأى من رجال القبائل، المحافظة لا يترك الاجنبى أن يتفحص احدى زوجـاته .

«ثم استرسل شيان فى وصف المأساة فقال «كان جسده كتلـة ضخمة عديمة الشكل، فى أثواب قطنيـة بيضاء، وكانت عمامته لا تبـرح تلتف حول وجهه بثبات، وكان رأسه غارقـا بين يديه، واستند بالقسـم العلوى من جسده الى مرفقيه وشخص الينا بعينيه الخرزتين الصغيرتين اللتين تشبهان عينى أوزة متوحشة فى هضابها الاصليـة» .

«وانفجر بحنق فى وجهنا، حين جلسنا القرفصـاء على الارض، أمامه، سأل: لماذا جئتم الخ ما سبق .

«واستفسره بواسطة المترجم، ما اذا كان لديه أية رسالة الـى العالم الخارجى؟ فلم يقل شيئا» .

وقال شيان: «لم يكن هناك عبيد يقتلوننا من أجله، وكان يبـدو أنه لو كان يستطيع لامر بكل سهولة باعدامنـا» .

---

(1) صحيفتى 129 — 130 .

«ثم اندفع أخيرا يقذف كلماتـــه السريعة المتقطعة، «يستطيــع العالم الخارجى أن ينسى الريســونى، ولا يريد الريسونى ســوى أن ينسى العالم الخارجى، لقد طلبت ان أموت وأنا أريد ان أموت» .
يموت وقال «شيان» «انه يلاحظ عليه أنه شرير» .
«ورفض الريسونى أن يأكل أو يشــرب، وكرر رجــاءه فى أن يموت» وزاد شيان يقول: «وأخــذ الريسونى من قصره محمولا علــى محفة مصنوعة من الخشب القاسى، رفعت بواسطة قضبان على اكتــاف أربعة عشر حمالا أقوياء، كان يضطجع على كومة من البسط والوسائــد، مستلقيا على جانبه، بصورة نصفية، ومرفقاه يسندان القسم العلــوى من جسده، منتفخا بالحبن، بصورة تتجاوز أى شبه بانسان، وكان مخبئا وجهه تحت طيات عمامته، وكانت نساؤه الاربع من الحريم يتبعنه علــى بغــال، يحرسهن ثلاثة خصيان من العبيد، ووراءه كانت تسير 17 مــن البغال الكبيرة محملة بكنوز تازروط» .
«وعندما مر الريسونى على جمهرة من مشاهدى مأساته الاخيرة وضع نفسه على مرفقيه وصاح «اضحكوا لسقوط الريسونى، اغتبطوا بذلك، لكنه سيأتى اليوم الذى تعطون فيه مسرورين كل ما تملكون، كــى يعود من جديد وسيكون الاوان قد فات اذن، وقد فات الاوان منذ الآن، فأنا ذاهب قدما الى الموت» .
وقال غوديد فى الموضوع «وبعــد يومين من المعركة استسلــم الريسونى، ووضع فى الاعتقال ومعه ابنه خالد وابن أخته مولاى على، وسيقوا الى شفشاون، أولا ثم الى وادى لو، ومن هناك نقلوا بحرا الى كلا ايريس (بنى بويفرح) واستقبلــه ابن عبد الكريم فى محكمــة بنى بويفرح بسوق الخميس، ومنه نقل كأسير الى تماسينت، حيث توفى بعد شهــرين» .
«أما ولده خالد ومــولاى على فقد بقيا فى سنادة تحت حمايــة الشريف الــوزانى الى أن سلمهما الى الجيش الاسبــانى سنة 1926 بجبــل «دى فيلبــس» .
وزاد غوديــد قائلا «ان الــذى تكلف باحصاء وحيازة آمــوال الريسونى، وممتلكاته، وما خلفه من المعدات الحربية هما الحاتمى واحمد

بورجلة (يعنى أقيعان) وكانت تلك المعدات والاموال كما يأتى :

624 بندقية ــ 33 صندوق من الخرطوش ــ 2500 قذائف المدافع ــ 65 خيمة ــ 10700 ريالا اسبانيا نقدا وأموال أخرى منقولة».

وحسب ما قاله لى والدى (1) فانه قبل انسحاب الاسبان من شفشاون، كان هو رأس محكمة بنى بويفرح حاكما، وعندما بدأ الانسحاب وصل ابن عبد الكريم الى محكمة بنى بويفرح، وكلف والدى بأن يذهب ليكون تحت امرة أخيه على الخط الغربى، ويكون مركزه فى شفشاون، وكان يحكى على وصول الريسونى الى شفشاون، حيث مكث هناك بعض الايام وخصص له دارا مع حرمه، واعتنى به اعتناء حمده الريسونى له، واثنى على ذلك لدى ابن عبد الكريم لما وصل اليه، بعكس ما قاله عن الفقيه ابن على بولحيا، الذى صدرت منه كلمة نابية عندما رآه، وقال ان مخزونات الريسونى حملت الى محكمة شفشاون، وبقيت محفوظة الى أن حملت الى الريف، كما حملت من بعده مخزونات القائد العياشى الزلال المصورى،

النتائج الحتمية للانتصار

أولا : ان انتصار الثورة على الاخماس وعقابها، والاستلاء على تزروت واستسلام الريسونى أثر تأثيرا كبيرا فى قبائل الجبالة جميعها، فأسرعت الى الدخول فى طاعة الثورة .

ثانيا: ان ذلك أحدث ذعرا لدى الذين كانوا مطويين الى ذلك التاريخ على نزعات شيطانية ولاجل ابداء سلوك لائق مع ابن عبد الكريم، فانهم انقلبوا على الاسبان، فعم التمرد على الجيش الاسبانى وانتشر الى منطقة العرائش التى كانت الى تلك الساعة مترددة، فأمر بريمو دى ريفيرا باخلاء مشرع القلة والنفار وأمر الجنود المرابطين فى ثكناتهم على خط استيلا، بأن لا يأتوا بحركة ضد الاهالى، وانما يقبعون مدافعين فى أماكنهم .

ثالثا : وكانت نتيجة اشاعة التمرد فى القبائل أن قبيلة أنجرة التى كانت خاضعة لاسبانيا من عام 1913 تمردت هى بدورها، وبذلك عزل

---

(1) شاهد عيان .

الجيش الاسبانى فى منطقة محدودة بين سبتة وتطوان والعرائش والقصر الكبير مع ممر يربط بين هذه المدن فى حماية مراكز صغيرة، على طول الممر، الذى كان يدعى بممر بريمو دى ريفيرا، وكانت قبيلة بنى مصور خارجة عن هذا الممر، لان المجاهدين كانوا احتلوا دار القائد العياشى الزلال.

رابعا : وبذلك كانت سيطرة الثورة الريفية، امتدت على جبال الريف كلها، انطلاقا من تفريست الى ضواحى تطوان، وطنجة، وشملت قبائل بنى توزين وتمسامان والحسيمة، وغمارة وجبالة .

خامسا : وبذلك أحرزت الثورة على السلاح العصرى الذى يكفى لتقييم قيادتها تقييما عصريا صحيحا بفضل المخزونات الحربية وأدوات الاتصال السلكى واللاسلكى، وبفضل انضواء جميع العلماء والشرفاء، وزعماء القبائل تحت لواء الثورة، فلم يبق هناك بعد أسر الريسونى منازع ينازع فى سلطة الثورة، ما عدا تطوان التى كانت ترميها مدفعية المجاهدين من جبل غرغيز، المطل على المدينة، بقذائفها التى تحدث الهلع فى النفوس نظرا لوجود المركز العام للجيش الاسبانى فيها .

سادسا : وقد توجت هذه النتائج بطلب الجنرال بريمو دى ريفيرا من ابن عبد الكريم بفتح المفاوضة لاجل انهاء مشكل الغزو الاسبانى للشمال، فبعث رسولا لعجم عود ابن عبد الكريم فيما يخص اجراء مفاوضة لانهاء مشكلة الاحتلال الاسبانى، وكان بريمو دى ريفيرا صادقا فى عرض مفاوضة لاجل احلال السلام محل السلاح .

وقد تقبل ابن عبد الكريم من جهته عروض المقيم العام على أساس جلاء الجيوش الاسبانية، ورجوعها الى معقلها بسبتة ومليلية، كما لا يطالب بالساحل الاطلسى الذى يشمل مدينة أصيلة والعرائش .

وهكذا أرسلت الحكومة الاسبانية وفدا للمفاوضة تحت رياسة الاسبانى تشاباريطا وكانت له علاقة قديمة مع الريف بسبب اطماعه فى معادن الريف .

وتكون الوفد الريفى من جماعة من زعماء بنى ورياغل، من بينهم الشيخ اليزيد الذى كان تكلف بمهام الشؤون الداخلية للثورة، وحسب رواية الصحفى الامريكى المدعو مورو مراسل الدايلى تايمز أن المفاوضة



صورة تضم ابن عبد الكريم فى الوسط وأخاه امحمد، والسنيور
تشابارطا المفاوض أخذت لهما فى نفس التاريخ بمرسى اسلى بأجدير

كانت تحت اشراف الزعيم ابن عبد الكريم، ودامت مدة عشرة أيام، انتهت بوضع الصيغة التالية :

1 ـ تعترف الحكومة الاسبانية رسميا باستقلال الريف .

2 ـ تحتفظ اسبانيا بمدينتى سبتة ومليلية وتنسحب من جميع التراب المغربى الريفى .

3 ـ تترك الجيوش الاسبانية عند انسحابها من التراب المغربى جميع السلاح، بمخلتف الانواع والدخائر والادوات الحربية، وغير الحربية، لصالح الثورة، على أن يكون ابحارها من مرسى النكور بعد حشدها هناك مجردة من السلاح .

4 ـ وفوق ذلك تدفع اسبانيا للثورة نقدا بملغ 20 مليون بسيطة، كتعويض عن الخسائر الناجمة عن الحرب .

5 ـ تتعهد اسبانيا بأن تستبدل السلاح القديم الذى يوجد فى الريف، بعد احصائه فى لوائح بالسلاح الجديد الحديث .

وهكذا كانت مسودة الاتفاق التى حملها الوفد الاسبانى، مؤكدا صلاحيتها كقاعدة لاحلال السلام بين اسبانيا والريف، والتى تظهر صغتها متطرفة من حيث املاء شروط قاسية، فيما يخص السلاح والتعويضات، ووافق عليها على مضض الزعيم ابن عبد الكريم تحت ضغوط بعض زعماء بنى ورياغل، الذين انتشوا بنشوة الانتصار، بينما لم تكن لهم تجارب سياسية فى الميدان الدولى، حتى حكى القائد شراط (1) عن الشيخ اليزيد أنه ظهر فى حالة جذب أمام الزعيم الريفى، يصيح لا نقبل عثرة لاسبانيا يجب أن تخرج من مليلية وسبتة، فظهر على وجه ابن عبد الكريم امتعاض، وفى مناسبة تأليف المجلس الحربى بتركيست لخوض المعارك مع فرنسا ذكر امحمد الخطابى المصاعب التى أحدثها بعض زعماء بنى ورياغل، فى وجه فرصة المفاوضة التى عرضتها اسبانيا، ففشلت .

ولذا فعندما سأل الصحفى الاميريكى شيان مراسل مجلة

---

(1) شاهد عيان .

«شيكاغو تريبيون» الزعيم ابن عبد الكريم عن شروط الصلح مع اسبانيا أجابه بوضوح فى شروط تتلخص فيما يأتى :

1 ـ انسحاب الجيش الاسبانى من حدود الاطلنكى الى تخوم الحدود الشرقية، وتلتحق بسبتة ومليلية أو تغادر رأسا الى اسبانيا .

2 ـ اعتراف اسبانيا باستقلال الريف، فيما بين حدود طنجة وسبتة ومليلية، مع عدم المطالبة بالساحل الجنوبى لطنجة .

3 ـ على أن تتعهد الثورة بعدم الاعتراض على اسبانيا احتلالها سبتة ومليلية، اللتين امتلكتهما طوال قرون عديدة .

كما ذكر شيان «أنه كان من بين مساعدى ابن عبد الكريم رأى متطرف، لا يريد سلاما على الاطلاق، مع أى من اسبانيا وفرنسا، وفريق آخر يبحث عن السلام بأى شكل من الاشكال»، وهذا يدل عاى مدى المصاعب التى كان يلقاها الرجل، الذى يتحمل المسؤولية التاريخية الكبيرة، والذى يعرف قبل أى أحد أن الاستعمار سوف يتكالب على الثورة، بصورة أو بأخرى، ولذا كان الثقل الذى يتحمله، وهو بين هذين الرأيين عظيما .

ذلك ما وقع، فانه لما رجع الوفد الاسبانى الى مدريد، حاملا مقترحات الريف، ونشرت تلك المقترحات. احتجت فرنسا على اسبانيا بسبب دخولها فى مفاوضات تمس مصالحها مباشرة فى المغرب، وبادر المرشال ليوطى فأرسل احتجاجا صارخا الى حكومته، جاء فيه: «لا يمكن أن يكون هناك شىء أسوأ بالنسبة الى نظامنا من اقامة دولة اسلامية مستقلة محدثة على هذا القرب من فاس، دولة تجعل من عبد الكريم مركز جذب ليس بالنسبة الى المنشقين عنا فحسب، بل بالنسبة الى جميع تلك العناصر المراكشية وعلى الاخص الشبان منهم الذين اتسعت نظريتهم بنتيجة الاحداث الجديدة فى الشرق، والذين نشأت فى أذهانهم مطامع قائمة على بغض الاجنبى» .

وفضلا عن ذلك، فان كلا من ايطاليا، وانكلترا، احتجتا أيضا على المفاوضة، فاقبرت ووعدت فرنسا بمعاونة اسبانيا، لاقتناص تلك الوعول، التى أدمت الجيش الاسبانى عندما يحاول امساكها بقرونها .

الريسوني والمؤرخون

بعدما انهينا الحديث عن الجبهة الغربية فى مرحلتيها معا، نرى من الضرورى ان نضع أقوال الكتاب فى الشريف الريسونى فى الميزان، لان الكتاب سواء الاجانب الذين يعتبرون المصدر الاصلى للروايات عنه، أو العرب الذين قلدوهم وصفوه بأخطر الاوصاف، وهى اللصوصية .

من هو مولاى احمد الريسونى ؟

كلمة الريسونى تعتبر اسما عائليا مأخوذا من انتساب العائلة الى الام «ريسون» وهى عائلة شريفة محققة النسب من أحفاد عم لمولاى عبد السلام ابن مشيش يدعى يونس، وشرفها يتصل بمولاى ادريس الاكبر مؤسس أول دولة مغربية مستقلة عن الخلافة العباسية.

وتنتسب عائلة مولاى عبد السلام ابن مشيش بمن فيها اخوانه وأعمامه فيقال لهم العلميون نسبة الى جبل العلم، بفتح اللام الذى يوجد فيه أضرحتهم مزارا للمغاربة أجمعين فى قبيلة بنى عروص .

وجدتهم «ريسون» هذه هى من أحفاد مولاى على الرشيد مؤسس مدينة شفشاون، التى تكلمنا عن قدسيتها عند الاهالى، وهذه الجدة أم لكل من سيدى عبد الرحمن الشريف والسيد على بن بوحرمة ابن عيسى (1) وفى مناقبها ومدحها قال بعض الدلائيين من قصيدة نقلها ابن عساكر فى الدوحة، وصاحب درة الحجال :

---

(1) فى كتاب الاستقصاء الجزء السادس ص 57 لم يذكر بوحرمة بل ذكر على بن عيسى بن عبد الرحمن الادريسى المحمدى اليونسى وقال ان على هذا هو جد الشريف أبى الحسن على بن محمد الذى آزر ثورة محمد الشيخ بن عودة الذى انهزم بواد بهت أمام أخيه محمد ابن الشيخ وفر شريدا الى أن قتل .

ريسون كـانت أم جـد لـهـم
من أجلهـا صار لهم ذا القـدم
ودارهم دار صـلاح وتـقـى
وقدرهم فى المجد عالى المرتقى

وعلى أى حال، فان العائلة الريسونية مشهورة بالصلحاء والعلماء والمجاهدين الابرار، ومنهم مؤسس زاوية الريسونيين بتزروت، الشيخ سيدى محمد بن على بن ريسون المولود فى حدود 920 هـ. والذى تعلم العلم فى فاس، حيث كان يسكن بمدرسة العطارين، وصحب سيدى عبد الله بن الطاهر العلوى وسيدى يوسف الفاسى، وساهم فى معركة وادى المخازن، بقيادة جماعة من المجاهدين الذين انقطعوا لعبادة الله فى زاويته، ومنهم سيدى على بن ريسون المتوفى سنة 1229 هـ، والذى دفن فى زاويته بتطوان، حيث لا زالت الى الآن مزارا يقصدها جمهور المومنين مع اداء صلاة الجمعة فيها، وهو الذى وطد علاقة العائلة الريسونية مع المولى سليمان، عظيم الملوك العلويين، ومنهم سيدى عبد السلام بن على بن ريسون، الذى كان مشهورا بالسيد، وله مواقف مشهورة فى الجهاد أثناء الهجوم الاول الاسبانى على مدينة تطوان، سنة 1860 م، لما زحفت جيوشها من سبتة مكتسحة السهل الشاطىء ودخلت تطوان عن طريق بوجراح، وقد كان السيد عبد السلام يرى أن تفرغ تطوان من الاهالى والاولاد لتبقى الحرية للمقاتلين الذين يدافعون بكل أشكال الدفاع التى تتيسر حسب الظروف، بخلاف ما اذا لم تفرغ منهم، فان المقاتلين يكونون منشغلين بأهليهم وأولادهم، فى حين يستغل العدو هذه الظاهرة العائقة، وكان رأى الحاكمين ان اخلاء المدينة يكون ذريعة للجيش الاسبانى، ليستعمل الطرق الحربية لتدمير المدينة، ودخولها بالجيش، وقد تبين فيما بعد أن رأى السيد كان سديدا، فان الجنرال «أودينيل» الذى قاد حملة الاحتلال، قدم انذارا الى حاكم تطوان السيد محمد بن الحاج، الذى كان يؤازره نائب السلطان مولاى العباس الزبدى الذى وجهه السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان لشد أزر المجاهدين، وتبين فيما بعد أن الساعين فسادا وشوا بين السيد وبين نائب السلطان لدى الاخير، فلما

تدخل لديه السيد مقترحا اخلاء المدينة من الحرم والذرارى أجابه بأن عليه أن يتفرغ لتصوفه، ولا يتدخل فى غير عبادته .

واثر هذا الجواب ثارت ثائرة الشريف، وأرسل الى بنى عروص وسماتة ليحضروا بالبغال، لينقلوا عياله وعيال أصحابه، وفعلا حضروا بمائتى رأس من البغال، نقلوا عليها حرم السيد وأتباعه، بينما هم مكثوا فى تطوان يدافعون عنها .

لا يرى ما يقع من الفضائح التى ترتكب فى واضحة النهار، وقد انتفض بالبكاء، وحينئذ استصوب الجميع بمن فيهم نائب السلطان، اقتراح السيد، واسفوا لانهم لم يأخذوا به .

وبهذا يتضح أن العائلة الريسونية لا تنكر فضائلها فى رجالها الذين كانوا يشار اليهم بالبنان .

وعلى أى حال، فان الذى يهمنا هنا هو مولاى احمد الريسونى وما هى أوصافه، وهل ما تواتر عليه الذين يكتبون عن الشمال، بوصفه وعندما دخل الجيش الاسبانى المدينة هتكوا أعراض النساء وخربوا وافسدوا، مما جعل المولى العباس يضع منديلا على عينيه لكى باللص، أو لص الجبالة صحيح، أو أن الكتاب العرب اعتادوا تقليد المؤلفين الاجانب الذين يعتبرون المصادر الاساسية لهذا الوصف الدنيىء، وانهم كتبوا ما كتبوا بوحى من الضغائن الدفينة المنبعثة من تصلبه فى عدم الرضوخ لمآربهم الاستعمارية .

أما اسمه الكامل فهو مولاى احمد بن محمد بن عبد الله بن المكى، وهذا الاخير هو عم السيد عبد السلام بن على الريسونى المعروف بالسيد المار ذكره، وانه ولد فى عام 1285 هـ. فى قرية الزينات شرقى طنجة بحوالى 22 كيلو متر، وانه تعلم القرآن فى الكتاب بالقرية ثم انتقل الى أبناء أعمامه بقبيلة بنى عروص، لمتابعة دراسة مبادىء النحو والتوحيد، ثم حاول دراسة قراءة السبع، الا أنه لم يتبحر فيها ثم رحل الى وزان لنفس الغرض، أما أبوه فكان يتردد على تطوان من الزينات، حيث كان له هناك أعمامه ومنهم السيد، وحضر الى جانب السيد معركة دخول اسبانيا الى تطوان، وطيلة المعركة كان بجانب عمه السيد، وقد

توفى فى تطوان، وخلف ولده مولاى احمد صغيرا، وقد شب كأحد رجال البادية مفتول الساعد، قوى العضلات، تستهويه المغامرات التى جعلها هوايته المفضلة، وقد ساعدته البيئة التى يعيش فيها، والجو المشحون بالفوضى القبلية التى استغلها الى حد كبير، لغرض سيطرته على قبائل الجبالة، التى رويدا رويدا أصبحت تعتقد فيه أنه الرجل الوحيد الذى يلم شعثها ويجمع شتاتها، وقد تمكن بذلك أن يكون متزعم قبائل بنى عروص وبنى مصور، ووادراس وبنى يدر وبنى حسان والاخماس وسماتة وبنى كرفط، حتى جعل يستعمل مع القبائل أسلوب المتسلط الذى لا يقرأ الحساب لسلطة عليا فكان يسخر القبائل فى البناء وصنع مواده، كالجير وغيره، وحملها على دوابهم الى حيث يبنى داره بالزينات مثلا، واذا امتنع أحد لقى منه عذابا موجعا، وفى هذا الحال فانه أصبح يستبد بأمور القبائل عن الدولة الامر الذى جعل خصومه يتكاثرون، ويستغلون استبداده، لكى يرفعوا الشكاوى الى البلاط الملكى محذرين اياه بمغبة التغاضى عليه، حتى يستفحل أمره، مذكرين بثورة غيلان ببنى كرفط (1) وزيطان (2) بالاخماس .

---

(1) يدعى أبا العباس احمد الخضر غيلان من قبيلة بنى كرفط ذكره الاستقصاء ص 27 ج 7 طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء بالعنوان التالى «ثورة المقدم غيلان ببلاد الهبط» ثم ذكر أنه كان من أتباع المجاهد العياشى نزيل سلا (وقد حلى هذا فى الاستقصاء ص 24 ج. 6 بولى الله المجاهد) وفى أيامه كان غيلان مقدما على الغزاة ببلاد الهبط (وكان يطلق هذا الاسم على شواطىء الاطلسى، ما بين سبتة والقصر الكبير وما حولهما من القبائل) ولما توفى المجاهد العياشى استبد بالامر فى هذه النواحى ثم بدا له أن يغزو فى حوالى 1263 هـ. قصر كتامة (القصر الكبير) واعتبر بذلك خارجا عن الدولة وسمى ثائرا بالمعنى المتعارف فى ذلك الوقت من مرادفة الثورة للتمرد. هذا وانى وقفت بواسطة القاضى السيد احمد غيلان من نفس العائلة على رسم صداق لولد الخضر غيلان ويدعى السيد الطاهر مؤرخ بـ 1277 هـ. تزوج بموجبه بحظية من حظايا السلطان مولاى

وعندما تكررت هذه الشكاوى كانت النتيجة أن أمر السلطان مولاى عبد العزيز، النائب السلطانى بطنجة السيد الطريس، بأن يلقى عليه القبض بأية طريقة كانت، والا فانه مسؤول عن العواقب الوخيمة التى تترتب على تركه حرا .

وقد استعان النائب الطريس بباشا طنجة السيد محمد بن عبد الصادق الذى كانت له علاقة صداقة مع الريسونى .

وفى الموضوع قرأت للكاتب الباحث الاستاذ محمد الخطيب التطوانى محاضرة قيمة فى حياة هذا الشخص، ولعلها تكون تعبيرا

اسماعيل باذنه المولوى تدعى تلك الحظية رقية بنت عبد السلام بن محمد غيلان، وقد حلى هذا الرسم الخضر غيلان بقوله «ذى الراية الجهادية المنصورة، والمآثر الناطقة الشاهدة المشهورة، والمساعى الجميلة المشكورة، الجامع بين النسب الطاهر، وبين بذل النفس فى جهاد العدو الكافر، سيدى احمد المدعو الخضر بن سيدى عمر غيلان .

(2) ذكره فى الاستقصاء ص. 94 ج. 8 وعنون له «بثورة محمد بن عبد السلام الخمسى المعررف بزنطان بالجبل» .

وذكر بأنه لما كانت سنة 1208 هـ. ثار بقبيلة الاخماس، من جبال غمارة، فاجتمعت عليه سماسرة الفتن من كل قبيلة، وكثر تابعوه ثم قال ولما شرى داؤه بعث السلطان (مولاى سليمان) بجيش الى القائد الغنيمى، وأمره أن يقصد زيطان وجمعه، فزحف اليه ببلاد غصاوة قرب وزان .

وعقب بعد ذلك فقال: واستنز له المولى الطيب بالامان فظفر به، وبعث به الى السلطان، فأمضى أمانه، وولاه على قبيلته، وصار من جملة خدام الدولة ونصحائها ... وحكى أنه كانت له اليد الطولى لصالح دولة المولى سليمان عندما خرج عنها المولى ابراهيم بن يزيد الى ءاخر ما جاء فيه مما يدل على انابته انابة خالصة وانه ورد على السلطان بطنجة وكان شيخا تقدم به السن فأحسن اليه احسانا بمالا مزيد عليه .

باختصار عن فهم عقلية الرجل، ونحن ننقل منها فقرات مع ملاحظات تخص بعض الحقائق الطفيفة التى لا تمس جوهر الموضوع، فقد جاء فيها:

«وفى شمال المغرب شهدت الحكومة ما أفزعها، وما أقدم عليه مولاى احمد الريسونى من اثارة الفتنة وتقويض بعض الاطمئنان الذى عرفته المنطقة، وبالضبط فى جبل الزينات على بعد 70 كلم من طريق طنجة (لا تبعد الا بحوالى 22 كلم) حيث ولد رجل القصة سنة 1868 م موافق 1285 هـ. اعنى فى أواخر عهد الملك محمد الرابع، من عائلة ريسونية، تمتاز بالتقدير، وتعد قبيلة بنى عروص موطنها الاصلى، وقد اجمعت الروايات على أن مولاى احمد كان على جانب كبير من الذكاء والجدية، وكان تعلقه بالمغامرة يشكل التطلع الكبير فى حياته، وقد اكتسب صداقة كثير من الناس، بالاخص الفقهاء الذين اعجبوا به، وانتقل الى تطوان بعد أن توفى والده (لم يسكن قط فى تطوان) ومنها الى طنجة (لم يسكن بطنجة وانما انتقل اليها عندما احتل الجيش الاسبانى مدينة أصيلا، ومكث فى الجبل الكبير لمدة عشرة أشهر)، لكنه عاد الى قرية الزينات بعد وفاة والدته (حقا ان والدته مدفونة بطنجة الا أن وفاتها تأخر عن مكوثه بالجبل الكبير بطنجة)، وقد كان متفهما الى حد ما لاحداث الساعة التى تدور حوله رغم محدودية ثقافته، وتسوق النوادر عدة حكايات عن حياته تبرز فيه سخاءه وكرمه، واذا انطلق فى مغامراته ملأت أصداؤه أرجاء المغرب، وانتشر الفزع فى نفوس السكان، وأصبح اسمه على كل لسان، وهكذا زاد اعتداده بنفسه وطموحه فى الاستلاء على السلطة، فأصبح يسخر لاجل ذلك حياة الرجال الذين يحيطون به، والذين جمعهم حب الاستغلال والوضعية المزرية التى تعيش تحت ظلها البلاد، فما كان من الحسن الاول الا أن أصدر أمره الى باشا طنجة (بل النائب الطريس الذى استعان بالباشا ابن عبد الصادق) بالقاء القبض على هذا المتمرد، وشجع ذلك الريسونى على المضى فى تهديداته رغم احتجاجات السلطة، ومع فشل المحاولة الاولى أصدرت الاوامر من جديد بالقاء القبض على رأس الفتنة وانزال العقوبة به .

(وكان السلطان وضع النائب الطريس أمام مسؤوليته اذا لم يلق القبض عليه) .

وفطن ابن عبد الصادق الى أن القوة لن تنفعه فى شىء، فالتجأ الى الحيلة طالبا مقابلة الريسونى عن طريق أحد أعوانه، وهو الحاج العربى المعلم الذى أغرى الريسونى بثلاث بنادق (1) فازداد هذا الاخير تعلقا بمقابلة الباشا والح على ذلك كثيرا، (وكان النائب الطريس ربما اتهم ابن عبد الصادق بالاستخفاف بأوامر السلطان نظرا لصداقته للريسونى) وكانت هذه مناسبة لالقاء القبض عليه، وأودع السجن وأرسل مكبلا الى سجن الصويرة حيث مكث هناك ست سنوات، حاول مرة الفرار، لكن محاولته باءت بالفشل بعد صدام عنيف ذهب ضحيته أربعة أشخاص .

وقد طالب الوزير الطريس من المولى الحسن أن يتفضل بالعفو عن الريسونى تقول عائلته (أن الذين تدخلوا لطلب العفو هم أعيان الشرفاء العلميين الذين اتصلوا بالحاجب أبا احمد بنموسى الذى صرح لهم بأن النائب الطريس لم يرد اطلاق سراحه الا بعد أن تكون هناك ضمانات كافية لعدم رجوعه الى تمرده، وهكذا بقى الريسونى مسجونا الى أن توفى بنموسى عام 1318 هـ وارتقى مولاى عبد العزيز الى الملك عام 1894 م فأعاد الشرفاء العلميون مسعاهم لاطلاق سراحه بالاستعانة بالسيد العباس الفاسى الفهرى الذى تدخل لدى السلطان فأطلق سراحه) .

ان طبيعة المعاملة التى لقيها فى السجن خلفت أثرا للخنق فى دمه على السلطة، وبعد العفو عنه عاد من جديد الى أعماله، خصوصا بعد أن تجاهلته الحكومة، وانتزعت منه أرضا كان يملكها (بعد سؤال أعيان عائلته لم يعرفوا هذه الارض ولا كيف نزعت منه)، فالتجأ الى اخواله فى تزروت (ليس له أخوال فى تزروت وانما يوجد هناك بنو أعمامه) وأعلن عصيانه مرة أخرى، (التجاؤه الى تزروت كان بعد ما بعثت الدولة بالباشا بوشتى البغدادى على رأس حملة تقدر بـ 20 ألف رجل،

(1) يقول سيدى التهامى الوزانى فى كتابه تاريخ المغرب ــ الجزء لث ص. 142 بأنه أغراه بمشيخة قبيلة مقابل ستة آلاف ريال يدفعها الريسونى فجاء الى طنجة وقبض عليه وسلمه للسلطان .

وعسكر قبالة الزينات بكدية سيدى العربى بقرية الكوارت من فحص طنجة وبعدما لم ينل منه منالا، انتقل الى تزروت محل زاوية العائلة الريسونية)، وعزز جانبه برجال القبائل (من أهمها قبيلة وادراس وبنى عروص) التى انضمت تحت لوائه، وبدأ ينظم الحملات فيما بين أصيلا والقصر الكبير، ومع ظهور حركة تمردية أخرى يتزعمها أبو حمارة الجيلالى الزرهونى فى الريف دخلت البلاد مرحلة الفوضى وعم الفزع بشأنها، ولا نعلم فيما اذا كان هناك ارتباط بين الحركتين، لكنه بالتأكيد كانت هناك يد تعمل فى الخفاء من أجل تقسيم وحدة البلاد، ونستنتج هذا من افشال حملة النجدة الحكومية التى كانت تهدف القضاء على حركة بوحمارة (ليس هناك أى دليل على أن الريسونى له ضلع مع بوحمارة، بل لم يرد فى أى مصدر من المصادر التى بحثت قضية بوحمارة، وكذلك قضية الريسونى، الذى يعتبر تمرده من نوع آخر، وهو حب السيطرة على قبائله من دون منازع، وليس هناك ارتباط بين فشل حملة النجدة مع تمرد بوحمارة الذى أعلن نفسه سلطانا باسم محمد بن الحسن، على أن الذى يفهم من الحملة التى فشلت انها ليست الحملة التى تهدف للقضاء على حركة بوحمارة، بل الحركة التى وجهت للقضاء على تمرد الريسونى بقيادة بوشتى البغدادى أولا، ثم بقيادة الامرانى ثانيا بدليل ما بعده) وهكذا تمردت القبائل المجاورة بعد هزيمة الحكومة وأعلنت انضمامها الى الحركة الريسونية، والقت الفرق التابعة للريسونى القبض على مراسل جريدة التايمس ـ السيد هاريس ـ الذى كتب فى مذكراته عن رحلات الصيد التى كان يقوم بها (يلاحظ أن الذين القى عليهما القبض فى رحلة الصيد هما «ريون برديكاريس» و «فارلى كانا» .

وكذلك عن الحركة التمردية التى اتسعت رقعتها فى الشمال، وكضرورة لقمع هذه الحركة توجهت الحملة ضدها بجيوش يقدر عددها بـ 40 ألف جندى فى الوقت الذى كانت فيه قوات الريسونى لا تزيد عن ثمانية آلاف من الانصار، الشىء الذى جعله يتفادى الوقوع فى أى اشتباك، وعمد الى حرب العصابات، واختطاف الاجانب والامتناع عن اطلاق سراحهم، كطريقة لكسب الاموال، واثارة للرأى العالمى، وهكذا كان الضغط من الخارج والتآمر على البلاد بين انجلترا وفرنسا واسبانيا،

وتم الكشف عن حقيقة ما كان يعانيه المغرب من تآمر خارجي في مؤتمر الجزيرة الخضـــراء .

ولم يكتف الريسوني بذلك بل زاد في المشاكل لكي تزداد الضغوط الخارجية، وفي الداخل كانت الازمة تستفحل مع حوادث الدار البيضـــاء عندما اقتحم السكان محلات سكنى الاجانب، وتعرضت مدينة أصيـــلا لنفس الازمة، فطلب الطريس وزير الخارجية آنذاك من الريســـوني أن يتدخل من أجل اعادة الاطمئنان الى المدينة وناحيتها، ففعل واستفاد من ذلك بضم أصيلا ونواحيها الى حظيرتـــه .

وقد عمل مؤتمر الجزيرة على اجلاء الريسوني (كان الريسوني كتب رسالة يحتج فيها على قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء (1) القاضية بادخال الاصلاحات على المغرب التي منها مدن الشواطىء الاطلسيـــة وهو أمر يحد من سلطته) فأصدر الملك (مولاي عبد العزيز) الامر مـــن جديد بعزل الريسوني مما اضطره الى الفرار، والتجأ الى تازة محتميا بصديقه العياشي الزلال (قرية العياشي الزلال هي «بوغابش» من قبيلة بني مصور وليس هناك محل يدعى بتـــازة ولعله غلط مطبعي) (وكـــان الزلال يعتبر المترعم الثاني في قبائل جبالة من ناحية الجاه والسلطة، الا أنه لم يتعد قبيلته) وأعلن عصيانه فاستمر الشريف الامراني في مطاردته عن طريق العنف لاكن الضابط الانجليزي ماكلين الذي كان يدرب الجيوش آنذاك طلب العفو عليه من لدن السلطان، فانسحبت القوات التي كانـــت تحاصره تمهيدا لالقـــاء القبض عليه .

وقد فطن هو لذلك بعد أن توصل برسالة من السلطان كان قـــد بعثها الى الباشا (أي باشا طنجة ابن الصديق) وأخرى اليه لكنها اختلطت على الضابط الانجليزي (يظهر أن الانجليزي هو الذي حمل الرسالتـــين) فقدمهما للريسوني وهي تفضح اللعبة التي كانت تدبر له، وهذا ما دفع به الى أن يراجع ظروفه بامعان، وكان اعتصامه بالجبل من جديد، وأسره للضابط الانجليزي الذي تقاضى مقابل اطلاق سراحه 20 ألف جنيه من الحكومة البريطانيـــة .

---

(1) كتاب بطـــل الريف صحيفـــة 80 .

ونتقلد بعد ذلك الريسونى باشا مدينة أصيلا (يحتج افراد من أعيان عائلته على لفظة الباشا ويقولون أنه كان واليا على أصيلا وجميع قبائل الجبالة (ولكن هذا الفهم لكلمة باشا غير صحيح، فالباشا فى ذلك الوقت يرادف الوالى وليست مختصة بالمدينة فقط، كما هو جار بعد تنظيمات الحماية، ويدل على ذلك ان القائد احمد الريفى كانت له سلطة على نواحى الشمال، ومع ذلك فكان يسمى القائد ويسمى الباشا) .

ثم شهدت أصيلا سلسلة أخرى الى أن قامت الثورة الريفية فى مدينة أجدير التى ألقت القبض على الريسونى ونقل على النعش أسيرا فى يدها .

وهكذا أسدل الستار على مرحلة الفوضى التى عرفتها الامة المغربية، والتى كان بطل أزمتها مولاى احمد الريسونى» انتهى نص المحاضرة .

وعن المرحلة الاخيرة من حياة الريسونى التى صاحبت الفترة التى أعقبت انسحاب الجيوش الاسبانية من جميع المواقع الامامية فى جبالة وشفشاون، اثر موقعة أنوال التاريخية، فقد تكلمنا عنها نحن من جهتنا سابقا، اعتبارا للتسلسل التاريخى الذى التزمناه، ولكن نظرا الى أننا نضع أقوال الكتاب عنه فى الميزان، فلابد من الاشارة هنا الى حياته الحربية فى تلك الفترة، لتكتمل العناصر التى نتوخاها وما اعترى صحته من داء الحبن التى تورمت ذاته السفلية فتشقق لحمها ترشح بالماء .

بعد معركة أنوال التى تبخرت آمال الاسبانيين فى الانتصار فى شمال افريقيا، قامت بانسحابها من خميس بنى عروص الى مواقعها القديمة، حيث تنفس الريسونى الصعداء ومن معه، وقد هرعوا من مخابئهم فى ادغال جبل بوهاشم الى ديارهم، التى وجدوا جلها انقاضا خاوية على عروشها، وقد حمل الريسونى معه من تلك المخابىء الارضية تحت رحمة صقيع الثلوج ادواء من نصفه السفلى، الذى أصيب بداء عضال، نتيجة للمآسى الصحية التى تكبدها، وهو فى سجن الصويرة معرضا لرطوبات الجدران المكبل اليها، وقد أيقظتها بصورة مزعجة الآن ثلوج جبل بوهاشم، حيث لا وطاء ولا غطاء، وهو فى سن متقدمة واهية .

ورجع الى داره طريح الفراش، لا يجد راحة الا عندما تعلق رجلاه بواسطة خيوط مثبتة فى أعمدة السقف، لكى لا تخدش لحمه الذى تكتسح شقوقا، واذ قد وصل المرء الى هذا الحد، فان نشاطه الحربى يكون قد كل نهائيا، ولذا فان اعتصامه بتزروت الى أن هاجمه رجال الريف لاخذه محمولا على نعشه الى أجدير، لم يكن بوحى من التمرد بمعناه الصحيح، وانما كان ذلك بداعى العظمة التى جعلته يتنطع رغم بلوغ السيل الزبى، وقد وصفه ابن عبد الكريم فى مذكراته «كان الريسونى أنانيا جشعا، لا يهمه الا نفسه وحده» (1) وهذه الانانية ظاهرة سيطرت على تصرفاته، ويظهر أنها موروثة من لدن الجدة «ريسون» التى استطاعت أن تنفرد لنفسها بنسب العائلة، ضاربة عرض الحائط بما هو مألوف من نسب العائلة الى الرجل، على أن هذه الظاهرة ملموسة فى جميع أحفادها الذين يغلب على طبعهم الطموح .

وعلى كل حال فان من الطموح ما يعمى ويصم، وهذا ما وقع لمولاى احمد الريسونى، فقد عاش حوالى 30 سنة وهو يتحكم فى رقاب قبائل جبالة، وقد جربت معه الدولة المغربية وسائل الرضوخ لسلطتها فلم تفلح، كما جربت معه اسبانيا شتى الطرق لكسبه الى جانبها بالاغراء، ولكن بقى فى معقله حرا طليقا، يعصوصب حوله القبائل الجبلية بأسرها تارة، وينابز بعضها تارة أخرى، عندما تنقلب عليه بداع من الدواعى التى جبلت عليها طباعها من كثرة تقلباتها، ولو لاتفه الاسباب .

ومما جاء عن كاتب اسبانى نشر فى كتيب بعنوان «عشرون سنة من التاريخ» باللغة الاسبانية سنة 1911 «استولى سلفسترى على العرائش وكان بدرجة كرونيل، وكان الاحتلال بمعاونة الريسونى نفسه، ثم احتل القصر الكبير، ثم ظهر خلاف بين سلفسترى والريسونى، بسبب الأعمال الوحشية التى يقوم بها الريسونى ضد الاهالى، وهذا الاخير يسمى عند الاسبان «خرباطو» وكان شجاعا ذكيا دبلوماسيا ماهرا، غير ان خداعه وعدم تمسكه بالوعود وتقلباته جعلت الجنرال (سلفسترى) ينسك فى ولائه لاسبانيا، وذات مرة جرت بينهما محاورة شادة، فقال

---

(1) كتاب عبد الكريم أمير الريف .

الريسونى للجنرال «أنت تمثل العاصفة وأنا أمثل البحر، فأما العاصفة فانما تهز المياه هزا، ثم تندثر، أما البحر فيمكث ويستمر» .

«ورغم أن الجنرال كان يمنى الريسونى بتوليته خلافة السلطان بالشمال، الا أنه لم يطل أن احتدم خلاف نشأت عنه حرب بين اسبانيا والجبالة بقيادة الريسونى، وذلك عندما احتل سلفسترى مدينة أصيلا بدون اذن من حكومته» .

واذا كانت علاقة قبائل الجبالة معه على هذه الوتيرة، فانه يكون معذورا حين يستعمل القساوة المتناهية لكبح جماحها، وهو الرجل الخريت فى شؤونها بمقتضى احتكاكه المستمر، وقد تصل قسوته معها الى الموت خنقا اذا اقتضى ذلك ردع الباقى، واذا كانت أحواله بهذه المثابة، فانه يصعب عليه ان يخضع لاول وهلة، ويستسلم لاهل الريف، الذين نبشوا معقله بالمدافع والقنابل، حينما كانت قوته متداعية، فكان عليه أن يصمد للنكبات التى ألفها، والتى جعلت من قلبه قطعة فولاذية، لا تأخذ منه الاحداث مهما قست، وحينما يكون المرء لا يبالى بالحياة، فانه لا يتحاشى أن يطلق سيلا من الشتائم يقذف بها فى وجه أعدائه المتغلبين، ذلك ما رواه المراسل الامريكى «فنسانت شيان» الذى كان شاهد عيان لاستسلام الريسونى، اذ قال: «وانفجر بحنق فى وجهنا، حين جلسنا القرفصاء على الارض أمامه، سأل: لماذا جئتم الى؟ لقد قلت انى لا أريد أن أرى كائنا من كان، لست أريد سوى الموت، لقد طلبت أن أموت، فأنا لا أريد أن أكون أسير الكلاب وأبناء الكلاب» (1) .

ثم زاد قائلا: «يستطيع العالم الخارجى أن ينسى الريسونى ولا يريد الريسونى سوى أن ينسى العالم الخارجى، لقد طلبت أن أموت لماذا لم يقتلونى فى الحال؟، لن يكون الريسونى أسيرا قط وعبدا للكلاب فى المكان، حيث كان الريسونى يسود، لقد أخذوا جوادى وسرجى فليأخذوا ما تبقى» .

«وقد رفض أن يأكل أو يشرب وكرر رجاؤه فى الموت» .

---

(1) لا يمكن تصديق ما رواه مراسل أجنبى ينمق كلامه فى مراسلاته وبالاخص فى العبارة مثل هذه .

«وحين مر محمولا على أكتاف أربعة عشر من الرجال الاقوياء فى محفة من الخشب، على أنصاره الاربعمائة الذين آزروه الى آخر مرحلته القاسية، فاغرين أفواههم دهشين للصدمة التى أصابتهم، فلم يستطيعوا أن ينبسوا ببنت شفة، قال لهم بسخرية البائس المحطم «اضحكوا لسقوط الريسونى، اغتبطوا بذلك، لكنه سيأتى اليوم الذى تعطون فيه مسرورين كل ما تملكون كيما يعود من جديد، وسيكون الاوان قد فات اذن، ولقد فات الاوان منذ الآن، فأنا قادم منذ الآن الى الموت» ويقول مراسل التايمز «هاريس» أنه رفع التماسا أخيرا يطلب فيه الابقاء على حياته، على أن يلتزم بطاعة ابن عبد الكريم» .

وعلى أى حال، فانه الى هذا الحد قد استعرضنا مختصرا لجوانب الاحداث التى صاحبت حياة هذا الرجل كما مرت، وحاولنا أن تكون غضة طرية، بحيث عرضناها على حالتها التى مرت من دون أن يصحبها تنميق أو تحريف، ولم يبق من تلك الاحداث الا جزءها الاخير — أى من سنة 1920 الى غاية سقوطه فى 24 يناير 1925 م، وهو جزء قدمنا دوره التسلسلى بعد معارك الجبهة الشرقية التى ابتدأت بالذات من معركة «ادهار ابران» بتمسامان بتاريخ 31 ماى 1921 م، الى حين سقوطه أسيرا ويهدف هذا الغرض الى اقامة توازن بين العناصر التى تدين الرجل وتجعله فى صف المتسلطين القساة، وبين العناصر الاخرى الصالحة التى ترى جماعة من العائلة الريسونية أنه كان وطنيا مناضلا يستهدف الصالح العام، حتى قال أحد أفراد تلك الجماعة وهو السيد احمد بن الامين الريسونى نقيب الريسونيين فى نشرة طبعت بتاريخ 1966 م، «أننا سنتبع هذا البحث البسيط بحول الله بتقرير آخر نقتصر فيه ان شاء الله على ذكر آخر نقيب ما قبل الحماية أيام المغفور له مولانا عبد الحفيظ، وهو عامله زعيم الجبل المجاهد العظيم عمنا المقدس احمد بن محمد الريسونى» .

ولعلنا نجد فيما تقدمه عائلته فى هذا الباب ما يقنع المؤرخين مدعما بالحجج التاريخية، وبخصوص ما يتعلق بالعناصر الاولى من أن المتتبع لما كتب عنه فى هذا المضمار، يقتنع بأن المصدر الاصلى لذلك كله هو الكتاب الاجانب، وان كلمة اللصوصية جاءت تعبيرا منهم فى حقه

بوحى الاحقاد التى ملاءت أفئدتهم، لانه عمد الى اختطاف الاميركيين ريو برديكاريس وفارلى كانا، واختطاف مدرب الجيش المغربى هارى ماك والمستشار السلطانى، وانه احتفظ بهم، لابتزاز فدية ضخمة من المال. ولانه لعب دور الخديعة مع الجنرال «خردانة» الذى حصل منه على مال وسلاح.

واذا كانت هذه هى اللمزة التى يلمز بها حتى وصف بما وصف به، فان الامر لا يعدو أن يكون من حد قولهم الحرب خدعة، فله مندوحة فى استعمال كل الاساليب التى تحدث تأثيرا لدى أعدائه وأنصاره على السواء، لتقوية مركزه معنويا وماديا، فاذا كانت أعماله هذه دعيت سرقة، وهى جريمة قد تكون عادية فى ظروف الحرب، فما هى الاوصاف التى يكيف بها سرقة الوطن بأسره، وبتواطىء أمم كاملة مع سبق الاصرار بمؤتمراتها، وحشد جيوشها، لاجل ارتكاب جرائم التقتيل، وهتك الاعراض، واتلاف الاموال بالدمار والخراب، ثم فوق ذلك سرقة السيادة الوطنية، وعلى هذا المنطق فمن هو الاولى بوصف اللص الخسيس، ان المنطق يبدو غير سليم، لانه يتسم بحيف فضيع حيال رجل استعمل كل حقه فى أن لا يطأ أجنبى منطقة نفوذه فى حالة عدم الترخيص له، وحينما وجد أمريكيين متلبسين بالدخول السرى بدون جواز مرور، نلومه لانه احتجزهما عنده الى أن أديت فدية سراحهما، كما احتجز انجليزيا عندما ذهب اليه فى عقر داره يحمل اليه رسالة القاء القبض عليه، والتى مكنته الاقدار الالهية بها، حيث غلط فقدم رسالة القاء القبض عليه الموجهة الى باشا طنجة وترك الرسالة الاخرى، التى تحمل خديعة عبارات الاطمئنان، ولم يطلق سراحه الا بعد الفدية أيضا.

ان المنطق السليم يقضى بأن الرجل لم يستعمل الا حقه المشروع فى كلتا الحالتين، وما هى اللصوصية اذا؟.

أما اذا كانت اللصوصية، بأنه اغتصب السلطة فى قبائل الجبالة واستبد بها، وقد ألقى القبض عليه من طرف الدولة المغربية لاعمال العنف والشغب، فان الدولة نفسها أطلقت سراحه، وارجعته الى حيث هو متسلط، فبماذا يفسر عمل الدولة هذا ازاءه ؟.

وأما اذا كانت اللصوصية أيضا انه تمكن من الاستيلاء على مال

ومعدات من الجنرال خردانة، أو من عملاء ألمانيا، فان الامر هذا سائغ فى ذلك الوقت، بل أن خديعته الحربية ضد خردانة كانت خدعة الشهم الذكى، الذى يطرق كل المسالك المؤدية الى اضفاء المعنوية العالية على أنصاره فى حين يحطم معنويات الآخرين، وذلك ما وقع، فقد سقط وراء مكتبه جثة هامدة، لانه لم يتحمل قلبه الصدمة العنيفة .

أم أن هناك حالات تعتبر من العناصر التى سلكها فى اخضاع السكان لارادته، وتقوية سلطانه بالوسائل البدائية، وكمثال لذلك نستعرض هنا ما أورده المؤرخ الانجليزى الدكتور «ليرد» (1) ليعطى صورة واضحة عن السلوك الذى كان يتبعه فى تقوية تلك السلطة (الترجمة للاستاذ عبد المجيد بن جلون ــ العلم بتاريخ 13 أكتوبر 1973 ــ)، فقد قال يخاطب نفسه «هل ترى ذلك العربى القصير القامة رث الثياب الذى يقف هناك بالقرب من حماره، ذلك الرجل المصاب بندبة فى مؤرخة رأسه، يقال أنه قتل عديدا من الرجال، لم يقتل مثله أى رجل آخر فى طنجة، فكيف يكون مطلق السراح؟ أظن اننى لم أفهم، انه من أتباع الريسونى، شىء أسمعه، وقد ارتكب اغتيالاته لمصلحة رئيسه، وهذا شىئ اسمه الولاء، أجل كان قد زج به فى السجن ربما لمدة أربعة أسابيع، فهل تعتقد أنه رجل خطير مطلق السراح؟ كلا على الاطلاق، فهو لا يقتل خبط عشواء، ولكن اذا أراد الريسونى ازالة أحد من الوجود، فانه بالطبع، وهم يقومون بنفس العمل على كل حال بالنسبة لاصدقائه كما حدث لرجل كان وكيلا للريسونى فى طنجة، حينما كان حاكما منذ سنوات خلت، وقد رافقه منذ فترة قصيرة فقط، وهو واقف فى الشارع بالقرب من بناية عالية، وكان يتحدث الى مغربى آخر، ثم أقبل مغربى ثالث فى هدوء وأطلق عليه النار من الخلف، نعم فان الرجل الذى كان يتحدث اليه شريك فى المؤامرة كان يشغل انتباهه، وانتهى كل شىء فى فترة ساعتين، واستطاع القاتلان أن يفرا على عجل، وخلال الساعتين كان القتيل قد دفن وطواه النسيان، ولقد تربصا به فترة طويلة من الزمن» .

---

(1) وان كان هذا المؤرخ أجنبيا أيضا الا أن مثل هذه الحالة متواترة عند السكان .

على أنه فى علاقاته مع خردانة فى أول الامر حسب ما جاء فـى كتاب تاريخ المغرب سيدى المهدى الوزانى (1) كانت علاقة مربية مـع الجيش الاسبانى، فقد مهد له للاستــلاء على مواقع هامــة، وبالاخص فندق عين الجديدة ومركز مدشر البيوت بأنجرة، حيث عمد الريسونــى انى تسديد فوهات البنادق التى أخذها من خردانة الى صدور المجاهدين فى هذا المركــز .

ثم اعراضـــه عن نداء الضمير عندمـا ظهر فى أفق المشرق مــن منطقة انبــلاج فجر ساطع يقتحــم نوره الوضاء ظلمات الليل الطويــل الحالكة؟، والذى كان من المحتم عليه أن يضم صفه الى صف المناضلين الذين أحيوا عزة الجهاد فى الريف، ولماذا احتجب عن الرد على توسلات الزعيم ابن عبد الكريم، التى طلبت منه أن يضم عصاه الى عصاه كــى لا تتكسر الواحدة تلو الاخــرى .

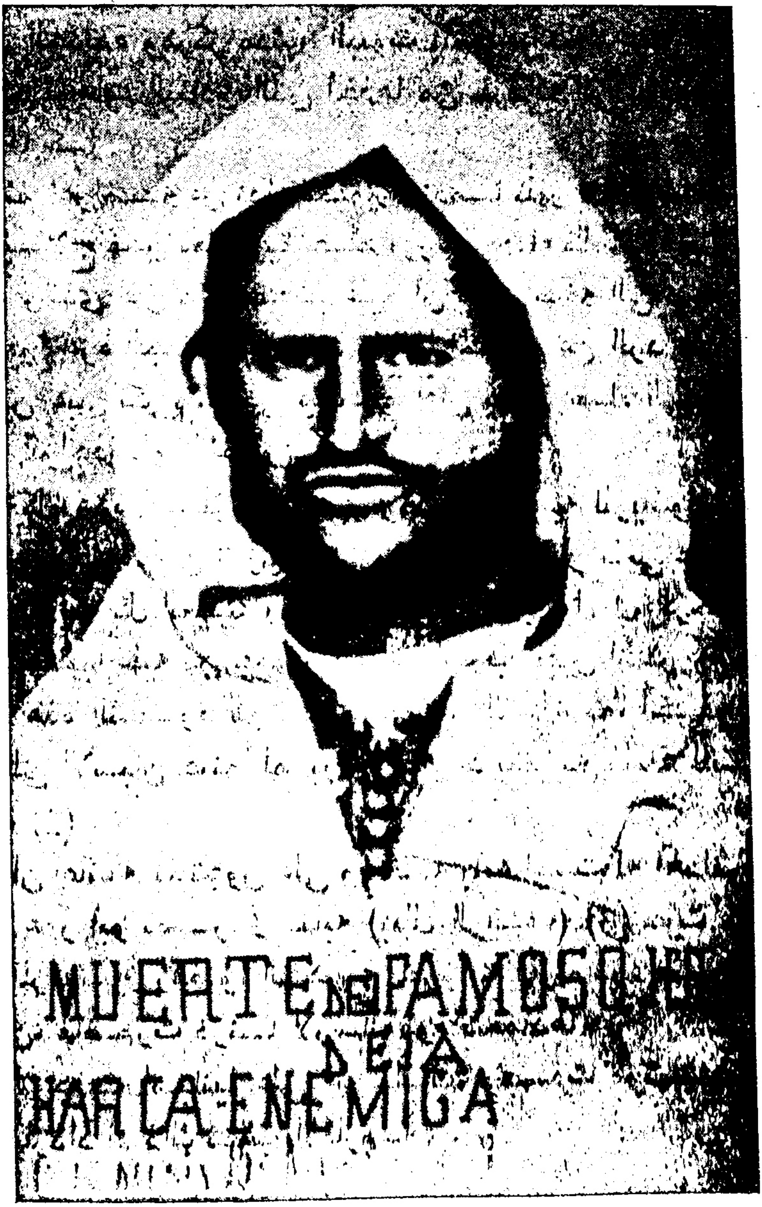
فكل هذه التساؤلات تعتبر وصمة بالنسبة للريسونى وقد نجد له عذرا فى الاخيرة، بأن تكون خانته فيها فراسته أو طغى عايها الانانية، التى هو العيب كل العيب، والمرض الدفين الذى قتل فى الرجل حسناته، فأصبح مغضوبا عليه من جمهرة الكتاب العرب الذين اسقر رأيهم علــى أخذه عن هذه الشهــوة الجامحة، والغرور القاتل، كما أخــذوا عنه أنه يغضب على الاسبان حينما لم يوفوا بالوعد بتعيينه خليفة للسلطان فى الشمــال (2) .

ان عائلته يحتجون على وصفــه بأنه ليست له أهداف وطنيــة بما حكاه عمر أبو نصــر فى كتابه (بطل الريــف) (3) حيث جاء فيــه: «ولاكن المراكشيين رفضوا الخضوع لمقررات المؤتمــر، فثاروا بزعامــة الريسونى، فاضطرت فرنسا لارسال قوة لاخمادها» .

«وجاءت اسبانيا على اثر ذلــك، وحسدت قوتها، من مليليــة وسبتة، فازداد اذ ذاك شغب المغاربــة» .

---

(1) صحيفــة 152 ج. بع .
(2) تاريخ سيدى التهامى الوزانى صحيفة 149 .
(3) صحيفة بع 8 طبعة ــ المطبعة الوطنية ببيروت عام 1934 .



المجاهــد الشريف سيدى محمد أمزيان القلعى

ويبدو من هذه النصوص التى جاءت فى كتاب «بطل الريف» أن عمر أبا نصر لما كان بعيدا عن المغرب، لم يحدد معلوماته بتدقيق، فأطلقها جزافا، والا فان المغاربة كلهم ثاروا فى جميع الجهات بزعماء محليين، قادوا ثورات مختلفة على فرنسا واسبانيا، ولم يكن لهم ارتباط بالريسونى .

فالزعيم الخالد سيدى محمد أمزيان الشريف القلعى حارب اسبانيا مدة سنتين بضواحى مليلية والقبائل المحيطة بها، وجرت بين الفريقين أكثر من مائة معركة كما اسلفنا فى الجزء الاول، تكبد فيها الجيش الاسبانى خسائر فى الارواح بلغت عشرة آلاف قتيل منهم الجنرال بينتو والجنرال فيكاريو (1) .

ويعتبر أول من احتج على مؤتمر الجزيرة الخضراء، وعلى عقد الحماية، اذ أرسل رسائل الاحتجاج الى سفراء الدول المجتمعين بطنجة، حملها زعيم من زعماء قبيلة بقيوة، وهو السيد مسعود بن عمر المدعو السى بيرا، وكان شجاعا شهما، ووطنيا صادقا، فسافر الى طنجة، واتصل بالسفراء واحدا بعد ءاخر، ودفع لكل واحد منهم رسالة الاحتجاج، مشفوعة بتصريحات شفوية، فى معنى رفض الريف لما يحاك ضد المغرب وسيادته، وصور لهم فداحة الامر، والعواقب الوخيمة، التى ستجرها الحماية الافرنسية والاسبانية على المغرب وعلى المجتمع الدولى.

وعندما خرج من سفارة ألمانيا، التى كانت تعد المغرب وتمنيه، وجد الجنود الاسبان بالمرصاد له بباب السفارة، فألقوا عليه القبض، بباب السفارة، فحمل على مركب اسبانى بحرا من طنجة الى مليلية، حيث سجن هناك لمدة سنة كاملة، الى أن استشهد الشريف أمزيان .

وقد خلفه الزعيم ابن عبد الكريم الخطابى بعد ذلك، فلم تكن له علاقة معه، بل كان عمله بالنسبة اليه كما قال أحد فلاسفة العرب، وهو الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسير قوله تعالى (وكان الشيطان للانسان خذولا) (2) .

---

(1) كتاب الحركة الاستقلالية للمرحوم الاستاذ علال الفاسى ص 107 .
(2) تفسير الطنطاوى الجزء 12 ص 184 طبعة

«لقد جاء فى الجرائد المصرية، أن الامير عبد الكريم ببلاد المغرب، الذى يحارب الاسبان، قد سلط الاسبان عليه رجلا من أمته، يسمى الريسونى، له شوكة وقوة، فقام الامير عبد الكريم على الريسونى وحاربه وغلبه وأسره، فوقف وزير اسبانى فى قومه خطيبا، وقال «نحن لا يهمنا الريسونى، ولا هو له قيمة عندنا، سواء خذل أو نصر، فلا نبالى» .

«هذا كلام الوزير الاسبانى، فكأنه لما كان قويا انتفع به، فلما سقط فى حومة الوغى خذله، ولم يبال به، وهذا تفسير قوله تعالى «وكان الشيطان للانسان خذولا» .

أما فى الاطلس المتوسط فقاوم أهل زيان وغيرهم فى مواقع كثيرة، الجيش الافرنسى وكذلك الاطلس الكبير بجنوب المغرب، وبالصحراء قاوم المغاربة الجيش الافرنسى والاسبانى تحت قيادة الشيخ ماء العنين، وولده احمد الهيبة .

وفى تافيلالت، وآيت عطا قاد الشريف السملالى المعروف بموحى احمد الثورة على الافرنسيين لمدة 23 سنة .

ولم يكن لهؤلاء أية علاقة بالريسونى، بل جاء فى كتاب الحركة الاستقلالية (1) «ولم يخمد (اى القتال مع الاسبان) الا بعد أن اتفق الاسبان مع الريسونى، الذى استطاع أن ينشر نفوذه على قبائل جبالة الشمالية» .

نعم ان مؤرخى الاجانب، حاولوا أن يربطوا حركة الريسونى بالثائر بوحمارة مثل ما فعل روم روندو فى كتابه «تاريخ المغرب فى القرن العشرين» فقد قال (2) ولم يلبث (أى الريسونى) ان اتقن الشر على مقياس واسع، بما فى ذلك الخطف والقتل، وكلما زادت قوته، وكثر انباعه، كانت محنته تزداد شرة، ثم زاد فى نفس الصفحة وبعد ذلك حالف الاسبان، وانتقل من مجد الى مجد، ثم قال :

«من المؤكد أن بوحمارة والريسونى كانا على اتصال» .

---

(1) للمرحوم الزعيم علال الفاسى ص 106 .

(2) صحيفة 63—66 .

وعلى هذا المنوال كتب المؤلف روبت مورنو الانجليزى، فى كتابه «عبد الكريم أمير الريف» تحت عنوان «لص الجبالة (1) عن الريسونى، وذكر فى هذا الفصل بوحمارة أيضا .

ولكن الواقع ان الريسونى لم يكن تأثر بثورة بوحمارة، ولم يكن له اتصال به، بل أنه كان يعمل على حسب سلطته فى الجبالة، حيث لم يرد أن يعكر أحد عليه صفاء تلك السلطة، وكان دائما على حذر سواء من جانب الدولة المغربية، أو من جانب الجيش الاسبانى، فلذا تراه يعارك جانبا تارة، ويصافى تارة أخرى، وذلك ما جعل حياته ترتبك لما دق ربع الساعة الاخير، عفى الله عنه وغفر له .

ملاحظة :

فى صفحة 286 قبله ينبغى الانتباه الى أنه عندما انتهى السطر السادس وقع غلط مطبعى وتقديم وتأخير .
فالذى يتبع هذا السطر هو (وعندما دخل) الى كلمة (لكى) ثم يرجع الى كلمة (لا يرى) وعند كلمة (بوصفه) يتبعها (باللص) فلينتبه لذلك .

(1) صحيفة 26 — 30 .

الجبهــة الشرقيــة للمرة الثــانيــة

معارك محتدمــة تقــع بين المجاهدين والجيش الاسبــانى

على أرضيــة انهــزامــه ســنــة 1921

الجبهة الشرقنة للمرة الثانية

لنترك الآن الجبهة الغربية، بعد سرد الاحداث التى جرت فى تلك الجبهة فى مختلف مراحلها .

بعد هزائم 1921 فى الجبهة الشرقية واشتغال ابن عبد الكريم بالتنظيمات الداخلية، كما أسلفنا انتهز العدو الفرصة، لغسل عار الهزائم التى استرسلت تترى، فانكب فى أول توقف المعارك فى الجبهة الشرقية على ارسال الامدادات لحشد أكبر قوة ممكنة، حتى أن الجيش الاسبانى فى المغرب، وصل فى سنة 1924 م. الى حوالى مائتى ألف جندى، كما ارتفع عدد الطائرات المقاتلة، وارتفعت أيضا العمارات البحرية، التى تجوب الشواطىء الشمالية، وقد كان من التخطيطات العسكرية، التى يعمل لها قادة الجيش الاسبانى لاجل أن يقوموا بالضربة القاضية، هو التخطيط الذى سمى «بضرب الافعى الى الرأس» ويعنون بذلك انزال الجيوش على شواطىء الحسيمة، ففى سنة 1922، كان المقيم العام الخنراليسمو برينكير، يقوم بدراسة واسعة لاستكشاف تلك الشواطىء وصلاحيتها للانزال، فأرسل الباخرة الحربية «خوان خوانين» الى خليج الحسيمة وعندما اقتربت الى الجزيرة، كانت بطاريات المدافع الريفية التى نصبت على قمم الخليج، وهى التى غنمت من المراكز المنهزمة تتصدى لها، فتبادلت معها اطلاق النار، كان المآل اغراق الباخرة أمام الجزيرة التى استرسلت هى أيضا فى صب جام غضبها على المدفعية الريفية، وقراها، ولكن لم تنج هى أيضا من اصابات فى الصميم، مما أدى بعد ذلك الى أن تنقطع عنها المؤونة، الا ما يصلها ليلا، تحت الظلام فى زوارق صغيرة .

وبعد هذه المعركة البحرية الخاسرة بالنسبة للعدو، فان تخطيط الانزال فى خليج الحسيمة، ابتعد عن مخيلاته، وعمد الى تخطيط آخر،

وهو استرجاع المواقع التى خسرها فى الجبهة الشرقية، بحيث يسترجع موقعا بعد موقع، من دون تســرع .

بينما المجاهدون منشغلون فى الجبهة الغربية، حيث اتسع عليهم الخط القتالى فى ادغال غمارة، وجبالة مع بعــد الشقــة .

وهكذا قاد فرانكو فرقة اللفيف الاجنبى، (الترسيو) من مليلية، فاحتل الناضور، ثم تقدم على طريق الاحزان الى اعرويت، وقد وجد ان احتلال قبيلة قلعية ليس سهلا، ولكن عندما تخطى حدود هذه القبيلــة لقى معارك أشد ضــراوة .

وقد تعمد التخطيط الجديد ان يسقط من حسابه احتلال انــوال، الذى قد يوحى بالمآسى التى شهدها الموقع، كما أسقط من حسابه مركز سيدى ادريس لنفس السبـــب .

وقد كان من المواقع الهامة التى وضعها قادة الجيش الغــازى، فىتخطيطهم فى هذه الحملة، كحد أدنى لمراكزهم الامامية هى استرجاع المناطق التى كانت تحت احتلالهم قبل هزيمة أنوال، وهى مراكز خمسة:

1 ــ مركز سيدى مسعود وهو يسامت سيدى ادريس يقع بين تمسامان، وبنى سعيد الى جهة البحر .

2 ــ مركز سيدى احساين ببنى سعيــد .

3 ــ مركز تفرسيت وهو جهــة أنــوال .

4 ــ مركز تيزى عــزة يسامت اغربيــن .

5 ــ مركــز ميضار ببنى توزيــن .

بينما فرقة اللفيف الاجنبى، تتقدم صوب اعرويت، كان جيــش آخر يتقدم وســط قبيلة قلعية، فاحتل مركــز أزروهمار، ولما لقيــه من المقاومة الشديدة، فقد مكث فى هذا المركز لمدة حوالى سنة .

وكان نظام الدفاع بالتناوب، ترسل القبائل أفرادها أفواجا لمدة معينة، ثم تستبد لها، بافواج أخرى، وهكــذا دواليك .

أما العدو فانه تعمد ان لا يغامر بالتقدم السريع، بل كان يمكث

فى كل موقع يحتله الى أن يركز اقدامه، ويجرب كل أنواع الخديعة، اتجاه الاهالى، لاستمالتهم بالمال والاغــراء .

وهكذا، فبعد سنة، تحركّ من أزروهمار، فاحتل موقع ازحافــا على وادى كرط، ثم موقــع انزاخت، كلاهمــا بقبيلة قلعية، ثــم دار الكبدانى بقبيلة بنى سعيــد .

أما قوة اللفيف الاجنبى (التريسيو)، فقد احتلت تزطوطين مــن قبيلة بنــى بويحيى، ثم تقدمــت الى أن وصلت الى دار الدريــوش، بقبيلــة مطالســة .

وعند هذه المراكز، توقف زحــف العدو، الى أن يثبت أقدامــه، ويستعمل الاساليب الخداعة أيضا ، لاستمالــة السكــان .

وفى هذه المرحلة كان المجاهدون أقاموا تجمعاتهم فى مركز ابــن الطيب، بقبيلة بنى وليشك، وهو مركز وسط لشغل مراكز العدو، شمالا وجنوبا، وقد عزز هذا المركز ببطاريات المدافع الثقيلة، على قمة الناضور هناك، وعلى قمة أخرى تدعى «تسلغوى الخلاء» وكانت هذه البطاريــات تحت قيادة حدو أوسار من امزورن ببنى ورياغل، وعلى رأس الرمــاة المجاهد الشجاع السيد عمر بن السى احمد بن الطاهر الذى كانت رمايته لا تخطىء الهدف، ومعه أخوه حدو وعيسى أكوع كلهم من زاوية سيدى عيسى، وعلوش بن شعيب وعمر بن حمو كلاهما من آيت عزيز .

وقد كان العدو يتبادل بشدة الرماية بمدافعه الثقيلة، وبالخصوص بالمدفع المدعو «بوخناشى»، وكانت القذيفة عندما تندفع من المدفع تحدث دويا مروعا، وتقذف الى مسافة بعيدة، وقد استطاع العدو اثناء المعارك بالمدافع، أن يقتل أربعة من الطبجيين، من خيرة المجاهدين، منهم خالى السيد عمر بن السيد احمد بن طاهر العزوزى، وقد رماهم العدو بتسعة وتسعين قذيفة، ولما رماهم بالمكملة للمائة أصابت المدفع فشتته قطعــا قطعا قطعا، كما شتت خالى عمر، وعمر بن حمو اشلاء، قطعا لحمية لــم يعثر لهم الا على أطراف ممزقة، طارت مع شظايا الاحجار والرصاص، وقبل ذلك استطاع الطبجيون المجاهدون أن يسقطوا طائرة للعدو، فقد أصاب السيد عمر بن السى احمد المذكور، بقذيفة مدفعه طائرة سقطــت بين خطي القتال، فتسابق المجاهدون، وجيش العدو على الوصول اليها،

حيث جرت معركة على الاحراز على الطائرة فتمكن المجاهدون من الوصول اليها، تحت نيران بنادقهم التى لا تخطىء جثث العدو، وكان يقود الطائرة ضابط برتبة كبطان، فأسر، كما أسر معاونوه، وسيقوا جميعا الى سجن آل موسى وعمر بأمزورن، حيث كان الاسرى يبنون محكمة هناك .

وقد حاول المجاهدون جر هذه الطائرة، الا أن العدو اصلاهم نار مدافعه فاحترقت .

كما كان مراكز المجاهدين مسلحة بالمدافع الرشاشة، وكان في موقع الناضور ستة من الرشاشات .

وكان من بين المجاهدون الذين يسيرون الرمى بها محمد بن الحاج نهامى الزفزافى، وكان شابا يافعا مغامرا، لا يبالى برصاص العدو، وقد تمرن على القتال بالرشاش الذى يحتضنه كأنه ملك له، حيث يتولى رعايته.

وفى أواخر سنة 1922 تمكن العدو من الوصول الى المراكز الامامية، فاستولى على سيدى احساين وسيدى مسعود وتفرسيت، وتيزى عزة وعزيب ميضار .

وقد جرت معارك ضارية على كل موقع من هذه المواقع .

المعارك التى جرت قبل تفرسيت

معركة « الما »

ولاجل رواية الاحداث بالتسلسل التاريخى عن المعارك التى جرت فى هذه المواقع الخمسة، والتى كانت حاسمة، مثلما كانت معارك مثلث الموت (ابران ــ أنوال ــ اغربين) قبلها حاسمة نروى هنا عن شهود المعارك بأنفسهم .

روى والدى (1) وكان فى ذات الوقت يتولى فى جهاز الثورة قيادة الدفاع العامة، ان العدو لما استولى على هذه المعارك، وثبت اقدامه بالتحصينات التى أقامها على ضوء الهزائم التى منى بها، فى معارك 1921 حشد كل قواه، ثم أنه ظهر له أن يعجم عود المجاهدين الذين

---

(1) شاهد عيان .

كانت المعارك الشرقية والغربية قد تكاثرت عليهم، فشتت رجالها هنا وهناك، فأرسل قوة من مركز ميضار الى أن وصلت الى موضع يدعى «الما» بفرقة اغربيان، وهى غير اغربيين .

وكان نظام الجهاد الذى استقرت عليه القيادة ارسال الافواج بالتناوب، للدفاع عن الخطوط الامامية، وكانت كل قبيلة من القبائل التى نزل العدو بجوارها ان تتكفل بمراقبة حركات العدو، مع اعلام القبائل التى تليها بالحركات التى تظن أنها للهجوم، لكى تلبى النداء على حد الصائم .

ومثل ما فعل العدو فى انوال، حيث أرسل قوة لاحتلال ابران، فانه فعل أيضا لاحتلال «الما» .

وكان اليوم يوم الاثنين وهو يوم سوق اثنين بنى بوعياش، حيث جاء اعلام قادة قبيلة بنى توزين اليه، وكان يوجد فى السوق قادة بنى ورياغل: احمد بودرة، والهادى بن عزوز، واليزيد بن حمو وموح ابن حميش وغيرهم .

فقد رأى الجميع أن ينفروا خفافا وثقالا الى عين المكان لمناجزة العدو .

وهكذا ذهب الجميع حيث باتوا فى فرقة آل عكى من بنى توزين، وفى غده ذهب الجميع الى سوق ثلثاء اجار مرواس، ويقع وسط الوادى الذى يطل عليه موقع «الما»، وقد باتوا جميعا فى قرية اجار مرواس وفى الصباح الباكر سمعوا طلقات متقطعة من البنادق متبادلة بين العدو وبعض أفراد فرقة اغربيان، وعلى رأسهم أولاد بولخريف، وهم مشهود لهم بالشجاعة، فتقدم والدى ومعه جماعة من المجاهدين يقدرون بـ 25 محاربا، الى أن وصلوا الى حيث عسكر العدو، وسط غابة كثيفة تحيط بالموقع، فدخلت هذه الجماعة بين ادغال تلك الغابة، بعد أن انبعث شخص من سكان الجهة، فنادى والدى قائلا: اتبعنى، وحذرا من أن تكون هنا مكيدة، فقد أمر أن يتقدم أحد اخوانه، ويدعى موح بن تعروصت، ثم يتبعه الجميع، وهكذا تسللوا بين الاشجار الكثيفة الى أن اقتربوا من محل معسكر العدو فى بقعة مغطاة بالاعشاب الصغيرة، حيث حصنوا مراكزهم، وكان عددهم حوالى 300 جنديا، فأمر جماعته أن يبتعد كل واحد عن

الآخر بمقدار عشرة خطوات، وأمرهم بأن يطلقوا الرصاص بكثافة عندما يبدأ هو باطلاقه، وأن يقصد كل واحد الهدف الذى يليه، كـــى لا تتلاشى الطلقات على هدف واحـــد .

وهكذا ذعر العدو، فاختلط حابله بنابله، عندما فاجأوه بالنـــيران، فلم يهتد الا الى الفرار والنكوص على الاعقاب، ولكن أين المفر؟ ورجـــال الله فى أعقابهم، يثخنون فى قفاهم، فلم ينج منهم الا القليل .

وعندما وصل الاعلام الى الامير ابن عبد الكريم الذى كان فـــى أجديـــر، وذهب الى أخشاب أمغار، حيث وضعه مقرا لتسيير العمليـــات الحربية، وقد أرسل من هناك الى والدى يهنئه على العملية الجريئة التـــى قام بها، وأمره بأن يجمع المجاهدين، ويقوى الخطوط الامامية، وبالاخص الخط الذى يقابل قوة العدو بميضار، وكذلك تفرسيت، وتيزى عزة، وأرسل اليه صناديق المعدات الحربية لضمه الى ما غنم من معركة «الما» السريعة.

مـــعـركـــة الـقـنـــدوســى

وعندما اقترب الجيش الاسبانى فى زحفه الى استكمال مخططه باحتلال المواقع التى انهزم منها سنة 1921، اصطدم مع المجاهدين فى موضع يدعى «القندوسى» من بنى سعيد، وكان الجيش الغازى مكونـــا من اللفيف الاجنبى، وقد وقعت معركة ضارية، وكان على رأس المجاهدين القائد علوش المرابط الوعزيزى، وهو من شجعان المقاتلين لم تفته معركة لم يرأس فيها المجاهدين فى الجبهة الشرقية، واستمر كذلك الى أن استشهد فى معركة أجدير، بعدما نزلت جيوش العدو فى الحسيمة وكان استشهاده بصورة بطولية عجيبـــة .

فعندما احتل أجدير، وكان ابن عبد الكريم نقل مركز الثورة الى سيدى عبد الله ابن يوسف، وكل أمر الدفاع عن أجدير الى هذا القائـــد، ولما ضعف مركز المجاهدين هناك نظرا لكونهم اشتغلوا برحيل عائلاتهم المشردة الى رؤوس الجبال، هتف الامير اليه لكى يخلى مركزه بأجديـــر، لانه معرض للدمار، ولكن هذا القائد رد عليه بأنه يستحيل عليه أن يسمح لنفسه أن يفر أمام العدو، وهو لازال قادرا على الدفاع الى الموت، الذى

هو غاية ما يتمناه، واستطرد قائلا ليس أمامى الا أن أطلب عفوك عنى اذ عصيت أمرك بالانسحاب، وداعا، فتقدم يقاتل كما لم يقاتل من قبل، الى أن استشهد رحمه الله .

أما ما أسفرت عليه معركة القندوسى، فان المجاهدين اشتبكوا مع العدو وجها لوجه، واقتتلوا اليوم كله، حيث انسحب الى مواقعه، وجمد القتال هناك .

وبعده فكر فى أن يسلك طريق السهول من دار الدريوش، حيث يحتل تفرسيت، وكان مركز المجاهدين بناضور بنى وليشك كما أسلفنا .

فتحرك قاصدا تفرسيت فاحتلها، أما جهة البحر فانه طلب منه بعض سكان بنى سعيد أن يحتل قبيلتهم، فتنكب عن طريق القندوسى، وسلك مسلكا محاذيا للبحر حيث احتل سيدى احساين، وسيدى مسعود.

وعند ذلك أخلى المجاهدون الناضور ببنى وليشك، وكانوا بقيادة علوش المرابط وركزوا مواقعهم على قمم الجبال التى تقابل مراكز العدو، وكان معسكرهم القيادى على قمة «بووديعة» .

بدء المعارك الكبرى

معركة تفرسيت وفتح مفاوضة الصلح

قد سبق أن أشرنا الى أنه قبل معركة تفرسيت كان حضر الى الجبهة الشرقية المقيم العام المدنى السنيور لويس سليفيلا، مصاحبا معه السيد محمد شراط من تطوان، وكان ذلك لاجل أن يكلف بالاتصال بالاهالى، وبالاخص أهالى القبائل المحتلة، لاجل اقناعهم بالاخلاص للجيش الاسبانى، خوف أن تتكرر مرة أخرى حوادث الطعن من الخلف ، كما وقع فى هزائم سنة 1921 .

وتمشيا مع رواية الاخبار عن شهود عيان، فانى أروى هنا ما ذكره لى الكاتب الخاص للامير ابن عبد الكريم وهو السيد محمد عمر ابن القاضى (لا زال حيا) (1) قال :

---

(1) هو شاهد عيان .

أمر ابن عبد الكريم رئيس أركان الثورة السيد عبد السلام بن الحاج محمد، لكى يهيىء خطة هجوم كاسح على مركز تفرسيت، وفعلا فقد نظم هذا الاخير تسلل المجاهدين ليلا الى ما بين مركز العدو بتفرسيت، وقمة تيزى عزة، فاستقروا فى موضعين اثنين، يسمى الاول «بوحفورة» والثانى «أغمق»، وقد ذعر العدو لهذا الحصار، فيما بين تفرسيت، وقمة تيزى عزة، وهى شبيهة تماما بالحصار فيما بين اغريبن وانوال، فيما قبل، فاحتفظ العدو بالدفاع واستنجد مليلية وتطوان طالبا الاغاثة العاجلة، والا كانت الكارثة، وكانت توجد بين الموقعين المحاصرين ثكنات أخرى تركزت فيها حاميات تبلغ ثمانية، قطعت عنها المؤونة، وبعدما وصلت الامدادات الى العدو، وجعل يشن هجوما تلو الآخر، لفك الحصار، وقد استمرت المعارك خمسة أيام من دون أن يفك الحصار، ولا أن يخترق صفوف المجاهدين، الذين انبطحوا فى الخنادق وراء الصخور، وبطون الشعاب، وقد كان العدو أحدق بخمسة من المجاهدين، وهم فى خندقهم، لم يستطع أن ينال منهم منالا، ولما علم المجاهدون بحصارهم هناك، شنوا هجوما قويا على العدو، ففتحوا ثغرة خرج منها المحاصرون سالمين. (1)

وفى هذه الاثناء، ولما رأت حكومة مدريد أن كارثة انوال وشيكة الوقوع، سارعت فأرسلت ابن سعيد السلاوى الى جزيرة الحسيمة، حيث طلب السماح له بالنزول الى اليابسة، لاجل أمر يهم الثورة، فأذن له الامير الذى كان مقيما فى أخشاب أمغار بتمسامان، وقد هيء للسلاوى جواد يركبه يستحث الى أخشاب أمغار، الذى يبعد بحوالى 30 ميلا.

وقد وصل وعرض على الامير هدنة يعقبها صلح، وقد اشترط الامير للهدنة أن يبقى كل فى مركزه الذى يوجد فيه، وان لا ينسحب

---

(1) روى أحد المجاهدين الابطال وهو حدو محند ابن على من بنى عبد الله أن كرونيلا خرج على رأس الكتيبة لحصار المجاهدين فسدد اليه هذا المجاهد ضربة سقط قتيلا متأوها صائحا «مى مدرى» أى يا أمى، فتأخرت الكتيبة، ونجى المجاهدون بعد أن قتل عدد ءاخر من معاونى الكرونيل .

المجاهدون من مواقعهم، بحيث تبقى مواقع العدو مقطوعة الصلة فيما بينها، الى أن تجيب حكومة اسبانيا على شروط الصلح، التى تتلخص فى الانسحاب التام الى مليلية والى سبتة، على أن يترك الجيش الاسبانى كل المعدات الحربية التى خارج المدينتين فى يد الثورة وأن يؤدى تعويضا مناسبا للخسائر التى أحدثها غزوه .

ولما علم قادة الجيش الاسبانى بمحاولة حكومة مدريد لاجراء الصلح، اقدمت على خوض معركة بالقنابل المسمومة ألقت بها أسراب طائراتهم، التى كانت بمليلية ضمن الامدادات التى أرسلت عن عجل .

واذا كانت المنطقة التى كان يشغلها المجاهدون محدودة فى شعاب وأودية، فان الطائرات سهل عليها أن تنفث سمومها بغزارة، وان تصيب أهدافها بدقة، مما جعل وادى بوحفرة يضطرم نيرانا، تنبعث منها تموجات من الدخان المسموم، الذى يغمر الوادى والشعاب، فارتبك المجاهدون وعمى عليهم الطريق، ولفحت وجوههم السموم، فلم يجدوا بدا من البحث عن وسائل النجاة من هذا الجحيم، وكان رئيسهم رغم اصابته باحتراق فى وجهه، يقوم فى مدخل الوادى يرد القوم ويأمرهم بالصبر والثبات ولكن كيف لبشر من لحم ودم أن يعيش فى جحيم من نار وسموم، وسقط بين رجليه الشهيدان موح بن شعيب، والسى عمر بن تهامى، وكانا من خيرة جنود الفرقة المسماة «بالحفاظ» واثره هيأ دفاعا فى الحال، بأن أمر الباقى ممن لم تصبهم السموم أن يتسلقوا قمم الجبال، لكى يقيموا خط دفاع فى مأمن من مفعول السموم، وفعلا تمركزوا على تلك القمم، فكانت خطط حربية ناجحة، بحيث ركن العدو الى الرجوع الى مواقعه، لان فئة من المجاهدين تقدر بنحو مائتين ممن كانوا فى رؤوس القمم استبسلوا ومع ذلك فان العدو استطاع أن يفك الحصار عن حاميته وقد اعتبر ذلك نصرا، وبداية عهد آخر فى أسلوب حرب جديدة، مبنية على الوحشية الفضيعة .

وقد أبرق الجيش بالانتصار الى تطوان، ومدريد، محتجا على محاولات الصلح، فأذعنت تلك الدوائر الى الاحتجاج، والغت المفاوضة مع الثورة .

أما ابن السعيد السلاوى فقد سقط فى يده، واعتبر الهجوم

الاسبانى بالقنابل المسمومة خرقا لما انتدب اليه فجعل يحتج على قيادة الجيش بمليلية، ويصفها بالخداع، ولما كثـر احتجاجه استدرجه ذلـك الجيش بأن أوعز اليه بأن شروط المفاوضة لا زالت محفوظة من طرفـه واستدعته ضمن بعثة من الاسبانيين للوقوف على عين المواقع بتفرسيت، حيث يشاهد أن كل فريق يحتفظ بمركزه الموجود فيـه، حين اتفق مـع الامير فى اخشاب امغار، فذهب مع تلك البعثة، واثناء تنقله بين المواقـع سدد اليه كمين من الجيش الاسبانى طلقة نارية فأردته قتيلا، وقد زعموا ان الطلقة جاءت من الفريق الآخر، أى المجاهدين، وهكذا أقبرت قضيـة المفاوضة والكلام حولها، وقد نقلت جثة السلاوى بواسطة الطائرة الـى تطـوان .

حـامـيـة تـيـزى عـزة

وكانت هناك حامية على قمة تيزى عزة، وهو موقع منيع يشبه تماما موقع اغريبن فى قضية انوال، وقد حاول المجاهدون أن يزحزحوه، ولكن بدون جدوى، فقد حفروا خناديق تحت أرضية القشلة، وحشوهـا بسلاح بوحفورة المحشو بالديناميت لتفجيرها تحتها، ولكن لم تسفر على نتيجـة لصلابة الارض .

وكان يقود المجاهدين هناك السيد عبد السلام عجرود الذى كان على رأس جماعة من الشجعان حاصروا موقع تيزى عزة .

ويعتبر السيد عجرود هـذا من المجاهدين الثابتين على مبـدا النضال، ولو بعد الاحتلال الاسبـانى .

وقد تعرض لالقاء القبض عليه اثر ذلك، بدعوى اخفائه السلاح، واستشهد رحمه الله فى سجن أجدير، تحت طائلة التعذيب، لما كان لـه من المواقف البطولية، فى المعارك التى ضحى مسقط رأسه بقرية تزورخت من بنى بوعياش بخيرة أبنائه، فى مختلف المعارك، ولذا حقد عليه الاسبان.

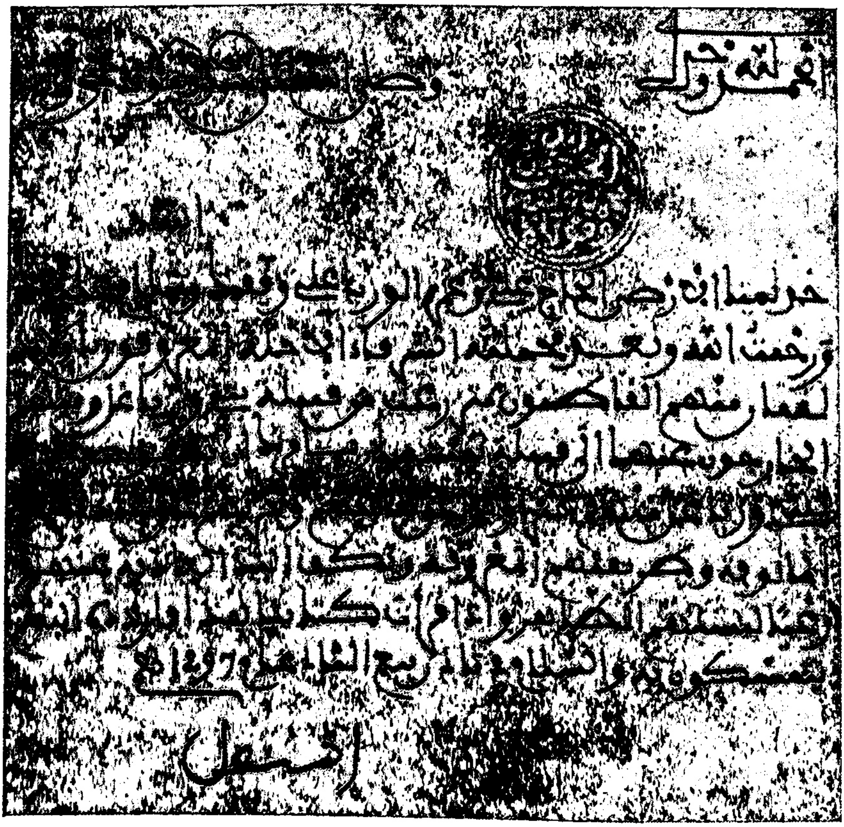
وهكذا استشهد محمد بن الحسن عجرود بمعركة دار قوبع، بين الاخماس، وبنى حسان، واستشهد سليمان بن الحاج حدو بتفرسيت، وأخوه محمد بن الحاج حدو بالمزمة، واستشهد عمر السى على، ومسعود

ابن حمامة، ومحمد بن طامة، بمعركة سيدى ابراهيم، واستشهد محمد بن الحاج امغار، ومحمد بـن عمر حمادى بمعركة بنى برابر، واثنـان اخران (لم أضبط اسميهما) بمعركة ميضـار .

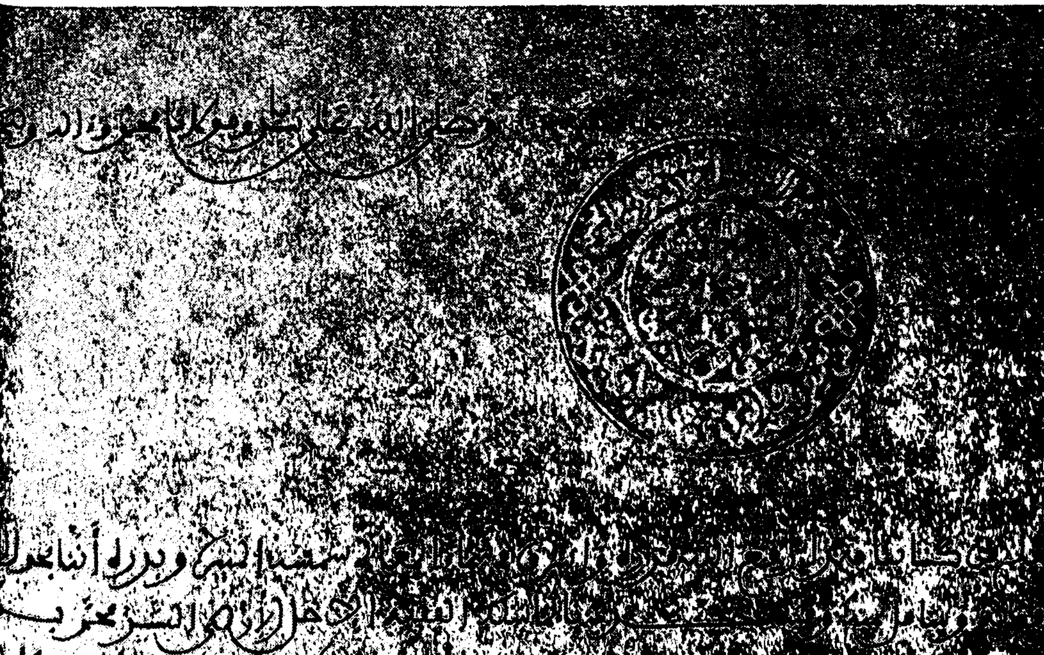
وتعرف عائلة السيد عجرود باولاد لقمان، فى بنى بوعيـاش، تحت اسم الشرفاء القادريين، يتصل نسبهم بمولاى عبد القادر الجيلالى.

وتقدم الكلام عن نسبهم فى الجزء الاول من هذا الكتاب صحيفة 269 وما يليـه .

وبمناسبة ذكر هذا المجاهد ننشر صورتين لظهيرين شريفـين، أحدهما للسلطان المقدس مولاى الحسن الاول، يستوصى بهذه العائلـة خيرا، لمكان نسبهم الشريفى، والثانى للخليفـة السلطانـى بالشمـال سمو الامير مولاى الحسن بن المهدى يخـص صديقنا وأخانا ابن ذلـك المجاهد الفقيه العلامة المستشار بالمجلس الاعلى للنقض والابرام السيد الحاج محمد عجرود، يجدد فيه له ولعائلته ما تظمنته الظهائر الملوكيـة، وذلك لما كان عضوا فى مجلس الاستيناف الشرعى بتطوان .



ظهير شريفي لمولاى الحسن الاول ينوه بالشرفاء أولاد لقمان
ومنهم عائلـــة عجرود الساكنة بتزوغـــت من بنى بوعياش



ظهير خليفي يخص صديقنا الحاج محمد عجرود المستشار بالمجلس الاعلى

معركــة ميضــار وعبد المالك الجزائــرى

هناك قريتان فى شرقى بنى توزين احداهما تسمى ميضـــار، والاخرى عزيب ميضار، وهذه الاخيرة تعتبر امتدادا للاولى، من الناحية الفلاحية، ولذا سميت العزيب، أى الموضع الذى تكون فيها عزبات سكان الاولى، وهى أرض سقوية، يملكها سكان ميضار، أما الآن فقد غلــب اسم ميضار على القرية الاخيرة وهى التى تعتبر القاعدة الادارية لقبيلة بنى توزين، ويمر وسطها الطريق الرئيسية الرابطة بين الحسيمة والناضور.

وفى أثناء هذه الحملة الثانية للجيش الاسبانى عندما احتــل تفرسيت وما حولهـــا، كان يحتل عزيـــب ميضار، حيث اعتبرت مفتـــاح الهجوم على قبيلة بنى توزين، ومنها اندفعت الحامية التى وصلت الى موضع «الما» الذى تقدم الكلام عليهـــا .

وبعد ابادة حامية «الما» قـــررت القيادة الاسبانية أن تشـــن هجوما من عزيب ميضار، للتوغل عن طريق قرية ميضار فى جبال بنـــى توزين، وفعلا قامت القـــوات العسكرية فى قريـــة عزيب ميضار بشـــن هجومات ثلاث على قرية ميضار التى تبعـــد عن المعسكر بنحو عشـــرة كلم، وكانت مقرا لسوق أحد، يقصده سكان بنى توزين الشرقيين، فلـــم يقدروا على الاستلاء عليها، ولم ينجحوا ولو جزئيا، بل بالعكس كانـــوا يمنون بخسائر فى الارواح والعتـــاد .

ولما كان عبد المالك بن محيى الدين الجزائرى بعد انفصاله عن قبيلة مرنيسة، حيث كان يؤازره القائد عمر بن احميدو، والذى كان لعب دورا فى احداث سوء التفاهم بين الامـــير ابن عبد الكريم وبين عمر بـــن احميدو، كما أسلفنا، فانه انحشى الى الاقامة العامة الاسبانية بتطوان، حيث كان يبحث كما هـــو شأنه عن المجازفة التى ولع بها، ولو كانـــت المجازفة لصالح الاستعمار وضد مواطنيه من أقطار شمال افريقيا فانـــه أوحى الى الاقامة العامة الاسبانية، أن يؤلف فرقة من أهالى الريـــف، وممن يجده أمامه من المرتزقة، لكى يخوض بهم المعارك، ضد المجاهدين

الارياف، وقد اقترح أن يذهب بتلك القوة الى الجبهة الشرقية التى يزعم أنه خريت تلك الجهة، ولانه يقصد بذلك اغاظة ابن عبد الكريم الـذى أحرز على شهرة حربية وسياسية جريئـة .

واذا كانت اقتراحاته أصابت هوى فى نفوس القادة الاسبانيين، وبالاخص أنهم اعتقدوا فى عبد المالك أن يكون ندا لابن عبد الكريم، فقد استجابوا لمطلبه، وهيأوا له أسباب تأليف مقاتلين من الاهالى ووجهوه الى مليلية، لاستكمال جمع الراغبين فى الجاه والمال، أو فاقدى الضمائـر الحيـة تجاه وطنهم ودينهـم .

ورغم ان الخطة الاستعمارية الموحدة بين فرنسا واسبانيا، كانت تقتضى على هـذه الاخيرة ان لا تركـن الى شخص كـان كون حـرب العصابات فى قبائل ورغة، وكزناية، ضد الجيش الفرنسى، الا أنها رمت بتلك المفاهم عرض الحائط، فأقدمت على استخدام عبد الملك، ولو غضبت فرنسا، لما توختـه فى الرجل الذى ينحدر عن بطل عالمى مشهور، وهـو الامير عبد القادر الجزائرى، فظنت أن ذلك سيكون شفيعا لقلب عقليـة الجهاد لدى أهالى الريـف .

وهكذا لما استكمل عبد المالك قوته فى مليلية، وعلم بالهجـوم الثالث للقوة الاسبانية فى عزيب ميضار على قرية ميضار، طلب من تلـك القوة أن تتخلى له عن هذه المهمة، ليقوم بها بقوته وحده، وان تترك لـه حرية تدبير الهجوم، من دون أن تتدخل فيه القيادة الاسبانية، وأجيب الى مطلبه وهنا يروى لنا كاتب ابن عبد الكريم السيد محمد بن عمر القاضى الآنف الذكر، كيف تمت معركة ميضار، وقتل عبد المالك هناك .

قال: (1) «وبعدما اخفقت المذاكرة فى شأن الصلح بين اسبانيا وابن عبد الكريم، استئناف العدو هجومه على ميضار ببنى توزين، وقام ثلاث مرات بهجوم عنيف قصد الاستيلاء عليها، ورد على أعقابه خاسرا بعدمـا ترك قتلى فى كل هجوم .

ثم تقدم عبد المالك بن محيى الدين الجزائرى طالبا من القيـادة العليا بتطوان بأن يرأس الهجوم على ميضار، وأصدرت قيادة تطـوان

---

(1) شاهـد عيـان .

أمرها الى قيادة مليلية لتضع تحت تصرفه الاعتدة الحربية ليهاجم ميضار، على طريقته التى يراها، وفعلا قسم تلك القوة الى ثلاث فرق، يهاجم أولا بواحدة ثم بالثانية ثم بالثالثة، ان اقتضى الحال .

وقد علم ابن عبد الكريم بالمحاولة بواسطة المخبرين المنبثين فى كل جهة، فعمل على تفادى الامر، وتهييىء مقاتلين أكفاء، لاحباط مشارع هذا العميل المغامر، ولقطع الطريق عن المرامى التى توخاها العدو فيه، ولاجل أن يكون عبرة للآخرين ممن تسول لهم نفسهم أن يضعوا أنفسهم فى المزاد الخسيس .

وهكذا عمد الى تكليف شخص مناضل يعز نظيره بين أقرانه، فى مجال الاقدام والشجاعة والثبات وهو القائد موح أزذاذ (1) من بنى ورياغل وأمره بأن يختار 50 مقاتلا من ذات الاوصاف البطولية ، فاستجاب لمطلبه شرط أن يترك له الحرية المطلقة لتدبير الامر على طريقته الخصوصية، التى يراها صالحة، وان لا يتدخل معه القائد المحلى للمجاهدين وكان اذ ذاك موح بن حميش البوعياشى، فلبى الامير مطلبه وأمر هذا الاخير بأن لا يتدخل معه، وان يمده بما يلزم من السلاح، كما أمره بأن يكون رهن اشارته، اذا طلبه بالتدخل عند الحاجة .

وقد هيأ القائد موح ازذاذ خطته وتسلل برجاله ليلا الى حيث يوجد معسكر العدو، وفى ذات الليل حفر كل واحد من المجاهدين الخمسين حفرتين اثنتين احداهما تشبه حفرة القبر، للاختفاء فيها، عند الحاجة عن قنابل طائرات العدو، والاخرى حفرة مستديرة يقبع داخلها المجاهد لذى يحتضن البندقية، مسددا مأسورتها صوب الاهداف، حيث لا يبرز منها الا رأسه، الذى يكون أشبه بحجر غير متحرك، وأمرهم بأن لا يتحرك آى واحد من مكمنه، مهما كانت النتيجة، حتى الى الموت.

وعلى الساعة العاشرة صباحا من ذات يوم، هجم الفوج الاول من قوة عبد المالك، وقصد ميمنة المجاهدين الذين يمكن أن نسميهم بالمجاهدين العاديين، أى غير رجال موح ازذاذ، وقد استطاع العدو تحت

---

(1) يعتبر موح ازذاذ بين المجاهدين من الابطال الذين تعد ملامحهم من قبيل خرق العادة .

نيران بطارياته الثقيلة، أن يفتح ثغرة فى هذه الميمنة، وقد استمر القتال ساعة ونصفا كان أولئك المنبطحون فى خنادقهم يحبسون أنفاسهم، منتظرين اشارة من قائدهم، الذى كان ينتظر الوقت المناسب، لحصد العدو حصدا .

وعندما حانت الفرصة تدخل، فارتد العدو الى الوراء، بعدما ترك موتى وجرحى وبعدما استمر القتال بين المرتدين على أعقابهم، وبين المجاهدين الذين ثبتوا مدة نصف ساعة، تمكن الباقون من هذا الفوج ن يحتمى بأماكن محصنة، بالهضاب والصخور، انتظارا لمدهم بالفوج الثانى .

وفعلا، فقد أرسل عبد الملك الفوج الثانى، معززا بغطاء جوى، وبقذائف البطاريات التى تطلق نارها من معسكره، وبعد لأى وصل هذا الفوج الى الباقية من الفوج الاول، فنشبت معركة أخرى بين الفريقين، لمدة نصف ساعة، كانت العاقبة هى نفس العاقبة التى منى بها الفوج الاول، من قتلى وجرحى، دون أن يتزحزح المجاهدون من أماكنهم، ولو قيد أنملة .

وأخيرا لما رأى عبد المالك ما أذهله من صلابة دفاع المجاهدين، واستماتتهم، وصعدت الى رأسه الحمية الجاهلية، قرر أن يقود بنفسه ما تبقى تحت يده من القوة، معززا بقوة أخرى من الجيش الاسبانى، وتحرك على رأس قوة ضخمة تجمعت لديه، فنشبت معركة حامية الوطيس، لم تدم الا عشرة دقائق حتى كانت النتيجة أن سقط عبد المالك صريعا، نتيجة حماقته التى جنت عليه، وهو غير مأسوف عليه، فارتد الجيش الاسبانى مهزوما، لا يلوى على شئ، بينما خسر نحو ألف رجل ما بين مرتزق ورجاله، وغنم المجاهدون عتادا يقدر بمائتى بندقية وذخيرتها .

أما من جهة المجاهدين فقد استشهد أربعون منهم ستة من الرجال الخمسين الذين قادهم القائد موح ازذاذ .

وتعتبر هذه المعركة من الملاحم التاريخية الاسطورية، لما عرفته من بطولات اسلامية نادرة .

مرزوق بن عمر بن امحمد العــزوزى

أروى عنــه بعــض المعــارك (1)

هو من عائلة العزوزيين فى بنى ورياغل، وهى مشهورة بالنضال والنجدة والوطنية، منها الزعيم المناضل المؤلف سيدى محمد بن احمــد العزوزى المذكور فى الجزء الاول ص 407 ومنها الطبجى الشهير عمــر ابــن الســى احمد بن طاهــر العــزوزى السابــق ذكره فى احــدى المعارك بالمدفع، ومنها الفدائى المجاهد عمر علوش العزوزى المذكــور سابقا صحيفة 62 من هذا الجــزء .

وهذه العائلة من أحفاد سيدى يعقوب بن عبد الكريم العزوزى المار ذكره فى الجزء الاول صحيفــة 238 .

أروى هنا معركتى سيدى مسعود وسيدى احساين، عن الحاج مرزوق بن عمر امحند الذى حضر فى المعركتين معا، وشارك اخوانه فى القتال، وكان اذ ذاك شابا يافعا قويا، يقتحم المهالك بدون قراءة حساب للصعاب مهما كانت، ولاجل التعريف بمغامراته، يكفى أن نحكى هنــا قصة بطولية نادرة، قام بها أثناء معارك أجدير بعد نزول العدو فى الحسيمة.

ذلك أنه لما وصل الجيش الذى نزل فى الحسيمة فى معــارك الى قرية أجدير، وكان احتل نصفا منها، وشطر القرية الى شطرين: شطــر يحتله العدو، وأقام فيه تحصينات قوية، بوضع اعشاش متصلة من شاطىء البحر المدعو الصفيحة الى الجبل الكبير، ثم الى ساسنت من بقيوة، وقــد مر هذا الخط الى دار بودراهم، وأمزيذاو .

وكان ابن عبد الكريم نقل مركزه الى سيدى عبد الله ابن يوسف، أسفل جبــل حمام، وكان ينتقل بنفســه يقصد أسواق القبيلة، ومراكــز المجاهدين، ليبلغهم التخطيطات التى يراها ضروريــة .

ففى أحد أيام سوق خميس المرابطين بوادى غيس، حضــر الى هناك، واجتمع عليه الناس وكــان يلقى فيهم خطبا حماسية، ثم تقــدم

(1) وهــو شاهــد عيــان .

باقتراح الى القوم قائلا لهم ان العدو أقام خطا ناريا وضع فيه اعشاشا لسلاحه، فلم نجد من أين نصل اليه، بينما طائراته تروح وتغدو تلقى علينا وابل القنابل، واذا استمر الحال على ما هو عليه، فاننا سنفشل، لان العدو تحصن وراء خطه الدفاعى فهو محمى به من الامام، كما هو محمى من الخلف بالبحر، وانه ليس عندنا من سبيل لازعاجه، لانه لم يرد أن يخرج الى ان ينهك قوانا، ولذا فان السبيل الوحيد هو تنظيم فئات انتحارية، تتعمد ليلا الى تلك الاعشاش، ورميها بالقنابل اليدوية، التى تزعجه كثيرا، لانه من الميسور الوصول الى العدو بهذه الطريقة ، ما دام اننا نعرف المسالك والدروب الى العدو، الذى يوجد فى أرضنا، أما هو فلا يمكن أن يخرج من مخابئه والا ضاع، ثم طلب ممن يأنس من نفسه الجرأة الكافية أن يتقدم، فتقدم أولا السيد مرزوق هذا، ثم تقدم ثلاثة آخرون أحدهم يدعى عبد السلام ابن على، من آل امحمد ايحيى .

وبعدما أوصاهم بالثبات، وأعطاهم تعليمات حول الوصول الى الهدف وكيفية القاء القنابل، أمرهم بأن يعتمدوا على الدليلين الذين كان كون منهم فوجا بأجدير، وكانوا يدعون «فوج الاهتداء» ويتكون من ثلاثين نفرا من أهالى أجدير، زودهم بالقنابل اليدوية، من صنع الثورة، ولها مفعول أشد من قنابل العدو، كما زودهم ببنادق جديدة وذخيرة كافية، ملاءوا بها المحفظة التى تمسى أقراب مالقة، وزودهم بلقاط لقطع الاسلاك .

وقد قامت الخلية بعملها معتمدة على اثنين من فرقة الاهتداء، وسلكوا بهم مسالك حجرية وعرة، الى أن وصلوا الى قرب أمزيذاو، فتقدم مرزوق هذا، وترك اخوانه الى الوراء لحراسته عند الحاجة، وقطع الاسلاك الشائكة، وكانت كثيفة، ثم تقدم ووجد دائرة أخرى من الاسلاك، ولكن خفيفة فقطعها فالقى قذيفتين على عش العدو، ثم تنحى الى عش آخر، فالقى قذيفة واحدة، ولما عرج على عش ثالث كانت حامية عش هناك على يقظة، فلما حاول أن يشعل قنبلة القذيفة ليرمى بها، سبقه الجندى من عشه فضربه بطلقة، ولكن لم يصبه الا أنه لقربه من العش كان دخان البارود قد لفحه، ثم انبطح على الارض وكان يسمع انفاس الجندى من ثقبة العش، ولما هدأ الحال عاود الكرة لالقاء القنبلة، ولكن

الجندى كان له بالمرصاد، فسبقه بطلقة نارية، أصابه فى رجله اليمنى تحت الركبة اخترقت رجله من الوسط، وهشمت عظام جعبة الرجل، فسقط على اعشاب فى الارض، ولم يستطع حراكا، وكان نزيف الدم يسيل بغزارة، ومع ذلك فانه تفطن وهيأ قنبلة بيده ظانا أن العدو سيخرج للاجهاض عليه، وحينذاك سيلقى القنبلة ليموت هو والعدو، ولكن هذا لم يجرأ على الخروج من عشه، أما رفاقه فقد ظنوا أنه مات، ورجعوا الى المعسكر القريب، واعلموا بما وقع ومن هناك هتفوا الى ابن عبد الكريم معلمين بالواقعة، فأصر هذا على أن يبحثوا فى عين المكان بكل وسيلة ليعثروا عليه حيا أو ميتا، وهكذا كون قائد المركز جماعة تصحب الدليلين لمعرفة أين سقط، فذهب أربعة منهم السى امحمد اصريح، وكان جريئا مغامرا وعمر بن الهادى وعبد السلام من آل امحند ايحيى وقد بحثوا عنه بطريقة حساسية نادرة الى أن اهتدوا الى مكانه فدخل الاول منهم ووجده لا زال حيا، وبينما هو يحاول جره فاذا بالعدو يطلق عليهما طلقة نارية فأطلقه وذهب الى اخوانه الذين تركهم خارج الاسلاك، ثم تقدم معه شخص آخر، وتكررت المحاولات ثلاث مرات، والعدو يطلق عليهم النار الى أن تمكنوا للمرة الرابعة من اخراجه فحملوه الى المركز، ومن هناك حمل الى داره، حيث وجد الطبيب الذى بعثه الامير ينتظره، كما بعث اليه اعانة مالية .

وانما أتيت بهذه القصة لمعرفة قيمة الشخص الذى نروى عنه حوادث هاتين المعركتين، وها نحن نسترسل فى تدوين تصريحاته حولهما، مع العلم بأن الرواية شبيهة برواية الكاتب السيد محمد بن عمر القاضى مع بعض تعديلات على رواية كل واحد منهما، وهى لا تمس جوهر الرواية.

وبهذه المناسبة، وقبل الاسترسال فى سرد أخبار المعارك، يجدر أن نذكر شرعية الاعمال الفدائية فى الاسلام، لنعرف فضيلة تلك الملاحم الفدائية التى قام بها هذا المجاهد الشهم، والتى قام بها من قبله المجاهد محمد الموذن الكرفطى ــ سبقت الاشارة اليه فى صفحة 20 ــ وقام بها المجاهدان عمر بن علوش، واحمد بن شعيب العزوزى الورياغليان .

سبقت الاشارة الى ذلك فى صفحات 62—63—64— وقام بها بوطاهر بن الحاج دادى البقيوى مع ثلاثة ءاخرين فى الحسيمة كما سيأتى.

وللتديلل على شرعية هذا العمل الفدائى، انقل هنا فقرات تتعلق بهذا الموضوع من محاضرة كنت القيتها بطنجة ضمن النشاط الثقافي لوزارة الثقافة بتاريخ 12–4–1973 بمناسبة النجدة العسكرية المغربية لاقطار المشرق العربى فى الجولان وسيناء تحت عنوان «النجدات العسكرية الى الشام فى عهد الرسول (صلعم) وهذا نص المراد منها .

الفدائية فى الاسلام

أما أهل الكتاب الآخرون وهم اليهود الذين كانت أرض الحجاز تزخر بهم بفعل هجراتهم من الشام لاضطهادهم من قبل الروم المحتلين، فانهم لم يكن صنيعهم مع الاسلام صنيع المسيحيين، بل خاتلوا وخاضوا ضد النبى (صلعم) وضد الاسلام كعقيدة سماوية نزل بها كتاب مقدس وهو القرآن، كما نزل من قبله كتاب آخر مقدس وهو التوراة، ولم يتركوا أية ذميمة الا وركبوا متنها للنيل من النبى شخصيا واتباعه ودبت فيهم حركة عدائية سافرة ومخاتلة شيطانية أقلقت بال النبى (صلعم) .

ولما لم يجد فيهم الصبر الذى قابلهم به فانه عمل على رد كيدهم أحيانا بالغزوات العلانية التى كان يبعثها للاغارة على تجمعاتهم، وكثيرا ما كان يتفاءل اذا سمع كلمة تقتضى التفاؤل فيقول خربت خيبر مثلا، والغزوات العلانية كثيرة ومعروفة فى كتب السيرة ولكن أريد هنا أن لا أمر مر الكرام على أعمال أخرى فردية كان يأمر بها النبى (صلعم) للقضاء على رؤوس الفتنة فى ديارهم وعلى طريقة الكتمان وهى التى دعيت الآن بالاعمال الفدائية .

وبهذا الاعتبار، فان أول ما عرف الاسلام من الفدائية هى التى أمر بها النبى (صلعم) ولذا تعتبر عملا تشريعيا اسلاميا للاعمال الفدائية التى يقوم بها المسلمون فى الاقطار التى تحرر من الاستعمار والصهيونية فالموتى منهم يعتبرون شهداء لله والوطن، ومن الاجدر أن نسرد هنا حرفيا بعض تلك الاعمال لطرافة تلك القصص الخالدة .

ومنها ما رواه البخارى عن جابر بن عبد الله أن النبى (صلعم) قال: من لكعب بن الاشرف (وهو من رؤساء اليهود شمالى الحجاز) فانه استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى المشركين يجمعهم على قتالنا وقد

أخبرنى الله بذلك، ثم قرا على المسلمين «ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين ءامنوا سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا» .

قال محمد ابن مسلمة يارسول الله أتحب أن أقتله، قال نعم .

أما كيفية انجاز العملية فلنستمع الى محمد بن اسحاق يروى لنا هذه القصة، قال: فرجع محمد ابن مسلمة لا يأكل ولا يشرب الا ماتعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله فدعاه، فقال له لم تركت الطعام والشراب، فقال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدرى أأوفى به أم لا، قال عليك الجهد قال ثم مشى معهم الى بيته وهو فى ليلة مقمرة واقبلوا - يعنى محمد ابن سلمة وعشيرته وهم أبو نائلة أخو كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر والحارث بن معاذ - حتى انتهوا الى حصنه (أى كعب) وكان حديث عهد بعرس فهتف به أبو نائلة فوثب من ملحفته فأخذته امرأته لناحيتها وقالت انك امرؤ تحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال انه أبو نائللة لو وجدنى نائما ما أيقظنى، قالت والله انى لاعرف الشر فى صوته، فنزل فتحدث معهم وقالوا هل لك يابن الاشرف أن نمشى الى شعب العجوز فنتحدث فيه بقية ليلتنا؟ فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون ساعة ثم ان أبا نائلة شام يده فى فود رأسه - وهو الشعر الذى على جانب الرأس مما يلى الاذنين الى الامام - ومعنى شام يده أى ادخلها للشم - ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم أخذ برأسه وقال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليها سيوفهم فلم تغن شيئا وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا واوقدت فيه النار فتذكرت مفعولا - المفعول هو النصل الطويل - حيث رأيت أسيافا لا تغنى فاخذته ووضعته فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى عانته فوقع عدو الله ثم لما رجعوا كبروا فعرف رسول الله أنهم قتلوه فقال أفلحت الوجوه فقالوا وجهك يا رسول الله .

ومنها ما رواه البخارى أيضا عن اسرائيل بن أبى اسحاق عن البراء بن عازب قال بعث رسول الله (صلعم) الى أبى رافع اليهودى

رجالا من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ويعين عليه وكان فى حصن له فلما أتوا اليه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أن أدخل فأقبل حتى دنى من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته ــ البشرية ــ وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبد الله ــ لم يرد اسمه الشخصى ــ ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب وعلق الاغاليق ــ المفاتح ــ على وتد قال قمت الى الاغاليق فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان فى علالى ــ جمع على وهو الموضع المرتفع ــ له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلق على من داخل فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى اين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فاهويت نحو انصوت فاضر به ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت وامكث غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت ما هذا الصوت يأبا رافع فقال لابيك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم أقتله ــ يقال اثخنته الجراح أى أوهنته ــ ثم وضعت ضبيب سيفى ــ حده ــ فى بطنه حتى أخذ من ظهره فعرفت انى قد قتلته قال فجعلت افتح الابواب حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسر ساقى فانتهيت الى رسول الله فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكأنها لم أشكها قط .

ومنها ما جاء فى الاثران عبد الله بن انيس استأذن رسول الله (صلعم) فى اغتيال سفيان بن نبيح الهذلى وكان من مشركى العرب فاذن له وكان يجمع المشركين بوادى عرنه قرب عرفات على عداء المسلمين وقال له ايته واقتله فقال له عبد الله صفه لى حتى أعرفه فقال (صلعم) اذا رأيته هبت منه ــ خشيت ــ ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان فذهب اليه ووجد معه الاحابيش وكان عبد الله ابن أنيس استأذن رسول الله فى أن يقول ما يتستر به فسأله سفيان ممن أنت فقال من حزاعة سمعت أنك تجمع الناس لمحاربة هذا الرجل الذى فتن الناس فقال نعم

انى لفى جمع له وانه لم يلق أحدا يشبهنى وقال عبد الله انه وجده يتكىء على عصى يهد الارض هدا فدخل عليه وسامره حتى اذا ذهب عنه الاحباش قتله فى بيته وبين عشيرته وفر واختفى فى غار وتبعه قوم سفيان فجاء رجل حاملا دواة ونعلين ـ الدواة أناء من الجلد ـ فلم يرني وذهب قائلا لاصحابه ليس هنا أحد وترك الدواة والنعل فشرب من الدواة ولبس النعلين وكان حافيا ومشى مستخفيا اثنتى عشرة ليلة الى أن وصل الى المدينة فقال رسول الله افلح الوجه فقال وجهك يا رسول الله .

وفى ذلك يقول شاعر الرسول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لله در عصابة لاقيتهم	يابن الحقيق وأنت يابن الاشرف
يسيرون بالبيض الخفاف اليكم	مرحا كاسد فى عرين معرف
حتى أتوكم فى محل بلادكم	فسقوكم حتفا ببيض دفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم	مستصغرين لكل أمر مجحف

معركة سيدى مسعود

قال (1) واثر معركة تفرسيت، بقيت الحالة هادئة على جميع الخطوط، الا ما كان من مناوشات لمدة ستة أشهر، ثم أمر ابن عبد الكريم بتهيئ هجوم على مركز العدو بسيدى مسعود، ويقع هذا المركز بين قبيلتى بنى سعيد وتمسامان ويسامت مركز سيدى ادريس الذى كان مركزا عاما للعدو فى معارك أنوال، الا أنه لم يكن منظورا للبحر، بل تحجبه بعض قمم أخرى عن البحر، وهو موقع استراتيجى بالنسبة لطريق الشاطىء الى خليج الحسيمة، ويعتبر أفضل الطرق الى الخليج، من حيث حمايته بالحامية البحرية، التى ترافق تقدم الجيش، ولما كان بهذه المثابة فان قطع الطريق عن تقدمه ضرورى بالنسبة لقلب الثورة الذى هو أجدير، لانه لم تبق له الا تحركات محدودة، ليصبح على رأس سيدى شعيب، وهناك يكون العدو قد تمكن من ضرب الافعى الى الرأس .

وهكذا اسندت قيادة المهاجمين للقائد علوش المرابط، وهو من شرفاء آل عزيز من بنى ورياغل الذى رأس معركة القندوسى كما تقدم

وكانت القيادة العليا تدار من محكمة اخشاب امغار، بتمسامان برياسة القائد احمد بودرة، الذى تولى رياسة الدفاع العام .

وقد اختير لهذه المعركة رجال اشداء من بنى ورياغل وتمسامان وبنى وليشك .

وقد كان من سوء حظ المجاهدين، أنهم انحدروا تحت جناح ظلام الليل مع واد قصير بين الجبال، كانوا يظنون أن الوادى ينحدر الى البحر، على وضعية مبدئه، بحيث يتسترون بضفتيه عن الانظار، ولكن لما انحدروا وسامتوا قشلات العدو، انقطع الوادى، وانتهى فى منبسط فسيح، متكشف للعدو، وكان قد استعد لما شعر بما يدبر فى الليل، وكان العملاء مرهفين احساساتهم لنقل التحركات من هنا وهناك، فتلاقى الفريقان عند غسق الفجر، ووقع الاصطدام وجها لوجه بالسلاح الخفيف، لانه لم يكن فى وسع أحد الطرفين أن يستعمل المدافع، لاختلاط الفريقين، وقد اشتد

---

(1) أى مزوق بن عمر .

القتال، واستمر من الفجر الى ما بعد المغرب، حيث حال الظلام دونه، فرجع الجيش الاسبانى الى مركزه، كما رجع المجاهدون الى مراكزهم على القمم المحيطة به .

وكانت الخسائر من الجانبين كبيرة، واستشهد فيها كثير من المجاهدين من بنى ورياغل، وتمسامان، وبالاخص رجال فرقة «تمرغنين» حتى قيل أنه لم تبق دار لم تبك شهيدها، أو شهداء، ومن جملة من استشهد من بنى ورياغل الشهيد جيلالى من اكلتوما الجبل، ومنهم بوتقطوت من آل القاضى، ومنهم اعمام المؤلف وهم: الطالب النقى الزكى السيد محمد بن الحاج محمد، ومحمد بن عمر بن الحاج محمد المدعو أمغار ومحمد بن عمر بن الحاج محمد المدعو موح أقشار، وسليمان بن عمر بن الحا ج، ودحمان بن حمادى، وجرح العباس بن السى محمد وأخوه حمادى ومحمد بن الحاج محمد المدعو موح تعرصت، وسلام بن عمر بن الحاج محمد، ومحمد بن عمر الفقيه، وصديق ابن حمادى بن الحاج بن احمد، ومحمد بن حمادى بن الحاج بنحمد، ومحمد بن علوش بن الحاج بنحمد .

وهؤلاء كلهم من قرية واحدة وهم الذين عرفناهم فاستطعنا احصاءهم، ويعطى هذا الاحصاء للاصابات فى دشرة واحدة نظرة واضحة عن الاصابات التى يكون المجاهدون تعرضوا لها فيما بين القتلى والجرحى، وعلى كل فان المعركة اسفرت عن لا غالب ولا مغلوب بين الفريقين .

معركة سيدى احساين

فبعد معركة سيدى مسعود تجمد القتال بين الفريقين على هذا الخط البحرى، الا ما كان من المناوشات المحلية لحوالى أربعة أشهر .

يقع موقع سيدى احساين فى قبيلة بنى سعيد على شاطىء البحر، وتعد هذه القبيلة من احدى القبائل فى الريف التى لها مران على القتال، وكان بعض الاشخاص فى هذه القبيلة قد جرو الجيش لاحتلال قبيلتهم، فاعتمد عليهم واحتلها، وتمركز فى هذا الموقع بقوة كبيرة مع حاميات أخرى على رؤوس الجبال وكان أحرار هذه القبيلة متصدين لهذا الاحتلال، ومنهم شعيب بن حدو الركيزة الذى هاجر الى بنى ورياغل

أثناء الاحتلال، ومنهم موح بن عمر بن سلام، ومنهم القائد أزعوم، وموح بن عمر بن سلام امجاو، وغيرهم، ولما كان مركز سيدى احساين يعد المركز الرئيسى بالنسبة لمركز سيدى مسعود والحاميات الاخرى، فان ابن عبد الكريم ولى وجهته اليه، لانه اذا هزم وهو اصل لما عداه من المراكز، فانه يسهل القضاء على الباقى، وقد اقترح عليه الرجال الاحرار من بنى سعيد ان يقوموا بعملية مفاجئة، بمساعدة احرار آخرين من الذين استمروا فى المكوث بديارهم بالقبيلة، وبذلك يقومون بهجوم ليلى على العدو، حيث ينقض رجال القبيلة من الخلف على العدو، فيقع فى المقيم المقعد، وذلك فى غفلة من عملائه، حيث يلقون نفس المصير.

وقد راقت الخطة ابن عبد الكريم، فأوصاهم بتدبير الامر بالكتمان، وقد شاركهم فى العملية مجاهدون من قبيلة بنى وليشك، ومنهم القائد محمد الكندوزى.

وكانت العملية تجرى تحت اشراف القائد احمد بودرة، الذى كان يسير الجبهة الشرقية، وكان معسكرا فى موضع يدعى «تخشابت امعلاثا» وهكذا هيأ ارتالا أربعة حسب التالى :

الرتل الاول : يقوده القائد موح بن عمر سلام السعيدى يتجه جهة ميمنة العدو، ويتمركز بالوضع المدعو «دار موح أشملال».

الرتل الثانى: يقوده القائد موح الكندوزى من بنى وليشك يتمركز شرقى العدو بالموضع المدعو «المراجع».

الرتل الثالث : يقوده القائد شعيب بن موح ابالى البوعياشى يتمركز على ميسرة العدو على شاطىء البحر.

الرتل الرابع : (غير مضبوط الآن من يقوده) يتمركز غربى العدو فى الموضع المدعو «البئر».

وقد عين لهم قبل أن يتوجه كل واحد الى حيث عين له أن يتجمعوا ليلا، فى المحل المدعو «سيدى شعيب الخلاء» حيث يفترقون من هناك فى وقت واحد، وكان كل رتل يشمل 300 مقاتلا.

وكان للمجاهدين بطرية من المدافع يضربون بها مراكز سيدى احساين، يسيره القائد بوطاهر عزيبى من أجدير كانت تسدد الضربات للعدو، وكان العدو يتمون بالماء من عين تقع الى جهة موقع الرتل الثالث،

فجاءت فئة من الجنود لسقى الماء من تلك العين على بزوغ الفجر، فسدد اليهم مرزوق بن عمر طلقتين أردى بهما اثنين من الفئة، واختفى الباقون، فهجم العـدو على محـل سقـوط الجنديـين، فأخذهمـا رغم كثافـة الرصاص عليهـم .

وقد كان على علم قبل ذلك بواسطة عملائه من قبيلة بنى سعيد، بما يدبر، فاستقدم اغاثة من جميع المراكز الخلفية، كما كانت البارجـة الحربية التى تحرس الشواطىء على استعداد للتدخل متى حان الوقت .

وهكذا فبعد سقوط الجنديين باغت العدو المجاهدين، بهجوم على جميع الجهات، واحتدم القتال من الصباح الى الغروب، واستخدم العدو مدافعه الثقيلة، كما شارك الطيران بالقنابل المسمومة ولكن المجاهديـن كانوا عرفوا مفعولها فى معركة تفرسيت، فاحتاطوا لتجنبهم الاودية، بل خندقوا فى منحدرات الجبـال .

كما اقتربت البارجة البحرية الى الشاطىء، وحاولت انزال بعض الجنود للفتك بالرتل الثالث، الذى يقوده شعيب ابالى، الا أن القائد أزعوم الذى كان من جملة أفراد هذا الرتل، نادى فيهم قائلا من كان منكم متوفرا على بندقية جديدة ترمى الى البعيد، فليصوبوا بصورة جماعية طلقاتهم ضد البارجة، وفعلا كان الرصاص يتساقط فى الماء، كأفواه القرب، فابتعدت البارجة الى حيث لا يصل اليها رصاص البنادق، ولكن ركنت الى اصـلاء هذا الرتل نارا حامية محرقة مع الطائرات، وكانت هذه البارجة مسلحة باثنى عشر مدفعا ستة فى الجهة اليسرى وستة فى اليمنى، فكانت تطلق بجهة، ثم تتحول الى جهة أخرى، عندما تسخن المدافـع الستة، وهكـذا دواليك، وكان المجاهدون يعيشون فى هذا الموقع وسط جحيم من نار، ومع ذلك فقد ثبتوا وبقوا هناك ثلاثة أيام والنار تشتعل من البر والبحر والجو، الامر الذى جعل قائد الرتل شعيب ابالى يصدر الامر الى الباقى مـن رجاله أن ينسحبوا من الموقع قائلا لهم بصورة مؤثرة من البكاء، اذهبوا أنتم من هناك للنجاة، أما أنا فسأموت، ولا أقدر أن أرجع من انهـزام، ولكن رفاقه أرغموه على أن ينسحب معهم .

أما باقى الارتال، فقد استمروا فى القتال الى خمسة أيام، وفى صبيحة اليوم السادس جاءت حركة «ميكـا» هيأها مرتزقة وعسكـروا

خلف المجاهدين ونادى أحدهم فيهم، قائلا لماذا تقاتلون الجيش الاسبانى، فانــه لم يأت الا باذن منا، ولذا فاننا حامون له، ونحن سنقضــى على (الشوالــة) حسب تعبــيره .

وقد ضرب الحصار على المجاهدين من الخلف، بينما رجال القبيلة الذين كانوا وعدوا بطعن العدو من الخلف لم يقوموا بحركة تذكر، ولعله لان العدو كان احتاط لقطع الطريق عنهم، بتوعدهم ورقابة تحركاتهم.

وقــد كــان الحصــار شديــدا، قصــد العــدو أن يشــدوا الحصار عليهم لقطع المدد الغذائى، والعتاد الحربى، وحينئذ يستسلمون عن طواعية، ولكن رغم هذا الحصار الذى يبدو من أول وهلة أنه مصيدة محكمة، تضع المجاهدين بين فكى كماشة، وأوشكت أن تطبق عليهم، ولكن من يعرف خفة تحركات المقاتلين، وتمرنهم على سلوكهم مسلــك الماعز، فى الجبال والادغال، عرف أنهم لا يعترفون بأى خطر قد يكون محدقا بهم.

وقد كانت الرسل من القائد احمد بودرة تصل اليهم بانتظام، ليلا بطريقتهم الخاصة السهلة، التى يحذقونها، ولذا فانهم لم ينسحبوا رغم كل هــذه الشرور المتكالبة عليهــم، من طرف اعدائهــم وبنى جلدتهــم على الســواء .

ولما قررت القيادة العليا الانسحاب، فقد أبلغ اليهم الامر بنفس الطريقة، فعملوا على الانسحاب تحــت جناح الظلام، على أن يتجنبــوا الخسائر فى الارواح ما أمكن، وعندما جن الليل عينوا فئة لمناوشة العدو على الجهة التى تنسحب منها فئة أخرى منهم، وعندما تكون الفئة المنسحبة حلف العدو، فانها تشغله من الخلــف، حيث تنسحب الفئــة التى كانــت شغلته قبل، وهكذا حتى خرج المجاهدون من المصيدة سالمين .

ويقال أن خسائر العدو فى هذه المعركة بلغت 1.500 ما بين قتيــل وجريح، أما خسائر المجاهدين فكانت 30 شهيدا معظمهم من تمسامــان، وبالاخص فرقة تمرغنــين .

وكان من خسائر المجاهدين المأسوف عليها سقوط المجاهد شعيب بن حدو الركيزة السعيدى أسيرا فى يد العملاء، الذين وثق بهم بينما كان يحرضهم على سد الضربات للعــدو، من الخلف، لشــد أزر المجاهديــن،

فألقوا عليه القبض وقدموه للعدو برهانا على اخلاصهم له، وقد بادر العدو باعدامه حالا، ومن دون محاكمة .

ويقال أن سيدى عمر من شرفاء آل هشام وكان قبل احتلال الجيش الاسبانى لقبيلة بنى سعيد رئيسا للخط الحربى هناك، خدعه صديق له ، فأفشى اليه السر عن حسن نية، وهذا ما سمعته عن أفواه بعض الناس ممن سمعوا الشائعة، ولكن الرجل كان من الشرفاء المحترمين فى فرقة المرابطين، ويبعد أن يخدعه أحد العملاء، وهو من رجال الثورة .

أما القائد شعيب ابالى فانه لما انسحب قبل الارتال الآخرين، فان القائد احمد بودرة اعتبره أنه ولى الادبار فى حين الزحف، وأمر بوثاقه لتقديمه الى المحاكمة، ولكن عندما أعلم تلفونيا ابن عبد الكريم، أمره بأن يوجهه اليه رأسا فأرسله محروسا الى أخشاب امغار، حيث يوجد ابن عبد الكريم، فلما سأله عن سبب انسحابه قبل الارتال الآخرين، أعلمه بالوضع الذى كان يوجد فيه فى الارض المحروقة، وطلب منه أن يستدعى المجاهدين الذين كانوا معه للاستماع الى أقوالهم، ثم شن حملة لديه على القائد احمد بودرة، وقد علم صدق شعيب ابالى فأطلق سراحه .

بقى أن أذكر هنا، فيما اذا كان الانسحاب المعلن عنه من طرف الجنرال بريمودى الريفيرا بالنسبة لهذه الخطوط فى هذه الجهة الشرقية، نفذ أم لا، وقد قرأنا للانجليزى روبرت فورنو فى كتابه الامير عبد الكريم، (1) قصة خيالية مثيرة عن الانسحاب ومآسيه، بالنسبة للجيش الاسبانى، الامر الذى يصادم الحقيقة التاريخية الواقعية، لان تلك الخطوط بقيت على حالتها للاسباب التى سنتكلم عنها فى الفصل المتعلق بالجبهة الشمالية عند النزول فى الحسيمة .

---

(1) صحيفة 114 وما بعدها .

الجبهة الجنوبية

صراع مع الجيش الفرنسى على نهر ورغة ووزان

صراع مع الجيش الفرنسي

بقدر ما تتسع انتصارات الثورة الريفية فى حروبها مع اسبانيا شرقا وغربا، بقدر ما تزداد مخاوف فرنسا، التى هى حليفة طبيعية لهذه الاخيرة، المتولد ذلك الحلف من الاتفاق الموقع بينهما عام 1904، لتقسيم مناطق النفوذ بالمغرب، والمعدل ذلك الاتفاق بالنسبة للحدود بين المنطقتين عام 1912، فكان من الطبيعى أن تستفحل مخاوف فرنسا، لانها تجد الحدود الشمالية لمنطقة نفوذها وجها لوجه أمام ثورة عارمة، تحرز انتصارات تلو الآخر، وتتبعت بقلق بالغ المعارك الضارية، التى استرسلت دون انقطاع، والتى ذل فيها جيش أوربى متمرن، الامر الذى جعل قبائل ورغة يترجح أمر زعمائها، فمنهم من ركن الى الثورة، وعلى راسهم القائد ولد عبد السلام، طالبين تدخل الريف لتحريرهم من المخاوف، التى تسيطر على أنفسهم، لاجل مالهم ودينهم وعرضهم، وقد تسارع بعضهم اثر معارك انوال لزيارة اجدير، مقر الامير ابن عبد الكريم يستحثونه لزيارة قبائلهم، لقطع الطريق على الجيش الفرنسى حتى لا يحتلها، ومنهم م نعارض هذه الفكرة، وعلى رأسهم القائد عمر ابن احميدو المرنيسى، وعبد الرحمن الدرقاوى الغمارى صاحب زاوية بنى زروال، فطلبوا من فرنسا أن ترسل قواتها لاحتلال قبائلهم، قطعا للطريق عن الثورة الريفية، وبالتالى التسابق لاكتساب الانصار فقد عرفت قضية الحدود هناك تطورات مظنية، حسبما يأتى، وكان ذلك بعكس الحرب مع اسبانيا التى عرفت الانطلاقة الاولى بدون مقدمات، لان الوضعية مختلفة، ففرنسا تتذرع بأن محميتها تحتضن سلطان المغرب .

وهكذا، كان ابن عبد الكريم وضع أمام مسؤولية تاريخية من قبل أولئك الزعماء الذين طالبوه بالتظاهر فى قبائلهم، فانه لم يكن فى مستطاعه أن يرفض رغبات القبائل، التى لم تكن الى ذلك الوقت تعرف، كما لم تكن فرنسا نفسها تعرف أيضا بالضبط الحدود التى سطرت فى أوفاق 1904–1912 فلبى رغبتهم، وتوجه بنفسه صحبة

جماعة من المجاهدين الى أن وصل الى بنى ونجال عبر قبيلة مرنيسة ورغم تظاهر زعيمها عمر بن احميدو وهو أقوى زعيم على ضفاف نهر ورغة، فى أول الامر، بالاتفاق مع الثورة، فانه كان يضمر غير ذلك، وعندما انفصلوا صباح الليلة التى استضافهم فيها، متابعين مسيرتهم الى القبائل الامامية، تخلف عنهم ليدبر مكيدة ابادة القافلة، كما سبق الكلام مفصلا عن هذه الحادثة وهو أمر يخدم كثيرا الجيش الفرنسى الغازى، لانه بذلك يكون قد وضع اقدامه على قبائل عاتية على الضفة الشمالية لنهر ورغة، أضف الى ذلك، أن أحد زعماء قبيلة بنى زروال الروحيين، وهو عبد الرحمن الدرقاوى، قد طلب هو من جهته احتلال الجيش الفرنسى لقبيلة بنى زروال، لحماية زاويته .

وبذلك بدت لفرنسا معالم الحدود الفاصلة بين منطقتى النفود، التى حررت فى الاوفاق، على خرائط غامضة الملامح، عبر منطقة مجهولة المعالم، داخل مكاتب الدبلوماسيين الذين يفترض فيهم أنهم لم يتعرفوا على تلك الجهات أصلا، وكان مدار تحرياتهم فى أوفاق 1904 وأوفاق 1912 مبنية على ان القبائل التى ترد اغنامها مياه ورغة، هى التى تخص منطقة نفوذ فرنسا، وما عداها هى من نفوذ اسبانيا .

ولم تبدأ تلك الحدود تقترب الى الوضوح الا بعد القضاء على الثورة، فقد وضع خط ابتداء من مصب نهر ملوية فى البحر الابيض المتوسط، حيث يصعد الخط مع النهر الى أن يصل الى ملتقى بين الويدان لقبائل توريرت، ويستمر الخط مستقيما لا يفارق نهر ملوية، الى أن يصل الى الاراضى المرتفعة الفاصلة بين نهر ملوية وواد ايناون، ثم يتجه غربا حيث يمر على المرتفعات التى تفصل بين وادى ايناون ووادى سبو، كما تفصل بين منبعى وادى كرط ووادى ورغة، الى أن يصل الى جبال مولاى بوشتى، ثم ينثنى الخط جهة الشمال، حيث يبتعد عن طريق فاس البالى بـ 25 كلم، الىأن يصل الى وادى لكوس، حيث يقسم قبيلة غزاوة الى شطرين، ومن هناك يسير الخط مع الوادى الى أن يصل قرب القصر الكبير بخمس كلم، ثم يسير مستقيما الى شاطىء الاطلسى .

وقد فرض على اسبانيا هذا الخط فرضا، عقب الحملة المزدوجة التى تكالبت للقضاء على الثورة عام 1927، قد وجدت اسبانيا نفسها أمام

زحف فرنسي يكتسح القبائل التي على الضفتين معا لنهر ورغة، سواء تشرب أغنامها من نهر ورغة أولا، ذلك ان الجيش الفرنسي قد وصل شرقا الى ثلاثاء أولاد بوبكر بقبيلة مطالسة، والى ثلاثاء ازلاف بقبيلة بني توزين واكتسح قبيلة بني عمرت، وتوغل الى أن وصل الى تركيست، المقر الذي استسلم فيه الزعيم ابن عبد الكريم اليه، فكان موقفه معززا لفرض سيطرته واملاء الحدود التي يريدها، وقد تقبلتها اسبانيا على مضض، لانها لم تكن تستطيع أن تمانع، والا عرضت نفسها من حرمانها من قبائل ريفية خالصة، بل حتى الخط المشار اليه لم يتبع حرفيا، بل روعيت القبائل التي مر فيها ذلك الخط، فتوسع لحساب فرنسا حسب السكان، ابتداء من مصب نهر ملوية .

قبائل الحدود الخاضعة للنفوذ الفرنسي

بني يزناسن، بني وكيل، النصف من قبيلة مطالسة، قبيلة كزناية، مرنيسة، بني زروال، نصف من قبيلة غزاوة، قبيلة الرهونة، قبائل عرباوة، أما قبائل الحدود الخاضعة للنفوذ الاسباني، فهي من الشرق قبيلة كبدانة، أولاد ستوت، بني بويحيي، نصف من مطالسة، بني ورياغل، بني عمرت، قبائل صنهاجة الشمالية، كتامة، بني خالد، نصف من غزواة، بني زكار، أهل سريف الخلوط .

ولم يفتأ الاسبان بعد ذلك يحلمون بتوسيع الحدود الجنوبية، فكانت مؤلفات العسكريين منهم الذين يعملون في المغرب، تتخيل ان الحدود يجب أن تشمل فاسا وتازا ووزان وفي أثناء الحرب العالمية الثانية نشر ضابط عسكري برتبة كمندان، يدعى دومينس، وكان على رأس نيابة الشؤون الاهلية بتطوان، أثناء الحرب الوطنية الاسبانية، نشر كتابا وضع فيه خريطة من هذا القبيل، اهتبالا لفرصة هزيمة فرنسا أمام النازية، ولكن عندما استرجعت فرنسا مكانتها، أقيل هذا الضابط، وأرسل الى افريقيا الاستوائية .

مشكلة أعقد من ذنب الضب

هذه هي وضعية قبائل ورغة أثناء الحرب التحريرية، وهي وضعية كانت بالنسبة للثورة مصدر متاعب قاسية، ذلك ان الامر ليس كما يبدو

من أول وهلة، وكما يحلو لبعض الكتاب (1) الـذين استخلصوا نتائـج تخميناتهم من أن الزعيم ابن عبد الكريم تورط مع قبائل ورغة، في حلف قبلي، وسماه «الليف»، بل الامر أهم من ذلك، يتعلق بالمبدأ الوطني، الذي يقضي بتلبية رغبة أهالي تلك القبائل، بالانضمام الى الثورة، وهي لم تكن قد انفصلت أبدا عن قبائل الشمال، فهي منها واليها، فأسواقها واحدة، وزيوت ورغة يصرف جلها الى الريف، توسق على خيار البغال التي تشترى من هناك، لتعـرض للتنافـس فيها في اسواقه، كما كانـت هذه القبائل محطات لرحلات الارياف الى فاس، في غدوهم ورواحهـم، فهي قبائل بينها وبينهم وشائج شتى، علاوة على وشائح الدين والوطنية.

وليس كما يزعمه هؤلاء الكتـاب من أن الوشيجة الوحيـدة التي حملت ابن عبد الكريم على خوض غمار حرب كانت معلوما مسبقا نتائجها الوخيمة على الثورة هي الحلف القبلي الذي اعتمده في تنظيماته الثوريـة الاساسية، وهذا القول من السخافة بحيث لا يتسع لاى تفكير سليـم أن يصدقه، لانه لو بنى عمله على هذا الحلف لما استطاع أن يصل في الاتفاق والنظام الى ما وصل اليه، لان الحلف يكون بـين العشائر، وهو معـرض لنقضه بسهولـة، من أي واحد منهـم، لادنى سبب، فيتلاشى المجهـود ادراج الريـاح .

ولكن الحقيقة هي النعرة الوطنية التي تربط بين الوطنيين كيفمـا كان انتسابهم القبلي، وهي التي حفزت ابن عبد الكريم أن يلبي طلبات قبائل لم تكن تعرف أي فاصل بينها وبين اخوانها في الريف، بل هي تعتبر من صميـم جبال الريـف، فلم تعرف التفرقـة، الا عندما حجر عليهـا بالحاجز الحديدي الذي فرضه المستعمـر بتخطيط حـدود ما أنزل الله بهـا من سلطـان ؟

الواقع ان الجيش الفرنسي، وعلى رأسه المرشال اليوطي، الذي استطاع اخضاع أقاليم المغرب واحدا تلو الآخر، ركب رأسه الى السماء معتزا بفتوحاته التي استعمل فيها كل أنواع القتال، ثم القمع والشدة، وقد أصبح يهيمن على المغرب هيمنة بدا له ولمن يعجبون به من رجـال

---

(1) روبرت فورنـو في كتابه «عبد الكريم أمير الريف» .

الاستعمار الاوربى، أنه أتى بمعجزة فى النظام الاستعمارى، فهو يفتتح بالقوة والحديد والنار، عندما يكون ذلك ضروريا، لتذليل الآخرين، وترويضهم، ليستسيغوا أساليب النظام الاستعمارى، ويتعودوها، وعندما يبسط نفوذه المطلق يخاتل الرأى العام بالاظهار بمظهر العامل المنكب على اصلاح الاوضاع، بالطرق العصرية، ومشاركة الاهالى فى تسيير شؤونهم، ولذا راح المعجبون به يصفقون من ورائه لحنكته الاستعمارية، ناسين أن تسيير الاهالى لشؤونهم لم ينفذ قط، الى صميم الحياة الكريمة، التى ينشدها كل مواطن حر أبى، وانما شملت القشور التى لا تعدو أن تكون ملهاة لتنافس السطحيين على وظائف لا تنفذ الى صميم الحياة الاجتماعية والسياسية، بل وحتى السيادة الوطنية.

واذا كان الجيش الفرنسى بالمغرب بقيادة المرشال، قد كسب هذا الاعجاب، وانتفخت أوداجه فان وجود جماعة من المناضلين فى مختلف جهات المغرب، يصارعون الجيش الغازى فى كل المعارك، التى خاضوها معه، يعد وجده تحديا للسلطة الاستعمارية، فضلا عن أن هذه الانتصارات خلقت جوا من الاضطراب فى سائر أنحاء المغرب، وبالاخص القبائل التى تقطن شمال فاس، وتازا، ووزان، التى لم يفتأ زعماؤها يحجون الى أجدير، مركز الثورة الريفية، ورأسها المدبر، وفى رحلاتهم عبر الجبال والسهول يشاهدون الاسرى الاسبانيين هنا وهناك، يفتحون الطرق، أو يحصدون الزرع، أو ينظمون فى حلقات بمراكز المعتقلات، الامر الذى يتوجب معه أن يشعر هؤلاء الزعماء بأن الحالة غير حالة الاقاليم المغربية التى تحت سيطرة المرشال وجيشه، فهناك يرون الجيش الاوربى مستعليا، وهنا يرونه ذليلا محطما.

وهذا الامر الذى أقض مضجع المرشال، جعله من أول وهلة يحس بطعنة نجلاء فى كبريائه، ذلك ما دعاه لان يرفع تقاريره الى باريس، منذرا بالشر المستطير، وقد جاء فى احداها، «ان اقامة دولة اسلامية مستقلة على حدود الانتداب الفرنسى، يشكل تهديدا مستمرا وأكيدا، لأمن هذا الانتداب، وسلامته، ان قبائل الريف تخضع لاول مرة فى تاريخها الطويل لرجل فرد، وتعيره آذانا صاغية»، «وان ابن عبد الكريم يرغب فيما يبدو فى تمثيل دور مصطفى كمال، وقد انتفع من ثقافته الاوربية، ومن معرفته بالتقدم المعاصر، وأضاف ان أمير الريف هو بطل الاستقلال المراكشى».

لاجل أن يتقصى المرشال كل أخبار الثورة حركة بحركة، وضــع مراقبا مدنيا يدعى غابرييلى على رأس مركز توريرت، بين وجدة وتازا، وهو مركز مهم بالنسبة لتقصى الاخبار عن الثورة، لانه الممر الوحيــد للارياف الذين يذهبون الى الجزائر، أو الرجوع منها، كما هو ممر للذين يرتادون فاسا للاغراض التجارية أو غيرها، وذلك بعدما انتشرت الحاميات العسكرية الفرنسيـــة على قمم ضفـــاف نهر ورغة، حيـــث سيطرت على الممرات المعتادة الى فـــاس .

وقد قام غابرييلى هذا بنشاط كبير، وكون جهازا من المخبرين من الاهالى، ومن أبرزهم المدعو «القائد ميمون الريفى»، الذى كان يملــك أحد المقاهى بتازا، والتى جعلها محطة للراحلين والغادين من الاريـــاف الى الجهات المختلفة، فكانوا يحطون عنده رحالهم، بينما يستقى الاخبار منهم، (أى أخبار الثورة) التى يحملها توا الى المراقب المدنى ليلا، وفى مقابل ذلك يخصه بالتموين بالمواد الغذائيـــة النادرة الوجود فى الريـــف، كالشاى والسكر، وغيرهما، على أن يبدو معهم متسامحا كريما وفيا مخلصا، حتى لا يتفطنـــوا لمراميـــه .

وفضلا عن ذلك فانه عندما دخلت سنة 1924، أى قبل انفجـــار النار على نهر ورغة، كانت توجد لديه شبكة استخبارية سياسية وعسكرية، ونشط نشاطا محسوسا، قام بنفسه برحلة الى الريف، وتقابل مع ابـــن عبد الكريم كما حرص كل الحرص أن يستغل زيارة الصحفيين الامريكيين، وهما فونست شيان وبول سكوت مورر، وقد زار الاول الريف مرتـــين: الاولى دخله عن طريق تازا ــ ميضار الى آيت قمرة، حيث استقبله ابـــن عبد الكريم الذى استاثر باعجابه، لحصافة أجوبته السياسية، عن الاسئلة التى ألقاها عليه، حول الحالة التى تشغل بال الرأى العام العالمى، والتى تولدت عن انتصاراته على الجيوش الاسبانيـــة، وموقفه من الجامعـــة الاسلامية، التى تتحدث عنها الصحف الاسبانية، فكان جوابه أن ليـــس ثمة صلة قائمة بين الثورة وبين أية حركة فى الاقاليم المغربية الاخرى، التى تخضع حالا لفرنسا، كما ليس هناك اتصال مع مسلمى الجزائر، أو تونس،

أو مصر، كما ليس هناك نية تمثل هذه الاتصالات، وانما اسبانيا تسعى من وراء نشر هذه الدعايات لاثارة مخاوف فرنسا، وانجلترا، لمعارضة الثورة الريفية، ضد اسبانيا للتخفيف عليها .

كما أجاب عن شروط الصلح مع اسبانيا بأن الشرط الاساسي للصلح هو انسحاب جميع الجيوش الاسبانية من المغرب، ماعدا الحاميتين الموجودتين فى سبتة ومليلية، واذا توفر هذا الشرط، فانه يمكن قبول المفاوضة على مسائل أخرى .

أما ما يتعلق بعلاقة الثورة مع فرنسا، فقد أكد بأنه يستبعد كل الاستبعاد أى صراع مع الجيوش الفرنسية، فى الاقاليم الخاضعة لها، اللهم اذا كان مضطرا للدفاع عن النفس، ومع ذلك فانه يستبعد أن تعمد فرنسا الى مهاجمة الثورة، وانه يتمنى أن تقبل فرنسا صداقة الريف .

ولما رجع تنكب أن يرجع عن طريق تازا، لانه أراد أن يستمع الى قائد آخر، كان يوجد فى الجبهة الغربية يسجل انتصارا تلو آخر، ضد الجيش الاسبانى الذى يقوده المركيز دى استيلا، وهو السيد امحمد الخطابى فى معسكره تاغزوت، بأعالى وادى لو، لكى يستوضحه أيضا على خططه، ويقارن بين قيادته الحربية وقيادة أخيه، الذى قال عنه، انه أحد أبطال الملاحم، أو سيف الاسلام المسلول، فلما قابل هذا القائد أيضا، قال عنه انه سيد شهم ووطنى، وانه بالغ الكرامة، كما شاهد مأساة الريسونى وهو يحمل على محفة لترحيله عن معقله الى حيث ينتظره الاجل المحتوم .

أما الصحفى الآخر موررو، فانه فضل أن يرجع عن طريق تازا، حيث نزل ضيفا على رئيس الاستخبارات، بتازا، الذى استمع منه الى عروضه عن ارتساماته فى زيارته للريف، التى يضيفها الى معلوماته، التى أجهد نفسه فى جمعها، كما حرص على الاستفادة من مراسلات شيان، المنشورة فى مجلة «شيكاغو تريبيون» وكون من ذلك ومن معلوماته الخاصة بحثا مستفيضا عن الثورة الريفية، ومركزها الحساس ببنى ورياغل، وعلاقة رجالها بالامير ابن عبد الكريم، كما دون تفاصيل هامة عن التنظيم العسكرى الريفى، ورجاله ومقدار القوة البشرية القتالية، التى أوصلها الى 60 ألف مقاتل، وزعها على القبائل، خصص لبنى ورياغل

ما بين 15 و 20 ألف وصفهم بأنهم أحسن مقاتلى الريف، ولم يغفل عن المعدات الحربية الثقيلة منها، التى أوصل عدد المدفعية منها الى 200 قطعة أغلبها اسبانية، غنمت فى الحرب، كما لم يغفل الخطوط التليفونية التى قال عنها ان الشباب الارياف تكونوا بمهارة فى استعمال الآلات التليفونية، ومدها الى جهات القتال، الى غير ذلك .

وعلى كل حال، فان غابرييلى هذا أفاد رجال الجيش الفرنسى باستخباراته التى تخصص لها، مما جعل هؤلاء القادة على علم بكل ما يدور فى الريف، وبالاخص ما يتعلق بجس النبض عن مشاعر ابن عبد الكريم حيال فرنسا، ومدى صحة ما يشيعه الاسبان من أن غرض ابن عبد الكريم طرد المسيحيين عن المغرب، من أجدير الى أكادير، وعلى الاقل ما يعتزم عمله لصالح قبائل ورغة، التى ما فتئت يحج زعماؤها الى أجدير، حيث يرون أنه الملاذ الذى يخلصهم من الحكم الاجنبى، بعد الانتصارات المدوية فى مناطق الريف، وجبالة على الاسبان .

ورغم تصريحات ابن عبد الكريم المتكررة التى تصدر عنه فيما يخطبه من ود الجيش الفرنسى فى المغرب وعرضه لحل مشاكل الحدود من وزان الى تازا، تفاديا من تعكير جو السلم، الذى يجب أن يخيم على حسن الجوار، فان تقارير غابريليبى كانت مشحونة بتضخيم نوايا الثورة ضد فرنسا، وهى طبيعة لا تختلف فى رجال الاستعمار، وبالاخص فى هذا الوقت الذى استعلوا فيه على الامم المستضعفة، مما دل على أن مسؤولية الحرب مع فرنسا لم تقع قط على عاتق ابن عبد الكريم، وليس من الانصاف فى شىء أن نجارى الكتاب الاجانب فى القاء تلك المسؤولية عليه، حتى قال بعضهم وهو «شارلزمير سروان» كان يعتبر أحد الكتاب المنصفين لابن عبد الكريم، قال فى كتاب له تحت عنوان «الفرقة الاجنبية» انه ارتكب خطأ عندما لم يكفه أنه انتصر بما فيه الكفاية».

بدء المعارك

فى تاريخ 1921 عندما اندحر الجيش الاسبانى أمام المجاهدين فى الجبهة الشرقية، كان الجيس الفرنسى قد انتقص من 95 ألف جندى

الى 65 ألف، منهم 20 ألف فقط من الفرنسيين، لعوامل اقتصادية اقتضتها الحالة الاقتصادية لفرنسا .

وفى هذه الاثناء، أى الى بحر 1924، ظل ابن عبد الكريم يعرض على فرنسا عدم التحرش بالقبائل التى على الضفة الشمالية لوادى ورغة، مستلفتا نظرها لوجود أفراد اسبانيين، أو عميلين لها يتجولون بين تلك القبائل، لتحريضها ضد الريف، وقد استمر على هذا النهج الى مارس 1924، حيث بعث السيد حدو بن على الاكحل محملا برسالة الى فاس، لتبليغها الى الكمندان (شاستنات) الحاكم العسكرى لفاس، يطلب منه التريث وعدم تقدم الجيش الفرنسى لاحتلال قبائل ورغة، وذلك لما علمه من الدرقاوى عبد الرحمن الغمارى، وبعض رجال بنى زروال يطلبون حماية الزاوية الدرقاوية ببنى زروال، بالجيش الفرنسى، باحتلال قبيلتهم، فوعدوه بعدم التقدم، وفى 31 مارس 1924 قام الرسول مرة أخرى برحلة الى فاس، حيث أبلغ القادة الفرنسيين بأن ابن عبد الكريم لا يضمر أية عداوة لفرنسا وانه من رعايا ملك المغرب، الذى له الحق وحده فى تنظيم العلاقة مع الجيش الفرنسى، وانه هو الذى يرى هل لذلك الجيش أن يحتل قبائل ورغة الشمالية أو أنه من جهته فى استطاعته أن يجلى عن المراكز التى ترى فرنسا ضرورة اجلائه عنها، ولكن يطلب التريث لاجل أن يرتب الامور مع تلك القبائل حفظا لسمعته الحربية والاسلامية، ازاء القبائل الريفية، وقبائل ورغة نفسها، وان الجلاء بتلك السرعة التى يطلب بها الجيش الفرنسى يضر بسمعته ضررا تكون عواقبه عليه وخيمة، وهنا كان جوابهم رفض التريث قائلين للرسول، ان التقدم الى جهة ورغة مفروغ منه، بل زادوا بأن أمر مساعدة القبائل التى تطلب احتلالها من طرفهم أمر ضرورى ومحتم، فهم يحتلون كل قبيلة تطلب الانضواء تحت راية الجيش الفرنسى، وفعلا سير حملتين لاحتلال بنى زروال، ومرنيسة، وكما فعل ابن عبد الكريم مع قادة الجيش فى فاس، فقد فعل مثله مع مثلهم فى مدينة تازا، وقد رد حاكمها العسكرى ردا غير لبق .

وهنا قرر ابن عبد الكريم تجريد حملة المجاهدين على الجيش الفرنسى، وبالاخص أنه علم بالاتصال الذى يجرى فى الخفاء بين فرنسا

واسبانيا، لتوحيد الخطة لضرب الحرب الريفية فى الصميم، وان كل مراوغة القصد منها ربح الوقت، وتضليل الآخرين، لان انكسار الجيش الاسبانى فى الجبهة الشرقية والجبهة الغربية، قد أثار دهشة وحيرة لدى الدوائر الفرنسية وسمتها ثورة شمال افريقيا، معتبرة بأن نارها المندلعة سوف تأتى على جميع جهات الاحتلال الفرنسى.

والواقع أنه فى سنة 1924 كانت مراكز فرنسا على ضفاف نهر ملوية عبارة عن 70 مركزا حربيا مجهزا بالمدافع والرشاشات والجنود.

وكان المرشال اليوطى فى شهر دجنبر من سنة 1924، قال فى تقرير قدمه الى الوزارة الحربية بفرنسا «ان هجوما من طرف الريفيين متوقع الوقوع بالتأكيد فى ربيع سنة 1925».

وفعلا فانه حشر فى هذه السنة عددا كبيرا من الجنود الفرنسيين على حدود ورغة، طيلة الحدود الفاصلة بين القبائل الموالية للثورة، والقبائل التى تحت قبضة الفرنسيين، وقد أمدت الحكومة الفرنسية المرشال اليوطى بجيوش جرارة، وعتاد وطائرات حربية وتقدم لاحتلال بنى زروال، وقبائل الحدود الاخرى، وضرب عرض الحائط بعروض ابن عبد الكريم، فيما يخص الصداقة الريفية الفرنسية، وتأكيداته بأنه من رعايا جلالة الملك، وانه لم يقم الا لطرد الاسبانيين، الذين يستعملون الوحشية ضد الاهالى، وانه عندما يطردهم لا يعنيه من أمر الجنوب شىء، فهو موكول لجلالة الملك، وان بلاد الريف كانت لا تصل اليه الاوامر السلطانية، فهو قائم هنا نيابة عنه، وممثلا له، وهنا لم يسعه الا أن يرد الكيل بمثله، وان يجرب حظه مع فرنسا، كما جربه مع اسبانيا، متمثلا بقول القائل:

اذا لم تكن الا الاسنة مركب ... فلا يسع المضطر الا ركوبها

اجتماع المجلس الحربى الثورى وقراره

وقد اجتمع ابن عبد الكريم بالمجلس الحربى الذى يستدعيه فى مثل هذه المواقف، وكان بمحكمة ازغار، (قرية متفرعة من أجدير) ينتقل اليها تعمية عن حامية جزيرة النكور، التى تصب نيران مدافعها صوب

مقره بأجدير، ولكن فى هذا الظرف كان الريفيون تمرنوا على استعمال المدافع المنصوبة من جهتهم صوب تلك الجزيرة للرد بالمثل أو أقوى .

فقر رأى المجلس الحربى، وهو يتألف من أخيه امحمد، وعمه عبد السلام والسيد احمد بودرة، والسيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى والسيد اليزيد بن الحاج حمو، والسيد محمد بوجبار، والفقيه سى بولحيا، والسيد حمادى الشمس، والسيد عمر بن محمادى من بنى عبد الله، بخوض المعركة مع فرنسا التى لم تصغ الى نداء الضمير، والتى ركبت رأسها فى السماء، وقد انكشفت نواياها المؤازرة لحليفتها اسبانيا، وان كلما تراوغ به انما انتظار لنتيجة العمل مع هذه الاخيرة، فلما خيبت ظنها فى الانتصار على الريف ، شمرت للقيام بخنق المجاهدين .

وقد قرر المجلس على أن الذى يقوم بقيادة العملية هو السيد امحمد الخطابى أخو ابن عبد الكريم، الذى كان مقر قيادته بتركيست بين قبائل صنهاجة الشمالية، التى هى قبائل متآخمة لقبائل ورغة شمالا، واعطاء الحملة الهجومية قيمة تليق بالاعمال التى تنتظر العملية، لانها موجهة ضد دولة تعتبر من أعظم دول أوربا فى العمل الاستعمارى، والاختراعات الحربية، وقد تقرر أن يؤلف السيد امحمد أركان حربه يسير معه الى الجبهة، وان يكون مكونا من المهاجرين عن قبائلهم فى الجبهة الشرقية، التى احتلتها اسبانيا، وهاجروا الى قبيلة بنى ورياغل، حيث مركز الثورة، أو مركز القيادة العامة الريفية وفعلا تكون المجلس كما يأتى:

ــ الرئيس السيد امحمد الخطابى

ــ الكاتب العام للمجلس الشريف سيدى الحسن القادرى التلمسانى.

ــ الاعضاء : السيد ادريس بن ميمون خوجة من قبيلة قلعية، والقائد احمد دادة من قبيلة بنى بويحيى، من المهاجرين .

ــ القائد بورحايل من قبيلة مطالسة .

والقائد عمر بن بوعزة من مهاجرى بنى سعيد الريفية التى يقع مركز سيدى احساين فيها، وكذلك مركز امجاو اللذين احتلهما الاسبان.

ــ والقائد علال بن الحاج بوعزة من تمسامان، لم يكن من المهاجرين، لان تمسامان فى ذلك الوقت لم تكن محتلة، وهى التى يقع فيها أخشاب

امغار، وهو مركز المحكمة الكبرى فى تلك الجهة، وفيها وقعت معركة «دهار ابران» .

— والقائد محمد شراط من أجدير ببنى ورياغل وهو يقوم بمهمة رئيس الديوان للسيد الخطابى، وكان قبل ذلك مكلفا بسجن «تاخنوست» بين الحسيمة وأجدير بوادى اسلى، وفى نفس الوقت كان يشرف على بناء المعتقلات بواسطة المعتقلين .

— أما السيد احمد بن السى شعيب اقيعان فقد كلف بامانة المال فى هذا المجلس الحربى المصغر .

ونظرا الى أن السيد امحمد الخطابى قد انتقل بعد انفضاض المجلس الحربى الاعلى الى مقر قيادته بتركيست، فان ابن عبد الكريم استدعى هؤلاء الاعضاء الى محكمة ازغار، فأمرهم بالتوجه الى أخيه بتركيست، ولم يقل لهم لماذا، بل أخبرهم بأنه الذى طلبهم واستفهمهم فقط عن المركوب، فتوجهوا وقطعوا مرحلتين باتوا خلالهما فى قرية احدوثا ببنى حذيفة، عند شخص يدعى علوش طامة وفى غده وصلوا الى تركيست، وكان مقر عمله بالمحكمة التى تدعى آيت شيب، وكان يستأذن عليه شخص يدعى الحسن البونصارى من قبيلة بنى بونصر، احدى قبائل صنهاجة الشمالية .

وبعد استراحة ما، سألهم هل علمتم لماذا استدعيتكم؟ ولماذا اخترتكم؟ وأنتم من المهاجرين المغتربين عن بلدهم ولم استدع معكم أحدا من غيركم، فقالوا لا .

قال أما لماذا استدعيتكم أنتم بالذات؟ فانه قبل العام الفائت كان حضر الى مرسى (اسلى) (وهى فرضة تاخنوست بأسفل أجدير) مبعوث أسبانى وهو «تشابارطا» يحاول عرض الصلح بيننا وبين الجيش الاسبانى، لتخرج حامياته من مراكز عدة لتلتحق بسبتة ومليلية وتنكمش فيهما، على أن لا يتعرض لها المجاهدون فى طريق انسحابها من تلك المراكز، وفى الحين تبقى المنطقة التى يقع منها الانسحاب خاضعة لنا، ولكن فاجأنا المجاهدون من بنى ورياغل باقتراحات شتى، فمنهم من يقول بأنه يجب أخذ الجيش الاسبانى أسرى كلهم، ومنهم من يقول بأنهم يتركون السلاح ويخرجون من تلك المراكز كالنساء، ومنهم من

يقول غير ذلك من الشروط الثقيلة التى لا يمكن أن يقبلها أى محارب يعتز بنفسه، ولو الى الموت، وحاولنا افهامهم بالحقيقة، وان عرض المبعوث يعتبر فرصة يجب اغتنامها، ولكن عبثا حاولنا، فضاعت منا فرصة رجوع قبائل أخرى التى هى عزيزة علينا الى حضيرتنا بدون اراقة الدماء .

ولذا فقد رأيت الآن ان أستدعيكم، أنتم بالذات، وأنتم المهاجرون الذين اغتربتم عن بلادكم للجهـاد فى سبيل الله، فكونت منكم مجلسى الحربى هـذا .

أما لماذا هذا المجلس؟ فـان الجيش الفرنسى حاولنـا معـه المستحيل ليخلد حيث هو الآن وان لا يتحرك الى القبائل التى تعد مـن الريف، وهى قبائل الضفة الشماليـة لوادى ورغة وعلى الاخص منهـا قبائل بنى زروال، ومرنيسة وكزنايـة، التى تعتبر من صميم قبائلنـا، واننا من جهتنا نتركها كذلك بدون تنظيم يذكر، فنترك أمرها بيدها الـى أن نسوى قضيتنا مع الجيش الاسبانى، بحد السيف، وهو خير الحاكمين، نقوم نحن وفرنسا بتحديد الحدود التى تكون قارة بيننـا .

ولكن تعرفون ماذا كان جواب هؤلاء المتغطرسين من العسكريـين الفرنسيين؟ انها جواب لا يليـق وحتى بالمجاملة الانسانية، فقد أجـاب حاكما فاس وتازة العسكريان، بأن امر الاحتلال لا يعنى الريف، وانمـا يعنى فرنسا، وتلك القبائل، فما دام قبيلة بنى زروال تطلب منا احتلالها، فنحن نحتلها أحب من أحب، وكره من كره، وانه ليس لاحد عليهم نيابة، أما قبيلة مرنيسة فانها طلبت حمايتنا فأرسلنا اليها قوة من رعايا جلالـة السلطان، ثم أخرج رسالة الحاكم العسكرى لتازة، وقرأها بنصها علـى الجميع، وقال لهم الآن ما هو رأيكم فيما ترون، فان السيل بلغ الزبـى؟ ولم يبق الا حفظ السمعة والشرف والاسلام والوطن، ثم بدا على وجهـه تأثر كما لم يكن بدا عليه مثله من قبـل قط، فتمثل، وقد استولى قائمـا يذهب ويجىء فى الغرفة بقول الشاعـر :

ألا لا يجهلـن أحـد علينـا   فنجهل فوق جهل الجاهلـين

وجعـل يكـرره .

وضعيـــة الجيــش الفرنســى علـــى ورغـــة

كانت وضعية الجيوش الفرنسية وتحصيناتها على حـــدود ورغة على الوضع التـــالى :

ابتداء من سنة 1924 الى سنـــة 1925، أثار المرشال اليوطـــى انتباه دولته بالحاح، مشيرا الى أن الريف المنتصر على الجيوش الاسبانية فى ميادين القتال، لا يفتأ ان يجرب نفس الخطة ضد فرنسا فى المغـــرب، وان الهدف الاول الذى ستجرى فيه تلك العمليات، هو على ضفاف نهـــر ورغة، وبالاخص ان تلك القبائل حجت الى ابن عبد الكريم، الذى رأت فيه الزعيم الذى يخلص المغـــرب من الاجنبى وانه بسبب ذلك قاومـــت قبائل شمال ورغة تقدم الجيش الفرنسى، ورغم ان ابن عبد الكريـــم نصحهم بالاخماد الى السكـــون، فان ذلك يعتبر أمـــرا مؤقتا، لكســـب الوقت، لتصفية الحساب مع اسبانيـــا .

وفى بحر سنة 1924 كان قرار اليوطى الخاص به هو استعمال القوة، لاحتلال قبائل شمال ورغة وبذلك طار فى أواخر ستنبر 1924 الى باريس، حيث ضخم قضية الريف، والخطر الذى ينتظر فرنسا فى المغرب، من انتصارات الريف على الاسبان، وطلب تزويده بالقوة الكافية لاحبـــاط كل الاحتمـــالات .

ولما رجع (1) الى المغـــرب فى اكتوبر عن طريق البحر نـــزل بطنجة، وصرح هناك للصحفنين «بأنه عاد من باريس الى المغرب، فى وقت عصيب وان حالة الريف تقلقه، لان احتلال ابن عبد الكريم الحدود بـــين فرنسا واسبانيـــا تنجم عنه صعوبات شتـــى، وانه لذلك فان الحكومـــة الفرنسية أكدت له بباريس اذا رأى وجوب اتخاذ تدابير عسكرية لصون حدود المنطقة الفرنسية، تضع تحت تصرفـــه الجيوش اللازمة، وتمـــده بالدخـــيرة» .

وفى دجنبر 1924 أرسل تقريرا الى باريس يؤكد احتمال قيـــام الريف بالهجوم على الجيش الفرنسى .

---

(1) كتاب بطل الريف لمحرر جريدة المقطم بمصـــر .

وكان قد بدأ من يوم عودتـه من باريس بانشاء المخافر على الحدود الامامية، وقد وصلت هذه المخافر الى 70 مخفرا، بينما أنشأ مخافر ورائية احتياطية، وبذلك يكون قد بدأ عملية الاصدام مع الريف، قبل أن يفكر فيه ابن عبد الكريم، وذلك ما أيده مراسل الجرنال فى أواخر يونيه 1925، عندما جاء فى تقارير القادة العسكريين، من أن الريفيين هم الذين فاجأوهم بالهجوم على المواقع الفرنسية، فكذب مراسل الجرنال قائلا «ان الفرنسيين هم الذين تحرشوا بانشاء المخافر، ومد الطرق وبذلك فان الريف لم يفاجئهم، بل ردوا عادية الجيوش الفرنسية، وقاتلوا قتال الابطال، واخترقوا تلك المخافر كلها بسرعة العمل، ودقة تنفيذ المخطط» (1)

والواقع أن سبب تحرش الجيش الفرنسى كان مستوحى من أن فرنسا هى التى عقدت الحماية مع المغرب، وانها هى التى منحت اسبانيا الجزء الشمالى لاحتلاله، بعد الضغوط التى مارستها ضدها دول أوربية معنية بقضية المغرب كما سبق، ولـذا فانها ترى ان اسبانيا اذا عجزت عن احتلال الريف، فان لفرنسا الحق فى احتلاله، عوضا عنها، لان قيام اقليم مستقل يحفز النعرة الوطنية فى الاقاليم الاخرى، بل ان ذلك سيجعل مستعمراتها ومحمياتها فى الشمال الافريقى كله فى خطر انتشار نفس الاسلوب، حتى أن الكاتب الفرنسى الشيوعى المدعو (أندريه برتون) نشر فى جريدة (الاومانيتيه) الفرنسية، مقالا قال فيه: «ان الفرنسيين فى قرارة أنفسهم يحبذون أن يتغلب ابن عبد الكريم على الاسبان، ليجليهم عن الشمال، وحينئذ يتذرع الجيش الفرنسى باحتلاله لما ذكر» .

وقد عمدت فى بحر سنة 1924 الى اصطناع سبب للتقدم الى احتلال بنى زروال، وتذرعت بأن الدرقاوى عبد الرحمن الغمارى، وبعض رجال قبيلة بنى زروال، طلبوا من الجيش الفرنسى أن يحتل الزاوية الدرقاوية حماية لها .

رغم أن الجيش الفرنسى فى شهر مارس 1924 كان فى مفترق الطرق، أما الحرب مع الريف أو السلام، ولكن كل ذلك كان احتمالا فقط، وأما النوايا العسكرية الاستعمارية كانت تتجه وجهة القوة .

---

(1) كتاب المغرب ومراحل التهدئة للجنرال غوديد .

ويجدر لنا هنا للتدليل على ذلك ان نأتى على الكتاب المفتوح الذى أرسله السيد امحمد الخطـابى الى جريدة (السياسة) المصريـة والتى نشرته بتاريخ يوليوز 1925، وهـو كتاب مفتوح الى أعضاء مجلـس النواب الفرنسي جـاء فيـه :

«لنا الشرف أن نرفع خطابنا الى مجلس الامة الفرنسى المحترم، وننهى الى مسامع حضرات النواب ما نحن عليه من الاستياء العظيم، من جهة ما يروجه عنا دولة المرشـال اليوطى، وحتى صحف باريس، مـن الاشاعات التى لا تدخـل فى الحصر، تشويها لسمعتنا عندكم، وحطنـا من كرامتنـا» .

«ومما آلمنا كثيرا انكار بعض الرؤساء من بيدهم مقاليد الدولة ولديهم صبغة النفوذ بالبرلمان الفرنسى منكرين معرفتهم بنا، وتصفحهم لمكاتبنا، مثل مسيو بانفولى رئيس الوزراء الحالى، كما سبق لنا الكـلام مع مسيو بوالكراه بالواسطة وأعربنا عمـا تنطوى عليـه ضمائرنا مـن الود نحو فرنسا، التى كنا نظن أن تكون أول المساعدين على تأييد مطالبنا، والاعتراف بحقوقنا الطبيعيـة» ؛

«وكما أرسلنا الى المرشال اليوطى بالمكاتب، وخاطبناه بواسطـة الرسل كل ذلك حرصا منا على الموافقة، أما هو فلم يكترث بذلك، ولـم يقابلنا الا بما فيه الحط من شرفنـا» .

«لقد أوفدنا مندوبنا فى السنة الفارطة (1924) الى فاس عندما تحققنا بان المرشال عازم على الزيارة الى قبائل ورغة وصنهاجة، استفهمناه عن ذلك الحادث الماس بشرفنا، أما المرشال فما أدخر وسعا فى تحريـك القبائل ضدنا، من المجاورين لنا، وتحريضهم على الاعتداء علينا، كـى يجد السبيل ليتقدم عسكره هناك، ومع ذلك، فاننا ما خضنا هذه الحـرب حتى وقع الاعتداء علينا باطلاق المدافع على محلاتنا، وقذف الطائـرات لجنودنا، التى كنا وجهناها لتأديب قبيلة بنى زروال من الذين كانوا فـى الحياد، حين اعتدوا وتمردوا علينا» .

«وعلى كل حال، فان كل ما يروج هنا من هذا القبيل، أو عـن

وجـود البلشيفييـين بأرضنا غـير صحيـح، وانما نحن ندبر شـؤون بلادنا بأنفسنـا» .

تحريرا بالخط الجنوبى فى 25 دى القعدة 1343 هـ .

وقبل هذا الكتاب المفتوح، كان أحد مراسلى جريدة (الجرنـال) الفرنسية الذى كان يتجول فى الريف، واتصل بابن عبد الكريم بتاريـخ 1925، أى قبل اندلاع الحرب فى 5 ابريل 1925 بين الريف وفرنسا، على ورغة، استفسره عما يشاع فى الاندية السياسية الاسبانية والفرنسيـة، القائلة بان الريفيين ينوون مهاجمـة المنقطة الفرنسية (حسب تعبـيره)، عندما يفرغ من جلاء الاسبـان، أجاب الامير كيف أهاجم فرنسا، وأنـا ما فتئت أجاهر فى الاجتماعات العامة، وفى مجالسى الخاصة، بمساعدة فرنسا وعندما اصطدمت الجيوش الفرنسية مع قبائل ورغة، نصحت هذه بالركون الى السكون، ورفضت أن أشارك تلك القبائل، وبمثل ذلـك صرح لمراسل جريـدة (شيكاغو تريبيـون)، من أن حركة الريف غير موجهـة ضـد فرنسـا .

أما شقيقه السيد امحمد الخطابى، فانه أجاب مراسل جريـدة «الماتان» بأنه لما كان فى باريس (أى فى سنة 1923) يفاوض الفرنسيين علم أن الجيوش الفرنسية تتأهب لاجتياز نهر ورغة، فطلب من المسيـو (بومرشية) بواسطة احمد بالود ــ يظهر أنه جزائرى ــ أن ينصح حكومته بأن تلتزم الهدوء، فكان جواب الحكومة الفرنسية أن الامر من اختصاص المرشال اليوطـى، كما صـرح لنفس المراسل مستشار السيد امحمـد الخطابى السيد الحاتمى، بأن فرنسا سلحت قبيلة بنى زروال، وأمـرت رجالها بأن لا يتركوا رجال الريف يدخلون القبيلة، وفضلا عن ذلك فـان الكمندان شاستينيه أبلغ الامير أنه يطلب أن لا يتوغل فى بلاد بنى زروال، ومن ذلك الوقت اضطر الامير للدفاع عن البـلاد .

وقال «ان مما اختلقه المرشال اليوطى، من أن الريف عقد اتفاقا مع اسبانيا للتنازل لها عن مناجم الريف غير صحيح، وقال كيف تستساغ هذه الاشاعة، والحال أنه ليس بين الريف واسبانيا الا القتال» كما أشاع بأن الريف يقوم بحرب دينية لاجلاء المسيحيين عن بلاد الاسلام، وفى هذا الصدد أجاب الاميير عن أسئلة مراسل جريدة (الجرنال) قائلا: بأن

هذه الاشاعة مصدرها الجنرال برمو دى ريفيرا وأركان حربه، تضليلا للرأى العام، ولكن الحقيقة ان حرب الريف حرب وطنية بحتة تريد الحرية للبلاد .

كما أجابه عن سؤال يتعلق بما اختلق ضده من أنه يريد الزحف على فاس، لاقامته هناك سلطانا قائلا: انى عاقل» .

وعلى كل حال، فان الاحداث التى كانت المنطقة تصطلى بنارها يمكن تلخيصها كما يلى:

1 ــ عدد الجيوش الفرنسية عام 1921 التى كانت وصلت الى 95000 فى المغرب، قد نقص منها الى 64 ألف فقط، منهم 20 ألف فرنسي والباقى مختلط اعتبارا على ان اسبانيا، تقوم بدورها فى الشمال على النمط الذى قامت به فرنسا فى الجنوب .

2 ــ فى عام 1924 كانت قبائل المنطقة تغلى غليانا، نظرا للتأثير الذى أحدثه انتصار الثورة على الاسبان فى الجبهة الغربية، فكانت القبائل تحج الى الريف، وذلك ما دعا الفرنسيين الى القلق المتزايد .

3 ــ وفى أواخر سنة 1924 عزم المرشال على خوض المعارك ضد الثورة، ومن ذلك التاريخ جعل يحشد قواته على الحدود ويحصنها بالمخافر التى وصلت الى 70 مخفرا أماميا، ومخافر ورائية، وتعبيد الطرق لايصال أركان حربه وجيوشه بالسرعة المتطلبة، وقد حصنها بالمدافع الثقيلة والخفيفة .

4 ــ فى سنة 1925 خلق مشكلة الدرقاوى عبد الرحمن الذى طلب من الجيش الفرنسى حماية زاويته .

5 ــ فى شهر مارس 1925 أرسل ابن عبد الكريم رسوله السيد حدو الاكحل يحمل كتابا مؤرخا 25 رمضان 1342 هـ. الى الكمندان شاستنات بفاس، طالبا فيه التريث وعدم التحرش بقبائل الحدود الذى رد ردا خائبا .

6 ــ فى فاتح ابريل تقدم ابن عبد الكريم بجيوشه الى قبائل بنى زروال وفى الخامس منه اندلعت الحرب وهرب الدرقاوى الى فاس .

7 ــ وفى هذه الاثناء، وبعد الانتصارات التى أحرزتها جيوش

الثورة، قام الجنرال شامبرون، بمساعدة الجنرال هوش بتحصينات على مدينة فاس، لانها كانت فى خطــر .

8 ـــ قسم الجنرال (شامبرون) قوته الى ثلاثة أقسام: قســم فى كلاداى سلس، بقيادة الكورونيــل كونى، وقسم فى عين عائشة بقيادة الكورونيــل «دورانــد» وقســم فى دار المذبــوح بكزنايــة بقيــادة الكورونيــل «كامبــاى» .

9 ـــ حاصر المجاهدون فرقة (كونى) الفرنسية فى شمال (كلادى سلس)، وفى جهات ورغة ثلاثة أيام ولم تستخلص الا بعد معارك ضارية.

10 ـــ وفى 23 ابريل 1925 قسم الجنرال ـــ شامبرون ـــ الدفاع بناء على شائعات الهجوم على فاس، وتازا، الى قسمين: قسم دعى قوة العملية الشرقية، بقيادة الكورونيل بوجو، وقسم دعى بقوة العمليــات الغربية، بقيادة كامباى، الجميع تحت اشراف الجنرال (لولومبات) الــذى عهد اليه بأن يواصــل القتال ليل نهــار لايصــال الغذاء والذخــيرة الى المخافــر المحاصــرة .

11 ـــ وفى 3 ابريل تمكن المجاهدون من التسلل لاى عين عائشة، فأرسل الجيش الفرنسى امدادات تحت قيادة الكورونيل (فريد نبــرغ) وفى 3 مــاى تمكن من الوصــل الى أعالى تاونات وارسال الاغاثة الــى مخافر باب أوندارا، ومعطوف، وعين مديونــة وغيرها، وذلك لمساعــدة الطيران الذى يكون غطاء كثيفــا .

12 ـــ وفى هذا الاثناء اضطر الجيش الفرنسى أمام ضغط هجوم المجاهدين، للانسحاب عن جميع المراكز، ما عدا مركزى تاونات وتفرا ن.

13 ـــ فى 25 ماى تسلم الجنرال دوجان قيادة الجبهــة الشمالية بأسرهــا .

14 ـــ وفى أول يوليوز 1925 كان المجاهدون فى مركز يمكن لهم تهديد الجيش الفرنسى فى المغرب بأسره، وبذلك اضطرب الرأى العــام الفرنسى اضطرابا جعل قادة الجيش الفرنسى فى المغرب فى وضع حرج، اذ سلطت عليه الانتقادات المرة، لانه تحرش من حيث لم يكن ذلك ضروريا، حتى أن بعض الضباط فكروا فى الانسحاب من المنطقة بأسرها، وقد كانت الحرب استمرت ثلاثة أشهر كاملة، لم يعرف فيها الجيش الفرنســى

انتصارا يحفظ ماء وجهه، وعلى رأسه الكرونيل كامباى الذى قال بالتخلى عن مدينة تازا، لان ابن عبد الكريم كان يعمل لاحتلالها لقطع المواصلات بين المغرب والجزائر، ثم احتلال فاس، ان لزم الامــر .

15 ــ كانت القبائل الشماليــة لتازا، وهى التسول والبرانــس وكزناية قد انضمت الى الثــورة .

فى أواخر شهر يوليوز، تسلم الجنرال (نولان) قيادة الجيــش الفرنسى فى جبهة الريف، وقد تمكن هذا من رد المجاهدين عن مدينة تازا، وفى غشت استرجع قبائل التسول والبرانس، الامر الذى جعل الجيش الفرنسى يتنفس الصعداء فى هذه الجهة، وكانت الفرقة 19 بقيادة الجنرال (كامباى) هى المكلفة بالمحافظة على طريق تازة، الجزائر، وخاض معارك عديدة، ومع ذلك فانه لم يفت ذلك فى موقف المجاهدين القوى والمتصلب .

16 ــ فى أواخر غشت 1925 تعين الجنرال «بيطان» قائدا عاما للعمليات الحربية فى الشمال، وكان يرأس قوة تزيد على مائة ألف، منها 30 ألف من المشاة، والباقى فرسان، ومدفعيــة .

17 ــ كانت هناك ثلاث خطط حربية لاسترداد المواقع التى ضاعت من يد الجيــش الفرنسى احداهما للمرشــال اليوطى تقوم على خطــة الهجوم على بنى زروال، واسترجاع قبائل ورغة، باعتبار أن هذه القبائل هى التى جرت الجميع الى الاصطدام، وانها حيوية للريف، فاذا استرجعت فت فى عضدهم، وثانيهما للجنرال «بيطان» وهى الهجوم على المناطــق الواقعة شمال كيفان للاتصال بالجيش الاسبانى القادم من مليلية، وذلك لابعاد خطر قطع طرق الاتصال بين فاس والجزائر، مع توجيه هجوم عام بالقوة التى تتوفر على جميع الجهات، لشغل المجاهدين هنــاك .

أما الخطة الثالثة فكانت تقوم بعدم القيام بحرب نظامية، بل يقوم الجيش بحرب العصابات والاستنزاف، ثم الهجوم بعد ذلك، حينما يكــون المجاهدون قد أصيبوا بوهن، وهذه الخطة لم يعلم مصدرهــا .

18 ــ وأخيرا نفذت خطة الجنرال بيطان والجنرال نولان، فوقع الهجوم على كيفان، وحوالى تاونات وتافــران .

19 ــ واثر ذلك تمكن الجيش الفرنسى من احتلال كيفان وجبل مسعود، وجبل الناضور بكزناية واتصل بالقوة الاسبانيــة .

أما خسائر الجيش الفرنسى فى الارواح فى هذه الجهة حسب التقارير الفرنسية نفسها، التى لا يمكن تصديقها بحذافرها، فهى كما يأتى:
5723 جنديا منهم 1007 قتيلا و3711 جريحا، و1007 مفقودا (أى فى الاسر) .

وضعية المجاهدين فى الجبهة

أما وضعية العمليات الحربية التى قام بها المجاهدون من أول القرار بخوض المعركة مع الجيش الفرنسى، الذى لم يقل لهم عثرة، فانها سارت على المنوال التالى :

قرارات أركان الحرب :

انعقد هذا المجلس برياسة امحمد الخطابى بتركيست فأصدر القرارات التالية :

أولا : الكف عن الاتصال مع الفرنسيين فى شأن المفاوضة التى تتعلق بالحدود وقبائلها .

ثانيا : اعتبار الريف فى حالة حرب مع فرنسا .

ثالثا : اعتبار فرنسا هى التى اشهرت الحرب ضد الريف، حيث تعننت فاحتلت مناطق تعتبر ريفية .

رابعا : ولاجل رد الامور الى نصابها يجب تجريد حملتين اثنتين، احداهما من الجيش النظامى يقوم بحملة عن طريق كتامة، والاخرى من مقاتلى القبائل التى يجب استنفارها جميعا، للهجوم على المراكز الفرنسية، التى على الضفة الشمالية لنهر ورغة، وجميع المراكز على الحدود التى تعدى الجيش الفرنسى عليها واحتلها .

خامسا : ولاجل حشد القبائل فى هذا التاريخ الذى هو فاتح مارس سنة 1925، يجب اعلام قواد القبائل بالامر، لاخذ الاحتياطات وتهيىء المحاربين الشجعان، على أن يحافظوا على سرية العمليات ما أمكن، وأن يقودوا الحملة التى يجب أن تكون على الخطوط الامامية للعدو، فى أوائل ابريل 1925 .

سادسا : توضع لائحة القواد مع القبائل على الشكل التالى :

أ) – قائد الجبهة الغربية الجنوبية السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشي، الذى كان مركزه العام بشفشاون، ينتقل الى جهة وزان، وينزل فى غزاوة، ليهاجم مركز فراحة .

ب) – قائد غمارة السيد محمد محراش، وهو من قبيلة بنى سلمان يستنفر مقاتلة قبائل غمارة، لتعسكر فى نواحى غفساى، أمام خط العدو .

ج) – قائد بنى سعيد الجبلية السيد محمد القرفة البقالى، يستنفر مقاتلة تلك القبائل، ويذهب بهم الى نواحى البرانص، بقبائل تازا.

د) – والقائد حمادى بن الحاج سعيد من بنى ورياغل يستنفر مقاتلة المرابطين ليعسكر فى نواحى صنهاجة ازاء قبيلة مرنيسة .

ه) – قائد قبائل تركيست السيد محمد السليطان، ليعسكر بمقاتلة قبائله على نواحى مزيات .

و) – القائد صديق بن موح بن صديق قائد قبيلة بنى حذيفة من بنى ورياغل ليصحب معه القائد علوش ابن شدى من بنى ورياغل، ليعسكر بمقاتلهم بنواحى كزناية .

ز) – القائد السيد محمد كويس قائد قبيلتى كتامة وبنى سدات ليعسكر على نواحى تاونات .

وسابعا : ان يوم الهجوم هو يوم 5 ابريل 1925 ليلا ويبتدىء الهجوم دفعة واحدة فى جميع المراكز من وزان الى تازا .

ثامنا : يرسل الى القائد ولد على بن عبد السلام من قبيلة بنى ورياكل (بالكاف المعقورة) تقع على الضفة الشمالية لوادى ورغة، وهى غير قبيلة بنى ورياغل بالغين – ليحاط علما بكل التدابير، على أن يعد مقاتلته الذين هم فى ولاء مع الثورة ليكون فى مقدمة الهجوم، على أن يحفظ ما أمكن تنظيم تموين المجاهدين بما يتيسر من خبز وادام .

تاسعا : ان القائد العام السيد امحمد الخطابى هو الذى يرأس بنفسه هذه الحملة ويسافر حينا من تركيست، ويضع القيادة العامة حيث تيسر له، ويكون مصحوبا بالمجلس الحربى، على أن تسير معهم كوكبة من مائة جندى وحارس، الذين كانوا يدعون بالحفاظ .

عاشرا : تقرر أن يكون يوم الجمعة 5 مارس بعد صلاة الظهر

يوم الرحيل عن تركيست، وان يذهب الجميع الى زاوية سيدى محمد الخمليشى، لطلب الدعاء منه بالانتصار على الاعداء، وان تسبق كوكبة من الحراس وهم خمسون لاعلامه بمجيئهم، وفعلا تحرك مجلس اركان الحرب مصحوبا بخمسين نفرا من الحفاظ، وقصدوا الزاوية المذكورة، وكان من عادة هذا الشريف، أنه لا يخرج الى الزوار، وانما تكون ملاقاته من نافذة بيت العبادة، وكانت لزاويته حرمة يقصدها سكان تلك القبائل، للتبرك بالسيد الوقور شيبة الحمد، وكانت دعواته مستجابة نظرا لحسن عقيدته التى مبناها السنة النبوية وفضلا عن ذلك، فقد كان له ارتباط متين بالدولة العلوية، وكانت تصله أوامر كتابية من طرف الملوك العلويين، وقد وصل الامير الى الزاوية واستعمل نفس العادة معه اذ دعى للمجاهدين بالنصر وللاعداء بالهزيمة .

حادى عشر : كما تقرر أن تتبعهم فرقة الخطوط التليفونية التى يجب عليها ان تمد الاسلاك التليفونية الصاقا بالاشجار أو محطوطة على الارض، وعلى كل، فانه يجب أن يصل التليفون الى حيث تحل القيادة العامة.

وعلى الساعة الرابعة مساء تحرك الجميع، وكانت القبائل التى يمرون عليها تتقاطر، وحوالى 12 ليلا وصلوا الى قبيلة بنى احمد بوشييث، وهناك نزلوا واستراحوا الى الصباح، حيث استأنفوا السير الى أن وصلوا الى مركز تبرانت .

وهناك تقاطرت جميع قبائل صنهاجة الشمالية، وتغزوت، بالاعلام، والاجواق المحلية (الغيطة) وانضم الجميع الى مسيرة ضخمة، يعلوها خشوع وحماس وولاويل النساء، وكان الموقف رهيبا حقا .

ولم يسع القائد الا أن يقف وسط تلك الجموع فى وسط الادغال، والخناديق الطبيعية، والجبال الشاهقة، فحيى الحاضرين تحية سلام وأخوة، ودعى المنادى الذى كان يسير مع القافلة، وهو الاشيب البركة المدعو المقدم البراح، وهو من بنى وليشك، ويسكن فى بنى بوعياش، وكان عمره أكثر من مائة سنة عايش أحداث المغرب الاخيرة، لجمع القوم، وقرأ عليهم السيد امحمد صيغة النداء الذى كان على التالى :

«أيها المجاهدون ، يا أبناء الريف وأمازيغ» .

«أدعوكم للجهاد فى سبيل الله، فانها فرصة العمر، فالموت أمر

محتوم على كل بشر، فطـوبى لمن مات فى الجهاد، أولئك الذين ترتفـع روحهم الى أعلى عليـين» ..

«وانى أدعو الله، وامنوا على دعائى، لعل الله يستجيب، اللهـم اننا قصدنا الجهاد فى سبيلك فحسن أحوالنا، وقو ايماننا، وثبتنا عند اللقاء فأنت نعم المولى ونعم النصير، اللهم أنك تعلم أننا لم نخرج لغير الجهاد فى سبيل الله، فاجعل لنا مخرجـا، ولا تكلنا الى أنفسنا، اللهم أرزقنـا الشهادة التى اليهـا نسعى» .

أيها المجاهـدون :

«اننا خرجنا فى حملة لرد كيد الاعداء: أعداء الاسلام، الذيـن أهانوا المسلمين فى عقر ديارهم، من دون انسانية، ولا عهد، فلا تهنـوا، ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مومنين» .

«ان عملنا هذا شريف نظيف، يجب أن يبقى كذلك الى أن نهزم العدو، أو نلقى الله، وسيكون الفتح لنا، فـلا تفتحوا لانفسكم مسالـك شهـواتهـا» .

واعلموا ان الله حـرم عليكم أعراض وأموال الناس، والفسـاد فى الارض .

«ونحن قادمون على خوض المعارك مع العدو فى أرض اخوانكم المسلمين فلا تتعرضوا لمالهم ولا لاعراضهـم، ولا للعبث بـأى شـىء محرم، عليكم، فكل شىء يجب أن يكون مصونا ما عدا العدو فى معترك القتـال» .

«وانه سيسقط فى أيدينا أسرى من الاعداء، فلا تقتلوهـم، ولا تعذبوهم، وأوصلوهم الى المراكـز القريبة منكم، وهى التى تتكلـف بشؤونهم، ولا تجهزوا على الجرحى، وكل من فعل شيئا مما نهى عنـه، فانه يقتص منه قصاصا شرعيـا فى الحـال، ان السلاح الذى تغنمـونه من العدو يجب الاعلام به حينا للقيادة العليا، فان شاءت تركته لكـم، وان شاءت عوضت عليه بالدراهم، واياكم وافساد الغنائم كيفما كانـت صغيرة أو كبيرة، فنحن مفتقرون الى المعدات، كيما كان نوعها، فكل من غنم شيئا، فله قيمته نقدا حالا» .

«أيها المجاهدون ، اعقـدوا النية على الجهاد، فانما الاعمـال بالنيات، لا يكون عملكم الا لوجه الله فاقصدوا على بركة الله» .

ثم أمر بالتحرك، وهنـاك قامت قيامة القوم بالبكاء والنحيـب والولاويل والتكبير والتحميـد .

معسكـر بنـي بـرابـر :

تقع قرية بنى برابر (ينطق بها الاهالى بسكـون الباء الاولى وفتح الثانية بغير تفخيم) فى قبيلة متيوة الوطاء، وهى من قبائل صنهاجة الشمالية، وهى غير متيوة الريف، التى تقع بقبائل الجبهة .

كانت محكومة من طرف قائد يدعى عبد السلام أنكاى، وهو من عملاء الجيش الفرنسى، وعندما علم بحملة المجاهدين، هرب الى فاس، محتميا بالجيش المذكور، وقد جعل السيد امحمد الخطابى داره مقرا للقيادة العامـة .

وتتمتع القرية بالماء العذب والاشجار المثمرة، ونقط حربية مهمة، مما كانت مؤهلة لان تكون مركزا للعمليات الحربية، وفعلا فانها بقيت مركزا الى النهاية، وفى نقطتها وصلـت الخطوط التليفونية كما كانـت مخزنا للسلاح، والعتاد الحربى، ومحطـة لتموين المجاهدين وتجمعـا لاسرى الحرب من الجيوش الفرنسيـة .

المعـارك الاولى علـى غربـى بنـى زروال

على الساعة الثامنة صباحا من يوم 5 ابريل 1915، ابتـدأت الاشارة من طـرف امحمد الخطابى للهجوم العام على المراكز الاماميـة انتى كانت فى مجموعها أكثر من 70 مركـزا، وكان رد فعل الجيـش الفرنسى بامطار المجاهدين، قنابـل الطائرات التى جعل ازيزها يـرن مختلطا مع لعلعة الرصاص، ودوى المدافع، وكـان الجو مكفهرا حقـا، فمن وزان غربا الى تافوغالت شرقا، كانت الحالة غير عادية، بل كانـت أشبه ما تكون بقيامة قامت، ولكن ليس على السكان، وانما على الجيش الدخيل، وقد ساعد على توسيع هـذه البلوى التى أصابته، ان مراكـز

قطعت عليها الماء والمؤونة، الا ما تمطره الطائرات التى قل ما تهتدى الى اصابة الهدف ، والا فأغلبها يطيش الى أيدى المجاهدين .

وكما أسلفنا، فان من جملة قرارات مجلس أركان الحرب، أن الجيش النظامى الريفى، يقوم بدوره فى المعركة، بعدما انهى مهمته فى الجبهة الغربية، التى وصلت الى تلك النتيجة المشرفة .

وهكذا، لما استدعى الزعيم ابن عبد الكريم أخاه السيد امحمد من هذه الجبهة الى الريف، ليقوم بمهمة أخرى، وقد تكون أشق من مهمته فى الجبهة الغربية، لما عرف منه من حسن الطلعة وعدم انكسار راية الجهاد له، فجاء معه الجيش النظامى الذى قوامه 700 جنديا، يقوده ضابطان برتبة قائد الطابور، احدهما شعيب أفلاح، وثانيهما محمد بن عمر الجوع، كلاهما من بنى ورياغل، كما صحبه أيضا جمهور من زعماء قبائل جبالة وغمارة .

شعيب أفلاح يروى تسلسل الاحداث (1) .

بعد وصول الجميع الى الريف، حيث مكثوا مدة 15 يوما فقط، وكان القائد المدعو عبد الكريم البحر من أجدير معسكرا على ضفاف ورغة، قبل أن ينشب أى خصام مع الجيش الفرنسى، بجيش قوامه 50 جنديا نظاميا، وكانت مهمته الاصلية هى اشعار قبائل ورغة بالوجود الثورى، بين ظهرانهم، وان يكون صلة الوصل بين الزعيم ابن عبد الكريم وزعماء تلك القبائل، وكانت الحالة عادية لوقت غير قصير، وعندما بدا للجيش الفرنسى أن يتحرش بالثورة، فانه هيأ هجوما مباغتا على قوة القائد عبد الكريم البحر، والقى القبض على تلك القوة من دون قتال، فلم يحتفظ بهم كأسرى، بل طردهم الى الريف، ولم يمس ولا واحدا منهم بسوء .

واثر ذلك فان امحمد الخطابى التحق بترجيست، بمجلسه الحربى، ثم أصدر أمره من هناك لتوجه القوة النظامية من أجدير الى ترجيست، وكان قوامها 900 جنديا أى ثلاثة طوابير، على الطابور الاول

---

(1) شاهد عيان .

القائد محمد بن عمر الجوع، وعلى الثانى شعيب أفلاح، وعلى الثالث القائد بوحوت من قلعية، والجميـــع تحت امرة السيـــد الهادى بن عزوز، من بنى ورياغل، كرئيس للحملة، يساعده السيدان عبد السلام ومحمد أبناء السيد احمد المقدم التمسمانى، وهما مجاهدان معروفان ابليــا بلاء حسنا، وقطع الجيش فى مسيرته من أجدير المرحلة الاولى الى آيــت قمرة، حيث استعرضه الزعيم ابن عبد الكريم، وبمعيته عمه السيــد عبد السلام الخطابى، وبعد الاستعراض توجه الى قواد الجيش بالامر اليومى جـــاء فيـــه :

«انكم تتوجهون الى قبائل ورغة وعلى رأسها قبيلة بنى زروال، وهى قبائل يسكنها اخوانكم فان هم أطاعوا فلهم مالكم، وان أحـــدث أحد من جنودكم فيهم ما يكرهونه شرعا، فانه يتعرض للعقاب الملائـــم، وعلى رؤساء الجيش أن يتحملوا مسؤولياتهم، ازاء اخوان لهم، يحاول العدو أن يكبت فيهم صوت الثورة، وان هم نكبوا عن الاستماع الى نداء الثورة، فاختاروا العدو ملاذا لهـــم، فانهم لا يلومون الا أنفسهـــم، أما الجيش الفرنسى الذى استخف بنداءاتنا للسلام، فانى أنتظر من جنـــود الثورة ما انتظرته من معارك الجبهة الغربية، حيث شرفتم سمعة الثورة الخالدة، فسيروا على بركة الله، والنصر حليفنـــا» .

وهكذا انفصل الجيش حيث وصلوا الى تركيست، فدخل القواد على امحمد الخطابى، وأعلمهم بأن مهمتهم تكون شاقة، ومع ذلك فانـــه ينتظر منهم أن يكونوا فى مستوى ما تعلقه الثورة عليهم، من أهميـــة، كما أعلمهم بأن مجلس اركان الحرب، قرر أن يتجه الجيش عن طريـــق كتامـــة، حيث يجد هناك مقاتلى القبائل تشد أزره، حسب الترتيب المقرر فى اللائحـــة العامـــة .

وبعد دراسة النقط الهامة، التى يجـــب مباغتتها بكل سرعـــة، وكيفية الكر والفر، فى فنون الحـــرب الثوريـــة، التى يجب أن لا تجابـــه العدو، فى مقابلة مضنية، بل يصطاد المباغتات واستغلال الفرص المناسبة، على أن لا يزج بالجنود فى مهالك دون عائدة النصر .

وكما أعلمهم، بأنه يتوجب عليهم أن يتصلوا به فى الشاذة والفاذة فى المعسكر الذى سيجعله مقرا هاما فى «بنى برابر» بحيث يصل اليـــه

خبر المعارك، وتحركات القبائل المستنفرة كتحركات العدو، والقبائل المنضوية اليه .

واثر ذلك انفصل الجيش عن ترجيست، مرتحلا، حيث قطع مراحل ثلاثة احداها الى تيزى ياشين بقبيلة بنى سدات وثانيهما الى ثلاثاء كتامة، ثم حطوا، الرحال قبل (تزكارت) على حدود بنى زروال ، وهنا جاء اليهم بعض رؤساء بنى زروال، ومنهم عالم يدعى السيد امحمد من دشرة (تزكارت، والشيخ الحسن، والقائد السى امحمد من دشرة «ودكة»، وجلبوا معهم 24 صبيا، قدموهم للجيش الريفى كرهائن، للدلالة على حسن نيتهم فى الانضمام الى الثورة، ولاطمئنان الجيش، ودعوهم للدخول الى صميم قبيلة بنى زروال، وعندما تفاوض قواد الحملة قرروا أن يردوا الصبيان الى دويهم، قائلين للزعماء الزرواليين، ان الرابطة الاسلامية بين المسلمين كافية كضمانة، ولا تحتاج الى تأكيدها برهن الاولاد الذين تركوا وراءهم أمهاتهم فى فجع .

وهكذا كانت تلك اللقاءات الاولى فاتحة نصر، فقد ضمن هؤلاء الزعماء لقادة الجيش أن يؤازروه وأن يفتحوا له الطريق على صميم القبيلة، وان لم تنضم القبيلة كلها، فان الحملة أحرزت على مزلاج لفتح الباب على مصراعيه، فى قبيلة كانت الثورة تتوجس منها خيفة، وعرفت من رجالها كل مسالك القبيلة وموقع العدو، وحياته اليومية، وفى غده تحركت بعده الى دشرة «المشرع» ثم الى دشرة «الميزاب» .

واذا كانت هذه الايام أيام رمضان، فقد وصلت الى هذه الاخيرة يوم 26 رمضان عام 1343، حيث تقتضى المراسيم الدينية أن يحيوا (ليلة 27) التى هى ليلة القدر المباركة .

وهنا اصطدمت الحملة بمشكلة عقائدية من جهة، ويقظة حربية من جهة أخرى، لانه من أول وهلة، يخطر على بال أى واحد يكون فى موضع الجيش، ان تحدث له أزمة ضمير، التى تجعله فى حيرة بين أن يهرع الى احياء الليلة المباركة، التى هى خير من ألف شهر، ويطلب من الله أن يمده بالنصر على العدو، وهى أفضل وقت لاستجابة الدعاء، والحال هذه أنه بين ظهران المسلمين الذين أيدوا كل تأييد، وقد تقاطر السكان من القرى المجاورة بل وغير المجاورة، لملاقاة الحملة الاسلامية

التي جاء لانقادهم من هيمنة جيش العدو، وعملائه، ففي هذه الحالة، اذا أخذت حذرها تكون قد تفسر عند الاهالي بعدم الثقة بهم، وان استعملوا الحيطة، وبالخصوص أنهم في بلد يحتل العدو جزء منها، وقد أقام هناك حامياته التي يمكن ان تباغت المجاهدين، حينما يكونون في صلاة التراويح .

وعلى كل، فان المشكل ولو أنه معقد أدبيا، فان الحل هو افهام الاهالي بضرورة ترك الجيش يحرس التجمع الديني، على القمم المطلة، على أن يحيوا التراويح منفردين حسب طاقة كل واحد منهم، وفعلا مرت المراسيم على أحسن وجه، وجلب أهالي الدشرة المأكل والمشرب بكل سخاء، واختلطوا بانفار الجيش الذين برهنوا لهم عن الاخوة الاسلامية والعاطفة الدينية التي تربط المسلمين اينما كانوا، فاطمأنوا الى الحملة بقلبهم وقالبهم، وأصبح الاهالي أشد حماسا لاجلاء العدو .

ويوم 29 رمضان توجهت الحملة معززة بالاهالي الى قرية غفساي، وكان العدو أقام حاميتين على قمة تدعى «باب شراقة»، وقد نزلت الحملة في موضع يدعى «المرج» وكان آخر يوم من رمضان وفي غده صلى الجيش والمجاهدون من الاهالي صلاة عيد الفطر، في ذلك الموضع، وكان اليوم يوما مشهودا، فقد هرع أغلب سكان بني زروال، وبعد صلاة العيد التمس الاهالي أن يصافحوا الجنود واحدا واحدا، وهنا حدثت مشكلة أخرى أعوص من الاولى، فقد تكون هناك خطة مدبرة من العدو، ومن يدرى؟، ففي هذه المواقف تقع الكوارث، ولكن قيادة الجيش أخذت احتياطها ايضا، اذ امرت مناديا يكنى «المقدم البراح» أصله من قبيلة قلعية، كان يسكن في بني ورياغل بقرية بني حذيفة، وله صوت جهوري، وهو محترف للنداء، في الاسواق ويؤذن فيها للصلاة، بأن ينادي في الجموع بأن يصطف الاهالي صفا واحدا، ويمر الجيش أمامه في استعراض نظامي، وهو أصدق تحية يقدمها الجيش للاهالي، الذين فتحوا له قلوبهم فانشرح الناس وفرحوا، وقد زادوا وثوقا في مقدرته، ومقدرة قيادية، وقد مر اليوم في تعرف الاهالي على قيادة الجيش، بينما يستعلم هؤلاء من زعمائهم الطرق التي يجب أن يسلكوها ازاء العدو، وكان العدو في القشلتين على باب «شراقة» ببني زروال يراقب تحركات

المجاهدين، وفى آخر النهار صوب مدافعه صوبهم، فأطلق القذائف التى لم تصب الا حمارا واحدا، وقد عده الاهالى فالا حسنا، يبشر بخذلان العدو، واثر ذلك هجم المجاهدون عليها، فاستسلمت بعد اصابة قائدها الملازم «مولان» بجراح بليغة اثر انفجار قنبلة رماها المجاهدون عليه، وتوفى بعد متأثرا بها .

وفى هذا الوقت كان الامير ابن عبد الكريم قد انتقل الى تركيست، حيث جعلها مقرا لتسيير العمليات الحربية مباشرة، وكانت الخطوط التليفونية وصلت من كتامة الى غفساى، تتبع الحملة بسرعة تنقلها، فاتصل قائد الحملة هناك السيد عبد الهادى بن عزوز بالامير واعلمه بالتحركات التى قام بها، ووضعية قبيلة بنى زروال منه، وموقع العدو الذى بدأ يرميهم بقنابل المدافع، وماهم مقدمون عليه، فأذن لهم الامير بالالتحام معه فى كل جهة ومكان .

المعارك : من مايو سنة 1925 الى شتنبر من نفس السنة :

قسمت قوة الجيش الى فوجين : احدهما تحت رئاسة قائد الطابور الاول السيد عمر الجوع، والثانى تحت قيادة قائد الطابور الثانى السيد شعيب أفلاح، ومع كل فوج متطوعو المجاهدين ممن كان أتى بهم القائد السيد محمد محراش من قبيلة بنى سلمان، وكذلك متطوعو قبيلة بنى زروال، ومن سار مع الحملة فى الطريق .

فتقدمت قوة القائد عمر الجوع الى جهة المشرق، قاصدة بنى امحمد، بقبيلة الجاية، فحاصروا ادارة مراقبة القبيلة، ولم تمكث أن استسلمت حاميتها للمجاهدين، واسر من فيها من مرتزقة المغاربة، وفى غده توجهوا الى حامية بنى احمد، فهجموا عليها، واستسلمت بعد قتال عنيف وأسر من بقى حيا من الجنود، وغنموا منها مدفعين اثنين .

حامية أزبار مشيط :

أما قوة شعيب أفلاح، فانها توجهت الى جهة الغرب على نهر ورغة، وحلت بدشرة تدعى «أزبار مشيط» بين قبيلة الجاية وبنى زروال،

فأحاطوا بقشلة «عين معتـوب» هناك، ليلا متسترين وراء الاعشـاب والاحجار، حتى اذا أصبح الصبـاح استيقضـت الحامية، ولم تشعـر بوجود الخطر المحدق بها، وكالعادة فان قبطان الحامية ويدعى «لويـس بيرجير» خرج، وسدد منظره المقرب الى بعيد ينظر، وقد ظن أن الحالـة عادية ولما لم ير أحدا، فانه نادى فى أحد جوار الحامية من الاهالى، يدعى ابا أحمد، قائلا هل معكم أحد من الريفيين، فأجابه ابا أحمد، بالنفى، معميا عليه، فلما ولى ظهره جهة المجاهدين، سدد أحدهم بندقيته اليه، فلم تخطئه وأردته قتيلا، وكان ذلك ايذانا للمجاهدين بالانقضاض على الحامية، فلم يعن دفـاع الجنـود لما رأوا قائدهـم صريعا استسلمـت الحاميـة بعـد قتل 18 جنديا سنغاليا، واسر من بقي حيا منهم، وغنم مدفعان، احدهمـا مدفع الميدان، كمـا غنموا أربـع رشاشات وما فيها من البنادق (نـوع التساعية والرباعية) وهكذا تقوت عزائم المجاهدين، فلم يبق لاحد ريب فى النصر ونفخ فيهم روح الحماس وارتفعت معنوية الجميع، بما فيهم سكان قبائل الجاية وبنى زروال وغيرهم .

حاميـة تـومـاط :

وكانت هناك حامية على ربوة تدعى «توماط» وقد تحصنت هذه القشلة خلف المدافع التى تلقى منها حمما تحميها حاميات أخـرى، على ذرى تنهض فى قلب حقول صخرية وغابوية ترتفع بحوالى ألفى قدم فوق مستوى البحر، وتحميها منحدرات صعبة التسلق، وكانت تعتبر موقعـا رئيسيا، ومركزا للاستعلامات، على ضفاف نهر ورغة، لانها تكون صلـة أنوصل بين المواقع المنتشرة هنا وهناك، غير متباعدة بعضها عن بعـض، الا بمقدار ما بين عشرة أميال وعشرين، ولذا فان الجيش الفرنسى زودها بمكتب للاستعلامات، وبحامية من قوة الجنود السنغاليين، كما حصنـت بسور من كل جهاتها، وفى داخلها بنيت مساكن جيدة للضباط والجنـود، وكان يسامت هذا التل كتلة جبل تزروط، تكسوها صخور عاتية، مرتفعة فوق سطح البحر بنحو سبعة آلاف قدم، يجلل الثلج رؤوسها أيام الشتاء، وكان يمر خلـف هذه المراكـز المنتشرة على نهر ورغة من يمين ويسـار «توماط» خط احتياطى من مراكز ثانوية، وهناك طريق تربط هذه المراكـز

بعضها مع بعض، ومن هذه التلال يمكن رؤية الثلوج على جبال الاطلس جنوبى تازة .

معركة عين معطوف :

وعندما احتل المجاهدون قشلة توماطا، شعر العدو، بأنه لم يبق أمامه الا الالتحام مع مركز «عين معطوف» ويقع هذا المركز فى قبيلة الحياينة، شمالى عين عائشة بنحو 14 كلم، فجعل يقذفهم من مدافعه، فقتل خمسة من المجاهدين اذ هدم عليهم البيت الذى احتموا به، وقد تقوت عزائم المجاهدون للهجوم على المركز، فتسلقوا ليلا تلك المنحدرات الصخرية التى كونت تضاريس طبيعية للاحتماء خلفها فأحاطوا بالمركز احاطة السوار بالمعصم، واحتضن كل واحد بندقيته للساعة الرهيبة الى أن بزغ الفجر فاندفعوا الى الامام مستعملين القنابل اليدوية، متخطين السور والاسلاك، فاختلط حابل الحامية بنابلها، ولم يعذرهم أحد من المجاهدين، فسقطت الحامية بما فيها، وأسر ستون جنديا سنغاليا وأوربيان بعدما دمروا الاعتدة الحربية .

ساقهم المجاهدون أمامهم الى مركز العمليات الحربية بغفساى، وغنموا مدفعا واحدا، بقى صالحا للاستعمال، ومدفع الميدان، وكل البنادق التى كانت فى القلعة .

حامية باب شراقة :

ثم أنهم عندما توجهوا الى غفساى، وجدوا فى الطريق أن العدو استرد قلعة باب شراقة، وحشر هناك قوة ضخمة، معززة بمدافع الهون، وكان هناك بعض المجاهدين يناوشونه القتال، وقد سقط المركز مرارا ثم استرد، الى أن قتل الملازم ميلانو، فانضم شعيب افلاح بقوته الى المجاهدين، واستمر حصارها وحصار مخفر «تالجسا» الى يوم 17 ابريل 1925، حيث أمر قائدها الكبطان «أنجلو» باخلائها والانسحاب منها خلال الليل، الى المركز الرئيسى وراءها، وكان على الحامية أن تقطع نهرا يفصل بينهم وبين المراكز الورائية، وكانت مياهه ارتفعت بالامطار التى غزرت أيام الشتاء، فلما انسحبت الحامية، أسر المجاهدون الملازم

«فالليس» وأربعة عشر جنديا آخرين، وقطع بعضهم الوادى، وبينهم الملازم الثانى «البرت» سباحة ، وفى هذا الانسحاب أبيد أفراد الحامية التى كانت تقدر بنحو مائة جندى، ولم ينج منهم الى المركز الرئيسى الا ثمانية جنود فى حالة مزرية، وغنم المجاهدون مدفعين ثقيلين ومدفعين للميدان والمعدات التى كانت فى المركز .

مركز بيبان :

كان أهم المراكز على الضفة الشمالية لنهر ورغة الى كزناية ثلاثة وهى :

1 ــ بيبان ويقع هذا المركز فى قبيلة بنى ورياكل ــ بالكاف المعقودة ــ شمالى فاس البالى، بنحو 12 كلم وفوق بنى كيسان .

2 ــ تونات ويقع هذا المركز فى قبيلة مزيات، ويبعد عن قبيلة بنى زروال بنحو 25 كلم .

3 ــ كيفان، وكان يؤاز كلا منها مواقع صغيرة على ذرى هنا وهناك، وكان بيبان بالخصوص يعتبر الباب الذى يؤدى الى مدينة فاس وهو يقع فى سهل مرتفع يسيطر على الوادى الذى ينحدر من الشمال الى ورغة، كما يسيطر على الممر الذى يقطع نهر ورغة الى فاس، وقد دار القتال عنيفا لاحتلاله من طرف المجاهدين، بينما العدو استعمل كل طاقته للدفاع عنه، وسقط الضباط الكبار، وهم كمندان وقبطانان، قتلى وبقى الكبطان «بيرتز كامبو» يقود الدفاع عنه، وتكرر سقوطه بيد المجاهدين، واسترجاع العدو له مرارا، وكانت قوته تتألف من 700 جندى، وقوة المجاهدين كانت تتألف من المتطوعين الذين يقودهم القائد محمد محراش، من قبيلة بنى سلمان الغمارية .

وهكذا استمر حبل القتال يتجاذب بين مد وجزر، من المتحاربين، فكان يسقط بيد المجاهدين ثم يسترجعه العدو مرات، وقد أقلق ذلك بال ابن عبد الكريم بتركيست، فتكلم هاتفيا مع القائد الهادى ابن عزوز رئيس حملة غفساى، وقد أمره بأن يوجه القوة النظامية بقيادة شعيب افلاح، وأمره بأن ينهى احتلال بيبان، بكل ما أمكن من التضحيات، وضرب له موعد مدة ثلاثة أيام، تنتهى يوم الجمعة رابع يونيه، فتوجه على رأس

237 مقاتلا من الجيش النظامى، وانضم اليهم 400 من المتطوعـين وأول ما نزلوا كان بقرية «تزرين»، وكان هناك القائد اليزيد بن صالح، من قبيله بنى رزين الغمارية، ونزل العسكر فى مسجد القرية، كما كان هناك القائد ولد على عبدالسلام، وجماعة من زعماء قبائل ورغة، وعددهم 26 زعيما، فاستدعوا اليزيد بن صالح، وشعيب أفلاح، للتشاور على التدابير التـى يجب اتخاذها للاستيلاء على حصن بيبان، وذلك بصفتهم أهالى تلك الجهات، يعرفون دروبها ونقط الضعف والقوة فى العدو، فانتقلا اليهم، ودرسـوا المخطط الحربى الذى يسيرون عليه، لمحاصـرة الحصن، فاتفقـوا على أن يشن المجاهـدون الارياف طليعة الهجـوم، يعززهم المتطوعـون من القبائل وقوة القائد المحراش، وان يحيطوا الحصن ليلا من جميع الجهات، ولا يتركوا للعدو راحة ولو استعمل ما استعمل من وسائل الدمار، وعند بزوغ فجر الجمعة، يقوم المجاهدون بالهجوم الكاسح على الحصن بالقاء القنابل اليدوية على جميع الجهات دفعة واحدة، ثم يندفع المقاتلون وراء ذلك مباشرة، حتى يرتبك العدو، ولا يدرى من أين أوتى ولا تستطيـع الطائرات ان تفتك بهم، لالتحامهم المتلاصق بالحاميـة .

وهكذا استولى المجاهدون على الحصن وقتلوا وأسروا جميـع من فيه، وغنموا أربعة من المدافع الثقيلة من نوع «بو الخناشى»، وهو أقوى مدفع، كما غنموا مدفعين من مدافع الميدان وأربع رشاشـات ذات الخزان الحامل لـ 170 خرطوشا، وأربع عشرة رشاشات (مطيادورا) مـع جميع البنادق والذخيرة. واستشهـد من المجاهدين أربعة من الجيـش النظامى، وقائد يدعى جيلالى بن حمـادى بن على بن عيسى من بنـى عبد الله وأصله من آل يوسـف وعلى، وجرح وقتـل 50 مجاهـدا من المتطوعين، وذلك بما صبه بعد ابادته من قنابل المدافع من موقع فـاس البالى، على الحصن، حيث انشغل المجاهدون فيه بجمع الاسـلاب .

وبعد الانتصارات أرسل شعيب أفلاح رسالة الى القائد الهادى بن عزوز بغفساى معلنا اياه بالانتصار، وطـير هذا الاعلام فـورا الى الامير ابن عبد الكريم بترجيست، وقرأ عليه هاتفيا نص الرسالة، فأمـره بأن يدفع لشعيب أفلاح مبلغ 200 ريالا، مكافأة له على الاقدام بقوتـه، أرسلها ابن عبد الكريم مع السيـد على بن فطومة من أجديـر، الى أن

سلمها بيده بغفساى، مشفوعة برسالة جاء فيها: «هذا هو الظن فيكـم، جزاكم الله أحسن الجزاء، بما فعلتم من الشجاعة لاحتلال قشلة ببيان المنيعة، ونحن قد تأسفنا على اخواننا الذين استشهدوا رحمة الله عليهم».

معـارك شرقى بنـى زروال :

ولاول وهلة من ابتداء المعارك، دخل المجاهدون على العدو فـى معسكراته، وكانوا يتمتعـون بمعنويات عالية، يدفعهم الحماس للجهـاد الى الامام، كالسيـل الجارف، فأول ما احتل المجاهـدون فى قبيلة بنى زروال كانت زاوية عبد الرحمن الدرقاوى، الذى رحل عنها محتميا بالجيش الفرنسى بفاس، وكانت خطوط المعارك تمتد طولا حوالى مائتى ميـل، فى عرض يتراوح ما بين 25—50 ميلا، وتقع هذه الزاوية فى مدشر أمجوط.

وقد طهر المجاهدون كل المخافر التى تؤدى الى مركز عين مديونة، الذى يقع على قمة عالية تكون قلعة الرباط، لمشاهدة المراكز الاخرى، التى حصنهـا الجيش الفرنسى فى عـين عائشة، والببيـان، وتونات فـوق مدشر بوعـادل .

وقد التحم المجاهدون، قبل أن يصلوا الى بوعادل، مع حاميـة عولاى وجرى القتال شديدا استمر حصارها الى السابع من يونيو، وكان الوضع خطـيرا بالنسبـة للحامية، التى شد الخنـاق عليها من طـرف المجاهدين، وتساقط افراد الحامية أمام قائدها، الذى طير برقية الـى مركز عين عائشة، يقول فيها «الوضع خطير، فقدنا أكثر قواتنا» وطلب فى البرقية أن تشن اسراب من الطائرات هجوما فوق مواقع المهاجمـين لتشغلهم عن اقتحام المركـز .

وقد قامت الطائرات بغارات جهنمية الا أنها لم تقدر أن تضبط وضعية الحامية، التى انكمشت داخل المركز الذى ضرب عليه الخنـاق الشديد، وقد استدلت على وجود الحامية فيه، انها رأت العلم الفرنسى لا زال قائما على مبنى المركز، وفى ليلة الثامن من يونيه أصيب قائدهـا القبطان «دوبوان» والملازم «شاربنيل» بجروح خطيرة، توفى الثانـى فى القشلة أما الاول فبقى يصارع سكرات الموت الى أن جاءت الاغاثة، وحمل الى المستشفى حيث لفظ أنفاسه .

وقد كان المجاهدون الذين تكلفوا بالهجوم على هذا المركز، يتكونون من مائتى مقاتل من الارياف يقودهم القائد محمد الصليتان الخمليشى، من تركسيت، يشد أزره مطوعون من بنى ورياكل (بالكاف المعقود) بقيادة ولد على بن عبد السـلام .

وفى صباح يوم 8 يونيه هاجم المجاهدون على المركز، ودافـع رجاله بقوة تحت امرة الفرنسى الذى بقى سالما وهو «بوغلير موتغونغو» ولشدة الدفاع المعزز بالطائرات، لم يتمكن المجاهدون من اقتحام المركـز طيلة أربعة أيام، وكان ماء الحامية قد نضب، الا ما يكفى لثلاثة أيـام حسب اشعار الكبطان «دوبوان» الذى كان يحمل جروحا مضنية، وطلـب اغاثة عاجلة، لانقاد من نجا من الموت، بعد مقتل ثمانية وثلاثين سنغاليا أمـامـه .

وهكذا تحرك رتل من جنود الاغاثة، مع غطاء جوى بسرب مـن اثنتى عشرة طائرة، تقنبل مواقع المجاهدين بالقنابل والرشاشات علـى مستوى منخفض، أصاب المجاهـدون اثناء الاغارة قائد السرب المدعـو «ميزيرجيوس» فجرح ولقى حتفه فى المستشفى وقد شقت الاغاثة الوديان والمنحدرات، فى كثير من العناء وفتحت ثغرة فى المجاهدين الذين احتموا الى الجهة الشمالية عن انظار الطائـرات التى تصطادهم، فتمكنـت من الوصول الى المركز، وعملت على تلغيم المركز بالالغام، ثم انسحبت بمن كان بقى حيا، وبينهم الكبطان «دوبوان» المجروح، الذى ينتظر النهاية المحتومة بين ساعة وأخرى، لفداحة الجرح الذى أصاب المقتل أو كاد، وفى اثـر الانسحاب دخل بعض المجاهدين من رجال القبائل المحلية الذين لم يكونوا خبروا خداع العدو، رغم التحذير الذى وجه اليهم من طرف رجال الريف فانفجرت الالغام التى أودت بحياة بعضهم .

وفى هذه الاثناء استقدم الامير القوة النظامية التى كان مركزها فى غفساى للالتحاق به ببنى بربر، وأمر القائد الهادى بن عزوز بأن يشرف على المتطوعين، سواء الذين تحت قيادة المحراش، أو الذين تجمعوا مـن قبائل تلك الناحية، على أن يحرص كل الحـرص على أن يكون انتقـال القوة النظامية فى سرية تامة من العـدو، حتى لا يهتبلها فرصة ويقـوم بهجوم مباغت، وفعلا توجهت القوة النظامية تحت امرة كل من قـواد

الطابور: شعيب أفلاح، ومحمد بوحوت، وعمر الجوع، وبوكليطا، ولما وصلت تلك القوة، وجهها الى جهة بنى وليد على حدود البرانص، فتوجهت بقوادها عدا القائد شعيب أفلاح الذى تأخر بيومين اثنين اثر اصابته بركلة فرس فى بنى بربر .

واثر وصول هذه القوة، وجدوا أن المجاهدين بقيادة السيد محمد القرفة من بنى سعيد (وادى لو) قد قاموا بحصار قشلة سوق خميس قبيلة البرانص، وانضمت اليهم القوة النظامية، واشتد الحصار عليها، وجرى لها مثل ما جرى لاخواتها من نضوب الماء والطعام، وبعد قتال عنيف دخلها المجاهدون، فأسروا من بقى حيا من رجال الحامية، وهم الضابط رئيس القشلة برتبة ملازم، وخمسة من أنفار الجنود السنغاليين، وغنموا من القشلة مدفعا ثقيلا، ومدفع ميدان وما كان فى القشلة من البنادق وأرسل الاسرى الى بنى بربر .

انتقال الامير الى عين مديونة :

وعندما طهرت الذرى التى تكون شمال ورغة من الجيش الفرنسى قرر السيد امحمد الخطابى الانتقال الى بوعاذل، وخلف القائد موح أبلحاج من أجدير بنى ورياغل، رئيسا لمركز بنى بربر، الذى كان يتوفر على الغنائم، من سلاح، وعتاد حربى ضخم، كدس تكديسا فى خندق هناك، وكما كان معتقلا للاسرى الذين حشروا هناك، والى ذلك الحد كان مجموع الاسرى يبلغ 800، يتكونون من السنغاليين واللفيف الاجنبى وبعض المغاربة، وكان بينهم ملازم أسر فى باب المروج، بقبيلة البرانص، مع ترجمان من الاهالى .

ومما رواه القائد محمد شراط، أن طعام الاسرى كان مما يقتات به نفس المجاهدين، وهو خبز وزيت نيىء، وكان يعتبره هؤلاء من أغنى طعام، ولكن لما قدمت وجبته الى الملازم طلب مقابلة القائد شراط كما طلب احضار الترجمان، الذى كان فى معتقل المغاربة، الذين أسروا فى المعارك، لابلاغه مطالبه التى قال عنها: «اننا الآن معتقلون حربيا، فاذا كان عندكم عمل فنحن على استعداد للقيام به، ولكن من ناحية الغذاء يجب أن تعتنوا بنا، واننا لا نستطيع أن نعيش على خبز وزيت» .

فما كان من القائد شراط الا أن أعلم السيد امحمد الخطابي بما طلب الملازم، ولما كان المركز لا يتوفر على غذاء أفضل، فانه أمر القائد شراط بأن يرسله الى تركسيت، وأن يوصى به، لكي يعتنوا به من ناحية صحته البدنية أيضا .

وزاد القائد شراط، انه انتقل اثر ذلك مع الامير، حيث كان يقوم بمهمة رئيس ديوانه، وفي اثناء الطريق عندما وصل الموكب الى وادى أصرى، وهو موضع في منبسط تحوطه سيول تحمل أودية من الماء المتدفق، من أعاليه، نزل الموكب للاستراحة، وكان ذلك في واضحة النهار، ولما كان من طبيعته الفروسية، فانه اقترح على الحاضرين أن يلعبوا في ذلك السهل الاخضر، وكان من جملة رفاقه احد احفاد الشريف سيدى محمد أمزيان، يدعى سيدي الحسن بن الحاج حرموش، وكان رجلا خفيف الروح، لطيف النكتة، مستساغ العشرة، لا يكاد يفارق الامير امحمد، وكان يدخل عليه متى شاء ويمرح على طبعه بدون تكلف، الا أن ذلك كان في حدود وصف المجاهد .

وفعلا قامت كوكبة باللعب واطلاق طلقات بنادقهم، وكان من جملة الذين يلعبون القائد علال بن بوعزة احد قادة المجاهدين المخلصين في عملهم، فلما اطلقوا البارود طاشت رصاصة من طرف الشريف سيدى الحسن، وأصابت القائد علال بن بوعزة، فاسالت من رأسه بعض نقط من الدم، فكونت هذه الحادثة أمسية من المرح، اذ تصنع الامير اصدار الامر باعتقال الجاني، وكان الاخير لما له من الدالة يطلق سيلا من الشتائم اللاذعة ممزوجة بالفاظ طريفة، يستعطف فيها الضحية، بعدما أمر الامير بعدم الاذن له بالدخول عليه .

وبعدما مكث الركب بعض ساعات من النهار قطعوه وعندما وصلوا الى قرية مشكور تلقاهم شريف وزانى يدعى علال، وكان ميسور الحالة، فدعاهم للنزول عنده، فنزل الامير والركب، وقام هذا الشريف بحسن الضيافة، اذ ذبح الذبائح وأكل الجميع وحمدوا له عمله .

وقد تابعوا المسير بعد ذلك، الى أن وصلوا الى قرية بوعادل، الموضع الذى يمتاز بالهواء النقى المنعش خصوصا وانه تتخلله أوراق أشجار البرتقال، التى غمرت ضفتى الوادى، الذى تنساب عليه المياه

انسيابا ممزوجا بالخرير، فيحدث ذلك انشراحا فى النفوس تلقائيا، مع ما أبداه أهالى القرية من الاستبشار بالانعتاق، واستنشاق نسيم الحرية، تحت ظل راية الجهاد، وكان من المصادفة أن حدثت قصة اعتبرها الاهالى بشيرة تلك الاخوة والمساواة ذلك أنه بعد احتلال المجاهدين لمركز بوعاذل، كان تولى رياستهم أحد الاشراف من بنى ورياغل، وهو المدعو صديق الشرى، من زاوية سيدى يوسف، وكان ذا طابع شرس، لم يتأثر بتعاليم الثورة ليستسيغها، فجعل يتقبل هدايا الاهالى، الذين يقدمونها تحت تأثير سيف الخوف، فجمع بعض الامتعة، ومن جملة ما أهدوا له فرس أسود أصيل .

فبمجرد ما علم الامير بذلك استدعاه اليه، واستفسره، فجعل يعتذر بكون ذلك هدايا اختيارية، فأجابه الامير وهل قعدت فى دارك ليهدى لك، وأمره بار جاع كل حاجة الى ربها حالا، وأمر بالنداء فى السكان بأن يأخذوا أمتعتهم، أما الحصان فبما أن صاحبه كان قد غادر القرية، ولم يعثر عليه، فانه عزله عنه وأعطاه للمهاجر المجاهد السيد الحسن التلمسانى، الذى هاجر من تلمسان للجهاد، وكان نقيا مجاهدا، لسنا، فصيحا، وكاتبا بارعا، وشاعرا مفلقا، وضع جل أناشيد الثورة، واكتسب سمعة بالغة الاثر لدى المجاهدين، قاطبة، وأحرز على ثقة الامير الكبير، وبقى محتفظا بالنقاوة المعهودة الى آخر مراحل الثورة، فغادرها الى الجزائر على ما هو عليه .

أما القائد صديق الشارى، فقد بعثه مسجونا الى تركيست، وقد تركت هذه القصة احدوثة حسنة وصدى عميقا فى نفوس قبائل ورغة، كما كانت درسا بليغا للمقاتلين الذين يعملون فى تلك القبائل، كى لا تتعدى مطامعهم الى ما فى أيدى اخوانهم من الاهالى .

وفى غده تحرك الموكب الى القمة التى تدعى بعين مديونة، حيث جعلها الامير مقرا لعملياته الحربية، وهذه القمة تقع ازاء قرية بوعاذل، وتشرف على جوض ورغة مباشرة، وتسامت مركز تاونات، الذى كان الى ذلك الوقت تجرى حوله معارك محتدمة بين مد وجزر، وقد استخلص المجاهدون مركز عين مديونة بعدما جرت معارك ضارية حول بوعاذل كما أسلفنا .

وقد أمر الامير بأن تنصب على ذروة عين مديونة المدافع التـــى غنموها فى تلك الموقع الحربية، فنصبت وجعلوا يصبون من هناك هجماتهم، ضد مركز تاونات وفى عين مديونة جاءت جماعة من قبيلة بنى ورايـــن يسترشدون الامير لاجل أثارة حرب على الجيش الفرنسى فى تلك الجهات، وأمرهم بالتريث حتى يستشير أخـــاه الذى ابى عليه أن يوسع شقـــة المعارك الى داخل المغـــرب .

معـــركـــة تـــاونـــات :

كان حصن تاونات يعتبر من أكبر المراكز التى أقامها الجيـــش الفرنسى شمالى نهر ورغة، وهو مشيد على صخرة صلدة، تتحكم فـــى الاودية والهضاب الممتدة على جميع جوانبهـــا .

وكانت حاميتهـــا التى كانت تحت رياسة المـــلازم «برتليمى» تتباهى بأنها تحتل عش العقاب، ولا يمكن للمهاجمين أن ينالوا منها منالا، مهما كانت هجماتهـــم .

وكان مكلفا بالهجوم عليها القائد محمد اكويس م نبنى سدات الريفية، وهو من المناضلين الاشداء، الذين عاشوا فى اعتزاز، بوطنيتـــه، ونقاوة ضميره، وقيامه بمناســـك دينه .

فقام بحصار القلعة بقوته، معززا برجال القبائل المحلية واستمر الحصار من ابريل الى رابع ماى 1925 .

وفى أثناء الحصار ذاق رجال الحامية الوانا من المجاعة والعطش، فقد نفذ طعامهم، ونضب ماؤهم، ولم تستطيع أية اغاثة أن تصل اليهم، رغم تكرارها، لان الحواجز الطبيعية المتكونة من صخور القمة جعلـــت وضعية المجاهدين أفضل من الحامية، وقد ترجحت كفتهم فى كل اصطدام يقع مع الاغاثة كما جعلت غارة الطائرات غير ذى جدوى للاعداء .

أما وضعية الحامية فكانت تختلف تماما، فهم فى مركز حجرى لا يمكن لهـــم أن يحفروا فيـــه الخنادق للاحتماء فيهـــا، من هجمـــات المهاجمـــين .

وقد دعاهم ذلك الى أن يلجئوا الى جعل أكياس من الدقيـــق

والقهوة واللوبية متاريس يتسترون بها، منتقين طلقات المجاهدين مما كبد لهم نفاذ طعامهم، فكانوا يقتاتون بالمصبرات من دون خبز .

أما الماء فكانت الوسيلة الوحيدة لتزويده به هو استنجادهم بالطائرات، لتلقى عليهم صفائح من الجليد التى كثيرا ما تطيش عن المركز، فتسقط بعيدة عن أيديهم، حيث تذوب فى حرارة شمس ابريل وماى، ومن حسن حظهم أنه فى اليوم الثانى من ماى حملت سحابة سوداء أمطارا غزيرة، نزلت فى المنطقة فانقذت الحامية من العطش المهلك.

وقد طير رئيس الحامية اعلاما بالهلاك المحقق ان لم تصل اغاثة على جناح السرعة، فهيأ الكرونيل «فريدا نبرغ» رتلا من الجنود، وكان عهد اليه بقيادة ارتال الاغاثة الى عين عائشة وتاونات، فخرج يوم 3 ماى معززا بأسراب من الطائرات واستمر فى التقدم الى أن وصل الى المركز فى اليوم الرابع من ماى، وذلك بعد لأى،وخسائر فادحة، وانقذ من بقى من الحامية حيا، ولم يتسع له الوقت لتلغيم المركز لمضايقته بالهجومات المتتالية، التى تقوت بشكل ملحوظ، فانسحب مخلفا وراءه كل ما هناك من الاعتدة الحربية الثقيلة، وبناديق الجنود الاموات، فدخله المجاهدون عن حذر، خوف أن يحدث ما حدث فى قشلة بوعاذل، التى كانت ملغومة كما أسلفنا .

وبعدما فتشوا القشلة فلم يعثروا على الالغام دخلوها، فانحلت احدى العقبات التى كانت تقف أمام المجاهدين، لينفتح الطريق على مصراعيه للتقدم الى الامام، على المخافر الاحتياطية الورائية، بعد تطهير المخافر الامامية شمالى ورغة، فلم يكن هناك حائل لاحتلال مدينة فاس، عند ادنى اشارة من الزعيم ابن عبد الكريم، الذى أبت عليه أريحته الاسلامية والاخوية أن تدك معاليم المدينة العريقة فى الحضارة، والاشعاع العلمى .

حصن بنى دركون :

وقد يكون من الاجدر، نقل وصف مأساة الحصن الذى ورد فى مذكرة رئيس الحامية، والتى عثر عليها فى خرائب الحصن، بعدما دمره الملازم «لابايير»، الذى اشعل فتائل الالغام، ليدمر الحصن، ويدمر من

بقى من الاحياء من جنود الحامية، بمن فيهم الملازم نفسه، نتيجة اليأس من النجاة، تحت الحصار المحيط بهم، واليك الصورة حسب ترتيب التواريخ، وقد اكتشفها المؤرخ روبرت فورنو .

كانت القيادة المحلية للجيش الفرنسى على ورغة، كلفت الملازم «لابايير» فى اكتوبر 1924، بالذهاب الى قمة جرداء تقع على بعد 6 أميال فى الشمال الغربى لقاعدة بيبان، وتقع القمة فى قبيلة أولاد قاسم، يأتمر على 39 جنديا، فيهم أوربى واحد، وضابطان مغربيان ليشيد هناك مخفرا، واثر الوصول نشط الرجال فى احاطة المخفر بسور من الاحجار والطين، توج ببرجين على زاويته، جهز احدهما بمدفع من عيار 75 ملمترا، وجهز الآخر بمدفع رشاش، بينما مدفع رشاش آخر وضع فى احدى الزوايا الاخرى، وفضلا عن ذلك، فان الحصن طوق بسياج سميك من الاسلاك الشائكة .

وكان المخفر يبعد على مورد الماء بأربعمائة ياردة، وقد احتاطوا للوصول اليه، بأن حفروا خندقا مستطيلا من الحامية الى الماء لضمان الوصول اليه فى الوقت الحرج، ورغم ذلك، فان الحامية فى شهر ابريل لما انفجرت المعارك عكفت على جلب الماء فى صفائح البترول، حيث استطاعت أن تتوفر على خزن حوالى 500 لتر منه، وكان ذلك يكفى للحامية الى حوالى ثلاثين يوما، التى قدرها الملازم «لابايير» لانجلاء التوتر الذى حمل اليه نذيره أحد رجال القبيلة الذى وعده بأن يزوده بأخبار الاحداث التى ستجد .

وكتب فى مذكراته التى عثر عليها، المقطع التالى: «طالما أن ابن عبد الكريم قد استطاب انتصاره السابق، فليس بمستبعد أن تهب القبائل ضدنا، ولسوف تكون حركته هذه حركة نابوليونية رائعة» .

وفعلا فانه فى الثامن من ابريل أشعر من طرف قاعدة فرنسية تقع جنوب حصنه مباشرة، تدعى «طفران»، بأن يكون يقظا باستمرار.

ففى الثالث عشر من ابريل شاهد من حصنه الطائرات الفرنسية تحلق فى اتجاه حصن «أمجات» التى تناهت الى اسماعه منه أصداء طلقات نارية، الامر الذى تحقق معه الخطر الزاحف نحو الحصن، وفعلا ففى اليوم التالى كان ينبوع الماء تحت رحمة المهاجمين، وفى اليوم

الخامس عشر منه كان المهاجمون احدقــوا بالحصن وجاء متعاون مــن السكان الذى كان يعمل عميلا معه، لاطلاعه على الاحداث، جاء مختفيــا ليعلمه بواسطة الاشارة المتفق عليها، وهى وضع الكف على القلب، ثــم على الفم، فعلم أن الخطر محدق به، ولم يكد يستفيق من هذا التفكــير حتى فاجأته عاصفة من الطلقات النارية التى طيرت الاحجار حولــه، ورأى الحارس يهرول للاستعداد مما كاد أن يطعنه بحربته التى غرسها فى البندقيــة .

واثر تقاطر رجال الحامية لاطلاق سيل من الرصاص نحو الخطر، الذى اعتبره اسرافا من دون طائل، وقد اجهد لاسكاتهم حتى أنه رفــس برجليه جنود الرشاشين، وأخبر بأنه لو تريث المهاجمون قليلا، ولم يسرعوا فى اطلاق النار اعتباطا، لاصابوا منه المقتل حينا واشتكى من العميل الذى جاء ليعلمه متهما اياه بأن ذلك كان خديعة منه .

وفى اليوم 16 من ابريل كــانت هناك طلقات متقطعة، وكــان «لابايير» يعتبر ان حادثة الامس قام بها أهل القرية الذين يريــدون أن يبرهنوا أمام الارياف بانضمامهم اليهم، حيث نظموا الهجوم على الحامية، ومع ذلك فان الحامية قلقة من هذه الحادثة، لانها تنذر بشر مستطير، ولذا أمر رجاله بأن يقتصدوا فى الدخيرة، كى لا تنضب .

وفى اليــوم 17 من ابريل تلقى المخفــر أمرا بواسطة التلغــراف الشمسى من رئيسه، النقيب «بيترى» بأن يقصف بالمدفع الثقيل جميــع القرى والخيام التى يسكنها الاهالى، بدون تمييز مهما أظهرت العــداء . أما الطائرات فتمر فوق المخفر بازيزها حيث تغيب أحيانا عن الانظــار لتلقى قنابلها على الاهداف، فيتناهى دوى القنابل الى اسماع المخفــر، التى تحدث اطمئنانا لرجال المخفر، وقد تحلق فوق المخفر محومة، بينما يطلق عليها قناصة المناضلين طلقات بنادقهم، وبعد تحويم احداها فــوق المخفر أطلقت رسالة مربوطة فى كيس من الرمل، مع راية بيضاء، والتقطها أحد انفار المخفر فى حذر، كتبها قائد طائرة الاستطلاع «غالرانج»، وهــو صديق الملازم «لابايير» وكان يقوم باعمال الرصد مع الاسطول الجــوى، الذى يعمل فى تلك المنطقة، وجاء فى الرسالة ما يأتى: ان الاوضاع لاردأ مما تصورت، اذ يبدو ان خط مراكزنا بأكمله عرضة للهجوم، بل قد دفــع

به الى الشرق منا، وتمنى لصديقه الشجاعة الكافية للصمود، وأمره بأن يرسل طلباته بالتلغراف الشمسى أى المرئى .

وفى 20 ابريل توالت طلقات العيارات النارية طول النهار، بدون انقطاع، فأصيب أحد الفرنسيين، بجراح فى لحم ساعده، أما الماء فيساوى لترا واحدا لكل فرد يوميا، وهو قدر لا يكفى، وبالاخص السنغاليين الذين يظمأون بشدة، ولاجل أخذ الاحتياطات الكافية، فان «لابايير» نفسه ينام بين براميل الماء، حتى لا يتحرك أحد لاخذ أكثر مما ينوبه، والا فانه بالمرصاد لنثر دماغ كل من تجرأ واختلس منه .

وفى 21 ابريل حومت الطائرات والقت للمخفر حزمة من الرسائل، واللفائف، والصحف وقد ضلت الطريق الى المخفر، فعادت الطائرات بارسال رزمات أخرى .

أما دوى الطلقات النارية فقد تناهت الى المخفر من قلعة تاونات، الامر الذى يدل على أن المعارك محتدمة هناك ليلا، خصوصا وقد رأوا لمعات بارقة من جراء اشتعال بارود البنادق والمدافع .

وفى 24 ابريل، فى هذا اليوم كان اهتمام المخفر يتجه صوب مركز بيبان فى الليلة الماضية، حيث سمعوا صخبا كبيرا، وعند الصباح تلقى المخفر التغلراف الشمسى البصرى بما يأتى :

«ان الامدادات قد جهزت، وسوف تنقذ الكتيبة الجوالة للمخفر خلال أسبوع، لانه يجب توجيه الاغاثة أولا الى مركز بيبان، الذى هو عرضة للخطر الجسيم، وافادت البرقية أن الرقيب «بيرتيزكامبو بطل بيبان قد جرح» .

وفى 25 ابريل قامت مجموعة من المهاجمين بالاغارة على المخفر فى عنفوان، مصحوبا بنداء «الله أكبر» جماعيا، وقد رد عليهم المدفعان الرشاشان مع القنابل اليدوية، وقد سمع المخفر بعض النساء ينحن مما يدل على أن الرشاشين اصابا مقتلا، منهم وقد استمرت الاغارة الليلة كاملة، وقتل أحد جنود احد الرشاشين، برصاصة المهاجمين، باصابة فى معدته، من ثقب البرج، ومات بعد ساعة من معاناة سكرات الموت ويدعى «نفيهاما» .

وفى 27 ابريل بدأ الملازم «لابايير» يطلق سيلا من اللوم على

القيادة العسكرية، مما يدل على نفاذ صبره، فقد طير برقية مرئية يطلب فيها مخزنا جديدا من الخرطوش، لان أحد المدفعين الرشاشين توقف عن العمل .

وسجل فى مذكرته العبارة التالية: «اننا لا نحصل سعيا وراء استمرار حربنا الاستعمارية، الا على معدات قديمة فى الاغلب، وها نحن الآن ندفع ثمن ذلك، ومما يؤسف له أن أولئك الذين تفترض مسؤولياتهم عن مثل هذه الحوادث، لا يدفعون ثمنا مطلقا».

ان الانسان عندما يكون فى مأزق، لابد أن يقر بالحقائق، فالحرب التى يقوم بها هؤلاء التعساء، ليست الا حربا استعمارية، لا غاية ورائها الا اذلال الآخرين، وفى هذا الحال، فان التعاسة تصيب من لا يتمتع بمزايا هذه الحرب القذرة، بل الذى يحصل على مزاياها أولئك الذين يخططون على الاوراق، على الارائك، ثم استرسل فى عبارات القنوط واليأس، فقال «ان الصحف تعلن أن الخط قد انهار فى الوسط، ما الذى تراه يؤخرهم عن ارسال تلك الامدادات الشائنة التى أطلقوا عليها حرف «م. م.» (المفرزة المراكشية) هذه التى ظللنا نسمع بقرب موعد ارسالها منذ خمس سنوات» .

يظهر أن الحالة كانت هادئة الى غاية يوم 2 ماى، حيث هجم المقاتلون على المخفر، طول ليلته واصلوا نارا حاميته أدى ذلك الى اصابة اثنين من حراس الحامية، فمات جندى فرنسى فى الحال، أما الآخر، وهو فى رتبة عريف، ويدعى «ناماروسيرين» فقد سمج رأسه باحدى الطلقات النارية، ولم يمت ولم تهتد الحامية الى مصدر الطلقات النارية، الامر الذى يدل عليه قول الملازم «لابايير» فى مذكرته بأنه كان يرى نارا قرب زيتونة تبعد بنحو 300 ياردة، فصب نحوها قنابل المدفعية دفعة واحدة، وانه اعتقد أن الطلقات أصابت الهدف، لانه سمع صراخا وعويلا .

أما فى أيام 3ـ4 ماى، فان القنوط والتذمر بلغ منتهاه عند الحامية، ففى صباح يوم 3 شهدوا جنازة الفرنسى التى قتل ليلة 2 ماى، فكان التأثير والحزن يقطعان أكباد الاحياء منهم، كما بلغ بهم العياء مبلغه، نتيجة حرمانهم من النوم، لان الوضعية تقتضى الحذر والتهيؤ للطوارىء المترقبة بين دقيقة وأخرى، مع قلة الافراد، فكانت مهمة الحراسة ملقاة على عاتق

أربعة من الجنود، بينما هم مكلفون بسد الثغرات التى تفتح فى البرجين والحائط، كما عليهم أن يحشوا الذخيرة فى المدافع، وحفظها مدفونة، وقد زاد فى تعاسة الوضعية أنهم شاهدوا صباح يوم 4 منه اغاثة تتجه صوب ببيان، لمحاولة الوصول اليه، ولكن واجهت مقاومة شديدة على جانبى الجبل، فارتدت على أعقابها، بينما يوضع من سقط قتيلا فى الخيش المعد للاموات، مما يدل على الاصابات المتعددة، وهو منظر يضخم التعاسة واليأس فى الذين ينتظرهم المصير المحتوم، فاذا كان مركز ببيان، وهو المركز المهم، فى هذه الوضعية فكيف بحامية أصبح الدافعون عنها على أصابع اليد الواحدة .ں

ونتيجة لهذا اليأس، فان الملازم «لابابير» أرسل تلغرافا شمسيا الى النقيب «بيترى»، يقول فيه «لا تخافوا، فلن يأخذنا الريفيون أحياء، وان معنواتنا ممتازة فى هذا الشأن» .

مرت الايام بهدوء م ن5 الى 13 منه، وقد سقط مطر خفيف يوم ٨، واستطاع المخفر أن يجمع شيئا من الماء، أما يوم 13 منه، فان المخفر شاهد معارك حول ببيان، حيث قام رتل الاغاثة لمحاولة فك الحصار عنه، ولكن الوضعية بالنسبة لببيان لم تتغير، أى لم تصل الاغاثة، ولم يفك الحصار عنه رغم القصف الشديد الذى سبق تقدم الاغاثة، وذلك ما أكده النقيب «بيترى» فى برقية شمسية الى الملازم «لا بابير»، أعلمه فيها بأن الحالة لم تتغير، كما انبأه بقتل اثنين من رفاقهما، وهما «شاربيبنيل» و «بورغيريت»، وكانا فى حصون أخرى مجاورة لهم .

وقد قال «لابابير» ان هذا شهر كامل، ونحن ننتظر النجدات الفرنسية للقيام بهجوم مضاد، ولكن لم تصل أية نجدات، وهو أمر قاس على كل حال، ثم زاد فى مذكرته المؤرخة بيوم 16 ماى: «انه جاءه الفرنسى الذى جرح منذ أيام (وهو العريف الذى جرح يوم 2 ماى) وطلب منه جرعة ماء، ولما كنت وعدت نفسى بالمحافظة بشدة على قاعدة توزيع ليتر واحد من الماء فى اليوم، فقد أعطيته ربع نصيبى، ولما شاهد وصيفى (سوغو ماى) ما فعلت ثار وغضب، وارغمنى على قبول ثمن حصته من الماء، وقد قبلت ذلك، وزاد قائلا: «اننا نعيش أوقاتا عصبية هنا» .

أما أيام: 16—18—19—20 منه، فقد كانت قاسية حقا على المخفر.

ففى 17 أرسلت اغاثة الى المخفر، وكانت هناك معارك فى غضون المنحدرات، التى تصل الى الحصن وكانت انفجارات، الا أن ذلك توقف على الساعة الواحدة نهارا ـ زوالا ـ لان الاغاثة لقيت نفس الدفاع من طرف المجاهدين، فلم تستطيع أن تغنى شيئا، وتلقى فى شأن ذلك الملازم «لا بايير» رسالة شمسية، تعتذر له بأن رتل الاغاثة كان انهكته هجومات متتالية سابقة، وانه اصطدم بدفاع قوى من طرف خناديق مجهزة تجهيزا محكما، ولذا اضطر الرتل الى العودة من حيث أتى.

وفى 18 منه حاول الحصن أن يقوم بهجوم لفك الحصار، نتيجة اليأس من وصول الاغاثة، ولكن اعترف «لا بايير» بأنهم تلقوا قنابل يدوية، التى انزلت بهم خسائر فادحة، فقتل من جنوده ثلاثة، وجرح واحد، وكان المجاهدون يقتحمون الاسلاك الشائكة، واجتازوا من ثغرة بعد أن وضعوا اغصان الاشجار فوق الاسلاك، ومع ذلك يقول الملازم، فقد وقع صدهم بعدما خلفوا ثلاث جثث بين الاسلاك الشائكة والجدران، وجثين قرب الكمين، وأخريين ابعد من ذلك قليلا، ومع ذلك فانه استرسل فى سرد الوضعية التعسة، فقال: «انه لم يبق منا غير 15 رجلا، ثلاثة منهم جرحى، وقتل العريف «تاماروسيديب» الذى كان جرح قبل، وان الحصار يضيق خناقه على الحامية، وان المهاجمين يتابعون أعمالهم حول المركز على بعد لا يتجاوز حدود مرمى قذيفة يدوية، لانهم لا يرهبون شيئا، وهم متترسون بخنادقهم، وكلما رأوا رأسا من الحامية مرتفعا عن الجدار، الا وأمطروه وابلا من الرصاص، والعياء انهك رجال الحامية، ولو أن التلغراف الشمسى ينبىء بوشيك الاغاثة، لان تعزيزات جديدة وصلت، ولكن لم ير فى عين المكان بواسطة المنظار المكبر أى اثر للتعزيزات.

أما المياه فلم يبق أكثر مما يكفى ليومين ولذا فانه أرسل برقية شمسية يطلب فيها القاء صفائح من الثلج بواسطة الطائرات، وانه فى هذه الحالة لا يشغل باله سوى الماء والمدفعية، وفعلا فانه فى اليوم 19 قامت تشكيلة من الطائرات بالقاء خمسة من صفائح الثلج، حصلت ثلاثة فى الحصن، وزاغت اثنتان خارجه، حيث ذاب تحت حرارة الشمس، كما ألقت حزمة من الصحف، وحينما شرع فى دعوة الاوربيين لتوزيع الصحف عليهم جاء الرقيب «ليكيم» وهو يثب فوق صناديق الذخيرة المكدسة اذ ظهر

رأسه فوق الجدار، فاقتنصته رصاصة فى صدره، فحطمت كتفه وراح يصيح صياحا مزعجا كحيوان، قابضا على يد الملازم، وقد جاءت مع الصحف الرسالة التالية: «الى أصدقائنا المرابطين هناك، من ميكانيكى التشكيلة الرابعة تشجعوا فنحن نفكر فيكم» .

وفى ليلة 20 ماى قام الريفيون بنقل جثث قتلاهم على الاسلاك الشائكة، وقد راع الحامية ان حراسها الليليين لم يسمعوا أية حركة مما أزعج الحامية، لان ذلك يعتبر تحديا منتقنا .

وفى هذا اليوم أى 20 ماى، كان الحصار استمر 38 يوما، وقد روى «لابايير» كيف مات التعس «ليكيم»، ذاكرا أن ظروف موته كانت وحشية، وان الحمى كانت تنهشه بأنيابها، ويهذى هذيانا متواصلا، بينما يترجى منه أن لا يبقيه حيا، اذ رأى أن الريفيين يصلون اليه، وقد مات فى الليلة بعده موتة مخيفة، اذ أطبق على معصم «لا بايير» ولم يتخلص منه الا بشق الانفس، ان الملازم يمدح الجندى «ليكيم» بأنه رغم سنه، فكان نشيطا ينتقل بسرعة، وقال أنه صدم بموته أشد صدمة .

أما الحالة اثناء أيام 23 الى 3 يونيه، فانها لم تشد عن حالات الايام قبلها: دوى المدافع والطلاقات النارية والانهاك لاعصاب الحامية، فقد قال الملازم يوم 23 ماى، ان أعصابنا على شفا الانهيار، وطول الليل أسمع صوت المدافع والانفجارات فى بيبان، يا للمسكين «بيرنير» (دعى فيما بعد ببطل بيبان)، وقد هبت عاصفة حملت امطارا، فجمعت الحامية ما يكفى من الماء الى يوم 6 يونيه وفى يوم 25 منه صباحا توجه رتل لاغاثة بيبان، الا أن الملازم «لابايير» رثى هذا الرتل حيث قال: ان أولئك الفتيان المساكين محكوم عليهم بالموت، ان هم استمروا هناك، لان المدفع اللعين (يعنى مدفع المجاهدين) لا ينى يصليهم نيران قذائفه، ذلك أن الرتل أوقف فى أسفل المنحدر الى الساعة الثالثة بعد الظهر، مما يدل على أن المقاومة أصبحت أكثر تنظيما، وعلم فى المساء ان القيادة الفرنسية المحلية أمدت حامية بيبان بالتعزيزات، ولكنها مقضى عليها، ثم مال باللائمة على فرنسا، فقال ماذا تراهم ينتظرون فى فرنسا، ولم يمدوا الينا يد المساعدة.

أما فى يوم 30 ماى، فكانت الوضعية أشد قساوة على الحامية، فالرجال يبدو عليهم الانهاك واللحوم المعبأة والبشكوت غير كاف، يقول

«لابايير» ان نهايتنا محققة حتى السادس من شهر يونيو ان لم يصل الينا أحد» .

ومع أن البرقيات ترد عليه من أن الاغاثة ستصل قبل هذا التاريخ، الا أنه لم يطمئن الى ذلك، (أى لان هذه الاغاثة لم تستطيع أن تصل قبله، فهو من قبيل التطمينات فقط)، وقال بأن الريفيين قد هدأوا من الهجوم، ويعتقد أن ذلك راجع الى أنهم يرون أن ضرب الحصار يكفى لموت الحامية ظمأ، فلا حاجة الى الهجوم الذى يكبد على أى حال الخسائر، فزاد قائلا، انه جهز حملة لسقى الماء من العين، فتمكن من جلب 130 لترا، وهو قدر يكفى الى غاية 15 من يونيه، وشك فى أن يبقوا أحياء حتى يتمكنوا من شربه، ولما حاول للمرة الثالثة جلب الماء بارسال 8 رجال، فان رشة من رصاص المهاجمين قد ردتهم على أعقابهم وفقدوا ثلاثة رجال، لم يعرفوا هل أسروا أو قتلوا، وعليه فانه لم يبق فى الحامية الا أحد عشر رجلا، وقد أصبحت الحالة ان كل واحد من الرجال الحادى عشر خفيرا فى القلعة، بصورة دائمة، وكل واحد من اثنين يمكن أن يغفو حيث هو حارس، تحت الجدران، بينما رفيقه يقظ، ثم مال باللائمة مرة أخرى على فرنسا، قائلا: «ان الظمأ قتال رهيب، فتراهم يفكرون فينا فى فرنسا، لقد غدونا بلا أصوات» .

وقد استطاعت الحامية أن تصل عين الماء ليلا مرتين، احداهما على الساعة الحادية عشرة والثانية على الساعة الثانية بعدما مهدت باطلاق سيل من قذائف المدافع، وقد ذهب الملازم «لابايير» بنفسه على رأس ثمانية رجال، بعدما ترك الاوربى الوحيد المدعو «لاردين» الذى بقى حيا ليصلى المحاصرين بالمدافع، مما جعلهم يبتعدون عن ممر الماء، نتيجة كثافة القنابل، وفى هذا الحال، فقد فقد «لابايير» حتى جهاز البرق البصرى اذ أصيب عدسته بطلقة نارية، عندما كان يرسل تقريرا ليليا الى المركز الخلفى .

وفى اليوم 4 من يونيه سقط مركز بيبان بيد المجاهدين كما أسلفنا، وذلك بعدما قصف ليلا بالمدافع التى غنموها قصفا شديدا، وقتل المدافعون عنها جميعا .

وفى صباح هذا اليوم شهدت حامية بنى دركول منظرا أزعجهم،

ذلك أن الثلاثة رجال الذين فقدوا أثناء محاولتهم للمرة الاولى للوصول الى الماء، رأوا جثثهم معلقة من الارجل الى أعمدة نصب أعينهم، وقد أثار هذا المشهد سخط الاحياء من الحامية، حتى أن احد الجنود لم يتمالك نفسه ان ارتمى على المدفع الرشاش، فمنعه اثنان من الجنود خوف أن يصاب برصاصة .

وأثناء هذا الارتباك فى المخفر جعل المجاهدون يقذفون اليهم بعض الشتائم، مع وصف سقوط مركز «بيبان» ثم سألهم كم بقى من الاوربيين فرد عليهم الاوربى الوحيد الذى بقى مع الملازم وهو «لاردين» فى حالة غضب، بأن الباقى يكفى للقضاء بالرصاص عليهم (أى على المجاهدين) .

وبسقوط بيبان أصبح باقى الاحياء من الحامية، فى حالة قاسية جدا، بحيث لا يستطيع أى واحد منهم أن يلقى نظره على زميله، فقد مر 55 يوما الى ذلك اليوم، ولم تصل اليهم أية امدادات، وأصبح الآن بعد تكسير جهاز البرق البصرى لا يمكن أى اتصال الا بواسطة الطائرات أو بواسطة الرايات أما السلاح فقد تعطل المدفعان الرشاشان، ولم تبق الا احدى عشرة بندقية ولو تفطن الريفيون لاقتحموا الحصن من دون عناء، ولكن لم يعرفوا المصائب التى حلت به .

وعليه فان الامر يتجاوز كل المستطاع، ولذا فان الانسان فى مثل هذا الحال لا يملك الا أن ينفث ما فى صدره من الاحقاد على رؤسائه، وفى هذا الميدان قال «لابايير» يا الهى ماذا تراهم ينتظرون، أترى تسمح فرنسا بابتلاع مراكش كلها دون شىء من الدفاع، أتراها تضحى بنا سعيدة مغتبطة، لم أعد أجرؤ على النظر فى وجوه رفاقى، لاننى طالما وعدتهم بوصول النجدات لانقاذنا» .

حقيقة أن الفوضى استمرت فى الجنود، فهرع أحد الى الملازم، وقال له يجب أن يذهب الى تحطيم هذه المشنقة التى تؤلف المنظر المستفز لشعورهم الى حد لا يطاق، ولكن الملازم منعه، لانه قد تكون هناك مصيدة.

وبسقوط مركز بيبان، وبابادة جميع رجالها سقطت المواقع الاخرى فى الوادى، أما بفضل الهجوم، أو بفرار أفرادها عنها، ولم يبق

الا حصن بنى دركـــول، الذى لم يجد رجالها سببا للهروب، والالتحـــاق بالآخـــرين .

وعلى أى حال، فان العوائق قد ازيلـــت أمام المهاجمين لمجابهـــة الحصن المنيع الذى لم يرضخ للاستسلام، وكان يقدر عدد المهاجمـــين بحوالى ألف مقاتل، حســـب افادة الطـــائرات التى أرسلتها الى مخفـــر «طفـــران» .

وفى ليلة 6 يونيه فتح المهاجمون ثغرة فى الجدار المحيط بالحصن، واندفع بعضهم داخل الحصن وكانت وضعية الحامية على الشكل الذى أبلغه الملازم «لابايير» الى المجموعة المتحركة (يطلق ذلك على أركان الاغاثة) بواسطة الراية البيضاء، جاء فى تقريره ما ياتى: «لم يبق منا غير أحـــد عشر جنديا، ذخيرتنا احدى عشرة بيدقية ومائة وعشرون قنبلة يدويـــة، وعشرون ألف خرطوشة، ومدفع واحد مزود بسبعمائة طلقة» .

«ان حلقة الريفيين تزداد ضيقا حولنا، وهم يحفرون خنـــادق جديدة، انى أخشى وقوع قتال بالسلاح الابيض كما اخشى من ذلـــك ان تضربنا مدفعيتهم بقذائفها، سوف تكفينا الى الرابع عشر من الشهر (يونيه) بالضبط انه من الضرورى، بصورة مطلقة أن تنقذونا قبل الثالث عشر، على أبعد تقدير، المعنويات لا زالت ممتازة الا فلنقم بواجبنا على الوجه الاكمـــل» .

فى هذه الاثناء لم تكن هناك وسيلة للاتصال الا بواسطة الطائرات، وقد حلقت طائرات الاستطلاع الصباحيـــة فى سماء الحصـــن، وتلقى الملازم «لابايير» كلمة من صديقه القديم «غالرانج» قائد احدى الطائرات فلم تكن تلك الكلمات لتخفف شيئا من المأساة، بل كانـــت بمثابة صـــب الوقود على الحطب المشتعل، فقد قال: «لا يمكن الاصغاء اليه لانه منهمك فى انهاء مهمة أخرى، فى قطاع آخر، وقد فهم الملازم أن ذلك لاخذ علم آخر من حامية أخرى، لان الكثير من رفاقه قتلوا، وجرح مرشح طيار خلال عمليات القاء الجليد على الحامية قبل أيام، وكالعادة، فقد أعلمـــه بأن النجدات ستصل من فرنسا (ولكن لم تصل ولن تصل) .

ولما كان الاتصال غير متيسر الا بواسطة اختطاف العلم الابيض الذى تشد اليه الرسالة، فان الملازم «لابايير» استطاع أن يركز علمـــا

فى موضع غير شاهق، لانه لا يمكن أن يبرز رأسه عاليا، والا اصطادته رصاصة الصامدين حول الحامية، وبالاحرى لم يستطع أن يصعد على سطح مبنى الحصن، وبمجـرد ما رأى الطيار «غالرانج» العلم تدلـى بمخطاف حديدى لالتقاطه وقد صعب عليه أن يصيب حلقة العلم، حذرا من الرصاص المتساقط حوله كالسيل، ولكن العلم وضع فى مكان منخفض، فحوم منخفضا سبع مرات، وكانت قلوب جنود الحامية اثناء هذا التحليق كادت أن تتقطع خوفا من اصابة الطائرة بالرصاص فتهوى حيث الصامدون يتفرجون عليها، ولكن من حسن حظها لم تصب، فخطفت العلم فى المـرة السابعـة .

أما السخرية التى ابداها الملازم «لابايير»، فكانت عندما جاءت الطائرات صباح يوم 10 يونيه، لتحوم حول الحصن، فألقت بعض قطـع الجليد بعد أن رشت المنطقة المحيطة بالحصن بسيل من رصاص مدافعهـا الرشاشة، ثم قذفت بأحد الطرود يحمل فى طياتـه 15 صليبـا، وقد وزع الاوسمة على الاحياء، بينما وضع ما تبقى على أضرحة القتلى، ان الحامية فى وضعيتها الجد قاسية لا تحتاج الى الصلبان والاوسمة، بقدر ما تحتاج الى فك اغلال الحصار، الذى يجعل الموت الزؤوم المتمثل أمامهم، فلهـذا قال هذا الملازم التعس «غرقت فى بحر من التفكير بعد ورود هذه الاوسمة فى مثل هذا الوقت، ودون أن يردنى أى نبأ عن موعد انقاذنا». وبالاخص أنه أصيب أحد الدراس فى نفس الصباح فى فخذه من خلال أحد الثغرات فلم يبق فى الحصن غير رام واحد هو «اسحاق ديللو» وهو مضنى الـى أبعد الحدود، وانه يرى انهم فى الطريق الى حتفهم، ففرنسا تخسر بعض جنودها الشجعان فى هذه القلعة، ان التفكير فى المصير استولى عليـه، فلم يعد يستفيق منه، حتى أنه لما رآه طاهى الحامية الذى لا يباشر مهمته من زمان، لعدم وجود ما يطهى غارقا فى بحر التفكـير، تطلع الى عينـه مباشرة، وقال له: «لا نستطيع الا أن نخدم جيدا فقط» وقد استيقظ اثـر هذه الجملة، فاهتدى الى الحل، وهو أنـه حيث لم يكن هناك من يأتـى لانقاذ الحامية والحال أن الحصار المضروب على الحصن من طرف ثلاثمائة مقاتل، جعل النجاة مستحيلة، فضلا عن التعب الذى انهك الجميع، وعليه فلم يبق الا حل واحد، وهو تلغيم الحصن بقذائف المدفعية والمتفجـرات،

التى تصلح للالغام، فى الطرق، ثم اشعالها عند الوقت المناسب، وهكذا يقول الملازم «شعرت بمزيد من القوة، بعد أن قررت خطة العمل» .

وفى يوم 12 منه، كانت ساعة عملية الانتحار قد دقت، فرغم أنه توصل برسالة من الطائرة تقول اصمدوا حتى السادس عشر من الشهر، ان العمليات الجارية لا تسمح باغاثتكم قبل هذا التاريخ، أنت مفوض اذا كنت تحكم بامكانية ذلك، ان تخلى مركزك وتنسحب الى عين كبير، بعد أن تدمر مدفعك ومعدات دفاعك»، فانه قرر تنفيذا للفقرة الاخيرة وهو تدمير المركز، ولكن بدون انسحاب، لانه مستحيل .

ففى الصباح هيأ اللغم بمساعدة الاوربى الوحيد الذى بقى حيا، وهيأ ثلاثة أسلاك فتيل وضعها فى انحاء متفرقة من المركز، فبعد اشعال فتيل بخمس دقائق سيقع الانفجار، ولكن يجب ان لا يكون الانفجار الا بعد اقتحام المهاجمين الحصن، الذى أصبح بدون اسلاك شائكة، وهو آخر لعبة حربية سيقوم بها، وفى هذا الحال، فقد سقط الجندى اسحاق الذى كان يعتبره الملازم داهية مثله، سقط برصاصة فى رأسه، فلم يبق معه الا عشرة رجال، بينهم واحد مجروح، الذى اشفق من حاله، لانه ظن ان الاجراءات التى يقوم بها لاجل الرحيل عنه .

وفى هذه الاثناء، فان أحد المهاجمين ناداه فى الليل طالبا منه الاستسلام والا دمر عليه الحصن بواسطة المدفع الذى دمر بيبان، فأجابه بسيل من القنابل اليدوية، وعندما انبلج الفجر، وضع 15 قنبلة مدفع فى اللغم، وهيأ العمل الرهيب، وفى الساعة التاسعة صباحا، وضع ضمن قنابل أخرى فى ثلاثة الغام، وفى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة، تناهت انفجارات مهولة الى سمع مركز «عين كبير»، وشاهد لهيبا مرتفعا من حصن بنى دركول، وبين طياته اشلاء السبعة رجال الباقين احياء، الذين فضلوا طريقة الانتحار عن الاستسلام، ويقال أن المهاجمين كانوا قد اقتحموا المركز من الجهة الشمالية التى لم تكن الاسلاك الشائكة قائمة، فاندفعوا وقتل منهم 20 مقاتلا، وهكذا انتهى حصار هذا الحصن بهذه الصورة التى قد انتهى بها أيضا كثير من الحصون الاخرى، التى لم يعثر على انهائها مفصلة، وبتدقيق مثل هذا الحصن، الذى يرجع الفضل فيه على كل حال الى هذا الملازم الذى عارك الحياة والموت معا، مخلفا مذكرة يومية ألقت الاضواء

على وضعية الحرب على ضفاف نهر ورغة التى شهدت أروع صمود من الطرفين حتى يدحض بها ما يقال من ان الريف أخذ الجيش الفرنسى على غرة .

انضمام قبائل شمالى تازة الى الثورة

قبيلة التسول :

كان المجاهد شعيب ابالى البوعياشى كلفه الامير امحمد على رأس مائة من المجاهدين الاشداء، بعدما سلحهم بأسلحة جديدة استخرجها فى نفس الوقت من صناديقها، مع القنابل اليدوية والذخيرة وأمرهم أن يتوجهوا الى قبائل شمالى تازة، فتوجهوا عن طريق مزيات، وشاركوا هناك فى المهاجمة على قشلة جبل أستر وحاصروها لمدة أيام كانت محصنة بمدفع واحد ثقيل، وكان مركز تاونات يسامتها ويقوم برمى المهاجمين بقنابل المدافع من هناك، ودافعت الحامية دفاعا مستميتا ولما لم يجد دفاعها فانه ذات ليلة مع الفجر اخلت الحصن وانسحبت على غفلة من المهاجمين، حيث كانوا قد انهكهم الاعياء لطول أيام الحصار، وقد استشهد منهم ثلاثة وجرح ثلاثون آخرون بجروح بسيطة، وحين ما تفطنوا تبعوهم فقتلوا منهم البعض ونجا البعض الآخر الى أقرب حامية، وكانت الغنائم التى أخذت من القشلة المدفع الوحيد ومائتين وسبع عشرة قذيفة مدفع، وقد تبعتها قشلة أخرى صغيرة كانت قريبة منها، فاخلتها الحامية وانسحبت بدون قتال، ثم هجموا أيضا على قشلة سلطان، واحتلوها بدون عناء .

وبعد ذلك انضمت اليهم قوة جاءت من رجال بنى زروال، وهجموا على قشلة «مزراوة»، تقع فى الحدود بين مزيات وبنى زروال، واحتلوها بعد قتال عنيف، أما قشلة «سيدى عبد الله» فقد انسحبت بدون قتال، وانضمت الى قوة عين عائشة .

وبعد هذه العمليات توجه شعيب ابالى بقوته المائة، ورجال القبائل

الذين انضموا اليه، الى أن نزلوا قرب أربعاء تيسة، ومن هناك تقاطر عليهم بعض رجال القبيلة حيث هلع الجيش الفرنسى .

قبيلة البرانس :

كان يوجد على قبيلة البرانص قائد يدعى محمد الخلادى عين عليها وهو شاب من عام 1911 م. الى غاية عام 1924، وفى هذا التاريخ الاخير، بينما كان الريفيون يكتسحون قبائل ورغة، عقد هذا القائد اتصاله معهم وهنا نترك الرواية للخلادى نفسه الذى يوجد ساكنا فى تطوان وهو يبلغ من العمر عتيا، قال: (1) تضم قبيلة البرانص أربع فرق: طائفة وبنى فقوس وفرقة وربا، قال القائد الخلادى الى هذه الفرقة الاخيرة تنسب زوجة مولاى ادريس الاول كنزة الوربية، وان قرية أهلها تدعى دار الفرح من اسم جاء على لسان تلك السيدة، عند زفافها الى مولاى ادريس، أما الرابعة فتدعى بنى بويعلى، وهذه الفرقة الاخيرة كانت مقرا لخليفة القائد فى ذلك الوقت، ويدعى الركوك .

وعندما كان المجاهدون يكتسحون قبائل صنهاجة، وبنى وليد، ويدخلون الى التسول، ركز الفرنسيون دفاعهم من قبيلة البرانص، فتكلف مراقب القبيلة ويدعى «جيب» برتبة كبطان بفرقة بنى بويعلى مع الخليفة الركوك، وقد جر هذا المراقب معه قوة هائلة مختلطة من الكوم، وقوة من الاهالى تحت اسم المحلة، ضبطت عن طريق انضباط الجيش، أما القائد الخلادى فقد تكلف بالدفاع عن الفرق الثلاثة بأهاليها كمتطوعين. ونظرا لسرية اتصال القائد الخلادى بالمجاهدين، فقد توجهوا عن طريق بنى وليد الى فرقة بنى بويعلى حيث توجد قوة الكبطان جيب، فاندفع المجاهدون بحماس، فلم يستطع الكبطان أن يقف ازاءهم وهرب الى داخل القبيلة حيث عسكر فى موضع يدعى وادى الخضار، وترك الخليفة الركوك فى قبضة المجاهدين .

ولاجل عجم عود الخلادى، فقد أرسل الكبطان رسولا اليه يأمره

---

(1) شاهد عيان .

فيه بأن يتوجه بقوته الى فرقة بنى بويعلى لاستخلاص الخليفـــة، ورد عادية المجاهدين، وبالفعل فان الخلادى توجه على رأس اربعمائة من رجال الفرق الثلاث التى تحت امرته، فلما وصلوا الى ربع بنى بويعلى وجدوا أن المجاهدين احتلوا هذه الفرقة واحتلوا قشلة عين الخميس «البرارحة» وأسروا جميع من فيها من القـــوة، وأخذوا الركوك معهـــم، وقد ركـــن المجاهدون فى عزبة من عزائب تلك الفرقة الكثيرة اليانعة، فاستراحوا فيها، وكان الوقت وقت نضج الذرة، فجعلوا يشوون سنابلها، ولاجل التعميـــة على الجيش الفرنسى، فقد أطلق الخلادى وجماعته رشة من الرصـــاص اتجاه العزبة، فهرب المجاهدون الذين أخذوا على غرة الى الجبال، وتركوا الركوك وذهب به الخلادى الى وادى الخضار، حيث يوجد الكبطان ولمـــا تلاقيا وبخ الخلادى هذا الاخير ناعتا اياه باليهـــودى .

فما كان من هذا الكبطان الا أن غـــادر المحل حينا متوجها الـــى «باب المروج» الذى هو المقر الرئيسى للعمليات الحربية فى قبيلة البرانس، ويرأسه ضابط برتبة كورونيل، فكشف هذا القبطان لقادة الجيش الفرنسى عن خطة الخلادى، بالاتصال برجال الريف، ومحاولة الانضمام اليهـــم، معلما اياهم بأن أعماله فى القبيلة ما هى الا تغطية لنواياه، وطير هـــؤلاء القادة الاعلام بذلك الى جنرال الجيش فى تازا، فعمل هذا على استدعـــاء القائد الخلادى اليه، وأرسل اليه رسولا شفويا، ثم لما امتنع الخـــلادى عن الذهاب اليه، أرسل اليه رسالة انذار كتابيـــا .

وفى هذا الحال، فان القائد الخـــلادى قرر علنيا الانضمام الـــى المجاهدين، فاستدعى رجاله الذين يعملون تحت امرته، والمسلحين من طرف الجيش الفرنسى، وأعلمهم بنواياه الحقيقية من الانضمام الى الريـــف، وقال لهم انه لا يرغم أحدا بأن يقتدى به، فمن لم ير أن يتبعنى فلـــه أن يغادر الى «باب المروج» من دون أن يلحقه منا أذى، فأعلن الجميـــع تأييده فى خطته واعلنوا الجهاد، وتقووا بالمجاهدين الذين كانوا يوجدون فى مرنيسة وعين مديونـــة .

الهجومات على مخافر العدو بالبرانص

كان أول هجوم قامت به قوة الخلادى متوجها الى قشلة «عرعرة»

كان على رأسها كبطان فرنسى، وكانت محصنة تحصينا منيعا، فوقع الاصطدام بين الفريقين، لم يدم طويلا، فقد استطاع المجاهدون تحت تأثير حماس الجهاد، أن ينقضوا عليها، فهرب من هرب ومات من مات، وغنم المجاهدون ما فيها من وسائل الدفاع. وبعد الانتصار على هذه الحامية، وضع القائد الخلادى قاعدة للقضاء على المخافر التالية: مخفر الشياب ــ مخفر لوطية ــ مخفر ظهر الحمار ــ مخفر أمساق ــ مخفر باب مولاى على ــ مخفر جلفاطة، وتقتضى القاعدة أنه عين لكل مخفر قوة من سكان القرى الموجود فيها المخفر، وضرب موعدا للجميع بأن يكون الهجوم ليلا فى وقت واحد، وان يفرغ من الاحتلال فى غد تلك اليلة، وقد نفذ رجال القبيلة التعليمات بدقة، ففى الموعد المحدد كان الجميع قد انهى مهمته، فقتل من قتل وأسر من أسر، من قوات العدو .

وعند هذا الانتصار لم يبق أمام المجاهدين الا مركز باب المروج، فعبأ جميع قوة القبيلة مع الريفيين الذين تقاطروا على القبيلة من كل جهة ومكان، بحيث ــ حسب تعبير الخلادى نفسه ــ أن الزحف الريفى كان فى قوته كالنمل حتى أن من لم يكن مسلحا جاء مع الزاحفين واستعمل أسلوبه الخاص للهجوم فاستمر القتال على مركز باب المروج يومين اثنين، خندق المجاهدون حوله، وجعلوا يدلفون رويدا رويدا بينما تصليهم خطوط العدو الخلفية بالمدافع، وقنابل الطائرات التى لم تغن شيئا، واستطاع المجاهدون أن ينتصروا على العدو، فقتل وأسر عدد كبير، ومن جملة من أسر ضابط برتبة ملازم أرسل مع الاسرى الى مركز بنى برابر بقبيلة مثيوة.

وعندما تحالفت فرنسا واسبانيا للقضاء على الثورة الريفية، وزحفت القوة الفرنسية من تازا لاسترداد قبائلها الشمالية، ذهب القائد الخلادى على رأس قوة صغيرة تقدر بنحو 30 مجاهدا الى قبيلة مرنيسة حيث نزل بدار عمر بن احميدو الذى كان فر أمام المجاهدين الى تازا .

ولما وصل الخلادى الى مرنيسة، استغاث بالقائد عمر بن علوش الورياغلى الذى خلفه السيد امحمد الخطابى على رأس قوة المجاهدين ضد الجيش الفرنسى على خط ورغة فأرسل اليه هذا 30 مقاتلا لمؤازرته، وكان علم القائد الخلادى من رجاله الذين خلفهم فى قبيلة البرانص أن قوة من الجيش الفرنسى ومن محلة الاهالى تحت رياسة

الكبطان شميت بمعاونة قائد كزناية المدعو المذبوح، وعمر بن احميـدو المرنيسى يستعدون لملاحقته للقبض عليهم وعلى عائلتهم التى صحبتهم قبل أن يفلتوا من يدهم، وهكذا توجهت عمليا تلك القوة المتألفة من 200 رجل فصمد الخلادى بقوته التى هى 60 مقاتلا فى وجه هذه الحملـة، فاستطاعـوا أن يوقفوهـم، ولم ينالوا منهم منالا، فانسحب الخـلادى الى قبيلة زرقت، حيث نزلوا على القائد محمد الفلاح الخمليشى الـذى أساء اليهم اساءة لا زال يذكرها بامتعاض، لان تلك المعاملة جردتهم حتى من خيولهم ثم انتهت بحبسهم فى تماسينت، مع مولاى على الريسونى، ولد أخ الريسونى المشهور، وقائد بنى سعيد المدعو محمد البقالـى، وقائد بنى سلمان المدعو البويحياوى والطالب محمد الشاوى من سماتة ومحمد الوزانى من أنجرة والقائد الفار من الاخماس وبقى الخـلادى وجماعته فى الحبس لمدة 15 يوما، الى أن أطلع عمر بن علوش على خبرهم وأعلم بهم الامير ابن عبد الكريم فأمر باخراجهم حالا وبذهابهم الـى تركيست، حيث كان يعسكر عمر بن علوش للعمل معـه .

وفى أثناء وجوده بتركيست مع عمر بن علوش نظم الاستخبارات على قبائل غياثة والتسول والبرانس، فكانت تأتى اليه بانتظام، وقد علم من خلالهـا أن الجيش الفرنسى يستعـد لهجوم عام امتدادا من خـط يبتدىء من ثلثاء أولاد بوبكر بقبيلة مطالسة الى مدينة وزان، هناك رجل الخلادى بعائلته الى قرية اسفادة، حيث زاوية سيدى احميدو الوزانى .

معــارك علــى منطقــة وزان

روح قتالية تتقمصها فقيهان، وحولت منهما رجلى ميدان فــى قبائل جبالة بمنطقة وزان، وهما الفقيه القاضى السيد محمد العبــودى الغزاوى، والشيخ المقرىء السيــد محمد بن الطيب الحيونى من بنــى مستارة، وقد دعت الاول هذه الــروح الوثابة، ان يحصن تراب قبيلــة غزاوة بأسرها، برجاله البواسل، فكون منها وكرا اقض مجضع الجيش الفرنسى، كما كان لهم عائقا سميكا عاقهم ان يتخطوا عتبة وزان لاحتلال شفشاون، بل لم يستطع ذلك الجيش أن يخضع تلك القبيلة ولو بعــد استسلام الثورة الريفية، فاستمرت تقاتل الى سنــة 1928، أما الثانى فانه انضم الى جيش الثورة الريفية، وقاتــل الاسبان، وعند الاحتــلال حكموا عليه بالاعدام، الا أنه فر الى منطقة الاحتلال الافرنسى، فنجــا من الاعدام، وكان يحفظ القراآت السبع حفظا متقنا وحسبما نعلم فانه لازال حيا فى شيخوخة متقدمة حفظه الله .

ان العبودى تمرس القتال قبل ذلك فى ادغال جبل العلم، مثــوى مولاى عبد السلام بن مشيش اذ كان حلس الجهاد مع اخوانه المجاهدين من تلك القبائل الجبلية، وقد قضى هناك قرابة ثــلاث سنين يتنقل بــين غزاوة وبنى عروص وبنى زروال وبنى مزكلدة يخلص النصيحة للشريف الريسونى، عنــد الحاجــة، ولما بانت بشائر الانتصار فى الريف، ولــى وجهته نحو المجاهدين هناك فبعث ولده البكــر عبد الله للاتصال بابــن عبد الكريم، لتوحيد الخطة، والتى يتوجب على الفقيه العبودى أن يلتــزم بها، ضمن المخطط العام للدفاع عن الوطن، فوقع الاتفاق على ما يأتى :

أولا : ان ينصح الريسونى لكى ينضــم الى الثورة الريفيــة ، لقطع الطريق على الجيش الغازى، الذى يستعمل كل طاقاته الخداعية لبث الشقاق بين الاخــوة .

ثــانيــا : فــاذا لــم يتفهــم الريسونى الوضعيــة فيعمــل

(أى العبــودى) لنصــح القبائــل التــى تسير فى ركابــه لكى تــلــم جمعهم حولــه .

ثالثا : وعليه بعد ذلك ان يهىء قبيلة غزاوة لتكون سدا منيعا وحصنا حصينا للمجاهدين الذين يعملون على خط واد لوكوس الى آكام اســوال وطروال ، الى حــدود بنى زروال .

وهكــذا قــام بتنفيــذ المهمــات الثلاثــة، فجمــع رجالــه الذين كانت قلعــة تازروت تعــج بهم فبين لهم المحجة الواضحــة التى يتوجب عليهم أن يسلكوها ازاء العدو المتكالب على الوطن، وان بشائــر النجاة تتراءى ساطعة من رجال الثــورة الذين درجوا على الاستبســال واحرزوا انتصارا تلو الآخر على الاسبان، فيتوجب عليهم ان يؤازروهم لا أن يخذلوهــم .

وبعد ذلك شمر على استقطــاب قبيلة غــزاوة، وتسهيل مهمــة المجاهدين الذين تقاطرون على خط وزان من جميع جهاته، فكان عمله يسير على الوجه المأمــون .

فكون وفدا تحت رياسته الى شفشاون حيث تم الاتفاق مع قائد الجبهة الغربية الجنوبيــة السيد عبد السلام البوعياشى على المخطــط الحربى ضــد فرنســا .

ذلك أنه كما أسلفنا، فان الخط الذى يشمل مناطق وزان صــدر فى حقه قرار حربى بتركيست من طرف المجلس الحربى برياسة امحمــد الخطابى، واسند المهمة الحربية هناك الى القائد المجاهد بشفشاون .

وكان ابن عبد الكريم علم بالمخطط الثانى الذى أعدته القيــادة العليا الفرنسية الذى يقول بالهجوم على مدينة شفشاون عن طريق واد لوكوس، والقاء الثقل الحربى هنــاك، حيث تتقدم الجيوش الاسبانيــة لاسترجاع مدينة شفشــاون .

وبذلك تخف وطأة الهجوم على ورغة، لان ابن عبد الكريم يكــون مضطرا لتوزيع قواته على الخطين، الامر الذى يوهن تلك القوة، فكلــف القائد المذكور، بتعبئة القبائل التى تحيط بتلك الجهة، لتحتل الآكام التى بين أســوال وطروال .

ونظرا للاهمية التى يعلقها قادة الثورة على هذه المنطقة التـــى تكون منطقة حساسة لقربها من مواقع الانتصارات على اسبانيا فى معارك الجبهة الغربية، من بنى زكار جنوبا الى تطوان شمالا، فان الوفد الــذى جاء من غزاوة كان من مهامه الرئيسية هــو :

1 ــ التأييد البشرى لكى يتقوى هذا الخط تقوية يكون ســدا منيعا ضد محاولات العدو لاختراق الحاجز .

2 ــ ان يكون الطريق مفتوحا للاتصال بــدوائر الثورة والدعــم بالاحتياجات من المدافع والبنادق والذخيرة، وحتى بالمؤونة عند الحاجة، وذلك بعد ما كان رجال غزاوة هجموا على قشلة لحامية اسبانية فى قبيلــة أهل سريف، تدعى «قشلة مغزيز» فاحتدم القتال بين الحامية والمجاهدين وعندما سقط أغلب رجال الحامية قتلى سقطت القشلة فى يدهم .

واستولى المجاهدون على مدفع ثقيل ومدفع رشاش وعدة مــن البنادق والوسائل الحربية الاخرى بما فيها البنادق (الخماسيات) وقــد دعى وجود هذه الاسلحة الاسبانية فى يدهم أن يطلبوا مزيدا من الذخيرة لاستعمالهــا بدون تحفــظ .

3 ــ ان ينقل قائد الجبهة مركزه من مدنة شفشاون الى مركــز فراحة الذى استولى عليه المجاهدون .

وعندما ارجع الامر الى الامير ابن عبد الكريم، فانه وافق على هذه البنود وأمر القائد السيد عبد السلام البوعياشى بالانتقال الى مركز فراحــة، على أن يتــولى القائــد احمد بــودرة الدفاع ضــد الجيــش الاسبانى، وقد كان بودرة وصل بقوته الى جبل غرغيز المطل على تطوان وعمل جاهدا لتنصيب مدافع ثقيلة هناك على قمة الجبل الصخرى السامق بقرية دار الراعى، حيث جعل يرمى بقنابلها الاقامة العامة بتطوان، الامر الذى أحدث ذعرا فى الجيش الاسبانى، حيث سقطت قذيفتان فى الفدان وقــذيفــة فــى حــى المصــداع، الا أن الــذى يجــب أن يــلاحــظ أن رمــى مدينــة تطــوان بالقنابــل لم يكن مخططــا ثوريــا عامــا ، بل كان ذلك أمرا محليا أصدره القائد احمد بودرة لارعاب الجيش الاسبانى والا فان ابن عبد الكريم الذى منع رجاله من اقحام مدينة مليلية أو رميها

بالقنابل رحمة بالاهالى المسالمين، كان أجدر به أن يمنع رمى تطوان التى هى موطن المجاهدين والصلحاء وأصحاب الفكر وقادة الوطنية، الا أنه لم يكن فى المستطاع الرجوع اليه، لان الجبهات المفتوحة ضد الريف فى ذات الوقت قد شعبت المشاكل ، وكان على كل قائد محلى أن يتصرف طبق ما يراه .

أما وضعية الجيش الفرنسى على جبهة وزان فانها لم تشذ عن المواقع من وزان الى تازا، وكان الجنرال «دى شمبران» القائد العام فى فاس، قد وكل أمر الدفاع عن منطقة وزان الى الكرونيل «كولومبو» ضمن تقسيم الخط الممتد الى تازا الى ثلاثة أقسام :

- خط وزان تحت رياسة الكورونيل كلومبو .
- وخط عين عائشة تحت امرة الكورونيل فريدا نبورغ .
- وخط تازا تحت امرة الكورونيل كامباى .

كانت وضعية الكورونيل كلومبو صعبة، لانه كان عليه أن يلفت اهتمام ابن عبد الكريم الى هذا الخط الذى يهدد مدينة شفشاون، حيث شهدت الثورة أوج انتصارها على الاسبان، ولذا فقد زود بسرب من الطائرات تحت اسم «سرب لافاييت»، وكان يقود طائرات هذا السرب طيارون أمريكان متطوعون، تحت قيادة العقيد «تشارلز سفيينى» وقاموا بقصف مدينة شفشاون، فقتلوا عددا كبيرا من النساء والاطفال، كما تشوه عدد آخر منهم أو فقدوا أبصارهم نظرا لوحشية القصف .

ونظرا الى أن أميركا غير محاربة للريف، وبالتالى يكون ممنوعا على مواطنيها أن يخوضوا حربا استعمارية فى صفوف الفرنسيين، فان هؤلاء عمدوا الى حيلة لم تنطل على أحد، وذلك أنهم أدرجوهم فى سلاح انجو التابع لسلطان المغرب، رغم أنه لا وجود لهذا السلاح بتاتا، فالمغرب لا يملك ولو طائرة واحدة، فضلا عن أن يملك أسرابا من الطائرات .

ذلك ما دعى الرأى العام الامريكى أن يأسف لذلك، فقد نشر المراسل الامريكى «هاريس» فى جريدة التيمس الاميريكية، أنه يأسف لقصف مدينة شفشاون المقدسة والمفتوحة، فى حين كان كل ذكر من السكان قادر على حمل السلاح غائبا عن المدينة، كما يعرف الجميع، ووصف القصف «بأنه أكثر افعال هذه الحرب كلها وحشية واستهتارا وظلما»،

وان وجود ربابنة أميركان يقودون تلك الطائرات يعد وصمة فى جبين دولة ديمقراطية .

وقال المراسل : ا. أ. بويل «كانوا يزعمون (أى الطيارون الامريكان) أنهم يقاتلون من أجل فرنسا وفى الحقيقة أنهم كانوا يقاتلون لابقاء اسبانيا فى الريف واسبانيا بلد طردته الاجيال الاميريكية السابقة من آخر معقل له فى العالم الجديد (يعنى كوبا)، لان وحشيته وطغيانه كانا يفوحان رائحة كريهة فى أنوف الناس الشرفاء» .

ولم يكف هؤلاء الامريكان من قصف قرى الريف واسواق النساء فيها، الا بعد أن انبتهم دولتهم مذكرة اياهم بأن أمريكا ليست فى حالة حرب مع الريف، وذلك بعدما انذر المراسل هاريس دولته بمغبة عمل الطيارين الامريكان .

وعلى كل حال فان قادة الجيش الفرنسى كانوا يخشون أن يمتد الهجوم الريفى الى حدود بحر الاطلس، حيث ان ابن عبد الكريم فى شهر يونيو كان خفف الوطأة على فاس، ووجه عنايته الى القطاعين الغربى على وزان ، والشرقى على تازا ، وكان الرأى السائد لدى الدوائر الفرنسية ان الريفيين سوف لا يقفون الا على ضفاف المحيط الاطلسى بسيدى بوسلهام، حينما تكون قبائل وزان وجبالة سكان الارض ذات التضاريس الوعرة التى تكون مواقع حصينة بالنسبة للاهالى، بينما يضيع الجيش الغازى بين الهضاب والمنحدرات والشعاب قد انتشت بالانتصار الذى يحرك فيهم الحماس للقتال بكل الجرأة التى تتعشق مثل هذه الفرص لابراز البطولات المثالية والمتمرسة عليها بطبيعة تكوينها الطبيعى الذى يجعلها تتأثر كثيرا بالانتصار على اسبانيا، ذلك الانتصار الذى حرك كل ضمير قادر على خوض المعركة .

ولهذه الحقائق فقد طار رئيس وزراء فرنسا فى ذلك الوقت المسيو «بول بنليفيه» فى مطلع يونيو 1925 وقام بزيارة الجبهة على طولها، واثر ذلك نصح المرشال ليوطى بقوله، «واياك أن تمنح كريما (يعنى عبد الكريم) أية تنازلات» .

ومع ذلك فقد قرر خداع الريف وصرح للصحفيين بأنه يبذل جميع

جهوده فى سبيل السلام، وشرع المرشال اليوطى فى تنفيذ مخطط الخديعة، وأمر رئيس المخابرات بقطاع توريرت المسيو «غابرييلى» بأن يتوجه الى الريف على مسؤوليته .

وعلى كل فان المعارك استمرت فى هذا القطاع بين الطرفين المتحاربين، ووقع حصار على قبيلتى بنى مستارة وغزاورة اللتين أظهرتا من البسالة، الشىء الذى حير الاعداء، فاكتفى الجيش الفرنسى بتحصين مدينة وزان تحصينا كبيرا نظرا لاهمية موقعها بين تلك القبائل العاتية التى تقدسها تقديسا يضارع ما لشفشاون من القدسية، لانها مدينة شرفاء وزان، وتحتضن دار الضمانة ولانها كانت قلب تلك القبائل فأحاطها الاعداء بسلسلة من المدافع بلغت فى مجموعها مائة مدفع، كان أضخمها مدفعين من عيار 15–60 موضوعين على جبل بوهلال – ويسمى بذلك لانه على هيأة الهلال .

وكان المجاهدون من الارياف ورجال غزاوة وبنى مستارة، ولو كانوا هناك فى قلة، جعلوا مقر عملياتهم الحربية ضد الجيش الذى فى وزان على جبل بوكانوس بقبيلة غزاوة، وكانوا يشنون غارات مزعجة ليلا ونهارا ويصيبون من العدو مقتلا، الامر الذى جعل حامية الاعداء التى على (دهر لغدير) ترميهم بوابل من قذائف المدافع باسترسال .

وبينما المدفعية ترسل حممها كانت أسراب من طائراتهم تقنبل مواقع المجاهدين فى قبيلة غزاوة وقد استطاع رجال من عائلة الفقيه العبودى من مدشر دار الوادى، وهم ولده السيد عبد الله والسى على بن محمد العبودى، ومحمد بن عبد السلام العبودى، ان يتصدوا لاحداها بالمدفع الرشاش الذى غنم من معركة «مغزيز» بأهل سريف فاسقطوها وكان يقودها ضابط صف، ويدعى «ساكيرلا»، وأخذ أسيرا، وعندما تجمهر عليه رجال غزاوة حاولوا الفتك به، الا أن الفقيه العبودى منعهم من ذلك قائلا، انه ورقة رابحة فى أيدينا، ذلك ان الجيش الفرنسى كان أسر من قبائل وزان مائتين من المجاهدين، واحتفظ بهم فى وزان، فرأى السيد العبودى أن هذا الضابط هو الحل الوحيل لاستخلاص المجاهدين من يد الاعداء، ولقد لقيت خطته نجاحا وتحبيذا، فقد استخلص المجاهدون أولئك الاسرى فى مقابل هذا الطيار، بمفاوضات بين الجانبين بواسطة مولاى

الحسن الوزاني من طنجة الذى كان منخرطا فى ذلك الوقت فى الجيش الفرنسى برتبة ملازم، وقد أسدى خيرا للمجاهدين فى هذه المفاوضة .

أما الطائرة فقد تحطمت فى مكانها الذى سقطت فيه بمدشر دار الوادى .

ومن المعارك التى جرت فى قبيلة غزاوة، التى هى من تلك المعارك الضارية الكبرى، معركة قلعة فراحة التى كان قد اعتنى العدو بتحصينها، لانها كانت تحتل موقعا استراتيجيا مهما، على الضفاف العليا لوادى لوكوس، والتى كانت آخر قلعة فى تلك الجهة تشرف على الحدود الوهمية بين منطقة الحماية الفرنسية والحماية الاسبانية، وجاءت فى عنق المواصلات بين وزان وشفشاون، أى بين قبائل جبلية حبى الله أرضها بتضاريس طبيعية، تكون أخاديد تحتف بها، ذرى سامقة صعبة الارتقاء والانحدار معا، ولا تكسب الطائرات أى نصر فيها لان قنابلها تطيش بين تلك الاغوار والاحراش .

وقد هاجمتها قوة من مجاهدى قبيلة غزاوة اثر انتصارهم على قشلة مغزيز الاسبانية بأهل سريف، مؤازرين بقوة من الارياف الذين تسللوا عن طريق لكوس واستبسلوا حولها، فكانت العاقبة دحر القشلة بالقتل والاسر، وكان من مخلفات هذه المعركة مقبرة للجنود الفرنسيين لا زالت هناك الى الآن، وفى عهد الحماية كان يزورها الفرنسيون ويقيمون مندبة فى كل فاتح نوفمبر من كل سنة، كما كانوا يزورون محل حطام الطائرة .

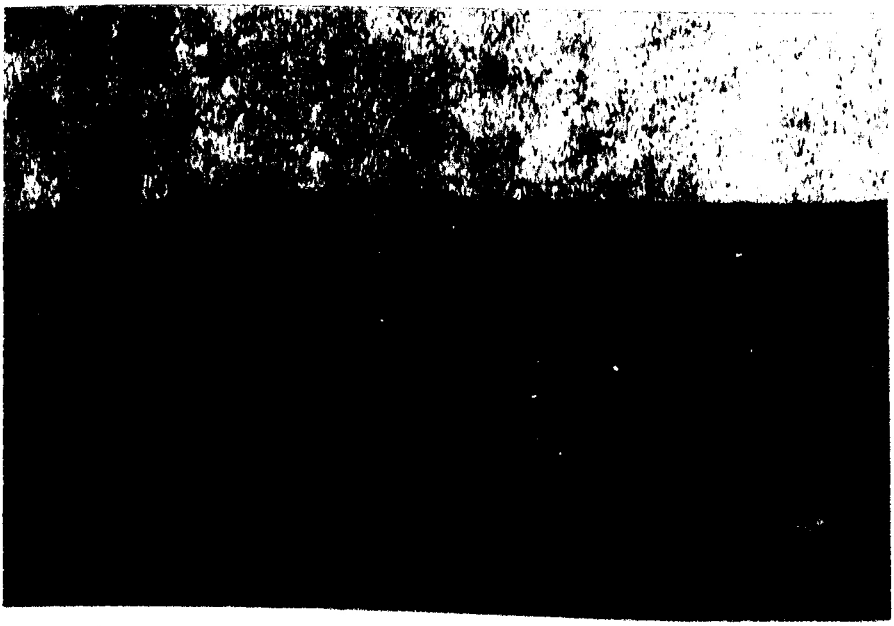
وبعد سقوط هذه القشلة فان قائد المجاهدين بشفشاون أرسل القائد الكندوزى الريفى ليجعلها مقرا لعمليات المجاهدين هناك، الا أن هذا القائد كانت له نظرية تخالف نظرية السيد العبودى المذكور فيما يتعلق باستراتيجية التحركات القتالية، ولما كانت نظرية السيد العبودى صحيحة من الوجهة الحربية لانها نظرية نابعة من فكر خبر دروب أرضية المعارك، كما خبر نفسية رجال قبيلته الذين عايشهم وعرف الشجاع الذى يغنى منهم ومن ليس كذلك، فضلا عن ان جماع أمر القبيلة كان بيد هذا المجاهد، وكان من أسباب الخلاف أيضا أن مكالمة تليفونية جاءت خدعة من قبل العدو على لسان الامير ابن عبد الكريم تتضمن المكاملة

نصيحة المجاهدين بأن لا يتحرشوا مع الجيش الفرنسى وأن يبدوا تسامحا معه، فرأى الفقيه العبودى بأن المكالمة خديعة حربية تعمدها العدو لزرع الخلاف بين المجاهدين، ويرى الكندوزى أن المكالمة صحيحة ولذا فان القيادة العامة بشفشاون استدعت القائد الكندوزى واستبدلته بالقائد حدو المعلم الى أن نقلت القيادة العامة الى هناك، واثر هذه المعركة جرت معركة أخرى على جبل «توخا» حيث كانت للعدو هناك حامية فسقطت فى يد المجاهدين، وفى قبيلة بنى مستارة دارت معركة حامية الوطيس بمدشر القشاشدة قتل فيها من الجيش الافرنسى جنود كثيرون، ومن بينهم قائد المنطقة العسكرية الجبلية الكمندان «بوكيو»، الذى خلف تأثيرا كبيرا لدى الجيش الافرنسى، حتى أن الجالية الافرنسية من القبيلة بعد الاحتلال، شيدت له ضريحا فخما، تذكارا للحادثة المفجعة، التى بقيت عواقبها وخيمة على القرية، اذ أن الجيش الافرنسى، أخلى القرية من سكانها بعد اعدام جلهم.

وكما جرت معركة كبرى على جبل »فتراس» حيث أن المجاهدين حاصروها لمدة عدة أسابيع على احدى الروايات وقطعت عنها المؤونة الحربية والتغذية وحاول العدو اغاثتها، ولكن كانت نيران المجاهدين أقوى من اختراقها، فسقطت بعدما خلفت خسائر كبيرة فى الارواح والمعدات، وبعد سقوط هذه القلاع، تحررت قبيلة غزاوة من جيش العدو، وحصنت نفسها بالمقاتلين الذين انتشوا بالانتصارات المتتالية، فكان الجيش الفرنسى لا يجرؤ على خوض المعارك داخل القبيلة، وانما كان يعمد الى دكها بالمدافع والطائرات التى كانت تتعاون، ما بين الطائرات الفرنسية التى تقلع من مطار وزان، والاسبانية التى تقلع من مطار «أسميد الماء»، والى حصارها باحتلاله للقبائل المجاورة لها، فاستمرت تكافح وحدها داخل حدودها الى سنة 1928، أى بعد انتهاء حرب الريف التحريرية سنة 1927، بعكس ما فعلته قبيلة الاخماس السفلية والرهونة، بل أن المجاهدين الارياف الذين كانوا تمركزوا فى قرية أسجال بالرهونة لقوا معاملة غير مستحبة من قبل الاخماس، ذلك أن هؤلاء المجاهدين كانوا أقضوا مضجع الجيش الفرنسى بوزان بغاراتهم الليلية، والنهارية، فعمد الحاكم العسكرى لوزان المدعو «الفلودى» الذى كان يحسن اللغة العربية ويحسن

الخداع، ويقال أنه استعمل شخصا من الاخماس السفلية يسكن فـــى وزان ويدعى المعلم الخمسى، بأن يعمل ليشترى قواد الاخماس السفلية مقـــابـــل 60 ألـــف ريـــال ـــ كـــان عـــــددا ضخـــمـــا فـــى ذلـــك الوقت ـــ ، لاجل أن يخذلوا المجاهدين فى هذا الموقع فنجح هذا العميـــل وخذلوا المجاهدين، حيث أمروهم باخلاء قبيلة الرهونة، قائلـــين لهم: ان هذه القبيلة هى أرضنا، ونحن ندافع عنها، ولا نحتاج لاحـــد، وكاد الاخوة أن يقتتلوا، لولا انسحاب المجاهدين الريفيين، الذين رأوا ان هذه المكبدة دبرت من قبل العدو، فسلكوا طريق غـــزاوة، وكان عددهم يبلغ حوالى 170 مجاهدا قصدوا مركز قوة الفقيه العبودى الذى وسع لهم المجـــال للجهاد، رغم أنه كان على علم باستسلام ابن عبد الكريم، وكتم ذلـــك عنهم، وانضموا الى صفوفـــه مع مجاهـــدى غزاوة، ثم تعزز جانبهـــم بانضمام المجاهدين السيدين عبد الســـلام ومحمد ابنى السى احمـــد المقدم التمسمانيين، حيث كون الجميع قوة قتالية صمدت أمام هجمات الجيش الفرنسى لمدة اعتبرت آخر فترة قتالية استبسلت .

وعندما أتت النهائية للثورة فان المجاهدين الذين كانوا هنـــاك تسللوا فرادى وجماعات عن طريق قبيلة بنى احمد الجبلية، الى مساقط رؤوسهم فى اختفاء من الجيش الاسبانى، أما التمسمانيان الذان يعيرهما الجيش الاسبانى اهتماما كبيرا لمقام بسالتهما النادرة، فانهما ذهبا الى فاس، الامر الذى جعل الاسبان يبحثون عنهما لارجاعهما الى تطـــوان تحت الامان، وفعلا رجعا والزما بالاقامة الاجبارية فى مدينة الحسيمة.



المنظر العام لشاطئ خليج الحسيمة بالسواني

غــــزو الحسيمـــة والمعـــارك التـــى جــرت
بعــد ذلـــــك الـــى نهايـــة الثـــورة
واستنســـلام الامـــير : ابـــن عبد الكريـــم

الجبهــة الشمــالــيــة

غــزو الحسيمــة بحــرا :

بمجــرد ما اندلع الانفجــار على ورغة، أصبح أمر الاتفــاق الفرنسي الاسباني متوقعا، بل مؤكدا، لان المصائب توحد، وقد اهتبل الاسبان لهذا الانفجار ايما اهتبال، وطالما تشوقوا اليه، لانهم كانــوا يحقدون على فرنسا ان تبقى متفرجة على الصراع الذى تميل كفته مــن أول وهلة الى الثورة الريفية، فلم يذق الاسبــان أية نشوة انتصــار، بينما فرنسا توجد فى حالة التشفى فى جارتها الايبيرية، وتترقب الوقت الذى تحل محلها فى الحاق الجزء الشمالى من المغرب الى الجزء الجنوبى، أو هكذا كان الاعتقاد السائد لدى دوائر الاستعمار .

وعندما زار رئيس وزراء فرنسا المسيو «بول بينليفه» فى مطلع شهر يونيو 1925 المغرب، عقب اندلاع الصراع على ورغة، وزيارتــه للجبهة طولا وعرضا، ورأى بعينى رأسه مدى الحماس الجماهرى لدى المقاتلين المولدين ــ كما يسمون المجاهدين الاحرار ــ أدرك أن هــؤلاء الوعول التى كلما حاولت اسبانيا أخذها من قرونها أرطمتها الى بعيــد وان فرنسا اذا حاولت أيضا وحدها ان تمسكها بقرونها فانها ترتطــم بنفس الشكل، خصوصا وانه انبأ المرشــال اليوطى بالعبارة القاسيــة التالية «انه ليس لدى فرنسا أية قطاعات يمكــن أن تبعث بها اليــك» ومع ذلك فانه أوصاه بقوله «اياك أن تمنــع كريما (ابن عبد الكريــم) أيــة تنــازلات» .

وفى خضم التساؤلات التى تترى على التفكير حين تحكيــم العبارتين المتناقضتين الآنفتى الذكر، وما قام به المرشال اليوطى، بعــد مغادرة رئيس الوزراء المغرب من ايعازه الى رئيس المخابرات الفرنسية بالممر الرئيسى لرجال الريف بالمغرب الشرقى (توريرت) ليزور ابــن عبد الكريم فى الريف، يبدو جليا أن القرار اتخذ بأسلوب الخداع الاستعمارى،

حينما أعلن رئيس الوزراء للصحفيين اثر رجوعه الى باريس، بأنه يبذل جميع جهوده فى سبيل السلام، ولكن أى سلام يعنى؟ لاشك أن السلام الذى يعنيه هو القضاء على تلك الوعول المزعجة، والمعيقة لينشر الاستعمار الويته على المغرب، من دون منازع، وفى هذا الاطار، فان المرشال اليوطى أرسل المسيو غابرييلى الى الريف، حيث تقابل مع ابن عبد الكريم فى «أخشاب أمغار»، وكان مقر القيادة العامة للجبهة الشرقية، ولاجل اخفاء الحقيقة، فان المرشال اليوطى أعلن أن بعث رئيس المخابرات كان على مسؤوليته الخاصة لتنقية الجو، كمقدمة لانهاء النزاع المسلح .

فلما عرض المبعوث اقتراح السلام على الامير، قال هذا الاخير فى صراحة «انى شديد الاسف للاوضاع الحالية، وقد كنت أتطلع على الدوام الى الوصول الى اتفاق مع فرنسا، وانى على أهبة الاستعداد لازالة أسباب سوء التفاهم، ولكنه يجب أن لا يغيب عن البال، أن الشعب الريفى عازم على استقلاله المطلق، وهو الاستقلال الذى تحقق فعلا».

«اننى – يقول ابن عبد الكريم – لم ازج بجميع قواى ضد فرنسا بعد، بل أرسلت كتائب قليلة تنضم الى القبائل التى تحاربكم وتعمل على تنظيمها، ومهما يكن من أمر، وعلى الرغم من جميع الاقوال التى صدرت عنى، فانى آسف للاوضاع الراهنة» .

«اننى لا أثير حربا مقدسة كما يدعون، فقد انتهى عهد الحرب المقدسة ولم نعد نعيش فى القرون الوسطى كما أننا لا نعيش فى عهود الحروب الصليبية، ان غايتنا أن نكون أحرارا، وان نعيش فى وطن مستقل، والا يحكمنا غير الله وحده» .

ويبدو من تقرير غابرييلى الذى رفعه الى المقيم العام اثر رجوعه الى فاس «أنه يصعب الوصول الى اقناع الريف بالطريقة التى تقترحها فرنسا، لوضع حد للنزاع المسلح، لانه حسب تعبيره ثمة احساس بالنشوة يظهره الريفيون برفضهم أخذ أية وجهة نظر أخرى بعين الاعتبار، وفى الحقيقة، أنه تبدو عليهم الثقة المطلقة بشأن حصيلة الصراع، ان بنية بلادهم بنية غير مستقرة حقا، فهى منظمة على أسس عسكرية تماما».

وقد أعقب تقريره هذا بالحقيقة التى كان يبحث عنها، وهى

مدى اقتناع ابن عبد الكريم بالتعاون الفرنسى الاسبانى فى حلف ضد الريف، فافاد «بأن هذا الحلف لازال مستبعدا عنده، لانه يرى أن مثل هذا الحلف سينهار، وأردف قائلا «ان ابن عبد الكريم انسان شديد العناد، وهو شخص يجب أن يحسب له حساب» .

الاتفاق الفرنسى الاسبانى

وقبل هذه المساعى الغير الحميدة، كانت الاندية الفرنسية تغلى غليان المرجل، وتلهج بالاتفاق مع اسبانيا لمقاومة الريف، والسماح لها باختراق الحدود بين المنطقتين، وذلك ما دعى رئيس وزراء فرنسا لزيارة المغرب، كما أسلفنا، وعند رجوعه قر رأى الحكومة الفرنسية على الدخول فى المفاوضات مع اسبانيا، فى شأن التعاون الاستعمارى فى المغرب .

وهكذا وقع اختيارها على شخص يمت بصلة الصداقة الى الحاكم بأمره، الاسبانى، الجنرال بريمودى الريفيرا، ويدعى مسيو «ملفى» ، وقد كان وزيرا للداخلية فى حكومة اليسار الفرنسية، وقد اكتسب صداقة الجنرال أيام نفيه عن فرنسا، بعد محاكمته اثر الحرب العالمية الاولى، ويضم الوفد الفرنسى عدا المسيو ملفى، سفير فرنسا بمدريد المسيو «برتيردى لاركا» أما الوفد الاسبانى، فكان برياسة الجنرال خردانة الابن.

وفى 17 يونيو 1925 عقد المتفاوضون جلسة الافتتاح وخطب فيها كل من رئيسى الوفدين، فكانت خطبهما تضرب على نغمة واحدة، وهى نغمة التضامن ضد الريف والقضاء على أسباب الحرب المستعرة، هناك، وخطب أولا رئيس الوفد الاسبانى بصفته مضيفا للوفد الفرنسى، وجاء فى خطابه: «ان الساعة رهيبة، وهذه فرصة نادرة، أتيحت لنا، فلننتهزها، ولا ندعها تفلت من أيدينا، ولنبذل قصارى طاقتنا لنحقق هذا الاتفاق، الذى كان يجب أن نفكر فيه قبل الآن، صونا لمصالحنا». فرد عليه سفير فرنسا بمدريد، مهيبا: «بأن المصلحة تقتضى سرعة العمل» .

وقد استمرت المفاوضات قرابة شهر، وقع اثرها بتاريخ : 11 يوليوز 1925 على الحلف الاستعمارى الذى عقد بين الدولتين فى الصيغة التالية :

1 ــ تعزيز مراقبة شواطىء الريف والطرق البرية، وخصوصا من منطقة طنجة، للحيلولة دون تهريب السلاح الى الريف .

2 ــ التعاون الاسبانى الفرنسى على مقاومة الريف فى ثورته .

3 ــ تخويل اسبانيا لفرنسا حق مطاردة الريفيين، ولو داخل حدود المنطقة التى وضعت تحت حماية اسبانيا .

واثارت اسبانيا خلال المؤتمر ضرورة اعطائها مقاما خاصا فى منطقة طنجة، متذرعة بأن وضعيتها الحالية سهلت تهريب السلاح الى الريف، وانها مستهدفة لخطورة الهجوم من ابن عبد الكريم على تلك المنطقة، وطلبت أن ترسل الى المنطقة بوليسها لمراقبة الحالة .

وفيما يخص هذه المنطقة، فان فرنسا احالت اسبانيا على بريطانيا التى تهمها هذه المنطقة، لقربها من جبل طارق، وفعلا أرسلت مذكرة الى لندن التى رفضت المذكرة .

وعقد أيضا اتفاق فى اطار معاهدة 1912، يهتم بتوضيح الحدود بين المنطقتين .

هذا ما يخص الحلف السرى الذى يهم الدولتين مباشرة، والذى هو الاساس لذلك المؤتمر .

وفيما يخص التمويه على الرأى العام، للتذرع بالتدخل المسلح من طرف فرنسا، ومطاردة الريفيين فانهم هيأوا مشروع سلام يعرض على ابن عبد الكريم ليجيب عنه، وضربوا له مهلة .

وهذه هى الشروط التى تعرض عليه عرضا، ولا يتفاوض عليها، وانما يقول نعم أو لا .

1 ــ تبادل الاسرى بين الريف من جهة وبين فرنسا واسبانيا من جهة أخرى .

2 ــ العفو المتبادل التام والكامل والفعال، اعتبارا من يناير 1921.

3 ــ تعريف نظام الحكم الذاتى .

4 ــ تحديد الاراضى التى ستخضع لهذا النظام .

5 ــ تحديد قوة الشرطة التى ستضمن القانون والنظام فى هذه الاراضى .

6 ــ الاعتراف بالحرية التجارية، وضمانها فى هذه الاراضى فى

حدود المعاهدات الدولية وبالاخص حدود البنود الدولية المتعلقة بالجمارك.

7 ــ حظر المتاجرة بالاسلحة والذخائــر.

8 ــ تحديد قطاع من الساحل تحتله اسبانيا بصورة سلمية»، بعــد انتهاء النزاع المسلح، ولاجل الكشف على الخداع الذى يعد مبيتا ضــد الثورة الريفية، نأتى هنا بيوميات للاحداث. ففى هذه الاثناء أعلن وزير خارجية فرنسا المسيو «بنفله» بأنه متى تــم وضع الشروط فى قالبهــا النهائى، فانها تبلغ الى ابن عبد الكريم، فان وافق عليها شرع فى المفاوضة الرسمية (أى داخل اطار تلك الشروط) وان لم يوافق عليها واصلت فرنسا الحرب حتى تصون شرفها ومقامها ونفوذها».

واثر هذا التصريح، قامت ضجة صاخبة احدثها الوطنيون اليمينيون فى فرنسا، محتجين على تصريح وزير الخارجية الذى يدل على رضــوخ فرنسا للمتمردين (حسب تعبيرهم) لا مقام لهم ولا شأن، فرجع وزيــر الخارجية فى تصريحه وقال: «ان فرنسا لا تسعى الى ابن عبد الكريــم سعى من يطلب الصلح، فان لفرنسا مقاما أدبيا عظيما بين الامم، ونحــن مكلفون بصون هذا المقام»، ثم زاد قائلا «ان ابن عبد الكريم يمكن لــه أن يطلع على شروط الصلح بواسطة الجزائريين أو المغاربة الذين يذهبون الى الريــف».

(بمعنى أنها لا تبلغ اليه بصفة رسمية وانما له أن يطلع عليهــا عفويا)، فاذا قبلها فاوض عليهــا.

ولما تم وضع الصيغة النهائية لتلك الشروط حسبما ذكر، أبلــغ ولاة الامور الفرنسيون ابن عبد الكريم بطريقة شبه رسمية، ان الشروط التى تم الاتفاق عليها هى تحت تصرفه، وانه فى امكانه الاطلاع عليها اذا أراد بواسطة المندوبين الذين انتدبتهم الحكومتان الفرنسية والاسبانية، واثره كلفت الاقامــة العامة الفرنسية مسيــو «غابرييلى» ان يجتمــع بالسنيور «اينتشيفاريتا» فى مليلية، لينطلقا من هناك فى موكب حربى الى خليج الحسيمة ليجتمعا بابن عبد الكريم، وينقلا اليه شروط الصلح، على أن لا يدخلا فى مناقشة الشروط معــه.

ولما وصل غابرييلى الى مليلية، أعلمه الجنرال «سانخورخــو» بأن ابن عبد الكريم رفض مقابلة المبعوثين.

واثر ذلك اعتبرت فرنسا واسبانيا أن المهلة التى أعطيت لابن عبد الكريم قد انقضت، وأنه لم يبق هناك مجال للانتظار .

ويتبين بوضوح أكثر من أن هذه المراحل التى وقع سردها بالتتابع انما هو أسلوب خادع، انتهجته كل من الدولتين الاستعماريتين للتذرع بالتدخل العسكرى المشترك وهو الهدف بالذات .

انه بتاريخ 16 يوليوز 1925 أى عند ما كانت صيغ الشروط تنسق فى وضعها النهائى، فان وزارة الحربية الفرنسية أصدرت بلاغا فى شأن امدادات عسكرية الى المغرب، مع تعيينها للمرشال بيتان لميادين القتال، على أن يستشير المرشال اليوطى فى شأن التدابير التى تتخذ .

وفى فاتح غشت جاء فى التلغرافات ان «بريمودى الريفيرا» استقبل فى تطوان رسولين من قبل ابن عبد الكريم وأطلعهما على شروط الصلح ثم قفلا راجعين .

وفى 7 غشت نشرت جريدة «الماتان» بأن ابن عبد الكريم تجنب حتى ذلك الوقت محادثة المندوبين الاسبان والفرنسيين المكلفين بابلاغه شروط الصلح .

وفى 17 غشت صرح المسيو «بول بينليفه» رئيس الوزراء ووزير الحربية، بأن ابن عبد الكريم مطلع دائما على شروط الصلح التى هى الاستقلال الادارى، والاقتصادى والسياسى، لقبائل الريف وجبالة على أن يعترف بسيادة السلطان، وبالوفد الذى يوفده الى المنطقة الاسبانية، (هكذا وليست المنطقة الشمالية أو الريفية) .

وردا على تصريح رئيس الوزراء الفرنسى نشر فى عدد 8 شتنمبر 1925 مراسل «التايمس» فى طنجة كتابا فى الجريدة، توصل به من ابن عبد الكريم مؤرخ فى 29 غشت نفى فيه ما قيل من أنه تلقى شروط الصلح من الفرنسيين والاسبانيين .

واذ قد وصلت الاحتكاكات الى هذه الدرجة، فان الاسبانيين والفرنسيين اعتبروا أنهم استنفذوا أغراضهم، ومهدوا للتدخل العسكرى، ولم يبق أمامهم الا انجلترا التى يهمها الامر، لما لها من مقام فى جبل طارق، ولانها دولة أوربية يقضى الاسلوب الاستعمارى ان لا يستفزوها، فاقترحت الدولتان، الدخول معها فى مفاوضات، وكان مدار المفاوضات يدور

فى نطاق معاهدة 1912 التى ينص البند الاول منها، على أن ادارة المنطقة الاسبانية يتولى أمرهـا خليفة يختـاره السلطان، من بين اسمين اثنـين تعرضهما عليه الحكومة الاسبانية ويعاون الخليفة مستشارون يعينهـم السلطان، ويكونون بمثابة وزراء محليـين .

ونظرا لهذا البند، وبما أن السلطان مستقـر فى منطقة نفـوذ فرنسا، فان لهذه الاخيرة الحق فيما اذا عجزت اسبانيا عن احتلال الجزء المخصص لها، ان تتدخل عسكريا فى هذه المنطقة لتنتهى النزاع وقد وافقت انكلترا على هذا التدبير، وبذلك أصبحت فرنسا حرة فى تخطى الحـدود شمالى ورغة، الى حيث يمكن أن تصل بجيوشهـا .

وفى خضم هذه المناورات قررت اسبانيا وفرنسا على أن لا تتنازلا لابن عبد الكريم عن شىء، الا فى نطاق ما نصت عليه المعاهدة المشـار اليها، التى يمكن أن تكون صالحة للاستقلال الذاتى للشمـال، على أن يعين السلطان خليفة من بين اسمين اثنين تعرضهما اسبانيا عليه، وبالطبع لا يكون اسم ابن عبد الكريـم مرغوبا فيه، ثـم طالبتا أن يبتعد ابـن عبد الكريم من الميدان وان يترك الامر لرجال الريف الاخرين .

ومما تجدر الاشارة اليه، أنـه اثر هذه الاحداث السياسيـة والعسكرية المتلاحقة، والتى كانت تحـد من سلطة المرشال اليـوطى الذى لم يستطع أن يتقبلها، بعدما كان يعتز بالسلطة المطلقة فى المغرب، ويعتبر العسكرى المحنك، الذى خلد اسمه من بين الفاتحين، وخصوصـا عندما عين المرشال بيتان مفتشا عاما للقـوات العسكرية الفرنسيـة فى المغرب، اثر الضجة الصاخبة التى أقامهـا عليه حزب اليسار الحاكـم، الذى حمله تبعة الاحداث التى تقع فى المغرب من سياسية وعسكريـة، لاعتقادهم أنه لولا توغله فى بلاد ورغة، ولولا شدتـه مع قبائل تلـك المنطقة، لما شن الريفيـون هجومهم على تلك الجهـة، كما شـن عليـه الشيوعيون الفرنسيون حملة أخرى، متذرعين بأن المرشال اليوطى لـم يتوغل فى تلك القبائل الا بغية التدخـل فى الريف عسكريا واكتساحـه، الامر الذى يخلق مشاكل لفرنسا، ليس فقط فى الريف، ولكن مع اسبانيا وانجلتـرا.

ورغم ان المرشال بيتان لما أرسل الى المغرب قبل تعيينه مفتشا

عاما ليقدم تقريرا على الحالة العامة السياسية والعسكرية فى المغرب، أشاد بأعمال المرشال اليوطى، والقادة العسكريين والجنود فى المغرب فى تقرير قدمه بتاريخ 17 يوليوز 1925، وطمن فيه الدوائر الفرنسية من أن فاسا وتازا بمنجاة من تهديد الريف لهما، قائلا: «ان الافق يزداد تألقا، فقد اخفق الخصم رغما عن هجماته المتكررة فى بلوغ أهدافه السياسية فى فاس، وتازا، التين يتباهى بأنه سيدخلهما غازيا، ان الحقيقة التى يتم التشديد عليها بصورة كافية هى أن عبد الكريم لم يبلغ فاسا مطلقا، وان طريق تازا لا زال مفتوحا وان هاتين المدينتين آمنتان فى الوقت الحاضر، ضد أى هجوم معاد، وان المناطق الداخلية من مراكش لا تبرح عن ولائها التام لنا» .

وفيما يخص اطراء اليوطى، فقد جاء فى التقرير «ولا يمكن للمرء الا أن يرفع آيات الشكر الى القائد الكبير الذى رغما عن سنه، وعن كل ثقل حياته القاسية فى المستعمرات، وروح هذا الدفاع، استطاع أن يحافظ ضد هجمة هؤلاء البرابرة على عمله التمدينى، الذى حاز على اعجاب العالم كله» .

وعن قوة الثورة، جاء فيه «الحقيقة أننا تعرضنا بصورة غير متوقعة للهجوم من طرف العدو الاشد بأسا والافضل سلاحا، الذى لم نصادفه فى يوم من أيام حملاتنا الاستعمارية» .

«ان مقاطعتى الريف وجبالة بصورة مستقلة عن رجال القبائل المنشقين فى الجبهة، يمكن ان تعتمدا على احتياطى من المقاتلين يبلغ 30.000 الى 40.000 مقاتل، من الجنود الاذكياء، والاقوياء والمهرة فى استخدام أسلحتهم، هؤلاء الذين انتشوا بنجاحاتهم فى السنوات السابقة» .

ورغم كل هذا الاطراء للمرشال اليوطى، فانه بتاريخ 29 شتنبر 1925 قدم استقالته الى الحكومة الفرنسية التى قبلتها حينا، وعينت مكانه بتاريخ 7 اكتوبر وزير العدلية فى الحكومة الفرنسية مسيو «ستيغ» مندوبا ساميا خلفا لليوطى .

المخطط الجهنمي :

عندما استلم المرشال بيتان مهامه بتاريخ 17 غشت 1925 كمفتش عام للقوات الفرنسية فى المغرب، لاجل تنفيذ الاتفاقية الفرنسية الاسبانية من اكتساح الريف، فانها اتخذت تدابير عسكرية أشد قوة فى المغرب .

وهكذا أرسلت ضعف القوة التى كان يطلبها المرشال اليوطي والتى لم تمنح له، وجاءت مع هذه القوة أسراب عديدة من الطائرات ومزيد من بطريات المدفعية، وخمسون دبابة يقود كل واحدة منها جنديان. وفي مطلع شتمبر 1925 كان هناك على خطوط وزان — شمالي فاس — تازا، قوة قوامها 200 ألف جندى تحت تسيير 40 جنرالا، وعلى رأس الجميع المرشال اليوطى وبيطان .

ولاجل تنسيق التعاون فى الحملة المترقبة الكاسحة، فان المرشال بيطان عرج على مدينة الجزيرة الخضراء ليجتمع مع الحاكم الاسبانى، انجنرال «بريمودى الريفيرا»، والاتفاق على المخطط الجهنمي الذى سيقومان بتطبيقه، دون هوادة، بعدما مهدت جميع السبل عالميا، وبعدها سدت كل الطرق فى وجه الريف .

كان ابن عبد الكريم يتتبع الاحداث باهتمام، وكان يعرف استعدادات الاعداء، للقيام بحملة كاسحة، الا أنه كان يجهل اين تنفجر أول شرارة ذلك الهجوم، فمن قائل أن النزول يكون فى خليج الحسيمة ومن قائل أنه في وادى لو، ومن قائل فى بنى بويفرح ومن قائل في تلمسان وكان هناك آخر وهو الهجوم البرى .

وعلى كل، فان خطوط القتال مع القوتين اتسعت ضمن حوالى ألف ميل، عدا سواحل البحر من سيدى احساين الى سبتة .

وكان المرجح لديه حسب المعلومات التى زود بها من طنجة ان الحملة ستكون بحريا، لعلمه أن الاسبان يشترون معدات النزول من بريطانيا، تلك المعدات التى كان البريطانيون استخدموها فى غاليبولى .

وعليه فقد استبعد احتمال الهجوم البرى من تفكيره، وكان عليه أن يحصن سواحل المتوسط بالمدافع الثقيلة والرشاشات، وهكذا زرع

حلقات من الاعشاش على طول 50 ميلا، ابتداء من رأس سيدى عابد (قرن الزيت)، وقد حفرت تلك الاعشاش تحت الارض فى خنادق ملتوية، وجهزت تلك الاعشاش فى السهل بالرشاشات التى يرجع تسييرها الى القائد «حدو اوسار»، أما أعشاش آكام أجدير فبالمدافع الثقيلة التى تشرف على الخليج مباشرة .

تدابير الامير ضد المخطط

وبما أن العدو اوحى لعملائه بأن يحملوا مغالطات الى رجال الريف بطنجة، من أن النزول سيكون على شواطىء غمارة الى وادى لو، فان التفكير أصبح موزعا بين المدافعين، ولم يستبعد ابن عبد الكريم هذا الاحتمال، ذلك ما دعاه لان يتكلف هو بالدفاع عن شواطىء الريف مباشرة، ويتكلف أخوه امحمد بالدفاع عن شواطىء بنى بويفرح وغمارة الى واد لو، وفى هذا النطاق أمر أخاه الامير امحمد الذى كان يوجد ببوعذل، بأن ينتقل الى تلك الجهات لتحصينها .

ونترك موضوع تنقل الامير امحمد الى غمارة للوصف الذى أملاه علينا القائد محمد شراط (1) الذى سبق أن ذكرنا أنه كان على رأس ديوان الامير امحمد .

قال : فى اثناء ظهور استعدادات القوة الاستعمارية للنزول عن طريق البحر، بلغ الى علم الامير ابن عبد الكريم عن طريق المغالطة الحربية أن العدو سينزل بسواحل وادى لو، أو قاع أسراس، وقد وصل رسول من مركز بنى بربر، الذى كان آخر ما وصلت اليه الخطوط التليفونية، فاعلم الامير امحمد بأن أخاه يطلبه الى مركز بنى بربر ليتكلم معه هاتفيا وكان يعلم عن طريق الجرائد الاجنبية، التى تصل اليه من طنجة بواسطة شريف يدعى مولاى على، الاتفاق الفرنسي الاسبانى، ضد الريف، ويعلم بواسطة وسائله الاخبارية المحلية الحشود المتزايدة من التعزيزات الفرنسية، التى تصل باستمرار الى الخطوط الحربية، ويعلم أن قيادة الحملة البحرية وكلت الى الجنرال سانخورخو الاسبانى .

---

(1) شاهد عيان .

وهذا هو الحوار الذى جرى بين الاميرين :

ـ ابن عبد الكريم: هل فى علمك ما يعقد على ظهرنا من الاتفاق بين فرنسا واسبانيا .

ـ أخوه: نعم انى أرى حشودا كبيرة تصل من فرنسا على طول الحدود هنا .

ـ ابن عبد الكريم: يبدو أن الحملة الاكبر أهمية هى التى يهيأ لها عن طريق البحر، لان تجارب البر اكسبت العدو يقينا بعدم الانتصار .

ـ أخوه: أوافقك على هذا الرأى .

ـ ابن عبد الكريم: بما أن النزول على شواطىء الريف، وبالاخص خليج الحسيمة، طالما راود فكرة الاسبان، ولكن وجدوا صعوبة فى تنفيذها، فاعرضوا عنها، ويبدو أن الصعوبات لا زالت قائمة، نظرا لكثافة أعشاش المدافع والرشاشات على طول هذا الساحل، ولذا فان العدو سيحاول النزول فى شواطىء غمارة الى وادى لو .

ـ أخوه: لا أوافق على أن النزول يكون فى غير خليج الحسيمة، أو أحد شواطىء بقيوة الى بنى بويفرح، أو تمسامان، لان العدو ولو استبعد فى وقت ما المغامرة بالنزول فى الحسيمة التى كثيرا ما راودت هذه المغامرة قادة الجيش الاسبانى، وراقتهم، فانه الآن آن الاوان ليجربوها، وبالاخص انهم كسبوا حليفا هو عدو لدود لنا، وما قام هذا العدو بالحشود على الحدود، الا لاجل شغل أكبر قوة من رجالنا .

ـ ابن عبد الكريم: ولكن الاخبار التى وصلتنى تؤكد أن النزول سيكون على شواطىء غمارة، وبالاخص أن بعض البوارج أصبحت تقصف تلك الجهات بشدة ، فى الآونة الاخيرة ، وان الفقيه بدر الدين كان يتصل بهم سريا ، وطلبوا انزال قوة فى مرسى مثار، فلما نزلوا هناك قاومهم المجاهدون واخلوهم من هناك ومن جملة من أجلوهم عائلة بدر الدين بعدما جرحوه .

ـ أخوه: ان ذلك تضليل من طرفهم فهى خدعة حربية .

ـ ابن عبد الكريم: وعلى أى حال، فانى قررت أن أتولى بنفسى الدفاع عن شواطىء الريف مهما كلفنى ذلك من ثمن، وان تتولى أنت الدفاع عن شواطىء غمارة الى وادى لو .

ــ اذا ستبقى جبهــة ورغة فارغة، وسينتهزها العدو للتقــدم الى الامــام .

ــ ابن عبد الكريم: ان الجيش الفرنســي ولو تقدم، فانــه لا يسمح له بأن يتخطى قبائل ورغة التــي هي الحد الفاصل في الاوفــاق بين الاسبانيين والفرنسيين، على أنه يجــب أن تكل أمر الدفاع عنهــا الى القبائل المحلية تحت راسة القائد عمر بن علوش الورياغلي .

ــ أخوه: وعلى الرغم من انى لا أوافق على الرأى القائل بــأن النزول سيكون فى غير الحسيمة ولكن أنا تحت الاوامر، وسأغادر بنــى بربر حالا، واقترح أن أصحب معى قوة نظامية ومقاتلين من الريــف، لان تجربتنا السابقة أبانت بأنه لا يمكن الاستغناء عنها مهما كانت الحالة.

ــ ابن عبد الكريم: ضرورى أن تسحب معك طابورا من القــوة النظامية ورجالا آخرين ممن نثق بهم، على أن تعجل بالرحيل ونتكــل على الله أن يفشل تكالب الاعداء ضدنا، وماذلك على الله بعزيز .

ــ أخوه: وداعا، فانا أهيىء الرحيل حالا، وعسى أن يوفقنا الله لنكون فى زمرة الشهداء .

واثر هذا الحوار جمع الامير قواد المنطقة هناك، وأعلمهم بالخطة الجديدة التى فرضتها الاحداث العسكرية والسياسية الاخيرة، وممــا قاله لهم: انى اعتقد أن ليس أحدنا أكثر اخلاصا لدينه ووطنه من الآخر، ولذا فوجودى هنا وعدم وجودى سيان، ما دام نفس الحماس والتجربة تتوفر فى الجميع، ولذا فانى أفارقكم الى مهمة أخرى، وسيبقى معكــم نائبا عنا القائــد عمر علوش، والهادى بنعزوز، وانكم تعرفون أن العــدو أتى بحشود كبيرة، ومع ذلك فانى لما أعرفه فيكم من الحمية الوطنيــة والدينية والثبات عند اللقاء، فانه لا ينال منــالا، وبالاخص أنه جــرب شجاعتكم وأرضكم الطيبة الطاهرة، فبثباتكم لا يجنى الا ما جناه بالامس.

وقد أبدى الجميع الحماس المعهود فيهم، ثم أمر الامير امحمد بالرحيل بعدما انتقى من القوة النظامية طابور القائد شعيب أفلاح، الذى يتألف من 400 جندى ومقاتلين من الريف الآخرين وكوكبة الحراســة،

تتألف من 50 رجلا، ومن حاشيته سيدى الحسن القادرى شاعر الثورة، والشريف سيدى الحسن حفيد سيدى محمد أمزيان، والقائد محمد شراط

وقصد الموكب الى مرسى يليش ببنى بويفرح، حيث ركب الامير وحاشيته مع كوكبة الحراسة فى الزوارق التى أعدت هناك، أما القـوة النظامية والمتطوعون، فانهم ذهبوا براء قاصدين الى شاطىء تيكساس بقبيلة بنى زيات من غمـارة .

ومكث فى هذا المركز بعض الوقت، لاستدعاء رجال غمارة حيث هيأ منهم فرقا بالتناوب لحراسة الشواطىء، وحشد المعدات الحربية المتوفرة لديهم، وكان يكثر التنقل بين هذا الشاطىء وشاطىء قاع أسراس، الذى يبعد عن وادى لو بنحو سبع كلم .

ولما أتم تجهيز الدفاع عـن هذه الشواطـىء، ولما كان مركـز تيكساس لا يسيطر على المراكز الحربية مباشرة، لانه فى مستوى منخفض فانه قرر أن ينقل مركز القيادة الى قبيلة بنى زجل، الى قمة تلامبـوط التى تشرف مباشرة وفى مستوى مرتفع عن البحر، وهى ذات تضارس طبيعية حربية ممتازة، بحيث لا ينال العـدو منها منالا، ولو استخـدم ما استخدم من قوة جوية أو بحرية، وكان المحل يشرف بالخصوص علـى خليج وادى لو، الذى جعل العدو يصب عليه قنابله من البحر ليل نهـار، ولم تخطىء فراسة الامير امحمد، وكان العدو هناك يستعرض عضلاته فقط.

وكان الهدف الثانى من مهمات الامير امحمد هو شغل العـدو عن خط تطوان ــ اسنتيلا ــ، فانه نظم تحصينات مواجهة لمدينة تطوان وضواحيها، فكلف القائد احمد بودرة ان يصعد بقوة الى جبل غرغيـز معززة بالمدافع والرشاشات، وهو رأس جبل صخرى عالى وعر المسالك، قل أن يصل اليه الانسان عن طريق تطوان، لخطـورة مسالكه الحجريـة السامقة، وبذلـك جعلته القرود المتوحشـة مأوى لها، لا تصلها اذايـة بشرية، ولكن عندما يتمكن المحارب من الصعود اليه عن طريق دشـرة الزينات، ويتمكن من زرع المدافع والرشاشات بين تلك الصخور التـى تكون أعشاشا طبيعية ذات موقع ممتاز، فان الذعر يستولى على العدو، لانه يكون فى وضع لا يجدى فيه الدفاع بأى وجه من الوجوه، فقنابـل الطائرات تطيش عن الهدف بالتأكيد، وقذائف المدافع ترتطم بالاحجـار

الصـــم فتنفجر في الهواء، ولا تكـــاد تحدث ولو غبارا متطايرا، ولاجـــل الاحراز على هذه الوضعية الممتازة، فان القائد احمد بودرة، وكان يعتبـــر ناظر الدفاع، أشرف بنفسه على تصعيد المدافع الى ذلك الجبل، ورغم أن العملية كانت في حكم المستحيل، فان الرجال الاشداء استطاعوا أن يجروا المدافع بالحبال الى ألاعلى، واستقرت في اعشاشهـــا الازلية، وجعلـــت ترمي بقذائفها الى تطوان، لتمهد السبيل لقـــوة القائد اخريرو الـــذي احتل بدوره مركز دار ابن قريش برجال قبائل الجبالة التي احتشـــدت متمركزة على الخطـــوط الامامية الممتدة على سواحـــل البحر الى خـــط استيلا، وبالاخص مركز تجمع القوة الاسبانية المدعو اللوزيين، وظهـــر قيطون في ضواحي تطوان عن يسار ويمين طريق تطوان ـــطنجة ببعـــد 5 كلـــم .

وقد تعززت هذه القوة القبلية بقوة نظامية التي كانت صاحبت الامير امحمد، وحالما استقرت التعبئة في مواقعها، فان مدفعية المجاهدين أصلت حامية اللوزيين وظهر قيطون نارا ودكت بعض تحصيناتها كمـــا أتلفت مدفعية العدو، وقتلت عشرة جنود بمن فيهم ضابطهم، ولاجل زرع الذعر أكثر في صفوف العدو، فان مدفعيـــة المجاهدين ترش تطوان بـــين فينة وأخرى ببعض القذائف، التي يتعمد طبجيتها أن يرسلوها جزافا الى المواضع الخاليـــة من الاهالـــي، لان ذلك لاجـــل تنبيه الاهالي بوجـــود المجاهديـــن على الابـــواب، حتى لا يعبأوا بالعدو الذي كان استكان الـــى الخيلاء، وقد نزلت عليه هذه الحوادث المزعجة نزول الصاعقة، خصوصا وان كل قواته توجد على ظهر البواخر الحادية عشر والمائة التي تمخـــر عباب البحر على شواطيء الشمال من سبتة الى مليليـــة مهيأة للغـــزوة الكبرى على ساحل الحسيمة .

ولاجل اظهار ضبط النفس فقد أرسل رتلا من الجنود لاغاثـــة حامية «كدية الطاهر» وهي موقع بجبل غرغيز، كان الاسبان احتلـــوه بتاريخ 3 شتنبر 1925، بواسطة جيوش جرارة شارك فيها الحركـــة المغربية، وذلك لابعاد الخطر عن تطـــوان .

ولكن ارتدت الاغاثة عن أعقابها، تحت وابل من الرصاص مما زاد تدهور حالة الحامية التي استولى المجاهدون على بعض الحصون منها.

وقد هلعت قيادة الجيش الاسباني فى تطوان لهذا الهجوم الجزئي، فأطلقت صيحة بواسطة الراديو الى الجنرال بريمودى الريفيرا الذى كان يراقب حملة الغزو على ظهر البارجة (الفونصو 13)، والتى كان يسيرها الجنرال سان خورخو بحريا، يطلبون الاغاثة على جناح السرعة لحماية تطوان .

وهكذا أمر بريمودى الريفيرا المركب الذى كان يحمل كتيبتين من الفرقة الاجنبية (التريسيو) مع سرية أخرى بانزالها فى سبتة لاغاثة تطوان، وفعلا وصلت يوم 8 شتنبر 1925، وقصدت توا اغاثة مركز كدية الطاهر، فوصلتها يوم 9 شتنبر، حيث وجدت أن جنود المركز أوشكوا على الفناء، فلم يبق منهم الا 28 نفرا منهم ثلاثة ضباط جرحى .

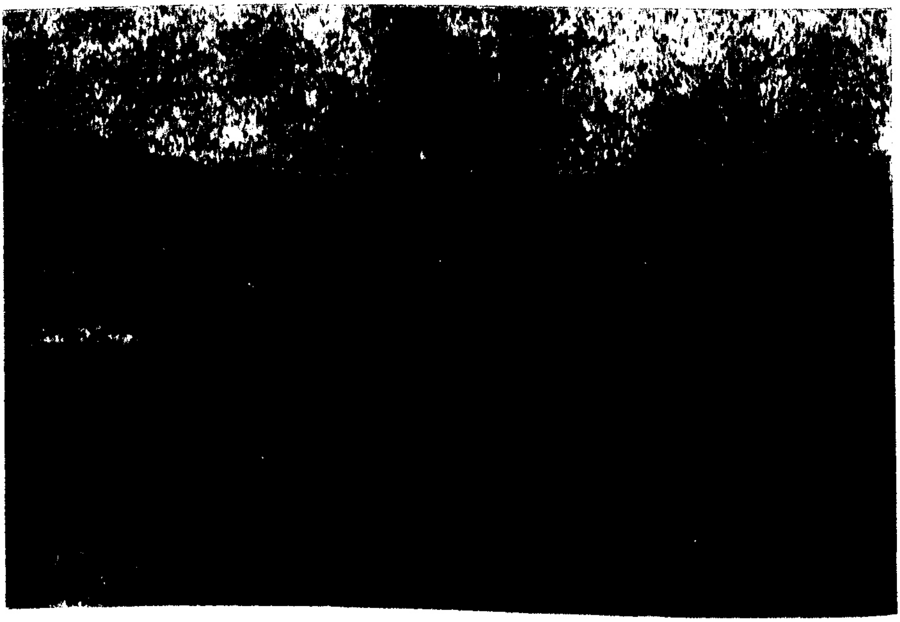
وقد استطاعت هذه الاغاثة أن تفك الحصار على الحامية، فاصطدمت مع المجاهدين الذين فتت فى عضدهم أخبار النزول فى الحسيمة، الذى وقع فى فجر يوم 7 شتنبر 1925 أى قبل الاصطدام بالمجاهدين الحاضرين للحامية بثلاثة أيام .

النزول بالحسيمة :

وكما أسلفنا، فقد كانت فكرة النزول فى خليج الحسيمة قديمة، طالما راودت الدوائر الاستعمارية الاسبانية .

وقبل ذلك كانت السياسة التى تنهجها القيادة الاسبانية للجزيرة تحاول تملك الرأسين الشاهقين من الطرف الغربى المكونين للخليج، والذين يكونان لسانين متقابلين لمدينة الحسيمة الآن، وهما مايدعى عند الاسبان «بالرأس القديم مورو بييخو» ــ والرأس الجديد «مورو نوبيو»، فاستعملت التاجر الاسبانى المثرى ويدعى مركيز دى كوبا وسهلت له تلك القيادة أن يفتح متاجر فى جزيرتى الحسيمة وبادس، ليتعامل مع أهالى الريف، وبالاخص بنى ورياغل، وتمسامان، وبقيوة، ويجلب من اسبانيا السلع المفقودة فى الريف، ولتى تغرى الاهالى .

ومن ضمن مشروع سياستها، أنه يقضى بأن تتذرع بتملك هذين الرأسين أسوة بالجزيرة، لتدعى أنهما اسبانيان، فتحتلهما لحماية الجزيرة. وهكذا أوعزت الى هذا التاجر أن يتصل ببعض رجال الريف



منظر عام لارضية المعارك فى بنى ورياغل

أيا كان، أولئك الرجال، ولو لم يكونوا مالكين ليعقد معهم صفقة الشراء بواسطة رسوم شرعية حتى اذا حررت تلك الرسوم أمكن الاحتجاج بها تجاه الدولة المغربية، والواقع أن الرأسين غير قابلين للتملك، لانهما عبارة على سلسلة من الاحجار الصلدة المتماسكـــة العديمة النبات الذى كـــان الغرض الوحيد فى ذات التاريـــخ .

ويقال أن اسبانيا أوعزت للتاجر المذكور شراء اللسانين الصخريين، لان فرنسا كانت تحاول شراءهما لتضايق جزيرة الحسيمة التى استعمرها الاسبان، وان السيد حدو الاكحل الذى كان فى ذلك التاريخ بعجـــرود بالجزائر، علم بذلك فأبرق الى رؤساء قبائل الريف بالمخطط، حيث علمت اسبانيا فسارعت تتسابق الى عملية الشراء .

وعلى كل، فان للسانين المذكورين أهمية استراتيجية خاصـــة بالنسبة لخليج الحسيمة، وكان شراء ماركيز دى كوبا سياسيا بحتـــا لغرض استعمارى دنيىء .

وعندما طرحت من جديد فكرة الغـــزو بحرا بعد الاتفاق مـــع فرنسا، تردد قادة الاسبان، وتذكروا فشل بريطانيا فى النزول بالدردنيل، كما راودتهم شكوك فى العملية المشتركة، التى أسفرت عنها مقترحـــات الاتفاق بين الدولتين الاستعماريتين، الا أنهم لما لم يجدوا بديلا للعملية، وافقوا عليها، لان التجارب الحربية المتعددة لم يجنوا منها الا الهزائم تلو الهـــزائـــم .

والواقع أن فكرة غزو الحسيمة بحرا كانت فكرة قصمت ظهـــر الريف، لانها جاءت فى وقت كانت قوة المجاهدين مشتتة على طول الجبهات الثلاث، الغربية على خط طويل من وادى لو الى الرهونة، والجنوبية مـــن الرهونة بضواحى وزان الى سيدى على بوعقبة بقبيلة كزناية، والجبهـــة الشرقية من ثلاثاء أولاد بوبكر بمطالسة الى سيدى احساين على البحـــر الابيض المتوسط، يضاف اليها الحراسة المشددة على الشاطىء الممتد من سيدى احساين الى وادى مرتيـــل .

ان الفرنسيين كانوا يصبون نجدات هائلة على الجبهة التى تخصهم، وكان جزء من القوة النظامية الريفية رافق الامير امحمد الى جبهة تطوان، حيث كان الثقل وضع على رجال القبائل الذين كانوا يأتمرون فى تحركاتهم

وسكناتهم بالقيادة الريفية، أما جبهة تطوان القصر الكبير، فان الانسحاب خلف جرحا للاسبانيين لا يندمل وطعن كبرياءهم فى الصميم، وكان على قبائل تلك الجبهة أن تتحمل عواقب تلك الجروح، فتصمد أمام غطرسة جنود الاستعمار .

وعلى هذا المنوال كانت وضعية الجبهة الشرقية، فالخطوط الامامية تمتد من ثلاثاء أولاد بوبكر مارا بميضار، فمركز تفارسيت الى سيدى احساين، وهذه المراكز كلها كانت محتلة بالجيوش الاسبانية من يوم استرجاعها سنة 22—1923 وعندما أعلن الجنرال بريمودى الريفيرا الانسحاب من المواقع الامامية الذى طبق فى الجبهة الغربية، لم يطبق هذا الانسحاب فى الجبهة الشرقية، ولعل ذلك يرجع الى المآسى التى لحقت المنسحبين من شفشاون وغيرها، فكان احتجاج القيادة العسكرية على الجنرال ان الانسحاب يكلفهم من الخسائر أفدح من الخسائر التى يتوقعونها عند صمودهم فى مراكزهم، ولذا أبقى هذه الجبهة الشرقية على ما هى عليه، وهنا تجدر الاشارة الى أن ما ورد فى كتاب «عبدالكريم أمير الريف» لروبرت فورنو صحيفة 112 الى آخر الفصل، يعتبر من نسج خياله، أو يكون قد اعتمد على رواية شخص ثرثار كما سمى أحدا منهم فى رحلته الى اصقاع الريف أو يكون تأثر بحكايات الاستاذ دافيد هارت، الذى روى كثيرا عن أولئك الثرثارين الذين مكث عندهم ردحا من الزمن، فى أغوار جبال أربعاء توريرت ببنى بوعياش حيث كان يأوى عند عائلة لها علاقة نسب مع الشخص المدعو بقيش من قبيلة كزناية، ويدل على اعتماده على روايته أنه زج ببقيش الكزنايى فى الهجوم على تفرسيت، مع أن بقيش هذا كان مسجونا عند الامير ابن عبد الكريم فى أجدير ولم يخض أية معركة فى الجبهة الشرقية، رغم أنه كان فى منطقة ازلاف قبل سجنه وسبب سجنه أنه كان يراسل عمر بن احميدو المرنيسى، ويقال أن بقيش مات فى السجن، لانه كان يتصل بالقائد المذبوح الجزنائى .

وللحقيقة والتاريخ، وحيادا عن العاطفة القومية، نسجل هنا :

أنه عند صدور قرار بريمودى الريفيرا بالانسحاب من الخطوط الامامية، كانت الجبهة الشرقية بالنسبة لقيادة المجاهدين على الشكل التالى:

فى خط أزلاف: بين كزناية وميضار، كان القائد هناك هو الشريف

سيدى احمد بوعلمة، ومعه القائد الحاج محمد أربعى رئيس محلة ثلثاء أولاد بوبكر من قواد مطاسلة الشجعان المغاور، وأصله من كزناية وتحت امرته حمو بولحرير من بنى توزين، والقائد الحاج شعيب بن الحاج دودح الطاهرى الوهابى من تمسامان كان فى مركز سيدى على بوعقبة، والشريف بوجداين من بنى توزين كان فى خط أزرو القضع والقائد عمر أختو من كزناية، مع القائد حدو بن موح أمزيان، يواجهان مركز ميضار، حيث جعلوا مركزهما فى تمدغرت .

أما خط تفرسيت فكان يتولى قيادته العامة القائد السيد شعيب اليعقوبى وهو من تمسامان، يعاونه القائد علوش شدى .

الا أن هذه الجبهة بقيت جامدة فلم تتحرك، لا الى الامام، ولا الى الوراء، الا ما كان من مناوشات محلية بين المجاهدين والاعداء .

وعليه فان الحكاية التى أوردها المؤرخ الانجليزى المذكور من أن الجيش الاسبانى اضطر الى الانسحاب تحت ضغط بقيش ورجاله، وان الريفيين تعقبوه الى مركز دار الدريوش، حيث استعمل الجيش فى هروبه القطار الحديدى، الذى عمل المجاهدون على اخراجه عن السكة، وهو مملوء بالجنود، فانجرفت الى البيداء، وان بقيش بعدما كسب المعركة حاصر مركز تزطوطين، حيث التحق به الامير ابن عبد الكريم، الذى رحب به بقيش، وقدم له أقداحا من الشاى، معلنا بأنه لا حاجة الى ذبح الثور علامة على تمتين الحلف الى غير ذلك من الخيالات المدبجة فى كتابات الغربيين، كل ذلك لا أساس له تاريخيا، فالاسبان لم يتزحزحوا عن مواقعهم، كما أن بقيش كان فى مركز أزلاف بقبيلة بنى توزين ولكن لم يكن قائدا عاما، بل كان معاونا للشريف سيدى احمد بوعلمة، وكان مشبوها فيه، اذ له علاقة اتصال مع المذبوح الذى انحاز الى الجيش الفرنسى، وعندما علم ابن عبد الكريم بالاتصال به استدعى بقيش الى أجدير، وبقى منتظرا ملاقاته ثلاثة أيام، كان معه القائد اليذرى المرنيسى، فزج به فى السجن بأجدير، وبقى الى أن مات فيه، على أن بقيش لم يكن ندا لابن عبد الكريم، أو كان يعد من قادة الثورة، أو ينازعه فالجميع يعمل تحت راية الجهاد، فلا حلف الا حلف الاسلام، الذى يربط المجاهدين ربطا متينا، وهو حلف تلقائى عقائدى، وفى أول الامر

امتنع بقيش من سوق رجاله الى الجهاد فدل ذلك على خيانته، فأعماله كلها تدل على التواطىء مع المذبوح.

وكما يبدو خياليا ما جاء فى ذلك الكتاب (1) من أن بقيش وصف ابن عبد الكريم «بأنه أشبه بتاجر حرير فى فاس منه بقائد جيش الريف».

مع العلم بأن بقيش هذا من الاقزام الغارقين فى السذاجة البدوية البدائية، التى لا تؤهلهم لان يصدر عنهم هذا الوصف الدقيق، وبالاخص ما حكاه المراسل كون فى كتابه «لحم الثور الوحشى» من أن بقيش أحد زعماء قبيلة كزناية الرئيسيين، وانه وصف ابن عبد الكريم بأنه قائد الاسبانيين الذى خان شعبه، كل ذلك ترهات.

واذا كانت قوة المجاهدين مشتتة على الخطوط الحربية الطويلة الملتوية التى ضربت طوقا على الريف، كما أشرنا، فان الغزو البحرى لخليج الحسيمة ـ وهو يكون مركز الثورة الاساسى ـ كان خطة لا بديل لها فى نطاق الاستراتيجية الحربية، لان الظروف الحربية سهلت تنفيذها بكل دقة، وهذا ما أدركته القيادتان الاسبانية والفرنسية، فاهتبلتها فرصة لا تعوض.

كما أن موقع الحسيمة كان يفرض نفسه للغزو لعاملين اثنين هما :

1 ـ ان أجدير الذى هو عاصمة الثورة، والذى جاء فى قلب قبيلة بنى ورياغل، لا تبعد عن مكان النزول الا بسبع كيلومترات، فالغزو اذا موجه الى قلب الثورة النابض، وفى هذا الموضع قال فرانكو فى مذكرته، العبارة التالية «ان الحسيمة هى النقطة البؤرية للعصيان ضد اسبانيا، وهو الطريق الى فاس، والدرب الاقصر الى البحر الابيض المتوسط، وهنا يوجد مركز الدعاية الذى سينتهى حالما نضع أقدامنا على هذه».

2 ـ ان قلعة جزيرة النكور المحتلة قديما من طرف الاسبان، والمحصنة بالمدافع ووسائل الدفاع الاخرى التى عجز رجال الثورة من اجلاء الاعداء عنها طيلة أيام الانتصارات، تنهض وسط الخليج ولا تبعد

---

(1) صحيفة 82.

عن اليابسة الا بنصف ميل، فهى تراقب بدقة تحركات عاصمة الثــورة، وتعرف عن شواطىء الخليج الشاذة والفاذة، فتعين اذا أن يكون الاختيار على الخليج للنزول فيه أمرا واقعيا وضروريا لنجاحه .

الا أن الذى كان غــير مضــبوط، هو النزول فى الموضع المدعــو «سابا ديا» وهو اسم اسبانى، وكان يعرف عنــد الاهالى «بتحجرت» ، وهو يقع غربى جبل سيدى عابد، وله فرضة مستطيلة وضيقة، تشــرف عليه كتل سامقة من أرضية قبيلة بقيوة، وكانت تلك الكتل وكل أمر الدفاع عنها الى قبيلة بقيوة، وكان الجبل الجديد محصنا بمدافع ثلاثة، وفــى جوف الشاطىء المحروق، وكان يدعى عند الاهالى «بأشبارات»، كانــت هناك حامية من المجاهدين تحت قيادة موح بولقجار من بنى بوعيــاش اتخذوا خندق الثيران مركزا لهم، وقبل عمليــة النزول أصلت البــوارج الحربية التى تمخر شواطىء الشمال، مزدحمة هذه الكتل بنار جهنميــة بحيث أصبحت كتلا من الغبار والدخان، كما أصلت أيضا المواقع الاخرى المنتشرة على الخليج، وعلى تمسامان، وبنى بويفرح، وعلى شــواطــىء غمارة، وذلك للتعمية على المجاهدين .

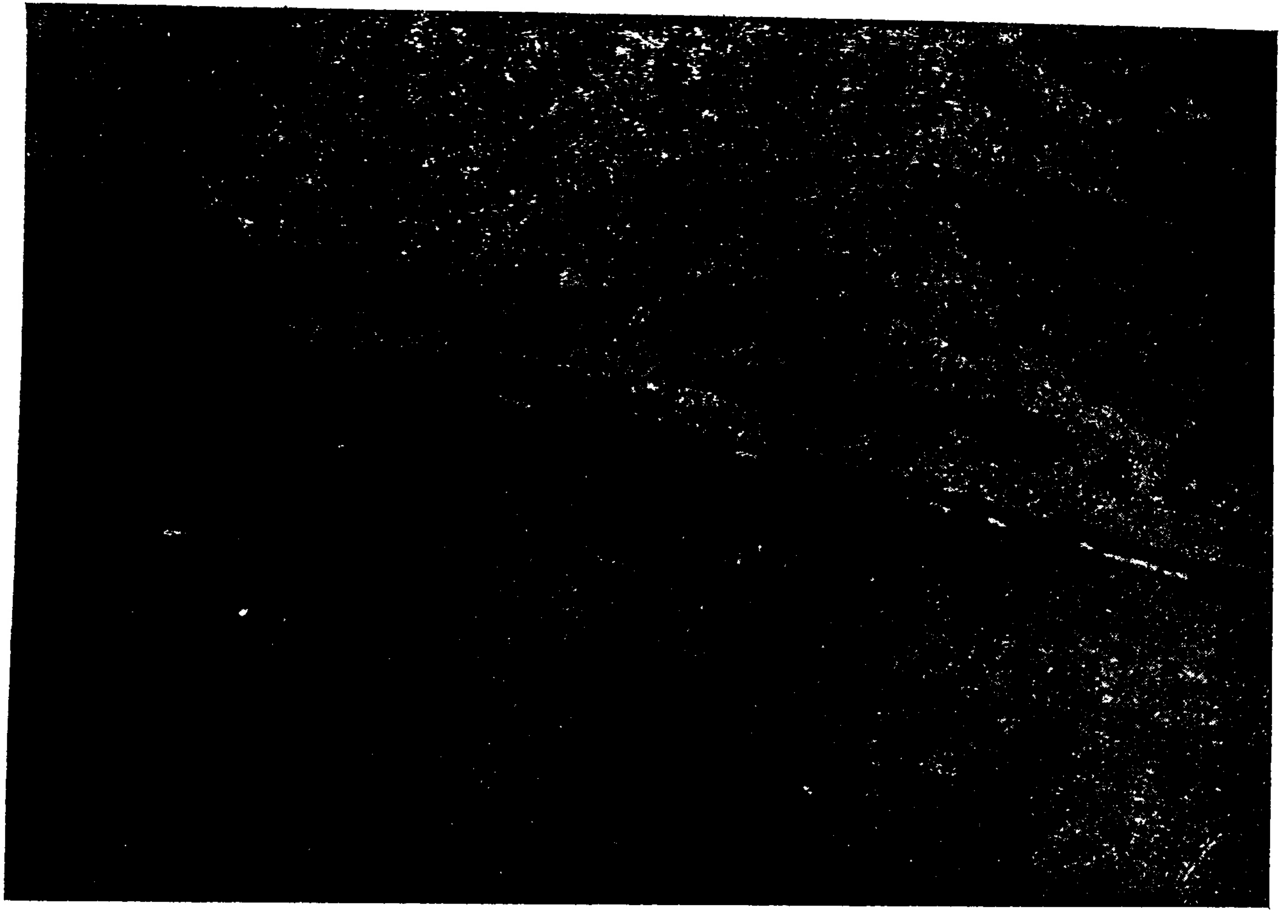
تحرك يوم سادس شتنبر 1925 الاسطول الغازى المكون من 111 مركبا، والذى شاركت فيه الدولتان معا، من سبتة ومليلية تحت رياســة الجنرال سان خورخو القائد العام للحملة، يؤازره كل من الجنرال سارو الذى أبحر من سبتة، على رأس تسعة آلاف جندى، والجنرال فرنانــدو بيريس الذى أبحر من مليلية على رأس تسعة آلاف جنــدى، وفى فجر اليوم السابع من شتنبر، وصل الاسطول الغازى أمام خليج الحسيمــة، وكان من المقرر أن القوة التى جاءت من مليلية، تنزل فى الطرف الشرقى من الخليج، أى بشواطىء تمسامان، على الضفة الشرقية لوادى النكور وتنزل القوة التى جاءت من سبتــة عن الطرف الغربى للخليــج، الا أن التيارات المائيــة التى طرأت على البحر بسبــب رداءة الطقس جرفــت المراكب جهة الغرب وتأخرت عملية الانزال بعض الوقت، وفى أثناء ذلك، حلقت طائرات امتطى احداها الكرونيل فرانكو الذى كلف بتنظيم عملية النزول، ومنح سلطة مطلقة، وكان يقود الفرقة الاجنبية .

ولاجل التعمية فان جزيرة الحسيمة، وكذلك الاسطول المتاظهر أمام خليج الحسيمة، أصليا خليج الحسيمة وأجدير بالنار، بواسطة المدافع ذات العيار 100 الشديدة الانفجار، فى حين اقتربت مراكب الانزال عند هبوط ليل 7 شتيير من مرسى «سابادىيا» وارست انتظار بزوغ الفجر لاجل القيام بغزو اليابسة بالجنود، وحسب رأى فرانكو، فقد كان كل شىء هادئا على ذلك الشاطىء الصغير .

وقد كانت الحراسة الريفية على الكتل المشرفة هادئة، والبحر يعكس لالؤ الاضواء، وكان مفروضا بأوامر القائد العام على الضباط أن يحملوا معهم فقط حقيبة وسريرا عسكريا، وعلى كل جندى أن يحمل مؤونة يومين من الطعام البارد والذخيرة، ومزودة، وأربع أغطية عسكرية، وتجهيزات الالغام وضمادا حربيا فرديا، ومدالية لاثبات الهوية، وصواريخ بالاضاءة والاشارة .

كما يتوجب على الجنود أن ينزلوا الماء والذخيرة فور وضع أقدامهم على اليابسة .

وفى الساعة الثامنة من يوم 8 شتنبر كانت كتل من الاحجار والغبار تتطاير من منحدر سابادىا، بفعل القصف الشديد من البحر والجو بالمدافع والرشاشات التى فتتت الساحل شبرا شبرا، أعقبها اقتراب حاملات الجنود الثلاث الراسيات أمام سباديا، فاقتربت الى أن وصلت الى 100 يردة، فانفتحت مقدمتها التى انساب منها جنود الفرقة الاجنبية، يتقدمهم الكرونيل فرانكو، ملقين أنفسهم فى البحر الضحل، بعدما دوى البوق الذى أعلن فيه فرانكو أمر الجنود بالنزول، وهكذا قفز الجميع فى الماء الذى يغمرهم الى الاكتاف، فسبق فرانكو الى الشاطىء، وغرز راية الفرقة الاجنبية على اليابسة، فى حين استيقظ الحراس الريفيون على صوت البوق، والاندفاع الى الارض، فاطلقوا نيرانا متقطعة من البنادق والرشاشات والمدافع، وقد اخذوا على غرة، فاختلط حابلهم بنابلهم، وذهب بعضهم الى القائد موح بولقجر الذى كان محتميا فى غار الثيران بالشاطىء المحروق، وقد أبان عن جبن وخذالة لم يكن أحد يحسبها فى أى قائد من قواد الريف، وكان يرد على المقاتلين الذين يأمرهم حينما يستحثونه



الفرقة التى يقودها فرانكو تتقفز الى اليابسة عند النزول فى الحسيمة (شتنبر 1925)

للخروج من الغار لتنظم الدفاع، بأن لا داعى لذلك، لان العـــدو دأبه أن يهول بالرمى من بعيد، وانه لا تطأ قدمه أرضنـــا .

وعندما أخبر بنزول العدو، لم يتردد أن خرج من الغار هاربـــا مع حفنة من الجبناء، بعدما تخلى عنه المجاهــدون، الذين كان يرأسهـــم اذ تسلقوا منحدر «قر نالزيت» (مرو نوييو) مهرولين لمحاصرة العدو الذى أحرز على موضع قدم من اليابسة، ولكثرة ارتباك الجبان بولقجر، فقــد ترك فى الغار مبلغا ماليا يقدر بأربـــع وعشرين مائة ريال اسبانـــى، كان لصـــوائـــر المجاهـــدين ولم يتذكـــره الا بعـــد انفصـــالـــه بمسافـــة ، فأمر أحد الفارين معه بأن يرجع ليأخذها، ثم استمر فى فراره سالكـــا قرية تساست، الى أن وصل الى الامـــير ابن عبد الكريم الذى أســـرع الخطى الى حيث موضع الغزو، فلما التقى به تألم ألما بدا على وجهـــه كسحابة قاتمة، واكتفى بأن قال له، ياجبان كنـــت على محكمة ازغـــار فظننت أنك تغنى غناء فأرسلتك الى الشاطىء، ولم أعلم أنك مخذول، ولو كان عندى متسع من الوقت لعلمت مصـــيرك، ولكن الاحداث تشغـــل بالنا، فأعرض عنه، وقال له اغرب عن أنظارى .

ان هذه الحادثة كانت على هذه الحقيقة، وليس كما قال المؤرخ الانجليزى المذكور، من أن الفار هو قائد قبيلة بقيوة، وان هذه القبيلة كان مشكوكا فى اخلاصها للثورة، وان قائد بقيوة كان مرتشا من قبـــل عملاء الاسبان، فهذا غير صحيح، لان قائد بقيوة الذى كان يشرف على الدفاع على شواطىء القبيلة هو الشجاع المغوار القائد موح بن طاهـــر من دشرة تساسنت، وقد استمات فى الدفاع الى أن استشهد رحمه الله فى معركة ابلوقا بجبال آل هشام، كما سيأتى .

وكان ابن عبد الكريم يقول فى حـــق شهامته «اذا بقى مـــوح بوطاهر حيا فلا أبالى اذا تخلى عنى مائتان من رجال ءاخرين» .

ورغم أن الجيش فى هجوماته تنكب عن قبيلته ولم يدخلها بـــل توجه الى بنى ورياغل محاذيا بأحد رؤوس الرمح قبيلـــة بقيوة، فمـــر على آل قمرى فمريقة الى أن وصل سوق أحد بقيوة فـــان نسبة هـــذه المعرة الى قائد مغوار لم تكن الا افتعـــالا، والا فالمعرة يتحملها القائـــد

موح بولفجار، وهو من بنى بوعياش مـــن بنى ورياغل، وقد سجلـــت فتيات القبيلة هذه المعرة عليه فى أهازيجهن فى ذات الوقت حيث قلن :

أموح أنبولقجر أيجمان هوذا ثاوراد زكفرى أمشك أمثوائا
الترجمة: يا موح بولفجر يا كتاف اليهود هربت من الغار مثل الضبـــع
تجيد أرومى اذ يطاف ثاموثا أولاذى امجاهدن اقارعن ذاغيا
الترجمة: تركت الرومى يستولى على الارض أولادى المجاهدين هرعو حينا
اقرعن أرعذو أثارن أربحـــار أثارن أمكان زيمانيس أديوسا
الترجمـــة: اسرعوا الى العدوليردوه الى البحر ويردوه من حيث أتى

ان هذه الاهازنج التلقائية تسجـــل الحادثة التاريخيـــة التى لا تترك مجالا لالصاقها بالمجاهدين الاحرار .

وهكذا، فان المجاهدين تقاطروا وهرعوا الى حيث الخطر، وكان من بينهم من كان تحت امرة موح بولقجر وجلهم من قبيلة بنى بوعياش، وقد اتخذوا موقعهم على هضبـــة سيدى عابـــد شرقى سابادیا، وكـــان قائد بقيوة السيد موح بوطاهر تمركز برجال قبيلته فى مواجهـــة العدو على منحدر اجذايا فى أعلى سابادنا، ثم تعزز بالقائد المغوار بوحوت على رأس ثلاثمائة من الجنود النظاميين وهرعت كوكبـــة تتألف من خمسين مقاتلا غير نظاميين تحت قيادة السيد عمر بن قدور البوعياشى وكـــان قائد 100، وكان رجلا شهما، هو الذى قطع وادى مرتيل للفتك بالعـــدو ثم رجع وانشد هناك بيتا من أهازيج الاهالى وقال :

أموال محمد حسبايى أرجيـــغ أغزار مرتيل كيلبا لينو أثزويغ

الترجمة: يامولاى محمد عدنى غير موجود لان وادى مرتيل فى بالى أقطعه.

كما عزز الامير رجال المدفعية على جبل قرن الزيت، الذين كانـــوا تحت امـــرة الرايـــس عمر ولد المعلم من أجدير، ولما أحاط به الجيـــش الاسبانى ازال زناد المدافع، وأخذها قاطعا بها البحر سباحة الى حيـــث المجاهدون كى لا يستعملها العدو، وهكذا استطاع المجاهدون أن يحاصروا العدو فى موضع قدم على اليابسة، ولم يستطع أن يخطو الى الامام ولو خطوة واحدة، لمدة يومين اثنين، وكانت راية واحدة هى التى تمكنت من

النزول الى اليابسة، ثم غضب البحر، فاضطرب اضطرابا الزم مراكب الانزال الى الرجوع الى عرض البحر، حيث بقيت تلك الراية تترقب الهجوم عليها لابادتها، ولكن كانت مواقع المجاهدين تحت رحمة نار مدافع البوارج، التى أحرقت كل شبر من الارض حتى كانت تهتز كأنها على وشك اندلاع بركان، بينما منطاد فضى يصطاد تحت نظره مواقع المجاهدين لكى يعلم البوارج لصب نيرانهم عليها .

هذا من جهة ومن جهة ثانية، فانه كان فى الحساب لدى ابن عبد الكريم وقادة الثورة أن عملية الانزال فى ساباديا لم تكن الا ملهاة للمجاهدين، لكى يشغلهم عن النزول فى خليج الحسيمة، وهو تقدير كان صحيحا من الوجهة الحربية، وكان على المجاهدين أن يحترسوا جهد الامكان، لما عسى أن يربكهم، أضف الى ذلك ما أسلفناه من تشتيت قوة المجاهدين الموزعة على الخطوط الحربية الطويلة البعيدة والملتوية، فكان هناك عوز كبير فى الرجال .

وبعدما استكان البحر فى العاشر من شهر شتنبر 1925، تمكنت الحملة الغازية من انزال قوات أخرى بلغت خمسة عشر ألف جندى، حيث بدأت تلك القوة تتحرك نحو مرتفعات سابادنا، الى جهة الرأس الجديد والى غور ساباديا، وكان غطاؤهم الجوى يتكون من 26 طائرة تغدو وتروح بأزيزها وقنابلها على مستوى منخفض، وفى 14 شتنبر غضب البحر مرة ثانية حيث هبت ريح شرقية، ولكن العدو كان تحت يديه فى اليابسة قوة كافية بمعداتها، ومع ذلك كان العدو لم يستطع توسيع الرقعة الا على اشلاء المجاهدين، وكان التحرك بطيئا من صخرة الى صخرة، فاصطدم مع المجاهدين فى المعارك التالية :

معركة اجداين :

وقعت هذه المعركة، بعد ثمانية أيام من النزول، وقد اشتبك العدو مع 50 جنديا نظاميا على الغور الذى يربط سباديا بمدينة الحسيمة، وقد بدأت المعركة عندما تقدم أحد جنود اللفيف الاجنبى، لان يحتمى بتنور هناك، كان قائد المجاهدين يسابقه لاجل الاحتماء به من جهته، فأردى المجاهد الجندى قتيلا، فالتحم القتال بين الفريقين، كانت نتيجته أن

انكسر العدو فى الموقع مرتين، ولما لم يجده الهجوم ترك الموقع للطائرات والبوارج، لكى تمهد لهجوم عام، وكانـت الجماعة التى انفصلـت عن بولقجار قد انضمت الى القتال على الجناح الايمن للعدو، وقوة قبيلـة بقيوة على الجناح اليسارى، فاحتـد القتال الى درجـة أن العدو لـم يجد أمامه بعد أن تغلب الا جثث القتلى من المجاهدين صريعـة، فقد مات من الجنود النظامنين 43، ولم ينج منهم الا سبعة، بما فيهم قائدهم عمر البوعياشى، الذين تقهقروا الى حيث موقع سيـدى منصور، على بعـد كلم واحد، فجعل هذا القائد ينتحب ويبكى قتلاهم، ذاكرا كل واحد باسمه وما يتحلى به من الشجاعـة .

أما المجاهدون الذين كانوا على الجناح اليمينى، فقد سقط منهم 45 شهيدا، وبذلك استطاع العدو أن يثبت اقدامه على لسان مورو نويبو، المطل على الخليج لفتح رأس الجسر اليمينى، قاصدا قمة تاشاوين، وكان يدافع عنها البطل القائد بوحـوت القلعى الذى كـان يعمل فى الجيـش الاسبانى رئيسا لكتيبة، ثم فر والتحق بالثورة، وقد أفادها بخبراتـه العسكرية، فكان منظما ومدربا للجيش النظامى وشجاعـا أيضا، كمـا ذكرنا، ويقال بأن الشيخ محمد أزرقان، أمره أن يلتحق بكزناية، الامـر الذى خلف ثغرة كبيرة فى الدفاع عن الحسيمة، وكل من اتصلت بهم مـن المجاهدين، يذكرون أن السيد محمد أزرقان، تعجل فى نقل القائد بوحوت من مكان المعركة الحاسمة، الى جهة نائية، ويبدو أن الضغط الافرنسى على خط كزناية هو الذى أوحى بهذا التدبير، وفعلا تقدم لفتح رأس جسر جهة بقيوة، اذ استولى على كتلة تيشاوين العالية، على نصف كلم من ساباديا وهى تعتبر مركزا مهما بالنسبة للعمليات الحربية، كما كان الاستـلاء على اللسان البحرى «مور نويبو» من أهم انتصار أولى، لان الجنـود أصبحوا فى مأمن من القائهم فى البحر، اذ ان هذا الرأس من المناعة بحيث كعش عقاب، أضف الى ذلك أن الاستلاء على قمة تيشاوين التى تشـرف على الذرى الكثيرة المتناثرة هنا وهنـاك، يجعل مركز الجيش الغـازى يستطيع أن يعزز قواته بكل ما تحتاج اليها من رجال ومعدات وغير ذلك.

وفعلا فقد مكث العدو متحصنا فى مواقعه ينظم ويقوى صفوفه،

بينما تحميه العمارة البحرية التى تجوب عـرض البحر، وتبين لقـادة الريف أن تخميناتهم التى كانت توحى بتشتيت الفكر من حيث موضع النزول لم يكـن صائبـا .

اللجوء الى الاعمـال الفدائيـة :

ورغم وعورة اللسان المستولى عليه من حيث علو الجدار الصخرى الطبيعى المرتفـع من الشاطىء المحتـرق فان جماعة من الانتحاريـين تطوعوا أمام الامير، واقسموا فى المصحف الكريم، أن يتسلقوا الجـدار بكل ثبات الى أن يفاجئوا العدو حيث هو، ويوقعوا به ولا يولوا الادبار، بل يثبتون أمام اختيارين اثنين ولا ثالث لهما، أما الانتصار بقذفه فـى البحر، أو الاستشهاد فى سبيل الله .

وقد تسابق المجاهدون للتطوع فى هذه المجموعة الى أن بلغـت 75 مجاهدا، ادى كل واحد القسم على حده، وكانـت المجموعة تحـت قيادة التهامى الواحد من دشرة ازفزافا، مـن بنى ورياغل، ويعـد من صناديد الجهاد، أما تسيير العملية فكان تحت اشراف القائد موح بوطاهر البقيوى الآنف الذكـر .

وقد كان على هذه الجماعة أن تركب الزوارق ليلا، من فرضـة «تجذيت» وتدعى الآن الشاطىء الجميل فى سرية تامة، وسكون مطبـق، الا ما تحدثه المجاذف عند ارتطامها بأمواج البحر، فوصلوا الى فرضـة «اشبارات» وهو موضع الميناء حالا، فتسلقوا الجدار فى صمت، ولما تمكنوا من مواقع اقدامهم، لم يرع العدو الا وسيل من طلقات البنادق تحصدهم حصدا، وكان فى مقدمة جيش العدو طابور من المغاربة المرتزقة وطابور من اللفيف الاجنبى، فالتحم القتال ليلا، ولم يدروا من أين أوتوا، فدب الذعر لكثرة من سقط منهـم .

واستمر القتال الى الصبـاح، حيث انكشف موقع المجاهديـن أمام أنظار البوارج التى دخلت الى خليج الحسيمة، واقتربت من الجبل على مرمى البندقية فاصلتهم نارا، بينما هبطت سرية العدو على الغـور الذى يكون الجوف الغربى للجبل، حيث يوجد غار الثيران، فاصطدمـوا مع الفلول التى نجت من نيران مدافع البوارج، والتى تمكنت من وضع

أقدامها أسفل الجدار، فانضمت الى بعض المجاهدين الذين بقوا فى المؤخرة، والذين كان من بينهم القائد موح بوطاهر لحماية المجموعة عند اللزوم، وقد وضعوا غار الثيران مقرا لهم، وعندما هاجمهم العدو على الغور المفضى اليهم جرح القائد موح بوطاهر، الذى استطاع أن يصل الى البحر، ليجتازه سباحة، أما رفاقه الستة وهم من رجال بقيوة، فانهم تحصنوا فى الغار مستبسلين، فلم يستطع العدو ان ينال منهم منالا، الامر الذى اعطى للفلول التى انحدرت من الجدار أن ينشبوا اعنف القتال مع العدو، فى معركة دعيت «معركة اشبارات» وسماها الاسبان «الشاطىء المحترق»، ولما كان القتال محتدما بين الفريقين، فان الحماية البحرية لم تجد شيئا بالنسبة للعدو، مما زاد فى ارتفاع عدد الاصابات فى المعركتين الليلية والنهارية، حتى قيل أن القتلى بلغ سبعمائة دفنوا كلهم بما فيهم المغاربة فى مقبرة سباديا التى خصصت فيما بعد للمسيحيين وحدهم، كما خصص طرف منها لليهود، كما كان قتلى اللفيف الاجنبى كثيرا أيضا أما المجاهدون فقا استشهد منهم من بنى بوعياش فقط حوالى 50 شهيدا، أما الرجال الستة المتحصنون فى الغار، فقد القى عليهم قنابل يدوية، داخل الغار، فاختنقوا بالدخان وخرجوا، فحصدهم العدو بالنار.

احتلال قمة عين عمارة والرأس القديم

هناك أمام تاشوين: قمة سامقة تكون نهاية آخر دشرة لقبيلة بقيوة، وبداية قرية أجدير، وتدعى هذه القمة عند الاهالى «عين عمارة» ودعاها الاسبان «منطى بالوما» ــ أى كدية الحمامة ــ، لان الحمام كان يرد العين للشرب، وهناك لسان حجرى داخل فى البحر يشرف على الخليج، وعلى الشاطىء الجميل مباشرة، وكان يدعى عند الأهالى بتزمورت وسماه الاسبان «مورو بييخو» وباحتلاله لهذين الجبلين يصبح أمام مركز القيادة العامة، التى يسيرها الامير ابن عبد الكريم، مباشرة على جبل عين حلوف، وقد أصبح يهدد عاصمة الثورة بأجدير مباشرة، ويمكن لبطارياته أن تقصف العاصمة التى أصبحت خالية، لانها نقلت الى سيدى عبد الله بن يوسف، فى سفوح جبل حمام، بأعالى قبيلة بنى ورياغل، على الضفة العليا لوادى غيس، وفعلا، ففى 23 شتنبر 1925 تقدم



المناضل ابن عبد الكريم فى مركز عين حلوف
لتسيير العملية الحربية بنفسه

اليوتنان كرونيل «ابرياث» يرأس طابورا من المحلة التى دعيت المحلة الخليفية، انطلاقا من الرأس الجديد لاحتلال الرأس القديم، واحداث رأس جسر على الشاطىء الجميل وتنضيف تلك الخنادق من المجاهدين، كما انطلقت حركة المتطوعين من المغاربة يوم 30 شتنبر تحت قيادة الكمندان بريلا (أصبح مقيما عاما فيما بعد)، معززة بطابور من اللفيف الاجنبى تحت قيادة الكرونيل «تلمس»، وذلك لاحداث رأس جسر على الجهة اليمينية، فاكتسحوا تلك الاغوار والخنادق الى أن وصلوا الى قمة عين عمارة .

وهنا نترك الرواية لاحد المجاهدين المعمرين الذين عاشوا معركة عين عمارة وهو بوطاهر بن الحاج دادى البقيوى (1) (لازال حيا) بتاريخ شتنبر 1973، وكان من المقاتلين الاشداء، قال: لما تقدم الجيش الاسبانى لاحتلال عين عمارة، كنا هناك فى قلة من المجاهدين، فنشبنا القتال معه عند ما تسلق الهضبة، وقد سقط أربعة من المجاهدين شهداء، وبذلك فت فى عضدنا ، وكنت مسلحا ببندقية الموزين — الخماسية الاسبانية — وجعلت أضرب العدو بمهارة، ومع ذلك يبدو لى كأنى لا أصيب أحدا فاحترت فى أمرى، لما عهدته من اصابة الهدف، فحولت بندقيتى الى ضرب حجر فأصبته، فعلمت أن الجندى الذى أصيبه يسقط منحدرا فلا أراه، وقد تمكن العدو من الوصول الى القمة، والاستيلاء عليها.

وفى غده ترصدنا أنا وخمسة من المجاهدين العدو على ماء عين عمارة، فجاءت كوكبة من اللفيف الاجنبى لسقى الماء، فحصدنا منهم سبعة، وفر الباقون، محتمين باخوانهم على رأس القمة، ولم يعثروا لنا على اثر، وفى مرة جاء بعض الجنود يبحثون عن التين النيىء فى الاشجار، عن بعد بعض ياردات من القشلة فسددنا اليهم بنادقنا فسقطوا صرعى.

ولما علم الامير بما نقوم به أرسل الينا لنحضر عنده، فحضرنا وبارك أعمالنا، ودعانا لمزيد من التضحيات ونفح 15 ريالا لكل واحد منا، وأمرنا بأن نقوم بعمليات استنزاف العدو بالضرب ليلا فى العمق على مواقع تجمعاته، فكون أربعة منا عصابة نضرب ليلا هنا وهناك،

---

(1) شاهد عيان .

وفى احدى الليالى وصلنا الى غار الثيران، حيث كان العدو جعله مقرا لحاميته هناك، خوفا أن تتكرر عملية الانتحار، فألقينا على الجنود القنابل اليدوية مما جعلهم يرتبكون من أين أوتوا .

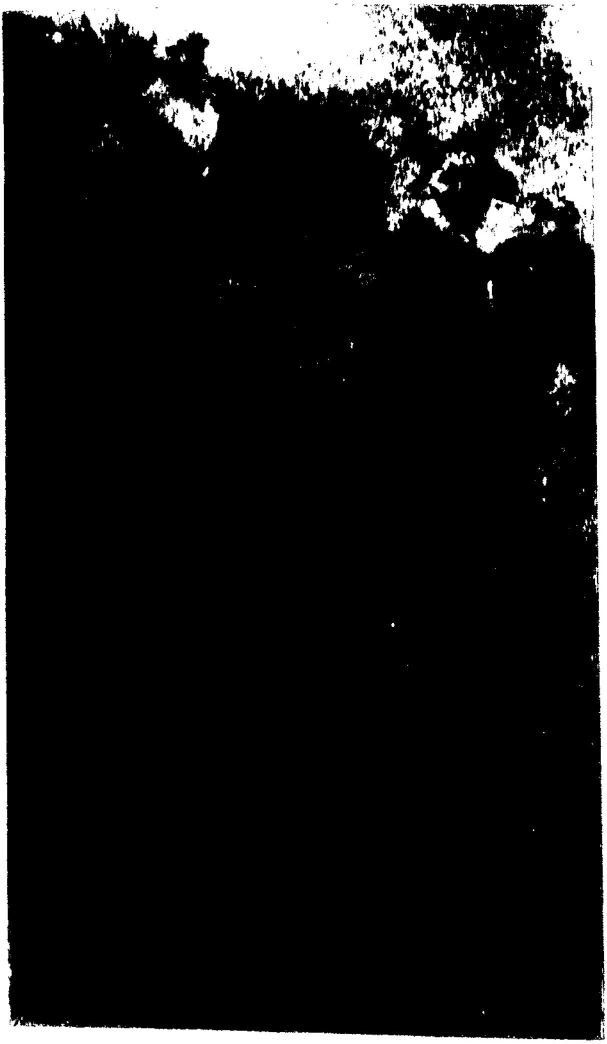
الا أنه بعدما أقلقنا العدو بالهجمات الليلية، دعانى الشيخ محمد أزرقان اليه، فاستفسرنى عن الكيفية والطريق الذى نسلكه فى عملياتنا الليلة، فأعلمته بالواقع، فلما بدأنا القيام بعملنا فى الليلة بعده، وجدنا الطريق مسدودا بجنود العدو، لانه أحس بخطر عملنا الفدائى فأغلق المنافذ التى ننفذ منها الى مراكزه .

الاستيلاء على جبل السلوم :

وفى أعقاب ذلك تحرك العدو فاستولى على جبل السلوم وهو أعلى جبل فى شمال أجدير، يشرف على خليج الحسيمة وقلعة النكور، كما استولى على جبل أغراف، ونصب عليها بطاريات مدافعه، وفى أثناء تقدمه خاض معارك مع المجاهدين الذين تربصوا به فى ايجار أزكاغ، وتخنوست، استشهد فيها المجاهد حموش أفقير عمر من أجدير، وكان من المجاهدين الصابرين فى القتال .

وباستيلائه على هذه القمم أصبح الجيش الاسبانى واضعا يديه على مفتاح غزو الثورة فى الصميم، وفى هذا الصدد أعلن الجنرال بريمودى الرفيرا للرأى العام قائلا: «اننا سننتهى من مسألة الريف خلال بضعة أشهر» وأصدر بيانا طبع باللغة العربية، ووزع على نطاق واسع بواسطة الطيران، يمنح فيها للريفيين ثلاثة أيام للاستسلام، ذاكرا فى هذا البيان، «ان الاستسلام وحده يمكن انقاذهم من أشد العقاب، وانه سوف يمنح العفو لجميع الذين يلقون السلاح، لكن هذا العفو لا ينطبق على ابن عبد الكريم، بل تجب عقوبته وطلب من رجال القبائل بالقاء القبض عليه، وتسليمه حيا أو ميتا .

فعندما تم غزو الحسيمة، أتى بالمجندين المغاربة فنزلوا عن طريق ساباديا، ليشاركوا فى الزحف على أجدير، وكانوا تحت قيادة الكومندان «بريلا» فلما قرر الجيش الاسبانى أن يزحف الى



ابن عبد الكريم فى الخطوط الامامية بأجدير
ومعه أخوه السيد امحمـــد
وفى الاسفل صورة الجنرال سانحورخو مع الكرونيل
فرانكو بعد النزول فى الحسيمـــة

الخط الامامى على هضبات أجدير، تقدمت هذه الجماعة، ونظرا للاستغلال السياسى لهذه المشاركة من طرف أحد أعمام ابن عبد الكريم، فان الاسبان اعتنوا بها .

وهكذا ففى يومى: 2و3 اكتوبر 1925 تقدم الجيش الاسبانى من مراكزه الى تلك الهضبات، فكان اللفيف الاجنبى يتقدم عن الميمنة ليحتل جبل أمقران، وحملة الكرونيل ابرياث، وحركة الكومندان بريلا لاحتلال الهضبات المكونة لوسط أجدير، وشواطىء البحر، حيث أحرز الجيش الاسبانى على خط مستطيل ممتد من منحدرات المجاهدين الى أعالى جبل امقران، وقد احتل سليمان الخطابى وسط ذلك الخط دار حدو بودرهم .

وعندما وصل الجيش الاسبانى الى هذه النقطة من التقدم، والاشراف على مركز أجدير، فان الجبهة تجمدت لما يقارب سنة.

وفى هذا الصدد فان الجنرال منويل غوديد فى كتابه «المغرب ومراحل التهدئة» راح ينعى على القيادة الاسبانية هذا الجمود، وعزى اليها عدم الحنكة الحربية، وقال فى هذا المضمار .

«وفى شهر شتنبر 1925 وبعدما تمكنت القوة الاسبانية من النزول فى الحسيمة، واستقرارها ثمة، وكان الانتصار فى ضواحى أجدير يومى 2و3 أكتوبر» .

«وهناك خذل الريفيون وانحطت معنوياتهم، ورأى ابن عبد الكريم أن أنصاره انفضوا من حوله، وكان يتوقف الامر فقط الى هجوم عنيف يقوم به حوالى 4000 أو 5000 جندى، لاجل حل مشكلة الريف الاوسط» .

«ولكن هذا الهجوم كان توقف، ثم جاء فصل الشتاء، لسنة 1925–1926، حيث تكون العمليات الحربية صعبة» .

«وفى أثناء محاولة اجراء الصلح مع ابن عبد الكريم، وفى هذا الوقت تمكن هذا الاخير من تنظيم القبائل مرة أخرى وجمع شتاتها ماديا ومعنويا، فاستطاع أن يفتح مراكز مهمة دائرة بالقوة الاسبانية مع احتلال خنادق محيطة بتلك المراكز القوية» .

«ولذا فان هذه العملية كلفت الاسبان من الخسائر فى الارواح أكثر من ألف قتيل» .

الواقع أن هذا الجمود الذى أسبل على الجبهات مكن رجال الثورة من تحصين مراكزهم، فقد استدعى ابن عبد الكريم القواد المشهورين من المراكز النائية، لاخذ أماكنهم حيال مراكز العدو .

وهكذا استدعى سيدى عبد السلام البوعياشى الذى كان قائدا عاما لجبهة وزان، الذى كان مقره فى فراحة من قبيلة غزاوة، كما تقدم واحتل مركزه فى السوانى بقلب شاطىء خليج الحسيمة أمام أنظار قلعة جزيرة النكور، وحشر على المواقع الموكول اليه الدفاع عنها من أزغار الى البحر رجال بنى بوعياش .

كما استدعى أخاه الامير امحمد مع الجيش النظامى من الجبهة الغربية وتكلف بتسيير العمليات الحربية العامة، وتكلف القائد موح بن المدنى البقيوى بالدفاع عن هضاب آل هشام مع رجاله من بقيوة وتكلف موح بن الحاج عمر البوهمى بالدفاع عن بوهام، ابلوقا، أما ميدان أجدير الى آل هشام فقد تكلف به أحد صناديد المجاهدين، وهو علوش المرابط الوعزيزى الذى قال فيه ابن عبد الكريم «اذا بقى حيا القائد علوش، فانه لا يبالى اذا فقد مائتين من الآخرين»، وقد استدعاه من الجبهة الشرقية بحيث كان يسير معارك سيدى مسعود وسيدى احساين كما سبق .

وعند هجوم العدو العام على خطوط المجاهدين بأجدير وضواحيه تكلم ابن عبد الكريم من سيدى يوسف وأمره بالانسحاب، فأجابه بأنه لم يسبق له أن انسحب من أية معركة، ولذا فانه حان وقت الاستشهاد، ثم أردف، وداعا أيها الامير، أرجوكم مسامحتى، فاستشهد رحمه الله اثر هذه المكالمة بعدما ابلى بلاءا حسنا، وبموته وموت المجاهد موح بوطاهر فى نفس المعارك فقدت الثورة بطلين من أبطالها الخالدين .

أما من جهة الجيش الاسبانى فان جموده كان لاجل تنظيم صفوفه بعدما ثبت أقدامه فى هذه الجبهة فى احتلاله الهضاب المنيعة المعززة من البحر عن طريق البوارج وقلعة الحسيمة، وكان فى مأمن من القائه فى البحر .

وقد استمر هذا الجمود من فاتح اكتوبر 1925 الى غاية ماى 1926، حيث كان الهجوم الاسبانى عاما، وعرفت المعارك التى جرت عند الاسبان «بمعركة ابلوقا»، وفى هذا الصدد ننقل هنا ما قاله الجنرال منويل غوديد .

«وفى شهر ماى 1926 فك الجيش الاسبانى الحصار حيث استغل امكانياته جوا وبحرا، ووسائل النقل، فاستمر الهجوم متتابعا لحل مشكل الريف، وذلك بعد تنظيم القيادة العامة فى مليلية، وبلغ لجميع المراكز، وصودق عليه فى تطوان فى شهر ابريل 1926 للعمل به وكان مرجع هذا التنظيم، الى تنظيم التموين والتنقل والمواصلات، حيث جمعت هذه المصالح فى يد واحدة لها قوة الابتكار، ويمكن لها أن تغير أسلوبها حسب مقتضيات العمليات الحربية، التى تتغير كلما اقتضت الضرورة ذلك» .

«كما نظمت القيادة الحربية على أساس معسكر واحد تجمع فيه القيادات والرجال، ومن هذا المعسكر تخرج كتيبة على رأس كل 15 يوما مثلا، أو كلما اقتضى الحال لاحتلال أية نقطة لغرض أن تشتبك مع مقاتلى العدو محليا ويستمر العمل لاجل استنزاف قوة المحاربين الآخرين، وهذه الكتيبة تبقى فى المركز تذهب وتجيىء عملا بالمثل الفرنسى القائل» ها أنا هنا وسأبقى» أو المثل الاسبانى القائل «هاأناذا وسأبقى وسأتقدم» وكان هذا العمل تحضيريا استعدادا للحملات الموالية التى جرت فى سنة 26—1927» .

«وكان أصل نظام الهجوم أن يكون هجوما عاما من جميع الخطوط الحربية بصورة متفرقة، ولا يكون الهجوم فى جهة معينة بقوة كبيرة، كما كان عليه الهجوم من قبل، حيث كان الهجوم يقع بعشرة الآف رجل فيهم المقدمة والمؤخرة، فيكون العدو يقاتل مع المقدمة، بينما المؤخرة لا تشارك أساسا، ولاجل تفادى هذا الخطا قسم الطابور الواحد الذى كان يتألف من عشرة آلاف جندى، الى ثلاثة طوابر، يهجمون فى ثلاث جهات، فيكون استغلال العدد متقنا، ولاجل استغلال التفوق العددى فى الرجال والعتاد لاضعاف العدو، تفاديا لما كان عليه

الهجوم من قبل، ولاجل استغلال التفوق التقنى أيضا، يجب القيام بمناورات لابراز مظاهر القوة أمام العدو بقوة المناورة وقوة الاحتياطى».

وعليه فان هذا الجمود الذى استمر قرابة ثمانية أشهر كان جمودا متعمدا من قبل الجيش الاسبانى، لابتكار أساليب تنظيمية فى صفوفهم، وقد أفادهم ذلك فائدة جلى، عكس ما يراه الجنرال «غوديد» لان العمليات التى يقدمون عليها كانت شاقة وعسيرة بالنسبة لوعورة الاراضى الجبلية التى سيقدمون على العمليات فيها، انطلاقا من أجدير الى شفشاون، وكان عدد لا يستهان به من المجاهدين قد التجأوا الى تلك الجبال احتماء بأدغالها، لاجل أن يقوموا بحرب العصابات، ان لم يفدهم القتال النظامى، علاوة على المراكز الدائرة بالعدو حسبما تقدم.

الواقع ان الاسبانيين استفادوا من هذا الجمود أكثر مما استفاد منه الريفيون، فهؤلاء اقتصروا على تأسيس مراكز الدفاع، ولم يقوموا بأى هجوم، لارباك العدو، وقد كانت العمليات التى يقومون بها هى مناوشات محلية أو عمليات فدائية كالتى قام بها جماعة المجاهد مرزوق بن عمر .

وكحادثة نصب كمين لسليمان الخطابى لما كان يذهب الى جزيرة النكور ليلا ثم يرجع فنصب له كمين فى «تنوت ملعب»، بأسفل أجدير، ولكنه نجا منها، وهذه المصاعب أحدثها له القائد موح أزحاف مع القائد حادى البقيوى لكون الاول ينافسه على الرياسة، فما كان من سليمان ان كاد لهما باتهامهما بالاتصال باخوان الاول، فارسلهما الى الحسيمة على حصانين شرسين رجاء ان لا يكبحا جماحهما فيلقيا بهما وفى هذه الاثناء، كان بعض عملاء اسبانيا الاقدمون قد انتعشوا وبدأوا يتحركون للاتصال بدوائر الاسبان فى مليلية، وقد بدءوا ذلك بعملية قام بها المدعو محمد أزرقان، وهو من بنى بوعياش (غير أزرقان ناظر الخارجية وصهر ابن عبد الكريم)، وكان أزرقان البوعياشى هذا قديما من أنصار الاسبان .

وبدا له أن يرسل وفدا عنه ينكون من ولده عمر، وكان شجاعا ومن

شخص من عائلة أولاد طحطاح من بنى توزين وشخص من عائلة اقنيا، فذهبـوا عن طريـق وادى كرط الى مليليـة، حيث اتفقوا مع القيـادة الاسبانية أن يقوموا باغتيالات فى مركز والدى بالسوانى، حيث كـان على رأس قائمة الذين يغتالون، ثم تنزل حامية من قلعة الحسيمة لاحتلال مركز المجاهدين، وقد زود هذا الوفد بسلاح الموزير من مليلية، كما زود بالمـال اللازم .

وقد علم ابن عبد الكريم عن طريق مخبريه بتحركات ذلك الوفد، فاستدعى الشخص الذى من عائلة اقنيا، وأقر له بجميع ما جرى، فأوعز الى والدى أن يقبض على محمد أزرقان، وولده عمر، وان يستعمل كـل حنكته خوف أن يفلت، وهكذا ذهب والدى بنفسه الى دار موح أزرقان وطلب منه أن يسير معه الى مركزه بالسوانى مظهرا له أن القصد هـو مشاركته فى الدفاع، حيث أنه يمكن له أن يستخلفه فى محله، عندما يضطر الى المغيب عن المركز، فذهب معـه، أما ولده عمر فانه لم يوافق أبـاه وأعصوصب فى سطح داره مستعدا للقتـال فلم يستسلم الا بعـد أن أحاطت به جماعة من المجاهدين، وأخذا معا معتقلين فى مركز تماسيت الى أن أعدما معا. أما الرجل من عائلة طحطاح، فقد نجا هاربا الى مليلية.

وفى هذا التاريخ فان الخريطة العامة لوضعية الخطوط للجيش الاسبانى، كانت كما حكاه المؤرخ الاسبانى «كوما» فى الجبهة الشرقية: خط مستمر من ساحل «افراو» حتى افسو، قرب الحدود المتفق عليهـا بين اسبانيا وفرنسا، مارا بسيدى مسعود ــ بن الطيـب ــ تفريست ــ ميضار. وفى الجبهة الغربية: تطوان ــ سبتة ــ وجميع الساحل الشمالى الاطلنطكى: طنجة ــ أصيلا ــ العرائش ــ القصر الكبير .

وفى جبهة الحسيمة: خط مكـون من شاطىء سباديا ــ جبـل ملموسى ــ جبل الحمام ــ جبل امقـران ــ روكوسا ــ حتى وسـط خليج الحسيمـة» .

وفيما يخص المناطق المحررة حسب نفس المؤرخ: «كان الريف يتحكم فى أكبر مساحة، من جبالة ــ وغمارة بأكملها، وأكثر من نصـف

الريف ـ وخط واسع فى المنطقة المخصصة لفرنسا، وبذلك كانت الثورة تسيطر على مساحة شاسعة، الامر الذى يكون المتفائلون من الغازين بأن الثورة قد انهزمت انما هم فى تفاءل بدون رزانة» هكذا يقول هذا المؤلف .

مفاوضات أخيرة للصلح :

وقد حدث فى أثناء هذه الفترة ان عمد الاسبان الى خدعة ابداء الرغبة فى الصلح مع ابن عبد الكريم على أن يمنح الريف الحكم الذاتى وكانت قضية اجراء الصلح تسير على هذا المنوال، كان رئيس وزراء فرنسا مسيو «بانلوفيه» اذاع بيانا عرض فيه على الريفيين وضع حد للقتال بطريقة المفاوضة، لمنحهم الحكم الذاتى متحررا قدر الامكان، وكان ذلك بالاتفاق مع الاسبانيين .

وبما انه كانت توجد لجنة فى انجلترا، تسمى لجنة الريف، ألفها مستر «غوردون كاننغ» الانجليزى الذى كان ضابطا فى فرقة الفرسان قبل ذلك، برتبة النقيب، ألفها بتاريخ يوليوز 1925 وقد اشتركت فى اللجنة لجنة أمريكية التى كانت تشكلت فى أمريكا برياسة «هربيت مايرون» .

ولما كان مستر غوردون هذا قد زار الريف عام 1924، ممثلا الهلال الاحمر، وحاول ادخال معونة طبية الى الريف فمنعته السلطة الاسبانية العسكرية .

فان الحكومة الفرنسية أوعزت اليه من جديد بأن يكون الواسطة فى مفاوضات الصلح، التى تنوى فرنسا واسبانيا اجراءها لانهاء قضية الدم، فاستجاب اليهما، واتصل برئيس وزراء فرنسا، وأكد له بأن الحكم الذاتى الذى تفكر فيه الحكومتان هو يقارب الاستقلال مع بعض القيود، ثم اتصل بوزير خارجية فرنسا مسيو «بريان» وأكد له مضمون شروط المفاوضة، كما دعاه لان ينقل ذلك الى ابن عبد الكريم.

ثم عرج غوردون على المقيم العام بالرباط مسيو «تيودور ستيغ»

فأكد له من جهته بأن اسبانيا وفرنسا على استعداد لان تتركا للريفيين ادارة بلادهم بأنفسهم واستغلال ثرواتهم تحت سلطة زعيم منهم، يختارونه تحت سلطة السلطان الروحية.

وكان مسيو غوردون مصمما على أن النوايا التى حملت الدولتين على المفاوضة خالية من الخداع الدبلوماسى .

وفعلا فان المبعوث الانجليزى دخل الى الريف لعرض القضية على ابن عبد الكريم، وهو مزود بالصلاحيات الادبية من طرف فرنسا مباشرة، واسبانيا عن طريق حليفتها، حتى أن المقيم العام أكد له بأنه اذا توفق فى الاحراز على موافقة ابن عبد الكريم، فانه يأمر بالهدنة فى الحال، ويقال بأن المقيم العام كان صادقا على أن ينهى قضية الريف بالوسائل السلمية. السلمية .

وقد وصل غوردون الى تركسيت حيث كان يوجد الامير امحمد الخطابى بعدما رجع من جبهة تطوان، فانكبا معا على الحوار، بينهما لايجاد صيغة تتلاءم وما عرضته الدولتان من الحكم الذاتى، وكان ابن عبد الكريم مطلعا على مراحل الحوار نقطة نقطة، فاسفر النقاش على مشروع الاتفاق، وكان يتضمن بنودا تسعة مجملة فيما يلى :

1 ــ الموافقة على الحكم الذاتى .

2 ــ تحت السيادة الروحية لسلطان المغرب .

3 ــ ترك الباب مفتوحا للتجارة والتعريفات الجمركية المقررة فى المغرب .

4 ــ انشاء قوة للشرطة للامن على نسبة وغرار الشرطة فى منطقة الجنوب، وتسلح بالاسلحة الضرورية على أن الفائض يباع فى الخارج أو يدمر .

5 ــ عدم دخول الريف فى أية معاهدة مع الدول الاجنبية، على أن تمثل اسبانيا وفرنسا مصالح الريف الخارجية .

6 ــ لقب رئيس الحكم الذاتى فى الريف هو الامير .

7 ــ تكون تطوان عاصمة ذلك الحكم .

8 ــ تكون مليلية وسبتة والعرائش خارجة على منطقة الحكم الذاتى .

9 ـ تتألف منطقة الحكم الذاتى من قبائل نهر ورغة وجبالة زيادة على قبائل الريف .

ورغبة من المستر غوردون فى أن يتأكد من موافقة ابن عبد الكريم شخصيا على المشروع، فقد طلب مقابلته فى تماسينت، فهيئت له تلك المقابلة، واتصل به فعلا بواسطة صهره أزرقان وبحضور بوجيبار، الذى أعلم مسبقا غوردون بان ابن عبد الكريم أطلع على المشروع من قبل أخيه، ولما أطلعه عليه قال ابن عبد الكريم له أنه متفق عليه كليا، فلا حاجة لمزيد من الايضاح .

وفى حفلة عشاء أقامها الامير للمبعوث أبلغه هذا الاخير انذار الجنرال «بوشو» فيما يخص الالحاح على الصلح، قائلا انه اذا لم يوافق ابن عبد الكريم على الصلح فان قوته ستقسم الريف الى شطرين بأن تخرج قوته من تازا الى أن تصل الى أجدير، وقد علق على الانذار ابن عبد الكريم، بأن الامر ليس كما يعتقدون من السهولة، ولكن على أى حال، فانه لا يضع السلاح ولو يعمد الى حرب العصابات فى جبال اغمارة وجبالة، ومع ذلك فقد كان متفائلا، فراح يفاوض ضيفه فيما يخص المعونات الطبية التى تتوقف عليها معالجة الجرحى فى المستقبل، ولاجل تأكيد موافقته على الصلح، زود المبعوث برسالة مؤرخة فى 16 جمادى الاولى 1344 تتضمن تفويضه بأن يستلم شروط الصلح، التى عرضتها فرنسا واسبانيا فى شهر يوليوز 1925 .

وهكذا سافر المبعوث الانجليزى الى باريس، ووصلها يوم 30 دجنبر 1925، وفى اعتقاده أنه قام بمساعى حميدة، لانهاء مشكلة الدم المراق بين الجانبين، ونظرا الى أن المقيم العام مسيو ستيغ، كان ينطوى على نية حسنة، فانه بعث برسالة اليه يهنئه فيها على نجاحه فى المهمة الموكولة اليه .

الى هنا وصلت اللعبة الفرنسية مع مستر غوردون الذى حملته متاعب أدبية ومادية، والتى نقضت كل ما غزله فى طرفة عين .

ذلك أن الوزارة الفرنسية التى كان يرأسها مسيو بانلوفيه سقطت وخلفه على الرياسة وزير الخارجية مسيو بريان، ورغم أن هذا الاخير كان قد وافق على شروط الصلح، وبعث الانجليزى ليحمل تلك الشروط

الى الريف، فانه بمجرد ما حل فى رياسة الوزارة، تنكر لكل ما جرى، بل وصم المبعوث فى خطابه بمجلس النواب بأنه فضولى متطفل، مغامر أجنبى، صنيعة المصالح التجارية البريطانية، وان عمله كان بايحاء من الطامعين البريطانيين فى امتيازات مناجم الريف المعدنيـــة .

وكانت البواعث الحقيقية لقلب ظهر المجن للريف، والمبعوث اليه ليست تلك الاوصاف التى شاء مسيو بريان أن يوصم بها الرجـل الذى سعى لمساعدة الطرفين، على حقن الدم، وانما كانت تلـك البواعث هـو الخضوع للطغمة العسكرية التى الحق بها العار فى المعارك العسكريـة التى جرت بين الطرفين، فكانت ترى أنه لا يمحو ذلك العـار الا باذلال الريف، تحت سنابك خيولهم، وتحت دوى مدافعهم، وأزيز طائراتهـم، ووسائل الدمار كلها، خصوصا وانه تراءى لهذه الطغمة أن وسائل الاذلال تحت أيديهم، بعد النزول فى الحسيمة من طرف الاسبان، واحتلال ضواحى أجدير، واكتساح الجيش الفرنسى فى نفس الوقت لقبائل بنى زروال، ومرنيسة، وغيرهما من قبائل ورغة مع استرجاعه للحصون المحاصرة، أو المحتلة شمالى ورغة، فما كان من الحكومة الفرنسية الا أن وصمت الرجل بما لا ينبغى، تسترا لنكوصها، وفى هذا الصـدد قال الكرونيـل «دوماس» أن مشروع ستيغ الذى كلف به غوردون، والذى كان يقضى بصلح مشؤوم على فرنسا قد أهمل وأقبر من قبل حكومة فرنسا، عندما ارتفع الاحتجاج ضد المشروع .

وقد يكـون احتجاج العسكـريين الاسبانـين أكثر لجاجا مـن زملائهم الفرنسيين ويظهر أن مسيو ستيـغ قد صدم فى محاولتـه، من احتجاج العسكريين الذين رضخت حكومة «بريان» لهم، ولكن مع ذلـك لم ينثن عن عزمه، فسعى لدى حكومته، وحكومـة اسبانيا، لاجل فتـح مفاوضة جديدة مع الريفيـين .

وهكذا توصل الجميع الى الاتفاق على عقد مؤتمر وجدة، الذى مثل الريف فيه ناظر الخارجية السيد محمد أزرقان، الذى زود برسالـة تفويض من طرف الامير، وقد نشرنا الرسالة فى الجزء الاول، وكان معـه احمد شدى وحدو الاكحل ورأس الوفد الفرنسى الجنرال موجان، وافتتح المؤتمر فى 15 ابريل 1926، واستمر النقاش الى مدة 15 يوما، وفـى



الوفـــد الريفى فى مفاوضـــة وجـــدة
ويتكـــون من الشيخ محمد أزرقـــان،
وحدو الاكحل، واحمد شدى فى حديث
مـــع الجنـــرال الافرنســـى

هذه الاثناء قامت قيامة العسكريين الاسبانيين والفرنسيين مرة أخـرى، واحدثوا ضجة صاخبة، صاحبت المفاوضة، مما جعل مشروع المفاوضة الذى قدمته الدولتان فى صيغة مهينة للريف، تماما فى بنديـه 2و4، ولا يمكن قبولهما، وذلك لان هذه المفاوضة كـانت أيضا ضد آراء المقيـم العام الفرنسى المتساهلة مع الريف، فقد جاء فيهما: نزع سلاح القبائل، وابعاد ابن عبد الكريم عن الوطن، أما البندان الاول والثالـث، وهما : (1) الولاء للعرش المغربى، (2) واطلاق الاسرى فقد قبلهما الوفد الريفى حالا. لان الاول مبدأ غير منازع فيه بتاتـا .

الا أنه لما وقع الشروع فى المفاوضة أصر الفرنسيون والاسبان على اطلاق سراح الاسرى حالا، والسماح لقوتهما باحتلال بعض المواقع الاساسية كمقدمة لعقد المؤتمـر .

واذا كان هذان الشرطان الاخيران قد ألقى بهما كحجر عثرة أمام المؤتمر، فانه لم يعد هناك مجال للشك، أمام الوفد الريفى من أن القصد هو التذرع بالتدخل العسكرى، وذلك ما دعى السيد أزرقان رئيس الوفد أن يعقد مؤتمرا صحفيا لفضح المؤامرات الاستعمارية .

ونترك هنا للمراسل الامريكى «ولتر هاريس» الذى كان حاضرا فى المؤتمر الصحفى، ليحكى لنا الانطبـاع السىء، الذى أحدثته تلـك الشروط لدى الوفـد الريفى، والدهشـة التى أصابت وفدى الدولتـين الاسبانية والفرنسية، من عقد المؤتمر الصحفى، فقد قال: «ان الانطباع الذى تركه هذان الشرطان فى الريفيين كان انطباعا سيئا جدا، وقد اعلنوا أنهم مستاؤون، لانهم اجتذبوا الى مائدة المفاوضات بمزاعم زائفة» .

«وفضح ازرقان هذه المحاولة أمام مراسلى الصحف، على اعتبارها احتيالا، الامر الذى اذهل المندوبين الفرنسيين والاسبانيـين، وأثـار حفيظتهم، لكنهم لما كانوا استخدموا أنفسهم وسائل الاعلام ذاتها، فانه لم يكن فى مقدورهم الاعتراض على سلوك الريفيـين المنهج نفسـه».

وقال أزرقان عقب اندهاش الجميع من المؤتمر الصحفى، «أنه ليس لدينا أسرار، وفى نيتنا أن نعرض الامور جميعا بصورة علنية» .

واثر ذلك انسحب المندوبون الريفيون الى تورريت .

هذا ما قاله هاريس، ومن المعلوم أن هذا المراسل يكاد لا يخفى

طعناته للريف فى كتاباته، كما سبق أن أشرنا اليه، ولذا راح يحاول تفسير عدم قبول الوفد الريفى لاطلاق الاسرى، من أنهم ربما كانوا قد لقوا حتفهم فى ظروف غامضة، الى غير ذلك مما تخيله، روى لى السيد احمد شدى (لازال حيا)، ان المفاوضة كانت تجرى فى مدينة وجدة وان الوفد الريفى بعدما أطلع على البندين الاول والثالث، طلب مهلة للذهاب الى الريف، للتشاور مع ابن عبد الكريم، فجاء السيد احمد شدى وحدو الاكحل الى تاوريرت، حيث ركب كل واحد منهما طائرة حربية فرنسية الى أن نزلا فى تماسينت، حيث كان ابن عبد الكريم فى مركز سيدى عبد الله بن يوسف، أما أزرقان فقد جاء عن طريق البحر، وامتنع من ركوب الطائرة الحربية، ونزل فى السوانى، ومن مركز والدى تكلم مع ابن عبد الكريم تليفونيا .

ولم يستطع هاريس أن يقول ان الشرطين المعروضين لم يكن لاحد أن يقبل تنفيذهما قبل المفاوضة الا من كان له عقل أرب، وعندما عاد الوفد الريفى يوم 26 ابريل الى وجدة اعلنوا رفضهم للشروط، وكانت حركة استنزاف المجاهدين المستمرة بلغت أشدها .

الهجوم العام

وعندما استكمل العدو تنظيماته العسكرية والتموينية فانه لم يبق أمامه الا الهجوم العام، الذى قررته القيادة العليا .

ففى 8–9 و10 ماى 1926 انطلقت العمليات الحربية الشاملة ضد مراكز المجاهدين، وكانت على الشكل التالى :

توجهت الى أعالى أجدير فى المعركة التى دعيت معركة «ابلوقا» خمس طوابر اسبانية، وهى طابور فيسر وطابور الكرونيل بالميس وطابور الجنرال دويا وطابور الجنرال بونطى بالخيالة، وقد التحمت فى آيت هشام مع قوة القائد موح بن المدنى البقيوى، وبابلوقا مع قوة موح بن عمر أبا محند، من بنى عبد الله، وفى اثناء المعركة قتل قائد بقيوة موح بن المدنى وفت فى رجال بقيوة، وجرح هناك الهادى بن دادى التسولى، وقد كان قد أطلق سراحه الفرنسيون حديثا، حيث القى عليه القبض فى الغزوات من الجزائر، ذلك أن حدو الاكحل

كـان اشتـرى زورقا بخاريـا من وهـران ليأتـى به للريف وكلـف الهادى المذكور، والعربى بن محند بن عيسى من ايجار عياش وعبد السلام امنوض من أزمون، وعمر بن الحاج عيسى من أزفزافا، لاجل أن يقودوه من وهران الى أجدير، ولما وصلوا بالزورق الى رأس ورك، هاج البحـر، واشتد هيجانه، فألقت الريح بمركبهم فى الغزوات، فألقى عليهم الفرنسيون القبض، وسجنوا هناك لمدة 150 يوما، وعنـد نزول الاسبان بالحسيمـة أطلق سراحهم، حيث عمدوا الى استخدام الهادى المذكور لحمل رسالة الى ابن عبد الكريم من طنجة مكنه بها كبطان يدعى «فرنيش» فى اسم المقيـم العام الفرنسى يعلمه فيها باعلان الحـرب على الريف رسميا تضامنـا مـع اسبانيـا .

وقصد الهادى مركـز سيدى عبـد الله بن يوسف حيث سلمـه الرسالة ثم التحق بالمجاهدين .

أما جهة السوانى فقد انطلق رأس رمـح من مجموعة الطوابـر بقيادة الجنرال كسترو خيرونا، وكان المجاهدون قد حولوا مياه وادى غيس لاحداث فيضان على سهل المزمة، لعرقلة تقدم الاعداء وبالاخص الخيالة، ولكن يظهر أن مفعول ذلك لم يكن قويا، نظرا الى أن مياه الوادى فى ذلـك الابان يكون ضحلا لا يغنى شيئـا .

أما قوة كمندان باريلا الاهلية، وقوة التلينتى كرونيل «ابرياث» مع طابور من اللفيف الاجنبى، فقد انطلقت نحو اجدير، ووقعت علـى جميع الجبهة من شاطىء السوانى الى ابلوقا معارك ضارية استمات فيها المجاهدون، وكبدوا العدو خسائر فادحة فى الارواح، والمعدات فى جميـع الجهات، وكانت معركة هضاب المزمة أشد عنفـا، واستشهد فيها أعمامنا الثلاثة: قائد 300 عمر بوثجرنيت، وموح بلاح وعلى ابنا الحاج محمـد، وهذان الاخيران احتميا فى حفرة يحصدان جيش العدو حصـدا برصاص بندقيتهما، حتى اذا جرح احدهما بقى الآخر يستعمل البندقيتين معـا، اذا سخنت احداهما استبدلها بالاخرى، فتفطن بهما العدو، ورمى عليهما قذيفة يدوية مزقتهما اشلاء، ودفنا فى المحل نفسه، رحمة الله عليهم جميعا.

وقتل فى قرية ازغار من قـواد المغاربة المحاربين فى صفـوف العدو، موح أزحـاف، قتل فى داره، حيـث دخلها واستبدت به نشـوة

الانتصار، فصعد حينا الى سطحها، حيث رماه احد المجاهدين فقتله، كما استشهد هناك القائد البطل المرابط علوش المرابط كما ذكرنا .

ورغم ضراوة القتال على جميع الجهات، فقد انتصر العدو في هجومه العام، واستمر رمح الجنرال كسترو يتقدم ببطىء تحت نيران المجاهدين الى أن وصل يوم 20 ماى الى سوق اثنين بنى بوعياش الذى لا يبعد الا بمقدار 15 كلم .

ومن هناك تفرقت الطوابير، فتفرع عنها رأسا رمحين اثنين، احدهما توجه جهة تماسنت، حيث التقى مع القوة التى صعدت على وادى غيس، والرمح الثانى تسلق هضاب بنى بوعياش، قاصدا قريتنا الرابطة التى دكها بقنابل الطائرات دكا، وهدم ديارنا على أساسها، كما توجهت طوابير أخرى على وادى النكور الى أن وصلت الى «مابان»، حيث قنطرة النكور الآن، وجعلها الجنرال كسترو مقرا للقيادة العامة الشرقية لبنى ورياغل .

أما طوابير ابلوقا فقد تكون عنها رمحان احدهما توجه الى جهة سوق احد الرواضى ببقيوة والآخر اكتسح هضاب الضفة الغربية لوادى غيس الى أن التقى فى تماسينت مع رأس الرمح الذى توجه من اثنين بنى بوعياش .

معركة بوصالح :

تقع قرية بوصالح فى أعالى وادى غيس، تحت سفوح جبل حمام، ويوجد فى هذه السفوح مركز سيدى عبد الله بن يوسف، الذى كان نقل اليه الامير ابن عبد الكريم المركز العام للعمليات الحربية، بعد النزول فى الحسيمة .

وبعدما انكشف مركز تماسينت أمام طيران العدو، الذى يصبح ويمسى فى اسراب روتينية اسبانية أو فرنسية، تدكه دكا، وكانت قرية بوصالح هذه مخزنا للسلاح الذى أبعد عن مواقع الخط، واثر هذا الهجوم العام، فقد أصبح المجاهدون فلولا مبعثرة، لا تربطهم قيادة موحدة، وكانت تلك الفلول فى قتالها تكون عصابات، تناوش العدو هنا وهناك، لتؤخر تقدمه لكى يصل الذرارى والنساء الى رؤوس الجبال، لتتحصن

من الدمار، أما رجال قبيلة بقيوة فقد استسلموا بمجرد ما تخطى العدو معركة ابلوقا، وبمجرد ما قتل قائدهم موح بن المدنى، أما فلول بنى ورياغل فقد هرع اكثرها الى حيث يوجد مركز المجاهدين العام على ضفاف وادى غيس العليا، فتجمعوا هناك، للدفاع المستميت، وقد تجمع هناك خلاصة الشجعان، منهم المجاهدان المغوار: موح ازذاذ الكلتومى ومحمد قيشوح العروصى، هذا الاخير أعدمه الاسبان باثنين بنى حذيفة بعدما استسلم عند الامان .

وبعدما استراح العدو فى تماسينت لتنظيم صفوفه بعض الوقت، كر متقدما فى هجوم على تلك الضفاف فاصطدم مع المجاهدين الذين أصلوه نارا حامية، انهزم اثرها، وكبدوه خسائر فى المعدات والارواح، حتى قيل أن الدم اختلط مع ماء وادى غيس، فجرى كله دما قانيا.

وقد ساعد على الهزيمة ان السماء امطرت مدرارا، فصبت مزاييها هناك بالماء، والبرد، أودت بالجيش والبهائم، فاختلط حابله بنابله، وكانت كارثة عليه مهولة، فرجع القهقرى .

ابن عبد الكريم يستسلم

واثر هذا الهجوم الذى احس فيه ابن عبد الكريم بشد الخناق عليه، فانه تنكب هذا المركز، وانتقل الى بنى حذيفة، اذ نزل بقرية كمون وترك عائلته هناك، وانصاره محتفظين بالاسرى، وتوجه هو الى جبل تزمورين اذ حشر هناك المقاتلين .

وفى أثناء ذلك فان فلول المجاهدين تلمست التسلل الى جهات مختلفة .

وأصبح الجيشان الفرنسى والاسبانى يتسابقان للقبض على الامير والاستسلام لديه .

وضعية الجيش الفرنسى

وكان الجيش الفرنسى ابتداء من أكتوبر 1925 قد تقدم من جهته على الجبهات المختلفة فقام الجنرال دوران بهجوم فى اكتوبر بطابور السبايسى على قبيلة كزناية، واصطدم مع المجاهدين فى معركة

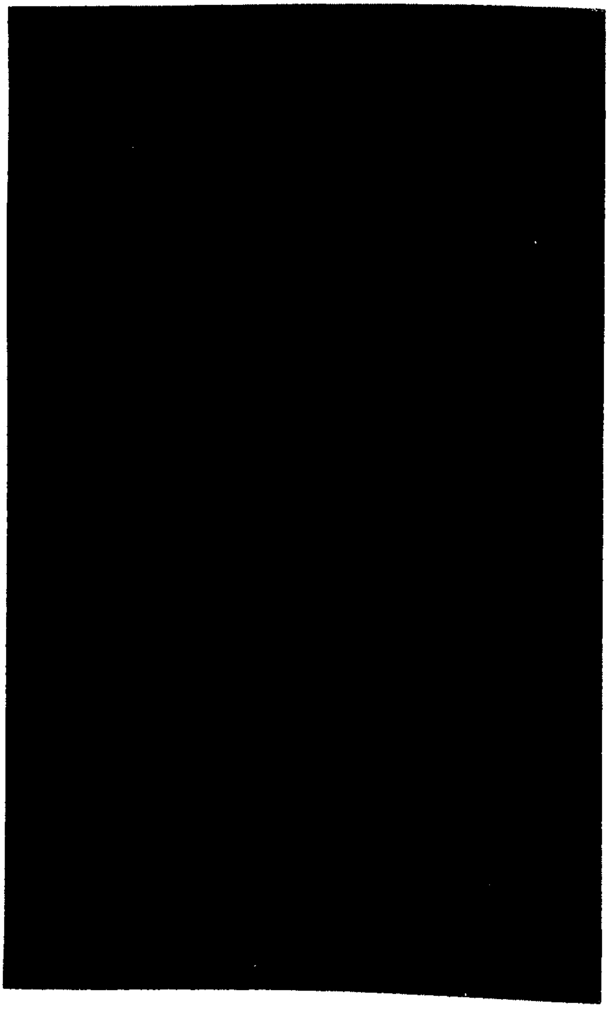
سيدى على بوعقبة، فى الجبال المتأخمة لقبيلة بنى توزين، وكان يدافـــع على هذا الخط من المجاهدين الحاج شعيب بن دودوح التمسمانى وموح ابن عمر أختو الكزنايى، وقد استمات المجاهدون المنسحبون مع وعورة الارض وطبيعة القتال فيها، وكانت قوة الجنرال دوران لم تستطـــع أن تصمد فتقهقرت الى الوراء فى حالة جد مزرية، تكبدت خسائر فادحــــة، وبعد لاىء وصلت الى مركز بوينوض وسوق السبت عين عمر .

أما جيش الجندال جونشى الذى توجه جهة مطالسة وكان مؤلفا من السبايسى، فقد تقدم الى قلب مطالسة، كما تقدم طابور من خيالة الجنرال دويا الاسبانى، فالتقيا فى ثلاثاء أولاد بوبكر، فاتصلت يمــين القوة الفرنسية مع يسار القوة الاسبانية، وذلك بدون قتال عنيف، نظرا لتعزيز القوتين فى سهول مطالسة بالمدفعية الثقيلة .

وعلى جبهة وادى ورغة، فقد سبق ان ذكرنا أن قوة من الاهالى والسنغال تقدموا تحت قيادة القبطان «شيميت» وبمعاونة القائد المذبوح من كزناية، وعمر بن احميد، وطاردت القائد الخلادى، واحتلت هذه القوة قبيلــــة مرنيســـة .

أما على ضفاف ورغة فتقدمت القوة الفرنسية على خط تاونات فى جبهة عريضة، وصلت طلائعها تحت قيادة الجنرال ابيوس والكرونيــل كوراب والجنرال بوشو الى ضواحى مدينة تركيست، التى كانت مركــزا عاما للعمليات الحربية على الجبهة الريفية الفرنسية، وكان يدافع عنهــا القائد عمر بن علوش الذى انسحب من قبائل ورغة الى هناك، وتحصــن فيها، وعززه ابن عبد الكريم حين تواجده بتزمورين، بجماعة من المقاتلين الذين رافقـــوه، فانشبوا القتال مع طليعة كان يقودها الكبطان شيميت ليلا، ولكن فى الصباح تقدمت قوة فرنسية تحت قيادة الكرونيل كــوراب لتعزيز طلائع الكبطان شيميت، فقتلت من المجاهدين حوالى خمســين، وحينئذ استولى الجيش الفرنسى على مدينة تركيست، وتقهقر المجاهدون الى كمون، حيث يوجد بعض الحشود من المجاهدين الذين يقومون فضلا عن الاستعداد للقتال، بحراسة حوالى 380 أسيرا من كلتا الدولتين .

وقد كان ابن عبد الكريم فى هذا الحـــال مترددا بين أن يسلــم نفسه الى الفرنسيين، أو يتقدم الى جبال كتامة وبنى سدات ومسطاسة



الجنرال بريمو دى الريفيرا مع كبار ضباط
الغـــزو فى الحسيمـــة

ليجمع فلول المسلمير لمتابعة القتال فى تلك الجبال الوعرة، التى يمكن أن تكون عائقا للجيوش الغازية، ردحا من الزمان، ينظم خلاله صفوفه ويجمع شتات المهاجرين، وكان فى جبالة من قواد الريف احمد بودرة ناظر الدفاع، والشجاع احمد اخريرو ومحمد احمجيقا، والتمسمانيان السيدان عبد السلام ومحمد ولدا السى احمد المقدم، وغيرهم كثيرون، ومن جملتهم حوالى 7.000 مهاجرا من قبائل ورغة وغياثة والبرانص و فى صنهاجة كان يوجد القائد موح ارذاذ، اعصوصبت حوله تلك القبائل، وفى بنى عروص والاخماس وسماتة اعصوصبت حول الشريف احمد البقر.

غير أن عاملين اثنين قد غيرا تفكيره فى الحل الثانى.

1 ـ أنه علم أن الكرونيل الكباص، قد طار من الحسيمة الى مثار، حيث استقبل هناك القائدين الخلادى والبويحياوى، وان هذين الاخيرين عملا على استنزال معظم المهاجرين من الجبال، للالتحاق بهما، وتأليفهما فى جماعة من المرتزقة، كما عمل البويحياوى ـ وهو القائد القوى على قبائل غمارة ـ على ضبط تلك القبائل وسلكها فى طاعة الجيش الاسبانى، وبذلك سد الطريق فى وجه ابن عبد الكريم وبين المجاهدين الموجودين هناك.

حكى لى القائد الخلادى انه لما تحرك الجيش الاسبانى فى هجومه العام، فانه والقائد البويحياوى الاغمارى من قبيلة بنى سلمان، وكانا فى تركسيت مسجونين، افرج عنهما، وذهبا معا الى زاوية سيدى احميدو الوزانى باسنادة، ومن هناك توجها الى غمارة حيث نزلا بعائلاتهما فى مرسى مثار، وقد علم الكرونيل الكباص الذى كان فى نواحى الحسيمة فطار الى مثار حيث نزل بالموضع المدعو عين الحجر لمقابلتهما خوف ان يلتحقا بجبال غمارة، ويجمعا المجاهدين هناك، فلما التقى بهما وكان ضابط مغربى برتبة ملازم وهو خرخور فنزع من كتفيه نجمات الضابط والصقهما للقائد الخلادى، اما البويحياوى فقد نصبه حالا قائدا على غمارة، وحينئذ عملا على استنزال من يوجد من المجاهدين من رؤوس الجبال، فكون منهم القائد الخلادى فوجا من الحركة أرسلها الكباص بعد ذلك الى تطوان، أما القائد البويحياوى فانه وجد فى مثار مائتين من رجال غمارة كان وجههما قائد بنى سلمان من قبل ابن عبد الكريم المدعو اخنينو، لاجل أن يلحقوا بالريف فأمرهم البويحياوى بأن يذهب خمسون

منهم ليعترضوا على حدود الاخماس، وخمسون يهجمون على القائد اخنينو، والباقى يسير معه للقبض على القائد عبد الكريم الختاش .

2 ـ انه مثقل بعائلة تضم 60 نسمة من بين الاناث والاولاد، وانه اذا تقدم بها أمام قبائل غمارة، فلا يأمن، كما أنه مثقل بالاسرى الذين يجرهم كرهائن لديه، لان يلعب بهم الورقة الاخيرة الرابحة عند الحاجة .

وحين اختار الحل الاول، وهو الاستسلام الى فرنسا، فانه توجه من جبل تزمورين الى الزاوية الوزانية باسنادة، وكان يرأسها الوزانى سيدى احميدو، وهو شريف غير محارب، الا أن زاويته كانت مقصدا للوافدين من المجاهدين الذين يجدون فيها ترحابا، فكانت له حرمة الشرفاء فى الريف .

ولذا رأى ابن عبد الكريم ان السبيل للاستسلام بصورة مشرفة تكون بواسطة هذا الشريف، فقصدها مع 25 من مشاوريه وحراسه، بينما ترك أخاه امحمد وعمه عبد السلام فى كمون يستقطبان معهما من بقى من المجاهدين استعدادا للطوارىء .

وهذه قصة عملية الاستسلام حسبما رواها المراسلون الاجانب، فى ذات الوقت، وعلى رأسهم هاريس مراسل التيمس على ما فى أفكاره من تحيزات سافرة فى بعض كتاباته ورواها العسكريون الفرنسيون الذين حضروا الاستسلام، كما رواه شاهد عيان من رجال الريف .

لم يقصد اسنادة الا وقد قر رأيه على انهاء نضاله بصفته الشخصية، كزعيم للثورة، وترك الحرية للآخرين من القادة أن يختاروا المسلك اللائق بهم، فلم يعمد الى اصدار نداء الى رفاقه لوضع السلاح، كما هو الشأن عند قواد الثورات المغلوبين، وقد حكى لى أحد الذين كانوا حاضرين للاستسلام، انه لم يستجب للكرونيل كوراب فى مطلبه باصدار نداء يلقى بواسطة الطائرات على مواقع المحاربين فى الريف، وغمارة وجبالة يدعوهم فيها لوضع السلاح، وهو أمر يخالف ما ذكره المراسل هاريس عن نوايا ابن عبد الكريم «من أنه كان يقصد الحصول على موافقة القبائل على شروط الصلح بالتشديد على وجود العدو وسطهم لقد أوقف الاسبانيين فى تقدمهم من الشاطىء، أما الفرنسيون

فسيعودون الى محميتهم عند احلال السلام، ولسوف يظل سعيدا فى منزله الخاص، وانه أرسل من سنادة رسالة الى المقيم العام ستيغ يلح فيها على فتح مفاوضة السلام» .

ان هذا القول غير وارد عمن حضر الاستسلام، ومنهم السيد محمد بن عمر الولقاضى (لازال حيا)، الذى لازم ابن عبد الكريم كالظل بعدما تخلى عن محكمة بوهم التى كان يشرف عليها، والتى كانت مخزنا للسلاح والمؤن من أموال الزكاة التى ذكر أنه حاسب بعض الاشخاص المكلفين بجمع الاحباس فادانهم وسجنهم فيها، الى أن أطلق سراحهم الجيش الاسبانى .

وعليه فان ما قاله هذا المراسل يعتبر من تخيلاته، لان الوقت لم يكن فيه متسع لتوجيه مثل هذه الرسالة التى يعرف ابن عبد الكريم قبل أى أحد، انه لا جدوى من ورائها، باعتبار أن الرجل واقعى حسب اطباق المراقبين على حصافة رأيه، فلا يمكن له أن يتشبث بالسراب فى آخر مرحلة نضاله البطولى .

وعليه فان أول ما فكر فيه هو أن يبعث الشريف السيد احميدو للذهاب الى تركسيت، للاتصال هناك بقائد الحملة الفرنسية للبحث معه فى شروط الاستسلام، فوافق مبدئيا، وبكل تلهف أن يستسلم فى يد القوة الفرنسية، وهو مكسب أدبى كبير لفرنسا، قد اغاض القوة الاسبانية الى حد بعيد، حتى أدى بقادتها ان يطلبوا من فرنسا تسليمه اياهم، بدعوى الاقتصاص منه لاسرى الحرب .

وعندما عاد الشريف الوزانى برسالة من الكورونيل كوراب بتأكيد المحافظة على سلامته، وسلامة عائلته وأمواله، شريطة أن يطلق الاسرى حينا، أصحبه بضابطين فرنسيين احدهما برتبة كبطان يدعى «سوفران» والآخر برتبة ملازم يدعى «مونتان» ومدنيين فرنسيين أيضا وهما باران والدكتور غود للاعتناء بالاسرى المطلوب اطلاق سراحهم حالا، ووصل الجميع الى اسنادة يوم 24 ماى 1926 على الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم يستقبلهم الا فى الساعة السابعة، ونترك هنا كيفية أستقبال ابن عبد الكريم لهذا الوفد، لما ورد فى مذكرة الكرونيل دوماس الفرنسى الذى لم يكن على كل حال من جملة الوفد، وانما نقلها عن غيره

وهى تنم عن الرجل الفولاذى الذى يضبط نفسه عند الشدائد، قال: «كانت تلك مقابلة رسمية كما كان الامر فى أجدير، عندما كان الامير فى أوج قوته، جلس عبد الكريم فى غرفة مفروشة بالسجاد والوسائد، ومزينة بالسجف، يحيط به عشرة من مشاوريه العاديين، ونهض لدى وصول الوفد وقدم اليهم وزراءه، كان وجهه خاليا من كل اثر للاضطراب، بل كان يبتسم كان م نالواضح أنه يوشك أن يلعب ورقته الاخيرة» .

وقال للوفد، «انا لست وحيدا، ان استسلامى سيهدم كل ما بنيته، وان رجالى ليثقون بى، وهناك قبائل كاملة ترغب فى مواصلة القتال، وواجبى هو أن أبقى معهم حتى النهاية، اذا ذهبت ما عساه يحل بهم؟ من يقودهم ويدافع عنهم؟ وعلى الاخص ضد الاسبانيين» .

وفى هذه الاثناء جرت محاورات بينه وبين الوفد طالت مدة ساعتين، حاولوا اقناعه بعدم جدوى القتال، وعقب ذلك طلب مهلة، فتحول الى غرفة أخرى للمشاورة مع مستشاريه طبعا، ولا نعلم ان كانت الزاوية تتوفر على تليفون ليتصل بأخيه بكمون، ولكن على كل حال فقد عاد ووافق على اطلاق سراح الاسرى، بما فيهم الاسبان، وكتب رسالة الى الكورونيل كوراب يعلن فيها موافقته على الاستسلام، ويطلب فيها ارسال قوة الى كمون، ويقول السيد محمد بن عمر الولقاضى فى تقييدة له ان القيادة الفرنسية بتركيست وجهت الى كمون للمحافظة على العائلة فرقتين فرقة من رجال القبائل، تحت قيادة المذبوح الكزنايى وعمر بن احميدو المرنيسى والبشير الزمرانى التسولى، وفرقة من الجيش الفرنسى، وان القوة المذكورة حافظت على حرمة العائلة، كما حافظت على نقل الاموال بامانة، وان العملية لم تستغرق أكثر من 24 ساعة، وانما أرسلوا قوة مختلطة من المغاربة والفرنسيين رعيا لتقاليد المغاربة المرعية، حيث تكون أساليب الرحلة طبق التقاليد .

وعندما بعث رسولا حاملا رسالة القبول فان ابن عبد الكريم زار بعد ذلك عائلته فى كمون وقد وجد أن الطيران الاسبانى أغار على مقر العائلة، فقتل ثلاثة من المجاهدين، بينما وجد توترا شديدا يسود العائلة التى هى على وشك أن تسقط أسيرة فى يد الكفار، وسمع كثيرا

من الشكوك والارتياب من أقاربه الامر الذى عاد معه الى اسنادة متغير الملامح قلق البـــال .

قال عنه بوجبار ان ذلك خوفه من حيلة الغدر به وبعائلته وأمواله، وقد توجس الوفد خيفة من أن كل المحاولات قد ذهبت سدى، عندما صرح لهم قائلا: «أنا لا أبرح حرا، واذا شئت فانى أستطيع أن أدافـــع عـــن نفسى» .

ثم قال للفرنسيين «أنتم الآن تحت رحمتى، ويمكننى أن أحتفظ بكم كرهائن، لانكم وحدكـــم الذين فى قبضتى بعدمـــا أطلقت ســـراح الاسرى، الا أن الكبطان سوفران أجابـــه حالا، نحن ضيوف الشريـــف الوزانى مثلك، وهو وحده الآمر هنا، فاذا الحقت بنا الاذى تكون قـــد اعتديت على حرمـــة الضيافـــة» .

ولم يكن ابن عبد الكريم يقول ذلك عن جد، وانما تأثر بالمناظـــر التى خلف عليها عائلته، التى لا شك أنها كـــانت وضعية جد الارتبـــاك، فنفث ما فى صدره للتخفيف عليـــه، بفتح الحوار الـــذى انتهى بأن كتـــب القبطان سوفران رسالة أخرى الى الكورونيل كوراب يطلب منه بالحاح حماية عائلته، فما كان من هذا الاخير الا أن وجه اندارا لابن عبد الكريم بأن يستسلم أو يقاتل، ووصل الانذار يوم 26 ماى 1926 .

وقد قال اليونتان «مونتان» فى انطباعاته على الرجل «أنه كان يبدو خلال الساعات المؤثرة فى نظر أولئك الذين حاولـــوا اقناعه بعـــدم جدوى الاستمرار فى القتال، كرجل دولة بربرى حقيقى، مدرك لمسؤولياته وواجبـــاتـــه» .

يعنى أنه فى حالة انضباط نفسانى لا يتخطى العبارات اللائقـــة انتى تلقى فى مثل هذه المواقـــف .

وبعد هذا الحوار زالت عنه علامات التذمر تلك، فرجعت سحناته الى طبيعتها، وكتب رسالة الى الكورونيل كوراب بالاتفاق على الاستسلام، وضرب موعدا لوصوله الى تركيست صباح يوم 27 ماى .

وفى الساعة الواحدة ليلا دخل على الضباط فى غرفتهم، فقـــال لهم حان الوقت لاذهب، وسأكون مستعدا خلال ساعة واحدة، ثم أمـــر اتباعه المخلصين الذين كانوا معه أن يذهبوا الى كمون، ثم خرج وامتطـــى

جواده كما امتطى أخوه امحمد من ورائه وعشرون من اصفيائه، وتابعوا السير ليلا، ولم يترك لاحد أن يقترب اليه، وكان سكوت مطبق رهيب لا تسمع فى سكون الليل الا سنابك الخيل ماعدا ما يحدث أحيانا فى أدغال الطريق حيث يقوم الريفيون الذين كانوا ينتظرون الساعة الرهيبة، فيندفعون اليه اندفاعا تلقائيا، ليقبلوا ركابه وينتحبون كالنساء لفراقه، أما هو فيسير ضابط النفس مترفعا عن التأثر.

وعند فجر 27 ماى كان هناك فى تركيست الجنرال الفرنسى ايبوس مرفوقا بالكورونيل كوراب، ووراءهما جنود الفرقة الاجنبية، وكتيبة من المغاربة مصطفين لتأدية التحية العسكرية، فتقدم الجنرال والكورونيل لتحيته، وقدمه الكورونيل للجنرال فقال ابن عبد الكريم للجنرال انى أسلم نفسى واملاكى الى فرنسا، وانى على ثقة من كرمها، فرد عليه الجنرال قائلا، انى أشكرك لتضحيتك بنفسك فى سبيل السلام بين شعبينا وستكون فرنسا شاكرة لك.

ثم تقدم كوراب وأخذه واخاه الى خيمة أعدت لهما، وقال لهما ان أسرتكما ستصل غدا.

وبعد ساعة اذاع الجنرال ايبوس بواسطة الراديو من تركسيت استسلام ابن عبد الكريم الذى وضع نفسه تحت رحمة الدولة الفرنسية، وان الانتفاضة الريفية قد انتهت، ثم أعلنت فرنسا بأن عدوها المغلوب لن يتعرض للانتقام.

وفى غده وصلت أسرته بجميعها، كما وصلت منقولاته، وكان مكلفا باستقبال العائلة الجنرال جيرو، ونقل الجميع الى مدينة تازا، ومنها الى فاس.

وهنا تنتهى قصة ابن عبد الكريم وحاشيته.

ان الفرنسيين غادروا تركسيت بعدما أحرزوا على الغنيمة الثمينة التى لاجلها جعلوا أنفسهم فى موضع المسابقات الرياضية ضد اسبانيا، فانحدروا بسرعة فائقة عن جبال وادغال قبائل صنهاجة الشمالية، حيث لم يجدوا عراقل القتال المستميت أمامهم، عكس الفريق الاسابنى المنافس فى تلك المسابقة، الذى حاول أن يتسلق أغوار بوصالح وسيدى عبد الله بن يوسف وهضاب بنى عبد الله، فوجد أمامه قتالا

مستميتا رد على أعقابه ولو لوقت ما، ذلك ما دعاه أن ينتقم بطائراته المغيرة على قرية كمون، حيث كان يعتقد أن ابن عبد الكريم موجود ثمة، وكان يجهل تماما أنه فى زاوية اسنادة، والا كان تغير اتجاه رأس رمحه الذى ربما لم يكن وجد فى طريقه عائقا مثلما وجده فى مكان آخر.

وعلى كل حال، فان اسبانيا اكتفت بعدما سمعت عن طريق الراديو صوت الجنرال الفرنسى ايبوس، ينطق من تركيست باذاعة النبأ العظيم، اكتفت بأن قالت: لقد ظفرنا .

ومع ذلك، فانه كان عليها أن تتابع الحرب ضد جيوب المجاهدين الذين تكونت من هنا وهناك فلم تظفر فى الواقع الا فى يوليوز 1927.

ذلك أنه فى بنى بوعياش كان والدى مع جماعة من المجاهدين أقاموا معسكرا دفاعيا عن جزام فرقد ــ بنى بويخلف ــ وكان الجنرال كسترو جيرونا نازلا بثقله على موضع قنطرة وادى النكور، وكان يدعى «مابان» فلما حاولت قواته أن تتسلق هضاب بنى بوعياش، اصطدمت مع هذا الحزام، وكانت طائراته تلقى الرعب فى النساء والذرارى المجتمعين فى سفوح جبل حمام «بايجاروانو»، فلما صد جيش الجنرال كسترو عمد الى الوسائل السلمية، يراود عن الاستسلام وعدم التحرش، نظرا للحصار المضروب من جميع الجهات، ونظرا لانشغال المجاهدين بعائلاتهم .

فبعد اتصالات ومحادثات دامت أياما رضخ والدى للاستسلام، حيث رجعنا جميعا الى قريتنا «الرابضة» التى تركت ديارنا فيها قاعا صفصا كما سيأتى .

أما جهة تركيست فان المجاهد موح ازذاذ الورياغلى استقطب حوله المجاهدين فى قبائل صنهاجة السراير، حيث استطاعوا أن يقاوموا تقدم القوات الثلاث التى كان يقودها الكرونيلات الثلاثة : بوطاس مولى، ولانس، وبعد قتال عنيف توصلت القوات المذكورة الى احتلال تبرنت وكتامة، وفى شهر ابريل 1927، حيث تجمع المجاهدون بتغزوت اصطدموا بقوتين اسبانيتين: احداهما تحركت من تبرنت ــ أى من الشرق الى الغرب ــ بقيادة الكورونيل مولى، والاخرى تحركت من قرية «تانزا» بقبيلة كتامة ــ أى من الشمال الى الجنوب ــ بقيادة الكورونيل

بوطاس، فاحتدم القتال شديدا، ولم تتغلب القوة المهاجمة الا بعـد مـا استشهد القائد الباسل موح ازذاذ .

أما فى جبالة التى كانت معقلا للمجاهدين من مختلف القبائـل الريفية منها والجبلية، فانه كان يوجد بجبل بوزيتون القائد احمد بودرة ومحمد احمجيقا، وفى بنى بدر القائد احمد اخريرو، وفى بنى عروص الشريف احمد البقـر، وفى نواحى بنى احمد الجبلية، كان يوجد هنـاك السيدان محمد التمسمانى وأخوه عبد السلام وكل هؤلاء القواد عملوا على استقطاب المجاهدين هناك حولهم، لمتابعة المقاومة التى كانت وضعت فى حسبانها أن تبقى جبال غمـارة ــ وهى الجبال الشديدة الوعـرة ــ صامدة أيضا .

وفى أواخر غشت سنة 1926 احتلت القـوة الاسبانية جبـل بوزيتون والقت القبض على القائد بودرة ومحمد احمجيقا .

وفى اكتوبر 1926 زحفت القوات الاسبانية على مدينة شفشاون من كل الجهات، شاركت فيها طوابير خمسة، وهى: طابور الكباص من ناحية غمارة، وطابور اسينسيو من العرائش، وطابور مارتينس موخى، وطابور بالميس، وطابور كانس .

جميع هذه الطوابير انطلقت من نقطة تطوان، فاحتلت قواتهـا مدينة شفشاون سلميا، بواسطة المفاوضة مع المجاهدين فيها، وذلك لما تحتلـه هذه المدينة من القدسية، فاكتفت تلك القوات بمحاصرتها ولـم تدمرها قتـالا .

وفى شهر نونمبر 1926 هاجمت قوة اسبانية قوة القائد اخريرو بقبيلة بنى بدر، حيث ضيقت الخناق عليها من الشمال والشرق والغرب، وكانت القوة المهاجمة تتألف من طوابر ثلاثة: طابور أباريس كوكى وطابور لوبيس غوميس، وطابور باشـو .

وبعد قتال عنيف سقط القائد اخريرو شهيدا، فتفتت قوة المجاهدين، واثـر ذلك اتجهت القوة الاسبانية لتحرير جبـل مولاى عبد السـلام، حيث يوجد الشريف احمد البقر يدافع عنها متحمسا، فتوجهت اليه قوتان اثنتان يقودهما البارس كوكى وكانس فاحتلته بتاريخ يونيه 1927 وتأخر الشريف الى جبل العلم، فتحصنت قواته على جبال بوهاشم وجبل سوكنى

وجبل خزانة فتعقبتها قوات اسبانية، تتألف من طابور الكورونيل البارس كوكى من الشمال الى الجنوب، وقوة المغاربة «حركة» بقيادة لوبس برابو انطلاقا من بنى يدر، وان هذه القوة كانت تضم رجال القائد الخلادى مع القوة التى كانت مع القائد سليمان الخطابى، ولم يحضر هذا الاخير معها.

وانطلق من الشرق الى الغرب الكورونيل كانيس، أى من سوق أربعاء بنى حسان، ومن خميس بنى عروس انطلق طابور اسينسيو — أى من الغرب الى الشرق .

ويعترف الجنرال غوديد فى كتابه أن قوة الكورونيل الباريس كوكى التى انطلقت من الشمال الى الجنوب، لاقت مقاومة شديدة، الامر الذى دعى الى بطىء التقدم لجميع الطوابير، واستمر زحف كل طابور الى أن اتصلت فى جبل العلم، ثم تقدمت مجتمعة بالهجوم على باب السطح بين جبل العلم وجبل بوهاشم حيث تجمعت القوة الاخيرة للمجاهدين، ولم يبق اذ ذاك الا معقل واحد للمجاهدين، تتشارك فيه قبائل بنى احمد وغزاوة وكلاهما قبائل قتالية عاتية، وذلك على الضفاف الشمالية لنهر لوكوس، حيث كان مركزهم بجبل «تاريا» هذا الجبل الذى دافع منه هؤلاء المقاتلون دفاعا مستميتا، فحشرت القوة الاسبانية امكانياتها الضخمة، بأن وجهت اليه طوابير سبعة حسب شهادة غوديد، انطلق كل طابور من جهة معينة، وهى: طابور اسينسيو، وطابور كوكى، وطابور مرتينس مونخى، وطابور بالميس، وطابور كانيس، وطابور الكباص، وطابور مولى .

وأقامت هذه الطوابر نصف الدائرة فى مساحة طولها 50 كلم، وهى مساحة القتال المحتدم، فجعلت تتقدم متوازية تضيق الخناق على المجاهدين، الذين ينسحبون رويدا رويدا الى معقلهم بجبل «تاريا»، فصغرت مساحة العمليات الحربية حيث تلاشى دفاع المجاهدين أخيرا، ودخل التمسمانيان الى الجنوب، قاصدين مركز الفقيه العبودى .

وختم المقيم العام الاسبانى الجنرال سان خورجو الذى عين فى شهر نوفمبر 1925 فى هذا المنصب خلفا للحاكم بأمره بريمودى الريفيرا الذى ختمت حياته بمثل ما ختمت به حياة غيره من الديكتاتورين الاوربيين

ففر الى باريس سنة 1929 حيث توفى هناك سنة 1930، ختمه بحشد الجيوش التى شاركت فى القتال، حشدها فى باب تازا من قبيلة الاخماس، يوم 10 يونيوز 1927، ليلقى عليهم الامر العام الذى أصدره، والذى ذكر بالامجاد التى حققتها قواته من تاريخ اسناد قيادة الحملة على الحسيمة اليه الى تاريخ الانتهاء .

واذا كان يحق للجنرال الفاتح أن يفتخر بأنه انهى الحرب التى انهكت القوة الاسبانية طيلة 18 سنة، حسبما جاء فى ذلك الامر، فانه لا يحق لاحد الكتاب من المغاربة فيمجد هذا الجنرال عند تعويم باخرة تحمل اسمه، تخليدا من طرف شعبه لعمله فى المغرب، فيضفى (أى الكاتب) عليه رسول السلم فى قصيدته التى نشرها فى مجلة «الاتحاد» عدد 17 (1) التى كانت تصدرها الاقامة العامة الاسبانية، حيث جاء فى مطلع القصيدة :

يا رسول السلم حيى الناهضين   واذع بشراك بين العالمين

— وأين هو من رسول السلم، وهو الذى يتم الاولاد، وأرمل النساء، وشوه الانسان، ودمر القرى بكاملها، وشتت السكان، حيث هاجر جلهم الى المناطق الجنوبية، تاركين أموالهم وأرضهم نهبا لعديمى الضمائر.

— وأين هو من رسول السلم، وهو الذى خان كلمة الامان التى أعطاها للمحاربين لكى يلقوا السلاح، فلما ألقوه جمعهم وألقى بهم فى غياهب المعتقلات بمليلية وسبتة والجعفرية، واستصفى أموالهم.

— وأين هو من رسول السلم وهو الذى جرد بعد الاستسلام حملات جيوشه لتجوب قرية فقرية لجمع الاهالى فى صفوف، لجلدهم أمام أهليهم وذويهم بالسياط، ووسائل التعذيب الجهنمى، بدعوى البحث عن السلاح، والسلاح ألقوا به حين الاستسلام، وانما الواقع استئصال البقية الباقية من المناضلين حتى لا يبقى ولا واحد من الاهالى بدون أن يمسه العذاب .

---

(1) محفوظة فى المكتبة العامة بتطوان .

ـ وأين هو من رسول السلم، وهو الذى جرد ترك الحملات فى أيام رمضان حشر فيها عملاءه، لكى يشهروا الافطار فى رمضان زيـــادة فى نكاية الضمائر فى دينها وعرضهــا .

ولاجل بيان الوضعية القاسيـــة على السكان التى خلفها وضـــع السلاح، نذكر ناموذجا للحياة التعسة التى أعقبت ذلـــك .

قريتـــى تـــروى قصـــة السلـــم ؟

الزمنى هذا السلم الذى غنى به هذا الشاعر، أن أروى قصة ذلك السلم فى قريتى، التى أصابها ما أصاب مثيلاتها من مجموع قرى أرضية الثورة، عقب الاستسلام، للتدليل على الامر الاخطل الذى جاء فى قصيدة المدح الرخيص، الذى لا يسعنا الا أن ننظر اليه نظرة الاشفاق على منشدها، أو نظرة التأويل، بأن الشاعر وضع فى موضـــع حرج، اثر الاحكـــام العرفية التى سادت الحالة العامة، فيكون معذورا، وانه لم يكن يعتقـــد فحوى ذلك المـــدح .

قريتـــى أيـــام الثـــورة

كنت صبيا فى الكتاب، وكانت القرية (الرابضة) ببنى بوعيـــاش فى ذلك التاريخ، بمثابة قاعدة عسكرية ـــ وأغلب القرى كذلـــك ـــ .

فمن جهة كان أبى يحتل بين قواد الثورة، مكانة، سبقت الاشارة اليها، بين ثنايا الكتاب بمناسبة ذكر الاحداث التاريخيـــة .

ومن جهة ثانية، كان أحد اعمامى، ويـــدعى عمر بوجرنيـــت، مكلفا بقيادة 300 مقاتـــل، ممن سلكوا فى تنظيـــم السكان فى وحـــدات قتالية نظامية، ولما كانت القرية لا تستوعب هـــذا القدر، فكان علـــى القرى المجاورة، أن تبعث بالمقيدين فى لائحة مأمورية هذا القائد فـــى أفواج بالتناوب، للتدريب على الانضباط العسكرى، وعلى الرماية . كل يوم، تلك التدريبات فى نغمات متئدة، ثم يعقبها التبارى بالرماية .

وبداعى الفضول فى الصبيان، كنـــا نمرق من الكتاب بالمسجـــد الجامع بالقرية مروق السهـــم لا نلوى على شىء، لنلتحق خلسة بتلـــك الصفوف، التى ملكت مشاعر السكان قاطبـــة .

ولما وقع الهجوم من طرف الجيش الغازى، وانقطع الاتصـــال

بين مراكز المجاهدين، وبالاخص مع قائد الثورة ابن عبد الكريم، فانه كان على كل قائد على حدة، أن يتصرف حسبما يراه .

وهكذا رحلنا عن القرية الى الجبال العليا ببنى بوعياش، وبالضبط بجبال حمام، التى ترتفع عن البحر بحوالى ثلاثة آلاف قدم، وقد استوعبت تلك الجبال سكان القبيلة بذراريهم فى محشر دنيوى .

وقد حملنا أثناء الرحيل على بهيمة خاصة قائد الثلاثمائة، الآنف الذكر، بعناية فائقة، لانه أصيب فى معركة أجدير برصاصة فى رأسه فنثرت دماغه، ومع ذلك عارك الموت بعناد، واستمر يرهق الراحلين لمدة أسبوع.

أما أبى فلم نكن نراه الا لماما، عندما يمر على المحتشد، ليتجاوزه الى جهة أخرى، حيث كان المقاتلون نظموا الدفاع طول حزام يتألف من خط أفقى يبتدئى من وادى غيس غربا ببوصالح — مارا بقرية آل الطاعة — ففرقد — فبنى بويخلف الى أربعاء توريرت بأعالى وادى النكور، وكنا نرى ثلاثة من القواد يتحركون وينظمون: والدى، والقائد حدو بن موح أمزيان، والشريف سيدى احمد بن الحاج عبد السلام البوعلمائى، وكان الثانى من أكابر مجاهدى بنى بوعياش ويوصف بالحنكة والدهاء، نتيجة ممارسته قيادة المراكز الامامية فى كزناية وفى بنى توزين قبل ذلك، وكان الثالث صاحب زاوية بوعلمة، وله حرمة الصالحين، وأقطاب الجهاد وقبل ذلك مباشرة كان يرأس الدفاع فى أزلاف .

أما العدو فقد كان قام بعملية المشط، للقرى التى فرغها سكانها بأسفل القبيلة، فقد احتل قريتنا تلك ودك الديار بالقنابل من الطائرات وبطريات المدافع، وتمركز فى جهته على حزام مضاد، يقود الجيوش الجرارة الجنرال كسترو جيرونا، وقد وضع قيادته فى وادى النكور، بموضع القنطرة الآن، وكان يدعى «مابان» .

وفى هذا الوقت كان ابن عبد الكريم قد استسلم وأسر بتركيست، ولكن هؤلاء المجاهدون لم يكونوا يعرفون ذلك .

ولما رأى الجنرال أن المقاتلين نظموا دفاعهم، فانه عمد الى ارهاب المحتشدات من النساء والعجزة والاولاد، بالطائرات تغدو وتروح، فى أسراب، ترجع صدى هديرها الوديان والشعاب، مع فرقعة القذائف المهولة من جهة .

والى فتح المفاوضات من جهة أخرى، لاجل أن لا يزج بجنوده فى متاهات ادغال تلك الجبال الشاهقة تقليلا للاصابات الجسدية ما أمكن، لعمله بأن رئيس الثورة قد انهى القتال، فلم يكن هناك داع للمزيد من اراقة الدماء .

وكنت أرى القواد الثلاثة يجتمعون هنا وهناك، يقتبلون أولئك الذين يأتون بما يستجد من الاحداث بينما القتال فى شبه ركود، الا ماكان من الطائرات التى تضيع قنابلها فى أعماق الاودية، كأنها ترمى بصفة عشوائية .

وهكذا لمدة أسابيع، لا أتذكر عدتها بالضبط، وكان رسول الجنرال الذى فتح المفاوضات، يصل الى دار القائد حدو فى بنى بويخلف، حيث يتصل بالواسطة، الذى يصل بدوره، حيث القواد الثلاثة الذين تماطلوا فى المفاوضة، نظرا الى أنهم أرسلوا الى حيث عائلة ابن عبد الكريم فى قرية كمون ببنى عبد الله، قرية القائدين الشهمين أحدهما المجاهد المكافح السيد عمر بن محمادى العبدلاوى، الرجل الذى أعدمه الاسبان، بمجرد وضعهم اليد عليه، لانه أوى ابن عبد الكريم الى قريته، ثم تركه يفلت الى الجيش الفرنسى، أما المجاهد الثانى فى نفس القرية، الذى عليه نفس المسؤولية وهو السيد على المسناوى، فقد نجا من الاعدام بقدرة قادر، لان عائلة ابن عبد الكريم كانت فى داره بين قرية كمون وبوجنان، وقد اعتبر عند الاسبان مسؤولا بالدرجة الاولى عن افلات ابن عبد الكريم، وقد نجا بأن هاجر الى فاس بعائلته جميعا، فلم يجد الاسبان السبيل لاعدامه، الا أنهم ضربوا دياره، وصادروا أملاكه العقارية، وبعد مرور الوقت رجع عن الامان، ورغم ذلك فان الاملاك بقيت مصادرة، مدة من الزمن، وكانت تلك الاملاك تكرى بالسمسرة وهو حاضر يزيد فى كرائها كأحد الناس .

وقد كان الرجل من ذوى العقل والكلمة المسموعة فى بيئته مع الكرم وسعة اليد رحمه الله .

وفى نهاية تلك الايام، ولما تحقق المجاهدون من أن ابن عبد الكريم وضع السلاح، فانهم قبلوا المفاوضة وانتهت بوثيقة الامان، التى أصدرها الجنرال كسترو جيرونا الى والدى باسم المقيم العام الجنراليسمو

سان خورخو، وباسم اسبانيا، جاء فيها «ان الماضى ينسى تماما، وان مبدأ العمل لرفاهية الريف، فى ظل الاستقرار والتعايش السملى»، وكذلك الطائرات تلقى نفس المنشورات الى جميع الجهات .

هذه النبذة من الحقائق التاريخية، اتيت بها لمعرفة مدى ضمان الجنرال اليسمو لنشر الوية السلم فى ربوع منطقة الحماية الاسبانية، بعدما أعطى الامان باسمه واسم اسبانيا، للمقاتلين ليضعوا سلاحهم .

وهنا تأتى قصة قريتى الناموذجية :

بموجب وثيقة الامان، رجع الراحلون الى قراهم وليس الى ديارهم بل الى خرائبهم، وكان الوقت وقت صيف، ترك الجميع محصولهم الزراعى ناضجا، فاشتعلت فيه النيران ونبش ما كان فى المطامر من القوت افسادا ونهبا من المتعاونين الموتورين، الذين رفعوا رؤوسهم محتمين بالعدو، أما والدى فقد لزم عليه أن يلتحق حيث قيادة الجنرال، فلم نره الا بعد مدة من الزمن، وكان عليه أن لا يغيب عن أنظارهم .

وعلمنا فيما بعد، أن الجنرال راوده أن تسند اليه قيادة القبيلة لكى لا يغيب عنهم، ولكنه عن حسن نية المجاهد الذى لم يرد أن يحبط عمله، أو لانفته التى منعته من أن يكون قائدا مدنيا تحت امرة ضابط كان يتعامل معه بالرصاص، أو هكذا يفسر، امتنع عن الجنرال، فلما أصر على ابايته، أشار عليهم برفيقه القائد حدو بن موح أمزيان، وكما قلنا فقد كان داهية، وكان يعرف معنى الاباية ومصيرها وكذلك وقع .

رهائن من الولدان :

كانت معركة «بوصالح» ـ التى روينا احداثها سابقا ـ آخر كارثة تقع على العدو فى أرضية قبيلة بنى ورياغل، وقد عجلت هذه المعركة فى اهدار الامان الذى أعطى للمقاتلين على أنفسهم وأموالهم ففرضوا على بعض القادة من الوطنيين أن يعطوا رهائن من أولادهم، يذهب بهم الى مليلية بدعوى تعليمهم الاسبانية فى مدارسها .

وكنت أنا رهين عائلتى، كما كان الشيخ أمزيان رهين عائلة

القائد حدو، واثنان من أولاد القائد شعيب بن عيسى، واثنـــان من أولاد القائد محمد أبرقاش وغيرهم آخرون لم أتذكر أسمائهم وانتماءهم.

حملونا من مكان الحسيمة الى مليلية، بواسطة المركب البحرى، وكان المكان رمالا متراكمة وكأنى أحس الآن وقدمى تسيخ فيها، وهى تغمر موقع المدينة، ولم تكن هناك ابنية أساسا الا ماكان من دار مستطيلة بالخشب والصفيح، قسم داخلها الى مكاتب والا ما كان من أخبية الجنود متناثرة هنا وهنـــاك .

وقد حشرنا فى الدارة الخشبية ريثمـــا تحرر لنا لائحــــة، على الآلة الكاتبة، التى ابهرتنا لاول مرة دقاتها، ثم ساقونا منحدرين الـــى البحر، على نفس الرمال التى أعجزتنا عن استقامة السير، وكان المركب يقف فى عرض البحر، نقلنا اليه بواسطة زورق .

وفى مليلية، وكل بنا شخص من بنى توزين، كان يعمل فـــى الادارة الاسبانية هناك نعرفه باسم احمد بنطاطو يلبس جلابة ريفيـــة، ونعلا مغربيا، وطربوشا تونسيا، وبقينا هناك بدون تعليم، الى أن انتهت جيوب المقاومة، وعندئذ تقرر مصـــير المقاتلين، وضرب بالامان عـــرض الحائط، فمنهم من أعدم وأكثرهم تقرر سجنهـــم فى مليلية أو سبتـــة أو الجعفــريـــة .

ولما كان حظ والدى هـــو السجن، فى القلعة التى سجن فيهـــا ابن عبد الكريم فى مليلية ضمن مجموعة من الرؤساء، فانهم استغنـــوا عن رهنى ووجـهونى الى قريتى، حيث وجدت أبى لازال فى الـــدار، ولم يكن له علم بما يروج، الا أنه بمجرد ما رآنى واستفسرنى تبـــين على وجهه علامة الانزعاج، حيث لم يتخذوا هذا الا بالنسبة لى وحدى.

وفى ظرف أيام معدودة انكشف الامر، فقد استدعى أبى عـــن عجل الى دار حدو بن عالية بسهل أمزورن، وكانت مقر المراقب العسكرى «الكبطان أكيلار»، وقد أصحبنى معه ظانا أن الاستدعاء يدور حولـــى، ولما وصلنا لم يستقبلنا طول ذلك اليوم، بل بقينا نحتمى من الشمـــس بظل أشجار الرمان، وكان الكبطان يظهر فارع الطول عندما يخرج فـــى العشى، ومعه الترجمان، وهو انسان مغربى، أى ولد فى المغرب، ولكنــه لا يشعر بأية صلة به، وان كان يعيش على اديمه، يتمشيان فى خطوات

متوازية الى الامام، ثم ينقلبان فجأة وهكذا دواليك فى همس غير منقطع يلتصف المغربى فى عينى رفيقه الى مغيب الشمس، حيث جاء الاذن أن نذهب للمبيت عند معارفنا القريبين، وفى الصباح يلزم علينا أن نحضر، وهذا الى اليـــوم الثالث، حيث استضافنـــا المخازنية عشاء على مائـــدة الطماطم بالبيض، أودعنااثره فى زنزانة تقليدية، واثناء الليل ادخل علينا السيد محمد بن حميش البوعياشى، وكان رفيقا لابى أيام الكفـــاح .

واذ ذاك تحقق ما كان متوقعا، وان كنـــت أنا فى غفلة الصبـــا لا أكترث الا أنى أنظر الى رفيق أبى يمتد على بطنه أرضا ليسترق النظر والسمع من تحت باب الزنزانة المتشقق، ليقول لابى انه يرى حمادى بن الحاج سعيد يدخل ويزج به فى بيت آخر، ثم الفقيه السيد محمـــادى الشمس، ثم فلانا وفلانا، وهكذا طول الليل، وفى غده أخرجونى أنـــا، وأعطوا لى بغلة والدى، وأمرونى بالذهاب الى قريتنا صحبة خادم لنـــا كـــان صحبنـــا .

وقد علمنا بعد فى همسات أن حـــوالى 50 مناضلا من رؤســـاء مقاتلى بنى ورياغل مع آخرين مـــن قبائل الـــريف، أبعدوا عن البلـــد، وقامت اشاعات تضخم عقوبتهم بالاعدام، وربما باستئصال عائلاتهـــم جميعـــا .

وفى خضم ذلك سلطت على قريتنا افتراءات وجود الاسلحـــة مخبأة فى ديـــارنـــا ؟

وتحركت رؤوس الفتنة من ابناء الجلدة، يحاولون الكيد بوضـــع كمية من الاسلحة فى أية جهة قرب الديار، ومن يدرى، فان اليالى حبالى يلدن العجائب؟، وقد تجنـــد أعمامنـــا للحراسة الليلية طيلة السنـــوات التى قضاها أبى فى سجن مليليـــة .

ولما انعم الله بفكاك أسره ضمن الفوج الاول اذ ان فكاك الاسرى لم يكن دفعة واحدة، بل كان بأفواج متلاحقة، حسب الزمان والمكـــان، لاسباب سياسية ظهرت آثارها بعد ذلك .

فقد أطلق سراح والـــدى بناء على طلـــب مراقب دائـــرة بنى

ورياغل «الكمندان ماص» وذلك لتصفية حساب الاسلحة التى اختلق عنها كثير من النظريات .

فعندما وصل والدى الى أجدير ليقول للكمندان ها أنا ذا جئت من السجن، أمره هذا بأن يستريح فى داره، ولا يتجه الى جهة ما حتى يستدعيه عنده .

وبعدما مرت أيام ـ لا أضبط عدتها ـ ففى ذات صباح لاحظنا كوكبة من المجندين المغاربة يقودها ضابط صف، يدعى عبد السلام التمسمانى، من ضمنها عمر السوانى، والحيانى، الذان تقشعر الجلود بمجرد سماع ذكرهما، لما ابدياه من الوحشية فى تعذيب الاهالى .

وجاءت الكوكبة الى قريتى فى رمضان المعظم، يتبعها جيش من الجواسيس الانذال (يرجع الى وصف تلك المجازر فى صحيفة 111 وما بعدها من هذا الجزء) وقد نجا أبى بأعجوبة من المجزرة، ذلك أنه بعدما جاء ضابط الصف مع أربعة من معاونيه الى دارنا، وحاول أن ينتزع منه مبلغا ضخما من المال لم يكن يتوفر عليه، فانه أخذ ولده البكر يوسف للتعذيب والاسر أسوة بأعمامه فانه فكر أن يذهب الى القائد سليمان الخطابى بأجدير الذى عينوه قائد قواد بنى ورياغل، ليستجلى الامر، وقد ركب فرسه، وأمر خادمه بأن يركب وراءه بغلة، وقد تعجبنا لجره مركوبين، وكان قصده رحمه الله أن يترك الفرس هناك، لكونه يعتبر أيام الثورة من وسائل المواصلات السريعة الى الاركان الحربية، فهو وسيلة حربية أيضا ممنوعة مثل السلاح .

ولما خبر سليمان الخطابى، لم يجد عنده ما يقنعه، بل أومأ اليه بما يفهم ان ينجو بجلده، فترك لديه الفرس، وركب البغلة، فبينما نحن نحتمى فى الليل الحالك بين جدران الدار نسترق السمع، ونفزع لادنى حركة، اذا هو يرمى بأحجار على سطح بيت السكنى، ولما استجلينا الامر، علمنا أنه خوفا من أن ينقض عليه داخل الدار أعوان ضابط الصف، ترك البغلة بعيدة، وجاء خلسة، ليأمرنى أنا وأخى محمد لنفر ليلا، وبالطبع فنحن الولدان الاثنان لا ندرى أين؟ ولا كيف؟ ولكن لابد من النجاة بجلدنا مع أبينا لنلقى ما يلقاه من الشدائد .

وهكذا خرجنا من الدار قبل منتصف الليـل، ذاهبين الى جهـة الحدود بين منطقتى الحماية الافرنسية والاسبانية ولا تسأل عن الفزع الذى خلفناه فى الامهات والاخوات والاخوان الصغار الذين تركناهم للاقدار. ولا تسأل عن الهلع الذى أصابنا ونحن أطفال صغار، لم نشد بعد عـن الطوق، حيث لا قبل لنا بالمشى فى الليل على الاحراش والادغال ترفعنا الجبال تارة وتخفضنا الاودية تارة أخرى، لان الطريق المسلوك محفوف بالمخاطر، وكانت حالتنا كما يقال كاد المتهم أن يقول خذونى .

فضلا عن أنه الى ذلك الوقت كانت الحراسة مشددة فى المداشر يقوم بها السكان ليلا، فلا يمكن لاحد أن يتحرك من مدشر الى مدشـر ليلا، والا ضبط وقدم فى الغد الى المراقب، ليبقى تحت البحث بالسياط ليبوح بغرض تحركه ليلا وليس نهارا .

وأما بالنسبة الينا فى تلك الليلة، فقد كانت تلك الحراسة بمثابة اشارة الاهية لنجاتنا من الوقوع فى القبضة. ذلـك أن هؤلاء الحراس التعساء الموزعين على قمم الذرى فى مختلف المداشر، كانوا عندما يسأمون يطلقون سيلا من الصفير، علامة على أنهم موجودون يقظين، وعندما كنا نتجه الى نقطة حراسة ما نسمع الصفـير حيث يجيبه جاره المقابل لـه بمثله فنغير اتجاهنا بين الاثنين، وهكذا لم نقع فى الفخ .

واذ قد وصلنا الى أربعاء توريرت صعدنا جبلا جيريا لا يمكـن المشى فيه، لان هشاشة أرضه تجعل أقدامنا ترجع الى حيث نقلناها منه، وبعد لاى وقرب انبلاج الفجر تخلصنا منه، حيـث آوينا الى أعشـاب غابوية نحتمى بها نهارنا، حتى لا يعثر علينا أحد، وكان قوتنا بعض فتاة الخبز المجفف حملناه معنا مع حبات زبيـب .

وعندما قرب العصر كاد أن يعثر علينـا راعى الماعـز، اذ لما اقتربت منا نفرت ولكن لم يهتد الراعى الذى كان بعيدا عنا الى نفورها.

وبعد الغروب حيث آوى كل واحد الى بيتـه نزلنا مع منحـدر لا يسلكه الا الماعز وراعيها نهارا، وقد كاد والدى أن ينزلق مع شلال ماء فى واد منحدر ظانا أنه مستو ولولا طيران حمام بانزعاج لقضى الامـر حينا ولكن الله سلـم .

وقد قصد أبى أن نحتمى الى دار أحد أحفاد العائلة الذى يسكن فى آخر نقطة بين حدود بنى ورياغل وحدود اكزناية، فى فلاة من الارض، على اخدود أحد رفيدى وادى النكور، ويدعى سيدى محمد بن سيدى محند بن سى على وهو شريف محب ومحبوب، ذو مروؤة ووقار ودين متين، فقصدناه، ووصلنا اليه بعد أن انحص الذنب، ولكن حمدنا الله حمدا كثيرا، لاننا بتنا بين جدران وغسلنا الشعث، ومع صبانا فلم تكن لنا رؤيا واقعية، وكنا لا نفهم من همسات أبى والحفيد التى لا تنقطع ليلا ولا نهارا، بينما هذا الاخير يخرج فى خفة الغزال يراقب مسالك داره، ثم يرجع، خوف المباغتة .

وفى فجر يوم الثلاثاء كانت همساتهما اتخذت القرار النهائى، وهو ان يذهبا معا الى سوق ثلاثاء ازلاف ليلتقيا بقائد بنى توزين وهو السيد علال بن محند من ميضار، وكان لهذا القائد دالة على الاسبان، اذ نجا أحد كرونيلات الجيش من الموت المحقق، فى احدى المعارك قبل ذلك، فحفظت له هذه المأثرة عند الاسبان، وقد كونت هذه الدالة منه قائدا جريئا مع حماس طبيعى، وكان والدى أسدى كثيرا أيام الثورة الى رجالات قبيلته بنى توزين من الايدى، فكان يدافع عنهم أمام المجاهدين عندما يحوم حول احدهم شك لانهم لم يهاجموا مركز ميضار، أحد الخطوط الامامية لجيش العدو، وكان والدى يعرف نواياهم الحسنة بفضل الجوار، فلما وصلا الى السوق ذهب حفيده لاعلام القائد بوجود أبى قرب السوق مختفيا، فأجابه هذا عن حسن نية بأن يتبعه الى مركز قيادته، ولكن والدى لم يقنعه هذا الجواب، لانه من عادته أن يركب معه فى السيارة ليذهبا معا، فظن أبى أنه خاب ظنه فيه، فانقلب الى الفرار، الى فاس، حيث رجع الحفيد، وأمرنا نحن الاثنين أن نرجع الى قريتنا، وكان يوم رجوعنا يوم سوق الاربعاء، فلما دخلنا السوق سمعنا المنادى ينادى فى السوق يخبر الجمهور بان فلان (والدى) قد هرب، وان من يعثر عليه فليأت به، وله كذا وكذا، واذا علم المراقب أنه احتمى عند أحد ولم يسلمه، فان عقابه شديد، ولما اشعر المراقب بوجودنا فى السوق استدعانا فسألنا عنه وقلنا له أنه ذهب الى ميضار .

ولما رجعنا الى الدار، وتبين لدى الاسبان أنه غير اتجاهه الى فاس.
أرسلوا حراسة مكونة من أربعة خفراء على دارينا، اثنان لكل دار، يقبع احدهما على سطح الدار، والآخر قبالة الباب الخارجي، وكان ذلك على نفقتنا، واستمر الامر كذلك الى مدة أربعة أشهر، وقد وصل أبي الى فاس واختفى عن الانظار هناك، حتى لا يهتدي اليه الافرنسيون، الذين ينتقمون منه لمعارك منطقة وزا ن.

أما قائد بني توزين، فقد صدم صدمة عنيفة، اذ بدا له أنه قصر في حقه، فجعل يبحث عنه في فاس، بارساله المستجلين عنه الخبر، ولكن لم يعثروا عليه، الى أن أرسل ذلك الحفيد الذي قصد الشريفين السيد احمد أكرود والسيد بوقشوس الذين التجآ الى فاس عند انتهاء الثورة، وكانا يرتادان ضريح مولاي ادريس بين حين وآخر، فابلغه طلب قائد بني توزين ان يرجع عن الامان ولكن هل للاسبان من أمان ؟
أما في قريتي فقد جاء اثناء هذه الاربعة اشهر، أحد الضباط الاسبان على رأس كوكبة من المجندين المغاربة، وجعلوا يحفرون الدار هنا وهناك، ويهدمون المحل الذي يشكون أنه مخزون للسلاح، وفي قرارة أنفسهم يعلمون أنه ليس هناك سلاح، ولكن كان عملهم تعمية لاجل الوصول الى مصادرة المنقولات من الماشية والحبوب، وكذلك كان، فعندما طافوا أطراف الدار التي تسكنها العائلة، وأنا مجرور أمامهم بفعل مأسورة البندقية التي غرزت في ظهري ثم عمدوا الى دار أخرى لنا يسكنها زوج أختي الطالب السيد احمد أكوح، وكان هذا مريضا من مدة طويلة بالحمى المنقطعة (السلمى)، وكان في شبه الميت سقط شعر رأسه وحاجبيه، فلما رآه الزبانية بدأوا في تعذيبه، ولكن لا يفقه شيئا ثم حمل حملا وعلق في باحة الدار الى أعواد السقف من رجل واحدة، حيث بقي مترجحا في الهواء وهم يضربونه مع وكزه بعود ليتحرك بصورة تقشعر منها الابدان، وحينما لم يعثروا على شيء، قطعوا الحبل من الاعلى فسقط على الارض، ومن العجيب لم يصب بمكروه، بل استرد وعيه تماما، فذهبوا به على رجله الى المراقبة (بمنوذ) ببعد 7 كلم، وبات هناك تحت السياط، ولم يفاجئنا الا وهو في غده جاء مخفورا على رجليه

ليذهبوا به الى أحراش فى جهة نائية عن الدار، ليدلهم على سيف مبتور، كان دفنه هناك تحت صخور، فاطلقوا سراحه، ومن ذلك التاريخ شفى تماما، وكأن التعذيب هى عملية جراحية .

وبعد ذلك بدأت عملية المصادرة، لاداء قيمة ألف ريال، قيل انها ثمن عشر بنادق لم يعثروا عليها .

واذا كان فى ذلك الوقت يساوى الرأس الواحد من البقر ما بين 20—30 ريالا اسبانيولا، والقنطار من الشعير أو القمح أو الفول ما بين 6—10 ريالا، فكم يكفى من المنقول لاداء ذلك ؟ .

وعلى كل، فقد أخذوا كل شىء، وقد كان علينا أن نسرق رزقنا ليلا، عندما نذبح لهؤلاء الحراس خروفا أو جديا، يجتمعون عليه فى بيت الضيوف، المفتوح بابه الى الخارج ليلتهوا به .

وبعد أربعة أشهر، وعند استيفاء العشر مائة ريال، تقرر نفى العائلة كلها بذكورها واناثها الى الجزر الجعفرية، فوقع ترحيلنا الى أجدير مقر رئيس دائرة المراقبة، وهناك وجدنا شاحنتين عسكريتين فى انتظارنا، فحشرنا فيهما، بعد أن أطلقوا أخانا الاكبر يوسف من السجن ليصحبنا .

ومن الصدف الغير المنتظرة، أن تلك الليلة التى وقع نفينا فيها عن مسقط رؤوسنا، وصل أبى الى قائد قبيلة توزين بميضار على أمانه، ولم يكن القائد يعلم شيئا عن نفينا، الا أن أحد أشياخه ويدعى محند بوطيب جاء الى الطريق ليعترض السيارات للركوب الى مليلية، فاستوقف الشاحنتين، فعلم بنا، ثم رجع الى القائد ليعلمه، فما كان من هذا الاخير الا أن ركب سيارته مصحوبا بوالدى، وعندما سامتنا فى أرض مطالسة قرب دار الدريوش، أراد أن لا يفزعه، فحاول أن يتخطى بسرعة فائقة، مبتعدا ما أمكن، ولكن من الاقدار، ان تعطلت احدى عجلات الشاحنة التى أركب فيها أنا، فنزلت فضوليا الى الارض، فرآنى أبى واستوقف القائد، فأطلع على جلية الامر .

وقد طار القائد بخفة متناهية، ليحتج على رئيس ناحية الريف العسكرية فى مليلية، فأصدر هذا أمره بأن يرجع الركب من مليلية

اد رجعنا الى ميضار، ومكثنا هناك فى دارة أفرغها لنا القائد بحوالى شهر ثم رجعنا الى قريتنا ..

أما أبى فمن ذلك التاريخ فرض عليه الاقامة الاجبارية فى مدينة مليلية لمدة أربع سنوات أخرى .

وفى هذا الاثناء عكفت على التعليم خوف أن يفوت على الوقت، وعندما أفرج عن والدى كنت مهيأ لان أذهب الى فاس، وهكذا التحقت بالقرويين، الا أن لعنة الملاحقة الاسبانية استمرت لاصقة بوالدى، فعندما قامت الحرب الاهلية الاسبانية، الزم أبى بالاقامة الاجبارية بمدينة الحسيمة، بناء على أن له ابنا فى فاس وهو أنا، ذهب الى المشرق حاجا مع الشيخ الامام الشريف الحسنى سيدى عبد الرحمن بن القرشى، وان الرحلة كانت قبل موسم الحج بشهرين، اذ عرجا عن القاهرة، وما الى ذلك من الترهات، فالزموا أبى باحضارى للريف .

وهكذا لم يستقر بنا العيش الا بعد انتهاء الحرب الاسبانية .

هذه هى قصة السلم؟ الذى نشر الويته الجنراليسمو سانخورخو حسب قول الشاعر، وقد يكون الشاعر قصد السلم بفتحتين وتعنى الكلمة الاسر أو الاسير، (1) لان الريف بأسره استمر أيام الحماية فى الاسر، لان المنطقة سادت فيها شبه الحالة الاستثنائية الى فجر الاستقلال، اذ كانت معزولة عن باقى الاقاليم، الا فى نطاق مخصوص .

---

(1) أنظر مادة سلم فى المنجد .

الخـاتمـة

صمـت رهيـب، بقدر الصوت المرعـب (1)

في 17 ماى 1926 سكت زأر أسد الريف، فى ابابة وشمم المناضل الشهم، الذى استنفذ واجبه الوطنى، اذ أداه على طاقته، وفوقها لا يلام، وقد أيقن أنه خلف لبلده وعقيدته تاريخا مملوءا بامجاد الشهامة الثورية، التى تكون نبراسا، يستضىء به المناضلون فى حركاتهم التحررية، من الاستعمار ومخلفاتـه .

---

(1) لاعطاء نظرة واضحـة على هذا الرعب نستعـرض هذه القصـة التاريخيـة :

كان الاسبان أيام الحماية منعوا كليا عن الاهالى ذكر اسم ابـن عبد الكريم فى مجامعهم، حتى أنهم منعوا تسمية أى مولود يولـد باسم عبد الكريم، وكثيرا ما كان هذا الاسم مصدر شقاء لعائلـة سميـت مولودها بـه .

وفى هذا الوقت كان يوجد على قيادة قبيلة بقيوة الاشيب على بن الحاج تهامى قائدا عليها وكان ذا بداهة سريعة، وبما أنه كان قبل الحماية ألقى عليه الباشا بوشتى البغدادى القبض فى حملة قـام بها الى الريف فى قضية تأديب قبيلته بسبب شكاية الاسبان لـدى السلطان من قرصنتها البحريـة .

وفى احدى المناسبات أقام المراقبون حفلة جمعتهم وقواد الريـف، فأراد أحد المراقبين اغاظة القائد على هذا فأظهر له صورة البغدادى قائلا له من هذا، وفى الحال أخرج القائد صورة ابن عبد الكريـم من جيب بذلته وقال له حتى تقول لى مـن هذا فارتبك المراقبـون أول الوهلة ثم انفجروا، لانه كان من المفروض فى القائد أن لا يسمح لاحد بذكر اسم عبد الكريم، فضلا عن صورته، وفضلا أن يكون هو بالذات يحملها كدليل الخيرات عنده، وقد كان كتاب «بطل الريف» يعتبر وجوده عند أى شخص كوجود السلاح سواء .

فمن جهة قيادة الثورة كانت تحبر المناشر لارسالها الى البيوتات الوطنية فى سائر أنحاء المغرب والصاقها بالجدران للتعريف بالثورة وأهدافها، وقد أتت هذه النشرات أكلها، فقد استعمل الشباب المغربى كل وسائل تأييد الثـــورة حتى أن منهم من عمد الى تحريـــر الرسائـــل على لسان ابن عبد الكريم قد يضطرون الى توسيخها لتظهر فى العيان أنها سلك بهـــا حاملها رؤوس الجبال وأعماق الاوديــــة .

ومنهم من دخل الى الريف كالسيد عبد القادر التازى، ومنهم من عقد مؤتمرات فى فرنسا كمؤتمر العمال سنة 1925 الذى أصدر بيـــان التأييد والتضامن للثورة، ومنهم من قام بالدعاية الواسعة لقضية حـــرب الريف واجلاء الاسبان مثل ما فعل السيدان عبد الرحمن ابن العربـــى من تافيلالت ومحمد التزنيتى من سوس .

وقد واكب الشعر العربى أيضا من جهته النهضة فحياها وأذكى الحماس فى المغاربة، ونستعرض النموذج التالى :

فمن شعر الحاج محمد الناصـــرى فى قصيدة بمناسبة المولـــد النبـــوى التى مطلعهـــا :

شهـــر النبى محمـــد قـــد وافى   يفشى السلام ويحمل الالطافـــا

الى أن قـــال

وسل البرانص والتسول وجايـــة   والسبت والكيفان والاكنافـــا (1)

تلـــك المواقـــع حطمت ابطالهـــا   وارتهموا من ويلها أصنافا (2)

وفى مطلع قصيدة للاستاذ محمد بن الاعرج السليمانى، ما يستحث الهمم للعزوف عن الملذات، والتحريض عن اقتحام مصاعب المعارك فـــى مواطن البسالة بالريف، اذ قـــال :

دع الفتيـــات تمرح فى القصور   ويمـــم مسعفـــا وادى النكـــور

كان الريف فى التاريخ يدعى النكور، تسمية باسم عاصمة الامارة،

---

(1) سبق بيان هذه المواقع على نهر ورغة التى ذاق فيها الجيش الافرنسى أفـــدح الهزائـــم .

(2) المرهم ما يطلى به الجرح، ومعنى ارتهموا أى أكثروا من المرهم .

التى تقع على ضفة وادى النكور، ومن هذا الاسم سميت حجرة الحسيمة، بجزيرة النكور، اذ يصب الوادى حذاء الجزيرة .

وشأن الاناشيد الحماسية شأن غيرها من أغراض الشعر، ومنها: نشيـد مطلـه :

يابنـى المـغـرب ان الـوطنـا

وجاء فى بيـت منـه :

فاحملوا الصمصام مع سمر القنا   واسألوا الله انتصار الريفيين (1)

أما تطوان الصامدة، التى تحملت أكبر قسط من حملات الغازين، الذين اجتاحوها فى الحرب المعروفة بحرب الستين، أى سنة 1860، التى ذكرنا ويلاتها فى الصفحة 285 من هذا الجزء، كما اجتاحوها أيضا فى هذه الحرب التى نؤرخ لها، فانها لم يخب نضالها بالوسائل المستطاعة، رغـم كبتها بالجيوش الجرارة، التى أخنت عليها بكلكلها، وتولدت فيها نهضـة وطنية مباركة، غرس نواتها أيام الثورة المناضلون الاولون من أبنائهـا البررة، ثم زكت ونمت على مر الايام، بعد ذلك، بفضل همة نخبة من الشباب الصامد، فحافظت على مجد هذا الجزء من الوطن، فى عقيدة الوحدة الوطنية الكبرى، ولو تحت اكتساح الغزاة للوطن .

أما فى المشرق، فان الصدى كان عظيما، وعظيما جدا، سواء بما حبره الكتاب من المقالات السيارة أو بما ينشدونه من الاناشيد الحماسية، تمجيدا للثورة، والهابا للحمـاس، ودونت فى الدواوين الشعرية مثـل «الشفيق الباكى» ومثل نشيد اللثورة الذى سبق أن ذكرناه فى صحيفة 45 من الجزء الاول وصحيفة 268 من الجزء الثانى وهو «ريفنا كالعرين نحن فيه الاسد ـــ ريفنا نحميه» اذ أفادنى صديقى وأخى العزيز الاستاذ عبد الله الخطيب، من العائلة الخطيبية بتطوان، التى تحتل من تطاوين (2)

---

(1) القنـا جمع قناة وهو الرمـح .

(2) تطاوين احدى اللغات فى المدينة حسب قول المؤرخ الكبيـر الوزير الحاج احمد الرهونى، وتعنى الكلمـة العين الباصرة فى اللهجـة الريفيـة .

محل سويدائها لما انجبته من ذوى الفكر والنهى، والوطنية الصادقة، «ان النشيد المذكور كان من انشاد الشاعر الفلسطينى الكبير المرحوم ابراهيم طوقان، بمناسبة حضور البعثة المغربية الطلابية للدراسة بمدرسة النجاح بنابلس، وكان الشاعر طوقان على رأس الذين يعتزون ببطولات رجال الريف المجاهدين، مما جعله يتوسم فى البعثة خصائص المناضلين المنحدرين من صلب جنود الريف، فتأثر رحمه الله وأنشد هذا النشيد سنة 1930 وكان الاستاذ الخطيب عضوا فى البعثة، فلما رجعت الى المغرب حملت معها النشيد، فلقن لتلاميذ المدرسة الاهلية بتطوان تحت اشراف مديرها الاستاذ داود، وان النشيد ليس من بنات فكر السيد الحسن القادرى» وتدل هذه الشهادة على مدى تفاعل المشرق مع الثورة، وفى نفس الوقت، وللحقيقة أقول انى لم أنقل النشيد عن ادعاء السيد الحسن القادرى أنه له، وانما رويته عن المجاهدين ممن نسبوه اليه ، وقد يكون الشاعر الفلسطينى أنشده أيام الثورة وأرسله نشيدا للثورة، وهذا ما تدل عليه كلمات النشيد: ريفنا نحميه ــ والتحام السيوف ــ والمنايا تطوف ــ أين جيش العدا ــ ان دعى للجهاد ــ أيها الايادى جاء يوم الحساب ــ وهذه الكلمات تناسب وقت المعارك، ولذا يمكن أنه أمام البعثة أعاد قراءته، وعلى كل فللبعثة الفضل فى اشاعة الحماس بالنشيد فى الشباب .

وعندما سكت صوت الثورة تألم المغرب أجمع للفاجعة المدلهمة فأصبحت الدوائر الوطنية فى حداد ولا أدل على ذلك من هذه المساجلات التى أفادت بأن المجامع كان حوار شغلها الشاغل ترداد صدى الفاجعة، يردد الادباء فى أحاديثهم قضاء الله وقدره .

فقد جاء فيها بين الشاعرين الاستاذ علال الفاسى والاستاذ المختار السوسى هذه المساجلة .

احدهما : قضى القضاء وحقق الامر (1) .

والآخر : وعرا الذى ما خلته يعرو (2) .

---

(1) الامر بكسر الهمزة وهو العجيب أو المنكر وحقق حصل .

(2) يقال عرا فلانا أمر أى ألم بـه .

ذلك أن حرب الريف ــ كما تدعى ــ كانت بمثابة ايقاد شـرارة النهضة الوطنية فى المغرب وسائر أقطار شمال افريقيا، وبالاخص المغرب العربى، وبالنسبة للمغرب، فان الاوساط الشابة، استيقظت على هـذه الحركة المباركة، التى تلقفتها كمحك للوعى الوطنى الصاعد، الذى سرعان ما نفذ الى أعماق المعاهد والمدارس على السواء، فاتخذه الطلاب والتلاميذ مبدأ وعقيدة تغلغت رويدا رويدا الى أن اكتسحت تربية الناشئة، حيـث تخطت عتبة المساجد فولجتها حيث لم تكن رقابة زبانية المراقبين، تستطيع ايقاف الزحف العقائدى داخلها بصورة مكشوفة لما لتلك المساجد من وقع الحرمة لدى جمهرة المسلمين، الذين يرهفـون احساسهم ازاء كـل مس بتلك المقدسـات .

وقد يكون أصدق تظاهرة حدثت عقب انتهاء الثورة مباشرة فى الثلاثينيات هى تلك الدروس الملتهبة حماسا ووطنية التى كان يلقيها شاب فى مقتبل العمر ألا وهو الاستاذ علال الفاسى بجامع القرويين، وهو فى حداثة استكمال التحصيل فى نفس الكلية، والتى عاند المراقبون الافرنسيون بسببها فى اعترافهم بنبوغه، ومنعوا عنه الشهادة العالمية، وهو الفيلسوف والناقد البصير، وحجتهم عليه أنه لم يسلك المسلك المألوف ممن غـرف من الجامعة قبله من التسليم بالامز الواقع، أى هيمنة الاستعمار بـدون منازع، بل سلك ايقاظ الضمائر وايقاد الشعلة الوطنية، التى يبدو لهـم أنها من ذيول ثورة عرابى باشا أو سعد زغلـول فى المشرق، أو حـرب الريف التى أثر عنها مقولة زعيمها التى رواها مراسل الماتان العسكـرى، حيث قال: ان ابن عبد الكريم قال له «نحن المسلمين لازلنا فى غفلة ممضة ومن الحق أن نفعـل ما يريده بنا المصلحـون من الرجوع الى الفكـرة الاسلامية الاولى وننبذ العادات والتقاليـد التى تمكنت من الاسـلام والمسلمين والتى ليست فى الدين من شىء أبـدا» (1) .

وقبل ذلك وأثناء حرب الريف، كان الاتصال بين الشباب المغربى وبين قيادة الثورة مستمرا، فقد تبارى الجميع لايقاظ الوعى القومـى،

---

(1) نقلا عن كتاب الحركة الاستقلاليـة ص 119 .

وعلى كل، فقد سكت الصوت الذى جلجل بلعلعة الرصاص، ودوى المدافع، والذى افتتن به السلك الهاتفى والاسلكى فى سائر المعمور، يحمل المعجزات التى حيرت اساطين الاستعمار فى زمن لم يكن فى حسبانهم أن يلقوا هذا العناد، وسكت حينما ارسل الجنرال «ايبوس» بالبرقية التى قال فيها : «ان عبد الكريم استسلم فجعل بذلك حدا للثورة الريفية التى أثارها»، أرسلها من تركيست، القرية التى كانت أحد مراكز قيادة الثورة الذى اندلعت منه شرارة الهجوم على مواقع الجيش الافرنسى العاتى على ضفاف ورغة، تلك القرية التى تحتضنها قبائل صنهاجة المجاهدة، بين سفوح تلك الجبال التى لم تعرف الخنوع لاحد من الدخلاء، بل كان اعتزازها بقوميتها ونقاوة معتقدها النابع من زاويــة ذات صلاح يديرهـا الرجل المعروف بالاستقامة سيدى محمد الخمليشى .

ومن هذه القرية اتجه الزعيم مع حاشيته يبلغ تعداد الجميع حوالى 80 نفرا بما فيهم عائلته الكاملة، الى مدينة تازا بأمر من الجنرال «ايبوس» الذى استقبل الزعماء : ابن عبد الكريم وأخاه امحمد وعمه عبد السلام بترجيست، نظرا الى أن القوة التى تتواجد حين الاستسلام فى تركيست أتت من تازا بمن فيها من قوة الحركة التى يرأسها القائد المذبوح الجزنائى وعمر بن احميدو المرنيسى .

وبعدما بقى الجميع فى تازا عدة أيام نقلوا الى فاس حيث خصص لعائلة ابن عبد الكريم وأسرته دار التازى فى الدوح الحى الذى كان يوجد فيه مقر الجنرال العسكرى الافرنسى، وبقوا هناك الى غاية شهر شتمبر 1926 .

وقد كان أيام اقامته بفاس، سمح له باستقبال الريفيين الذين لجؤوا الى المنطقة الجنوبية فرارا من اضطهاد الجيش الاسبانى، الذى كان يستعمل أساليب الانتقام الوحشى، من اعدام بالرصاص أو الجلد بالسياط ومصادرة الاملاك .

وفى شأن الاستقبالات التى يجريها الزعيم، اذكر هذه الرواية التى رواها السيد محمد بن عمر بن القاضى، اذ كان لجأ مع عائلته

الى مكناس ثم زرهون، ومن هناك جاء لزيارته مستشيرا اياه ما يفعله فقال انه لما قابله ادهشه ما رآه من ثبات جنانه، وعدم المبالاة بما ينتظره مما أشيع فى ذلك الوقت من الاراجيف التى وصل ما قيل الى اعدامه، قال: فلما مثل أمامه قال له: اننا مومنون بقدر الله، خيره وشره، وهذه العقيدة هى التى تجعل المسلم المومن فى اطمئنان، فما كان يصيبيه لم يكن ليخطئه وما كان يخطئه لم يكن ليصيبيه، ثم أوصاه بأن يلتزم خصال المجاهدين، وان لا يظهر أمام الاعداء بمظهر المتخاذل، كما أوصاه بأن يبقى حيث هو بعائلته، فلا يذهب الى الريف، لان الاسبان ذوو حساسية انتقامية من جهة، ولان المغرب جميعه وطنه من جهة أخرى، حتى اذا هدأت الحالة وستهدأ بلا محالة، وحينئذ فله أن يختار لنفسه، والح عليه بأن يبلغ المجاهدين المهاجرين أن يتحلوا بالشهامة الخلقية، حتى يكونوا مرآة صافية أمام الدارسين من الصحفيين وغيرهم ممن يسلطون الاضواء على سلوك ثورتنا، فالرجل الشهم هو الذى يضبط نفسه عند الشدائد.

وكان بقاء ابن عبد الكريم فى فاس، لان مصيره كان سيتقرر فى مؤتمر يعقد لهذا الغرض، بعد استنفاذ اسبانيا احتجاجاتها التى كانت تطالب بتسليمه اياها، متذرعة بأنه ينتمى الى الجزء الموكول الى حمايتها من جهة، ولانها تأثرت أكثر من فرنسا بسبب ما سمته تمردا منه عليها من جهة ثانية.

وفعلا عقد المؤتمر بباريس فى 14 يونيه 1926، وتقرر فيه نفيه على لا يبجل ولا يذل وانما ينسى مع الزمن حسب تصريح تيودر سيتغ المقيم العام الافرنسى فى ذلك التاريخ، وكانت فرنسا تمسكت بأن لا تسلمه الى اسبانيا، لانها أعطت له عهدا عندما سلم نفسه، ولكن فى الحقيقة وعلى ما عهد فى عموم الاستعمار، انه لا عهد له، فان عدم تسليمه لاسبانيا كان لغرض آخر، وهو أن الاحتفاظ به ـ وهو المناضل الشهم ـ يرمز الى عظمتها أمام العالم، وبالاخص العالم الاسلامى، الذى له رصيد ثمين من التقدير والتأييد، وخصوصا فى أقطار المغرب والمشرق العربيين، التى كانت تحت استعمارها، لما تخشاه من هياج تلك الاقطار

المسلمة اذا مسه سوء، على أن فرنسا أعطت وعدا لاسبانيا بأن لا تطلقه مخافة القيام بثورة أخرى فى شمال افريقيا، حسب تصريح الناطق بلسان وزارة الخارجية الافرنسيــة .

الرحلــة الطــويلــة :

فى شهر شتنبر 1926 تم ترحيله مع عائلتــه فى 40 نفرا الــى جزر ريونيون بالمحيط الهندى، وقد حطوا فى مرحلة أولى بمرسيليا بقصر ايف، حيث مكثوا هناك لمدة أسبوعــين، ثم استأنفوا الرحيل على ظهــر الباخرة «عبدة» التى وصلت الى المنفى بتاريخ 10 اكتوبر 1926 واستقروا أولا بقصر مورانج لمدة ثلاث سنين قرب العاصمة «سان دينيس» ثم نقلوا الى قصر «الكاسطيل فلورى» الذى اشترته له الحكومة المغربية بمائتى ألف فرنك فرنسي، وكان تكلف الحاكــم العسكرى للجزيرة «الكابتــان فيرين» بشؤونهم، بينما وضع دركى على بــاب القصر للحراسة حيــث أصبح الزعيم خاضعا لرقابة صارمة، فى السنوات العشر الاولى، حتى أن رئيس الشرطة كان يحضر الى القصر يوميا للتأكيد من أنه لا زال فى القصر، غير أنه سرعان ما توطدت الصداقة بين السجين وبين مراقبيــه، اذ أطلع هذان الاخيران عن كثب ان الرجل أعلى من أن يحتاط له، فأبدى له حاكم الجزيرة مزيدا من اللطف واللباقة، اذ كان يزوده بالصحف والكتب ثم سمح له باقتناء الراديو، ولما وقع الجــدال فى هل يمكن للسجــين أن يقتنى السيارة؟ ابتكر الحاكم ورئيس الشرطــة وسيلة دقيقة، بواسطــة بستانى حديقة القصر الذى لم يكن ممنوعا من اقتنائه السيارة، وبذلــك يمتلكها السجين تحت هذا الستــار .

العمــل الوطنى لاطــلاق ســراحــه :

وفى أثناء هذه المدة التى قضاها فى المنفى لــم تمكث الدوائــر الوطنية مكتوفة الايدى، بل لم تفتأ تطالب باطلاق سراحه وعائلته وتخليصه من المنفــى .

وهكذا أثارت كتلة العمل الوطنى سنــة 1936 قضية اطــلاق

سراحه، وفى نطاق ذلك اهتم بالخصوص الاستاذ علال الفاسى بالموضوع اهتماما متزايدا، وطلب العون ممن يتوسم فيه الاهلية الكافية، فاتصل بالامير عمر طوسون كتابة فى شأن ذلك، كما اتصل بالامير شكيب أرسلان الذى أثار ضجة لصالح تخليصه فى صفحات الجرائد الوطنية والاجنبية .

وفى سنة 1937 أخذ الحزب الوطنى المغربى، القضية بيد من حديد، فوالت الصحف الوطنية على اختلاف مشاربها حملاتها على فرنسا فى هذا السبيل، ناعتة اياها بأنها اخلفت الوعد الذى قطعته للامير بأن تطلق سراحه متى هدأت الحالة فى ظرف سنتين .

واثر هذه المساعى اقتنعت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الافرنسى فأثارت القضية أمام وزير الخارجية الافرنسية الذى أجابها بأن الوقت لم يحن بعد .

وفى أول سنة 1947 تدخل ممثلو الحركة الاستقلالية المغربية بمصر لدى الجامعة العربية فقدم أمينها طلبا الى وزارة الخارجية الافرنسية بارجاع الامير الى مراكش، وعلى كل فان اطلاق سراحه كان احدى مهام الحركة الوطنية المغربية، وكان الاهتمام بذلك وصل الى حد اعتباره من المطالب الاساسية الوطنية، لانه يرمز الى مطلب استقلال المغرب، نظرا الى أنه أول من أشعل القذيفة الوطنية باقداحه لزندها، حتى سارت رويدا رويدا الى أن وصلت الى ما وصلت اليه، فلذا يعتبر الوفاء له وفاء للعقيدة الوطنية .

وعن هذا المسلك عبر الكاتب البحاثة الاستاذ محمد العلمى اذ قال (1) «فقد كتب محمد بن عبد الكريم، صفحة مجيدة فى تاريخ المغرب، يحق لكل مغربى وعربى ومسلم والانسان فى العالم الثالث أن

---

(1) كتاب «زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابى ص. 28 وقد كتب هذا المؤلف فى كتابه هذا فصولا ممتعة ودقيقة عن مرحلتى النفى والخلاص طرقها بهمة الكاتب المؤرخ ، استوفى فيها مناط تلك المراحل سواء التى لخصها من كتاب الحركة الاستقلالية فى المغرب العربى، أو التى حرص على تدوينها اثباتا للحقائق التاريخية.

يفتخر بها، ولانه من دواعى السرور ان يجد المرء فى كل عواصم العالم، فى خزائنها العامة، فى بكين، وفى طوكيو، وفى باريس، وفى موسكو، وفى واشنطون، وفى دلهى الجديدة، وفى لندن، وفى مدريد، وفى القاهرة، مستندا تروى قصة البطل المغربى الخالد، ودوره كرجل العمل الذى لا يعتبر السلطة استعلاء، ولكنها تتفاعل مع الشعب، لهذا فان الشعب المغربى يعتبره من أبطاله الذين ضحوا فى سبيل تحريره وازدهاره» .

مناضل على مستوى المغرب العربى :

طوال مدة النفى التزم الامير أن لا يلجأ الى الفرار والتآمر ضد فرنسا، وذلك ما أجاب عما نشرته جريدة «بارى سوار» الافرنسية سنة 1933 من أن عبد الكريم يحاول الفرار من منفاه، فكتب الى وزارة الخارجية الافرنسية رسالة تكذيب جاء فيها، «لا أفكر فى الفرار ولا فى التآمر ضد فرنسا واسبانيا، فأريد أن يعرف الجميع انى أعطيت وعدا سنة 1926 وسأحترمه طوال حياتى (1) ·

وقد دلت القصة التالية التى جرت له سنة 1942 أى فى الحرب العالمية الثانية، لما حاول هيتلير ان يختطفه، فأبى عليه ذلك، والقصة كالتالى (2) أرسل هيتلير غواصة الى منفاه يقودها ضابط المانى، وتمكن هذا الضابط من التسلل الى قصر اقامته، فلما اقترب من باب القصر رآه ولده السيد ادريس الخطابى، فاشعر والده فدلفا معا الى باب القصر لاستعلام من القادم، فلما استفسراه اباح لهما بلغة فرنسية مفككة قائلا أنه مبعوث الفوهرر لانقاذه وارجاعه الى مراكش، وهنا أجابه الامير، بأنه لن يعود بمساعدته .

ولم يكن ابن عبد الكريم فى ابائه هذا ناتجا عن عدم الرغبة بالعودة الى وطنه، بل أن رغبته كانت ملحة، ولا سيما بعد احداث الحرب العالمية الثانية التى غيرت من الخريطة السياسية للعالم وبالاخص العالم

---

(1) نقلا عن كتاب زعيم الريف للاستاذ العلمى ص 59 ·
(2) نقلا عن كتاب أمير الريف لروبت فورنو ص 336 ·

العربى من جهة، ولان ابناء الاسرة ترعرعوا وشبوا عن الطوق، يريد تنشئتهم نشأة قومية يغرفون من منابع التعاليم الاسلامية فى المعاهد العربية، فضلا عن أن البنات بلغن سن الزواج أو كدن، ولا سبيل لزواجهن الا فى الوطن العربى، الذى هو وطنهن الكبير، من جهة ثانية، ولذا تراه فى هذا الظرف بالذات أكثر من الالحاح على فرنسا حسب رواية «ليون غابريلى» فى رسالات متعددة فى سنة 1932 الى الحكومة الافرنسية وفى 14 نونيو 1934 الى رئيس الحكومة الافرنسية وفى 6 نوفمبر 1938 الى حاكم الجزيرة، وقد جاء فى هذه الاخيرة «وقد اقبل أنا فيما يخصنى هذا المصير، ولكن منذ اثنتى عشرة سنة كبر أولادى فأصبح سنهم ست عشرة وثمان عشرة سنة، ان جزيرة لاريونيون لا مستقبل فيها لهذا الشباب، فيجب قريبا البحث عن عمل للاولاد، كما يجب الاهتمام بزواج البنات» .

ولكن فرنسا كانت فى صمم، الا عندما احتدم خلافها مع المغرب، فظنت ان السجين هو الورقة الرابحة فى يدها، للتهديد به فى القضية المغربية الكبرى، وهذا هو المفهوم الصحيح لنقله من المنفى الى فرنسا، حسبما جاء فى كتاب الحركات الاستقلالية للاستاذ علال الفاسى، غير أن ظنها خاب، ذلك لان طبيعة المجاهد الذى كرس حياته للدفاع عن المغرب وعرشه، مخلفا بذلك امجادا وطنية، لم يكن من السهل أن يرغمه هذا المنفى السحيق الطويل، لكى يغير من تلك الطبيعة العصامية التى فطره عليها فاطر السماوات والارض .

واذا أرادت فرنسا ارادة غير اخلاقية، فان القدرة الالهية أرادت غير ذلك، وهكذا لما عزمت أمرها ونقلت السجين مع الاسرة التى تضم 42 نفرا من منفاه على باخرة «كاتومبيا» اليونانية، ومعهم الجثة المحنطة التى توفيت سنة 1931 وهى جثة والدة الزعيم، التى رفض الحكام الافرنسيون نقلها فى حين وفاتها لدفنها فى مسقط رأسها، وقد دار فى خلد الافرنسيين أن نقل الجثة الى الريف سيحدث مصاعب هناك، لان الارياف الذين لم يغب عن أذهانهم قيادة زعيمهم الموفقة سيحرك وجود الجثة مكامن التعاطف والتأثر، قد يؤدى ذلك الى قلاقل، وهذا صحيح ،

لان المجاهدين الذين آصابهم اضطهاد الاسبان بالسياط والسجن والتعذيب ومصادرة الاملاك، وولوج البيوت من طرف الزبانية المسلحين بدعوى البحث عن السلاح المخبأ، وحرمانهم من التجمعات فوق الاثنين، حتى بين الاقارب، ومنعهم من تسمية مولودهم باسم عبد الكريم، واشاعتهم أن ابن عبد الكريم أعدم، ولم يبق له وجود، لا يملكون ضبط أنفسهم عندما يستفيقون على وجود علامة بقائه حيا يرزق، فلا بد آن يصخبوا ويتظاهروا على الاقل أمام الجثة التى أوحت بذكريات صاعقة، وعلى كل فقد سافرت الباخرة من الجزيرة فى شهر ماى 1947 ودارت حول الساحل الافريقى، الى أن وصلت الى عدن .

وهناك طفر على الاحداث الصوت المرعب للمرة الثانية، الذى صمت قرابة 21 سنة اذ تحركت المواصلات الاسلكية ينفث برقيات الى الكنانة، معلنة بالحدث الهام، الذى انفجر معه لهيب الشوق فى الدوائر الوطنية العربية، وبالاخص المغربية، التى عرفت بواسطة تلك البرقيات التى أرسلها الوطنيون بعدن الى السيد محمد على الطاهر صاحب جريدة الشورى، والى رئيس جمعية الهداية الاسلامية الشيخ الخضر بن الحسن، ان الزعيم وعائلته سيمر بقناة السويس على باخرة «س. س كاتومبيا» وفى الحال أطلع صاحب جريدة الشورى الاستاذ علال الفاسى على البرقية، ويقال بأن الاعلام الوطنى من عدن الى القاهرة كان برغبة من ابن عبد الكريم، الذى نزل هناك الى المدينة مع عائلته، وتمتعوا بحرية ما فى التفسح هناك، والاتصال بتلك الدوائر .

وقد نبهت تلك البرقيات اعلام الوطنية المغربية، فتحركوا لاهتبال الفرصة، فتكون وفد وطنى لاستقبال الزعيم فى السويس، وابلاغه مشاعر التقدير الوطنى، لعمله البطولى، ولحمد السلامة له ولاخيه وعمه، وقد أدى الوفد مهمته على أحسن ما يرام، وحملهم من جهته رسالة تحية منه الى جلالة فاروق ملك مصر، يحييه فيها بمناسبة وجوده فى المياه المصرية.

وقد أحدثت مقابلة الوفد للزعيم الخطابى شوقا كبيرا لدى قادة المغرب العربى الوطنيين بالقاهرة والفوا وفدا هاما يضم الزعماء : الحبيب بورقيبة، وعلال الفاسى، وعبد الخالق الطريس، والاستاذين عبد المجيد

ابن جلون، ومحمد بن عبود، وسافر الركب الى بورسعيد .

وكان السفر يقتضى السرعة الفائقة قبل فوات الاوان، ومن الصدف التى اعترضت الوفد، ان الطريق الذى سلكوه بسياراتهم توجد نقطة محروسة بالجيش لابد من الوقوف عندها، واستظهار المسافرين لاوراق الهوية .

وهنا قرأت فى احدى الجرائد مقالا طريفا، يدل على فطنة الوفد وذكائه، جاء فى المقال: أنهم لما استوقفوا وكان أحد الزعماء الثلاث يركب فى المقعد الخلفى، وتصنع أنه أحد الباشوات المصرية فلما رآه الجندى قال أحدهم انه حضرة الباشا، فما كان من الجندى الا أن انتصب بالتحية العسكرية، ومر الركب بسلام، وبالسرعة المتطلبة، واثر الوصول صعد الوفد مع جمع من الصحفيين ورجال السلطة المحلية وممثلى الاحزاب المصرية، وأعيان المدينة .

وقد انتهز الزعيم الخطابى هذه التظاهرة التلقائية، التى دلت على ما يكنه العرب لنضاله، فتنحى جانبا مع الاستاذ علال الفاسى، وأبلغه رغبته فى المكوث بمصر، حيث يعيش فى وطنه الكبير، حرا طليقا.

وهنا اختمرت قصة اللجوء الى مصر، وقد تهيأ ذلك بسهولة، اذ أن رجال الامن الافرنسيين البالغ عددهم خمسة عشر نفرا، بينهم ضابطان وطبيب لم يخامرهم شك فى أن ابن عبد الكريم لا يرغب فى الهروب من الباخرة، خصوصا وانه نزل فى عدن بجميع العائلة، ثم رجع تلقائيا .

وهكذا فعل فى بور سعيد، فقد نزل ونزلت عائلته جميعا ذكورا وأناثا، وأول ما فعله ابن عبد الكريم أنه قصد محافظة الميناء للسلام على المحافظ، الذى أبلغه بدوره تشكرات ملك مصر على رسالته الرقيقة،

وهنا أبدى من جديد رغبته فى المكوث بمصر، محتميا بملكها، ووعده المحافظ بابلاغ رغبته الى جلالته .

ثم ان السجناء جميعا، رجعوا الى الباخرة، وباتوا فيها وفى غده نزلوا للمرة الثانية، ولم يتركوا فى الباخرة، الا الجثة المحنطة والاثاث الذى يزن سبعة أطنان، فأبلغ المحافظ الامير ترحاب الملك به

وبأسرته فى وطنهم العربى، فلم يعودوا الى الباخرة من تلك الساعة .
وهكذا يكون وقع فى الاسر يوم 26 ماى 1926 بمعقل الكفـاح بترجيست، وغادره على الساعة العاشرة صباحا من 2 يونيـه 1947، وهى مدة عشرين سنة وأيـام .

الاستعمـار يضرب اخماسا فى أسداس :

وبطبيعة الاستعمـار، فان دوائر كل من فرنسا واسبانيا أقامت ضجة صاخبة، سواء بواسطة الجهاز الرسمى أو الجهاز الاعلامى، فقد جاء عـن متحدث بلسان وزارة الخارجيةـ الافرنسية أن نـزول محمد عبد الكريم ببور سعيد أحدث اندهاشا عظيمـا فى الاوساط الحكوميـة الافرنسيـة .

وقال مرة أخرى «ان محمد عبد الكريم استسلم لفرنسا سنة 1926، والتزم بالبقاء تحت الحكم الافرنسى وكان سلوكه دائما حسنا، وقد قبلنا كلامه دائما بشرفه المؤكد، والعمل الذى قام به اليوم بعـد سلوكه النبيل، منذ التزم لفرنسا، أحدث فى نفوسنا دهشة عظيمة» .

ولما سئل المتحدث بلسان وزارة الخارجية، فيما يكون منتظرا ان يحرك ذلك رد الفعل الرسمى لدى الحكومة الاسبانية، أجاب بأنـه من المؤكد أن تبعث الحكومة الاسبانيـة احتجاجـا لمصر، فتطلب مـن الحكومة الافرنسية توضيحات عن نزول زعيم الريف فى بور سعيد» .

وقامت ضجة فى البرلمان الافرنسى، وطالب من الحكومة الافرنسية ايضاحات الامر الذى أدى بالحكومة الافرنسية استدعاء سفيرها فى مصر وحاكم جزيرة لاريونيون، واجتمع مجلس وزرائها لبحث القضية واستمع الـوزراء لبيان وزير الخارجيـة، الذى أعلن أن نزوله كان باغراء مـن الحكومة المصرية تآمرت على تهريب محمد عبد الكريم .

ورد عليه السفير بأن بلاده لم تقم الا بالسماح للاجىء سياسى التجـأ اليهـا .

واستمرت الصحف الافرنسية عدة أسابيع تنشر تعليقات ضافية جاء فى صحيفة «الفيكارو» ان الرأى العام الافرننسى يشعر جدا بخجل

من الاهانة التى لحقت بفرنسا»، وبالعكس، فان الصحف البريطانية والامريكية اشادت ببطل الريف وسمعته فى المشرق والمغرب .

وردت عليها الصحف الافرنسية قائلة «ان بلادا قبلت مثل تضحياتها فى سبيل النصر المشترك، (يعنى فى الحرب العظمى) وكانت اذا أصيبت بجرح وضعف ان تستحق معاملة أحسن من طرف الامة الكبيرة (يعنى بريطانيا) التى كانت فرنسا دائما صديقة لها، عظيمة الاخلاص والتجرد» .

وقد تساءلت صحف الاقطار الاسلامية فى الصين والهند وتركيا، عن تخوف فرنسا، هل مرجعه الى ان عمله (ابن عبد الكريم) هو جزء من برنامج، نظمه زعماء المغرب الموجودون فى مصر، الذى لا شك أن هذا الغرض هو منشأ سائر التخوفات الافرنسية، وقالت «ولكن ان موقف فرنسا ضعيف جدا من الوجهة القانونية، لانه لا يوجد قانون فرنسى يلزم الزعيم الريفى، أن يقيم بفرنسا بعدما تقرر تحريره»، وفى الاخير لما رأت فرنسا أن موقفها ضعيف، صرح وزير الخارجية فى البرلمان «بان عبد الكريم يعتبر خائنا لوعده الذى تلزمه التقاليد والاوامر الاسلامية باحترامه» .

ومن البديهى، فان هذا التصريح، يبدو غريبا، حيث يطلب من الرجل أن يبقى فى الاسر مدى الحياة عن اختيار ورضى، فى حين أنه وجد خلاصا من أسره بدون صعوبة .

ولذا جاء فى كتاب الحركات الاستقلالية (1) «ان الولاة الاستعماريين الافرنسيين، هم الذين لم يفوا للبطل المغربى، فانه لم يستسلم الا بعد مخابرات بينه وبين ممثلى فرانسا العسكريين والمدنيين، انتهت بأن أعطته الامان التام على نفسه وأهله، وفرنسا لم تكن تدعى غير تنفيذ رغبة سلطان المغرب» «واذا فقد كان واجبا عليها أن تحترم العرف المغربى والتقليد العسكرى، فى البلاد فيما يخص الامان وذلك يقضى بعدم اعتقالها للمؤمن بحال، بل باطلاق سراحه وتركه حرا بمجرد القائه السلاح» .

---

(1) الحركات الاستقلالية ص. 347 .

استئناف النضال

وعلى كل فقد أصبح الآن حرا طيلقا، وحصل ما كانت فرنسا واسبانيا تتخوفان منه، من عودته الى النضال، واذا كان فى ثورة الريف بالامس لم يحتف به قادة نضال المغرب العربى، فانه الآن التف حوله خلاصة الزعماء، ممن ذاقوا مرارة النفى على يد المستعمرين (الاستاذ علال الفاسى الى الغابون وبورقيبة غادر تونس مختفيا الى القاهرة وكذلك الاستاذ الطريس)، وكان من المهام الاولى التى اجمع عليها أولئك القادة، تنظيم لجنة تحرير المغرب العربى التى كانت قائمة الذات، بصفة «مكتب المغرب العربى» لتوحيد الخطط وتنسيق عمل الكفاح المشترك، شارك فيه جميع الحركات الوطنية بالمغرب العربى والتى كانت محتاجة الى مناضل ثورى عملى، ولم يكن هناك، من يعطى شرايينها دما سخونا، يؤهلها لحركة دائبة جدية ذات مردود قوى، يقتنع الجميع بأن القوس أعطى باريها مثل ابن عبد الكريم، الذى يرن اسمه فى أذن الاستعمار كالصاعقة المحرقة، فقد جاء الآن بطل حرب الريف، ليعيد الجهاد على رأس «لجنة المغرب العربى» منذ نزوله بأرض الكنانة (1).

وهكذا تقرر باجماع أن تلح عليه لكى يستأنف نشاطه المعهود فيه، واذا كان من طبيعته تلك المفطور عليها لا يسعه الا أن يتلمس استجابة القدر .

وفعلا تألف مكتب لجنة تحرير المغرب العربى على الشكل التالى:

الرئيس مدى الحياة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابى .

وكيل الرئيس مدى الحياة : السيد امحمد بن عبد الكريم الخطابى (أخوه) .

الامين العام : الزعيم الحبيب بورقيبة من حزب الدستور التونسى

أمين الصندوق محمد بن عبود من حزب الاصلاح الوطنى المغربى

وقد بادر المكتب واصدر بيانا بتوقيع الرئيس الى سائر الاحزاب

(1) الحركات الاستقلالية ص. 108 .

بأقطار المغرب العربى لاخبارهم بتأسيس اللجنة ويطلب مصادقتهم الرسمية وتعيين ممثليهم لدى اللجنة .

ثم أصدر ميثاقا بتاريخ دجنبر 1947، جاء مضمونه كالتالى :

1 ــ المغرب العربى مسلم، ويبقى مسلما .

2 ــ المغرب العربى جزء لا يتجزء من الامة العربية .

3 ــ المطلوب استقلال أقطار المغرب العربى الثلاثة .

4 ــ لا مفاوضة مع المستعمر الا على الاستقلال .

5 ــ للاحزاب السياسية الاعضاء فى لجنة تحرير المغرب العربى أن تتفاوض مع فرانسا واسبانيا شرط احاطة لجنة المغرب العربى بمراحل المفاوضة .

6 ــ يبقى الكفاح مستمرا الا اذا حصل استقلال جميع الاقطار الثلاثة .

وبعد تأليف اللجنة، وفى 3 يناير 1948 أصدر رئيس مكتب اللجنة بيانا وزع على الصحافة العربية والاجنبية، يعلن فيه أهداف ومبادىء لجنة تحرير المغرب العربى، دعى فيه جميع الوطنيين الى التعاضد والتكاتف والاتحاد لاسترجاع الاستقلال الذى ضاع من أيدى الاقطار الثلاثة، كما عبر فيه عن ارتياحه لما وجده فى القادة الموجودين فى القاهرة من الاهتمام بهذه المبادىء والاقتناع بأن قضيتهم مجموعة قضية واحدة.

كما توجه الى شعوب الدول التى ناصرت قضايا الاقطار الثلاثة بالتحية والشكر .

وقد كان اخلاص ابن عبد الكريم للاهداف التى وردت فى الميثاق قويا، شأنه فى ذلك شأن اخلاصه لعمله الثورى ضد الاستعمار فى المغرب الاقصى، وكانت تحذوه عقيدة صادقة بأن القادة المغاربة فى أقطارهم الثلاثة، سيخلصون أقطارهم من الاستعباد، خلاصا تاما، ضمن الميثاق الذى ارتضوه كقاعدة لعملهم بعدما طرح أمام الاحزاب السياسية للاقطار الثلاثة للمصادقة عليه، فصادق عليه (1) الحزب الحر الدستورى (2) حزب الشعب الجزائرى (3) حزب الوحدة المغربية (4) حزب الاصلاح الوطنى، (5) حزب الشورى والاستقلال (6) حزب الاستقلال .

وبما أن الامين العام وأمين الصندوق مدة انتدابهما كانت لمـدة ثلاثة أشهر، فانه بتاريخ 10 ماى 1948 عقدت الجمعية العامة وقـررت اجراء الانتخابات للعضوين فاستقرت النتيجة على انتخاب الاستاذ علال الفاسى أمينا عاما والدكتور الحبيب ثامر أمين الصندوق .

وفى نطاق مبادىء الميثاق سارت الامور لعدة سنوات على نهجه، وكان البند الخامس الخاص بالميثاق المتعلق بمفاوضة الاحزاب الاعضـاء فى لجنة تحرير المغرب العربى الافرنسيين والاسبان، يعطى المشروعية لتلك الاحزاب باجراء المفاوضات مع فرانسا واسبانيا .

ولكن فى نطاق هذا الميثاق أيضا كانت تظهر له الرؤيا غير واضحة، عندما قبل التونسيبيون فتح المفاوضة مع فرانسا على أساس الاستقـلال الداخلى وهو دون ما نص عليه الميثاق الوطنى المشار اليه، وكذلك بالنسبة لمفاوضة المغاربة فى «ايكس ليبان» التى اسفرت عن استقلال جزء فقـط من الوطن، وبقيت أجزاء مثل سبتة ومليلية، وما بينهما من الصخـور، وافنى والصحراء كما عاب على الجزائريين الذين قبلوا مفاوضة «ايفان» مع فرنسا، والحال أن الاستقلال كان ينزع بقوة السلاح، وليس بالمفاوضة التى تعثرت مـرارا .

وقد بدا مرة أخرى أن الرجل كان ثوريا بالمعنى الحقيقى، وذلك ما دعاه لان لا يقبل العودة الى وطنه ما دام جندى أجنبى واحـد فى المغرب العربـى .

وهذا ما ينفى عنه ما حاول الاستعمار الصاقه به ابان حـرب الريف من أنه لم يكن ثائرا بالمعنى الوطنى، وانما كان راغبا فى الاستيلاء على الحكم، ورغم أنه يصرح دائما أن نضاله مستوحى من عقيدة اعادة مجد الاسلام الذى هو عدم طأطأة الرأس أمام المعتدين، الا أنه حمـل عبىء تلك الاباطيل التى ينفثهـا الاستعمار فى حروبـه النفسية، كمـا تحمل عبىء الحرب المسلحـة .

وبهذه ا لروح الوطنية، كان يدلى بالتصريحات أثناء الحرب، وفى مضمار ذلك نقل عنه المراقب المدنى ورئيس المخابرات بتاوريـرت غرابيبلى، الذى سبق الكلام عنه مرارا «أن ابن عبد الكريم قال لـه «ان المسألة التى تهمنا هى الاستقلال التام، بـدون تحفظ، للشعب

الريفى، الذى هو على استعداد تام لتحقيق هذا الغرض، وأنا شخصيا ليس لى أى طموح قط، فلا أطمع فى السلطانية، ولا فى الحكم المطلق، واذا كنت أشكل عرقلة فانى مستعد للانسحاب، لاترك مكانى لغيـرى، نريد أن نعيش أحرارا مستقلين لا يحكمنا الا الله تعالى» .

أما عندما أصبح حرا طليقا، وكان من حقه الادلاء بالتصريحات وبالاخص بعد تأليف لجنة تحرير المغـرب العربى، فانه لم تمر أيـة مناسبة، دون أن يقوم بعمل يبدد تلك الشائعات المزيفة .

فعندما اشتد الخلاف بين فرنسا وبين جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه وقبل نفيه طرق ابن عبد الكريم المراجع التى يمكن أن تؤثر على فرانسا بارجاعها عن غيها، وهكذا تدخل لدى رئيس الولايـات المتحدة «ترومان» لالفات نظره الى ما تستهدف فرانسا من وراء ما تقوم به ضد جلالته، وطالبه بالتدخل لحماية جلالتـه .

وكما استنجد بالجامعة العربية التى نهضت دولها للتعبير عـن تضامنها، لانجاد الملك والدفاع عن قضيته التى هى قضية العرب .

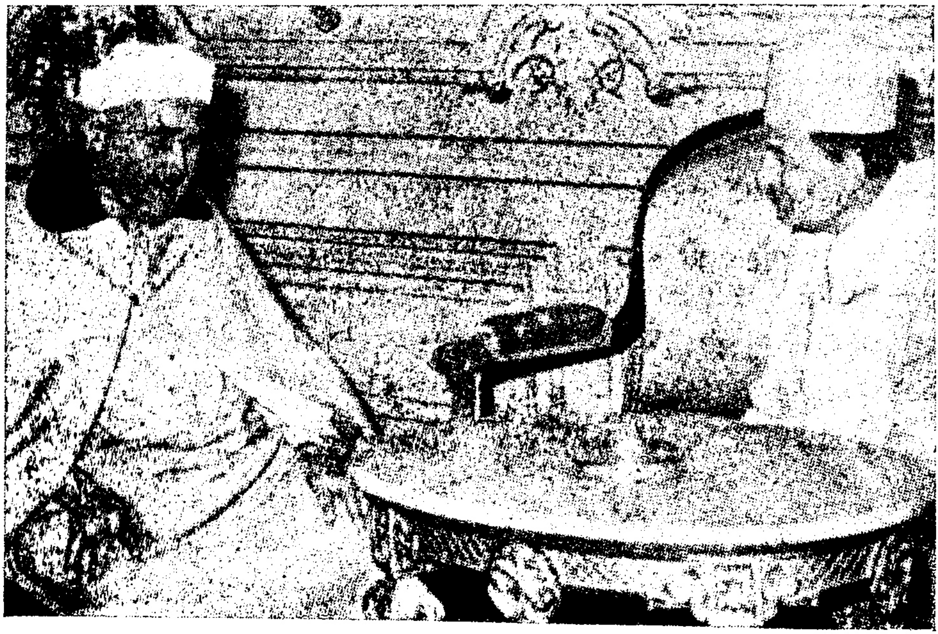
وعندما أقدمت الحكومة الافرنسية فى غشت 1953 على نفى الملك وعائلته الى مدغشقر، قام ابن عبد الكريم بمساع مكثفة لـدى الحكومات العربية والاسلامية والغربية، لفائدة العرش المغربى وملكه، الذى ضحى فى سبيل شعبه تضحية فريدة من نوعها، واسمى ما يمكن أن يكون فى طوق البشر، عندما رغب عن الملك لصالح شعبه، وهـو أى الملك أعز ما يتنافس فيه المتنافسون .

وكان السبب فى اشعال المقاومة المغربية، التى ساهم فيها ابـن عبد الكريم بدور فعال، لان اليـد الاثيمة مست رمز الامة، والمقدسات الوطنيـة .

مكافأة محمد الخامس للبطـل المغربى

وكان اهتمام محمد الخامس بالزعيم الخطابى يتناسب واهتمامه بقضايا المغرب عامة، التى ضحى من أجلها بعرشه، فأول ما استرجع عرشه ورجع الى وطنه، ليقود السفينة الى شاطىء العظمة، استفسـر

صــورة الــغــلاف



بطل التحرير محمد الخامس يستقبل أسد الريف ابن عبد الكريم
بالقـاهـرة سنـة 1960

عن أحواله، وأوفد مبعوثين للاطلاع عن تلك الاحوال، ولدعوته للرجـوع الى المغرب، حتى يحتضنه وطنه الذى هو مسقـط رأسه، ويستفيـد من تجاربيه البطولية، ومكافأته على قدر عظيم أعماله الوطنية .

وعندما أجاب بأنه لم يحن الوقت بعد للرجوع الى المغرب مادام هناك احتلال أجنبى لبعض الاطراف المغربية، خصص له جلالة الملـك مرتبا يتناسب وحالته المعيشية كرجل دولة اسدى اليها خيرا من طاقته بل كان محمد الخامس رضى الله عنه يشمله بالهدايا التقليدية من قصره العامر أيام الاعياد معتبرا اياه أنه من أخص رجال القصـر .

ومع عدم رجوعه بنفسه الى المغرب، فانه يعتبر بالنسبة لاولاده وأولاد أخيه وعمه راجعا، اذ أنه أمرهم بمشاركتهم فى الحياة المغربيـة العامة، ويتكيفون مع حاجياتها، فكان منهم من التحق بالقوات المسلحـة الملكية برتب الضباط السامين، ومنهم من امتهن الطب بمهارة فائقـة، ومنهم من التحق بالسلك الدبلوماسى .

أما القاهرة ، فقد أصبحت محجا لحكومة صاحب الجلالة مـن رأس الحكومـة الاستاذ الحاج احمد بلافريـج الى الرئيس الاستـاذ عبد الله ابراهيم، بل هذا الاخير اهتم اهتماما متزايدا بشرؤون البطل الخاصة، فتتبع أحواله تتبعا متيقظا، لاجل انهاء الحالة المعقدة التى كان الاستعمـار فرضها على أملاكـه .

وكما كانت محجا أيضا لقادة الحركة الوطنية ورجال الفكر، فلـم يشذ أحد منهم دون أن يكون من برامج حياته الوطنية والفكرية أن يرحل ضاربا اليه أكباد الابل كما يقال للسماع منه مباشرة عن تجاربيه الطويلة العريضة، وعن حياته الكفاحية ضد غزاة المغرب .

وعند ما زار جلالة محمد الخامس رحمه الله الاقطار العربيـة خصص له وقتا ثمينا لمقابلته، فلما استفسره عن صحته وأحواله أبـدى له اعترافه واعتراف المغرب أجمع، بأعماله البطولية، التى قام بها بوحى من تحرير بلاده من السيطرة الاستعماريـة .

ثم زاره فى نفس الفترة الامير مولاى عبد الله، الذى أبدى نحوه عطفا كبيرا، وحنانا بطوليا، ولما مات محمد الخامس قدس الله روحـه سنة 1961، جزع الزعيم الخطابى جزعا لا مثيل له، حسبما روى عنه

شهود عيان، وبادر الى ارسال برقية التعزية الى خلفه ووارث سره جلالة الحسن الثانى، الذى غمره بعطفه أيضا .

ولا يفوت هنا أن أشير الى التقدير الذى وجده عند البلاط المصرى، ثم عند الجمهورية المصرية بعد ذلك، فقد كان الاعتناء به كبيرا اذ خصص الملك فاروق ميزانية لنفقاته قيل أنها 600 جنيه استرلينى شهريا، كما خصص له قصرا للاقامة .

وفى هذا الميدان جاء فى كتاب الحركة الاستقلالية (1) «وليس من الممكن أن نعبر عن الاثر الحميد الذى أحدثه صنيع الفاروق فى نفوس المغاربة عموما (أى مغاربة المغرب العربى) والمراكشيين خصوصا، وقد سر جلالة سلطان المغرب لهذه المأثرة المصرية العظيمة، واعتبرها من أطيب الايادى التى أسدتها الاسرة الملكية المصرية للعرش المغربى وعاهله العظيم» .

وهو دليل ناصع على تقدير الملك محمد الخامس لجهاده، ودليل على كذب الشائعات الاستعمارية ابان المعارك، وزاد كتاب الحركات الاستقلالية قائلا. «ولم يكن الاثر فى نفوس المسلمين بالهند والصين ومهاجرى أمريكا، وافريقيا السوداء واستراليا بأقل من الاثر فى نفوسنا نحن، ولقد وصلت برقيات التهانى والشكر من جميع أنحاء المعمور، وكلها تضامن مع المغاربة فى جهادهم واستبشار باطلاق سراح البطل الريفى، وثناء على همة ملك وادى النيل وشعبه النبيل» .

ولما غاب فاروق عن المسرح المصرى أسدى من بعده رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر القائد العظيم اهتماما كبيرا بالبطل المغربى، واستمر العمل بما كان مخصصا له من المزايا المادية والاحترام اللائق به .

لعنة المخابرات تلاحق غابرابيلى

بعد رحلتنا الطويلة، مع نضال ابن عبد الكريم، يجدر بنا هنا أن نتفكه بقصة «ليون غابرابيلى» رئيس المخابرات الجهوية بتوريرت

---

(1) كتاب الحركات الاستقلالية ص. 344 للاستاذ علال الفاسى .

ضد الثورة، والذى رحل الى الريف فى ذلك الابان مرتين، اجتمع خلالهما مع زعيم الريف، وذلك لاجل الاستطلاع وتقديم التقارير الى المرشـــال «اليوطـــى» .

ولذا عد فى فرانسا من معارف ابن عبد الكريم (وليس صديقـــا لان تقاريره كانت سموما ضـــده، حسمبا سبقت الاشـــارة الى ذلك فى عرض الاحـــداث) .

وبصفة هذه المعرفة، فقد لاحقته لعنـــة مهنته الاصلية، بعـــد عشرين سنة من انتهائها بالنسبة للتجسس على الريف .

ذلك أن القصة هذه المرة تتمثل كما يأتـــى: قد بقى غابرابيلـــى موظفا فى المغرب الى أيام رحيل ابن عبد الكريم من منفاه، فوقع الاختيار عليه لتدبير شؤون نزول ابن عبد الكريم وعائلته، واقامتهم فى فرانســـا وربما لمراقبته أيضـــا .

ويبدو أن هذا الاختيار أهله اليه ما خبره عن الريف، وخبرته فى ميدان المخابرات، ولذا اختير ليهىء لضيف فرانسا الكبير الذى هو سجينها فى نفس الوقت، محل اقامته، فى مكان بعيد عن الحدود الاسبانيـــة، لان هذه احتجت على فرنسا لنقله من منفاه، وبالتالى لا يجوز أن يكـــون قريبا من حدودها لان خصمها اللدود لا زال حيا يرزق بل اذا اقترب من بلدها فان ذلك يشوش عليها، ويوحى لها بذكريات المآسى التى كبدها لها.

وهنا غادر «ليون غابربيلى» المغرب، بمرافقة مراقب مدنى يكون دوره التكليف بالشؤون الادارية للزعيم الخطابى، بمعنى أن يكون مراقبا مدنيا اداريا فى داخل بلد فرنسا نفسها حسبما يبدو .

وقد زود غابرابيلى بتعليمات من وزارة الخارجية فى شأن حياة ابن عبد الكريم وعلاقته بالناس، هذه التعليمات التى تقتضى أن يعيش حرا مثل عيشة باى تونس السابق فى فرانسا نفسها، ومعنى الحرية هنا هى أن لا يكون مسجونا بين الجدران، وان له أن يتقابل مع الزائريـــن، وان يتكلم بحرية وليس معناها أن يتصرف فى نفسه كيف شاء، أى فهـــو سجين غير مقيد الحريـــة .

ورغم ذلك فان صديقه؟ هذا خذر دولته من اعطائه هذه الحرية المقيدة، وقال انه ينبغى الاحتراس منه، الا أنه استقل ثلاثمائة ألـــف

فرنك المخصصة لنفقة العائلة قائلا أن فرنسا يبدو أنها تريد اكرامه ومع ذلك فان هذا القدر من الميزانية لا يترجم هذه النوايا نحـوه .

وعلى كل فان غابرابيلى توجه الى الشاطئ الازرق البعيد عن اسبانيا قدر الامكان للبحث عن البيت الملائم، الذى ينزل فيه، وقد عثر عليه فى «فيل نوفلوبى» قرب منزل المرشال بيتان بكيلومترين فقط، وكان قريبا الى كليات الدراسة، لتسهيل متابعة الدراسة للاولاد .

وفعلا وقع عقد الكراء على قصر بمبلغ خمسمائة الف فرنك، حيث أثثه بمليونى فرنك مع ما يكفى من الاغذية لمدة شهر .

وكان ينتظر بفارغ الصبر أن يستقبل الزعيم الذى عرفه فى أيام عزته لاحياء ذكريات تلك الزيارات .

الا انه ما لبث أن انزعج انزعاجا، حينما سمع بان الوافدين غيروا اتجاههم الى قطر آخر، وانهم لا يصلون الى فرنسا أبدا .

وقد كان مبعث انزعاجه كما يظهر :

أولا : كان يأمل من وراء هـذه المهمة أن يدرك قلب لورانس المغرب بمصاحبتـه لزعيم عربى أسـوة بلورنس العرب الانجليزى فى الحرب العظمى الاولى .

ثانيـا : كيف يتخلص من عقد كراء عقده فى قصر فخم، قد أثثه بفاخر الاثاث، وكيف يتخلص من مواد غذائية هى تمثـل معيشة قـوم مسلمين صالحين .

ثالثا : كيف يعتذر لهؤلاء الذين ازعجهم بالحاجه لتسوية تلك المشاكل المضنية التى صادفته اثناء البحث عن البيت اللائق وعن الطعام، بصفتهم العمدة للبلدة ورجال السلطة المحلية، وكيف يمكن له أن يتخير صيغة لبقة للاعتذار دون أن تترك اثرا نفسانيا؟ عندما يتلهون به وباعتنائه المتناهى من دون طائـل .

رابعا : ثم أن لعنة أخرى لاحقته عندما كلـف بملاقاة الباخـرة «كانتومبيا» الى مرسيليا لتقبل العفش الذى يزن سبعة أطنان، ويحتضن صندوق الجثة المحنطة، التى يجب عليه أن يعثـر على مستودع لجثث الاموات، وهو فى بلد غير اسلامى، ليس هناك الا مستودع فى الكنيسة المسيحية. ولما لم يجد ملجأ، فانه عمد الى شراء قبر فى مقبرة المسلمين

أودع فيه الصندوق ريثما ينقل الى مثواه الاخير بالمغرب بعد 18 شهرا بالطائرة حيث دفنت الجثـــة .

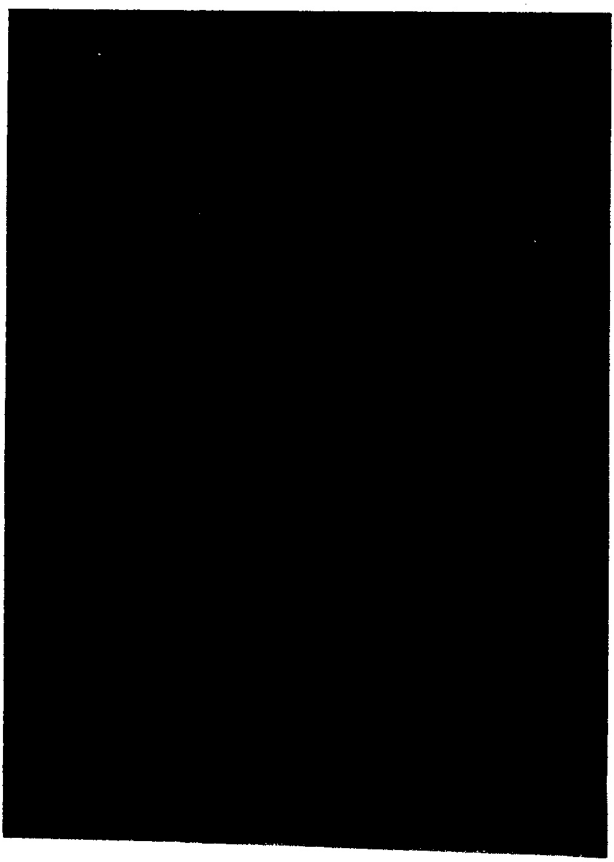
الابطــال الثلاثـــة فى نمـــة التاريـــخ

بتاريخ شهر يوليوز 1953 التحق بالرفيق الاعلى الشهيد السيد عبد السلام الخطابى عم ابن عبد الكريم عن سن يناهز الثلاثة والسبعين، قضى مدة نفى العائلة الخطابية فى المنفى السحيق وعاد الى الوطن العربى مع الجميع، وكان ثالث الاثافى فى حرب الريف التحريرية، اذ تولى نظارة المالية فى قيادة الثورة، وضبطها ونماها، كما سبقت الاشارة الى ذلـــك، ودفن فى القاهرة رحمه الله رحمة واسعة .

وهو والد الطبيب الجراحى الماهر الشاب المتوقد ذكاء وحماسا الدكتور عمر الخطابى الذى يدير عيادته بالقنيطرة بضمير مهنى عـــال حفظه الله .

وفى سادس فبراير 1963 فى شهر رمضان المعظـــم استأثــر سبحانه وتعالى بالمجاهد العظيم الشهيد محمد عبد الكريم الخطـــابى وهو فى الواحدة والثمانين من العمر، وقد كان قبل ذلك بنحو عشر سنين سقط مريضا فى عام 1953، وكان يشكو من حصيات فى مرارته، الا أنـــه شفى، وكانت موتـــه فجائيـــة، وهـــو نائم، ودفن فى القاهرة أيضـــا وشيع جثمانه الى مقبرة الشهداء بالعباسية، فى حفل وطنى كبير يتقدمه الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء الحكومة المصرية والسفراء العرب، وممثلو جميع اقطار الاسلام والهيئات الوطنية وأصحاب الفكر يحتـــف بالنعش ممثلو جلالة الملك الحسن الثانى بوفد مغربى رسمى يتكون من وزير الصحة الدكتور عبد الكريم الخطيب ووزير الاوقاف الحاج احمـــد بركاش، وسفير جلالته فى القاهرة السيد احمد بلمليح، كما بعث جلالة الملك الى السفير عشرة ملايين فرنكـــا لتسديد نفقات الجنازة وتوزيـــع الصدقـــات .

وقد قيل كثير عن عدم نقل جثته الى المغرب حسب رغبة جلالـــة الملك الحسن الثانى، ولكن الواقع كما جاء فى كتاب زعيم الريف للاستاذ العلمى، ان سبب ذلك راجع الى ان القوانين الدولية، ومن ضمنها المصرية



الشهداء الثلاثة ابن عبد الكريم وأخوه امحمد وعمه عبد السلام

تقتضى أن نقل الجثة من بلد الى بلد بعد 48 ساعة تحتاج الى تشريحها وتحنيطها، وذلك ما صعب على عائلته أن يروا بطلهم على منصة التشريح تجرى له عملية المجزرة، ففضلوا دفنه فى القاهرة وهى موطن لكل عربى مسلم، وقد خلف رحمه الله ذرية صالحة، ذكـورا واناثا، وعلى رأسهـا عميدها الحالى الاستاذ ادريس بن محمد بن عبد الكريم الخطابى، الذى كان يعتبر أيام حياة والده أمين سره والمتخلق باخلاقه العصاميـة، وكلهم من هذا النمط حفظهم الله .

وفى يوم 19 دجنبر 1967 توفى البطل الثالث الشهيد امحمد بن عبد الكريم الخطابى بالمغرب بعدما قدم من القاهرة الى الرباط، وقـد كانت صحته متداعية لازمة قلبية حادة، وبمجرد ما وصل أمر جلالة الملك الحسن الثانى بعد مقابلته معه، بأن يدخـل الى مستشفى ابن سينـاء ليعالج وبعدمـا استرد بعض قوته سافـر الى مراكش لينتفع بهوائهـا المنعش، وبعدما رجع الى الرباط، عاودته الهجمة القلبية لم ينفع فيـه علاج، فتوفى رحمه الله، ونقلت جثته بأمر من جلالة الملك وطبق وصيته الى مسقط رأسه بأجدير فدفن بمقبرة المجاهدين هناك، وقد أقيمت لـه جنازة حافلـة .

اذ تقاطر سكان الريف الى المقبرة عن بكرة أبيهم، ووجه جلالة الملك وفدا هاما ينوب عنه يتركب من وزير التشريفات الجنرال مـولاى عبد الحفيظ العلوى، ومن وزير الداخلية الجنرال أفقير ومن وزير الاوقاف الحاج احمد بركاش وحضرت وفـود عن الاحزاب السياسية والهيئـات الوطنيـة .

وله من الاولاد الاستاذ رشيد الذى كان قنصلا عاما بدمشـق توفى بعده ودفن بنفس المقبرة والكرونيل محمد الذى أصيب بمـرض شفـاه اللـه (1) .

وهنا لابد من ذكر حادثة هامـة ينبغى الوقوف عندها لانهـا كانت سببا فى وقـوع خلط عند تأبينه فى اليوم الاربعين لوفاتـه، ذلك أنه عندما وضعت الجثة على حافة القبـر، طلبت الوفود الوطنيـة أن تؤبنه بالخطب تقديرا له ولاخيه الكبير، فأذنت عائلته التى كان علـى

---

(1) توفى رحمه الله فى شهر يونيه 1976 .

رأسها ابنه السيد رشيد الخطابى فتسابق الخطباء، بذكر مزايا كفاحه وكفاح أخيه الاكبر .

ويبدو أن الجنرال أفقير قد ضاق صدره، أو كان يحاول تعكير الجو لحاجة فى نفسه، فبينما كان أحد الخطباء يلقى كلمته، أمر الجنرال أربعة من الرجال بحمل النعش وايداعه فى القبر، فما كان من ابنه رشيد الا أن صاح قائلا: ابتعدوا عن الجنازة، فانها ملك لذويها، ولا يحق لاحد أن يتصرف فيها، فابتعدوا .

ويظهر أن الجنرال أسرها فى نفسه الى اليوم الاربعين لتأبينه فبعدما بلغ الاذن الى رجال السلطة بالاحتفال بتأبينه فى الريف احتفالا يليق بكفاحه، وكلف صاحب الجلالة وفدا ينوب عنه وجعلت الوفود تتقاطر من كل جهات المغرب مع الصحافة الاجنبية، أراد أفقير أن ينتقم لما لحقه يوم الجنازة، أو كما قيل ـ فوق ذلك ـ كان الغرض هو احداث بلبلة فى الريف، بوحى من نواياه السيئة التى أوردته حتفه .

ولاجل تنفيذ المكيدة، فقد استعمل أساليبه لارسال برقيات الاحتجاج الى الرباط، ضد حضور الاحزاب السياسية فى المأتم، تذرعا بقضية نقل جثة العباس من فاس الى كزناية التى أعقبتها قلاقل الريف 1959، وهنا أعطى كلمة أخرى لرجال السلطة ليمنعوا اقامة المأتم على قبره .

وعلى كل فان كل حى ميت، ولا يبقى الا الذكر الجميل، وذلك ما خلفه هؤلاء المجاهدون الشهداء البررة رحمهم الله رحمة واسعة، وأسكنهم فسيح جنانه مع الشهداء والصالحين .

تم الكتاب بعون الله

تــقــديــــر واكـــبـــار

والى هنا فقد انتهيت من كتاب «حرب الريف التحريرية ومراحل النضال» فى جزئيه، ويجـدر بى أن لا أتجاوز هـذه النهاية السعيدة، التى حققت اخراج الكتاب الى القراء الكرام، مسجلا فيه الاحداث وداعيها، التى كانت هى نفسها الحاثـة على تسجيلها، كما يرى القراء من تتبعهـا .

دون أن أروى للحقيقة والتاريخ، ما ملك على اعجابى وتقديـرى من هذا الوطنى الغيور السيـد الحاج عبد السلام جسوس، الذى حباه الله بصدق الطوية، وحسن الادراك للقضايا الوطنية فى مظاهرها المختلفة، والمتفانى فى خدمة الثقافة علـى اختلاف مشاريعها، وبالاخص بوسائل النشر والتوزيع تحـت شعار «دار الفكر للنشر والتوزيع» التى يديرها بهمة الشـاب المتوثب، والمشرف على مطبعة «دار أمـل» بطنجة .

أقول ملك على تقديرى، ذلك لانى لما بدأت أفاوضه فى مشروع طبـع الكتاب ونشره، فى أول ملاقاتى معه، بادرنى فى صراحة، بأنه يقبل الطبع اذا كان الكتاب لا يمس كرامة المناضل البطل ابن عبد الكريم الخطابى وجهاده فى سبيل الحق ووطنه، لان نضاله من أمجـاد الوطنية المغربية يجب أن تبقى ناصعـة نصوع عمله الجبـار .

وهنا أدركت انى عثرت على ضالتى المنشـودة، وان الكتاب هو فى طريقـه الى القراء، وتيقنت أن صدق طويـة المجاهد ابن عبد الكريم فى جهاده هو الذى يسر للكتاب أن يجد فى طريق ولادتـه هذا الشاب الشهم فى هذه العقيدة الثابتـة حفظه اللـه .

جدول الخطأ والصواب
الجزء الثانى

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
لتقريض	لتفريظ	3	3
المتحسمة	المتجسمة	7	9
الى	الذى	15	15
العسبرية	العسكرية	25	2
المتمردية	المتردية	25	10
موسى	بنى موسى	28	20
الناهضة	الباهضة	33	7
سقطت كلمة	يخاطب	49	11
تكرر سطر	كامل	49	12
ليلة	الليلة	63	12
جُوفا	خوفا	70	7
سعريرة	شعريرة	80	12
والدين	والذين	81	17
المحربين	المحاربين	91	8
وعميلا	وعمليا	92	20
ردا	رادا	99	9
لاهم	لانهم	106	22
يتساورا	ليتشاورا	115	23
المراكز	المركز	116	7
ويلد	وليد	116	19
الحلفية	الخلفية	117	11
سقطت كلمة	أن	126	3
النكدر	النكور	139	16
بداو	بدار	151	9
شراؤه	شراءه	179	1
المذكور	المذكورة	185	17
لاء	ولاء	211	16
قيمة	قيمته	214	4
للرئيس	الرئيس	218	11
مما	ما	248	15
جوريف	جوزيف	248	بالهامش
برينحى	برينجى	254	7
اللثلاث	الثلاثة	256	14
يمكن	يكن	267	6
ولوضيعية	وللوضعية	267	11

الخطـأ	الصـواب	الصفحة	السطـر
اختفت	احتفلت	270	1
تتكو	تتكون	276	17
يموت	كلمة زائدة	278	4
تقريست	تفرسيت	280	6
صفتها	صيغتها	282	16
تأخير سطر 14	وتقديم سطر 7	286	
بزنطان	بزيطان	288	بالهامش
الغرض	العرض	296	17
امحمد	احمو	302	14
مفعولا	مغولا	327	23
المفعول	المغول	327	23
حزاعة	خزاعة	328	27
من الدرقاوى	من أن	346	10
البوبصرى	البونصرى	349	16
المنقطة	المنطقة	354	8
ذاويته	زاويتيه	379	9
وجثين	وجثتين	384	14
ا ذ	ا ذ ا	385	11
تشد	تشذ	385	14
بيدقية	بندقية	388	11
من	مع	388	11
احد	احدى	389	19
الجناثي	الجزنائى	481	18
اتباتا	اثباتا	484	بالهامش
قلب	لقب	499	14

فهرس الجزء الثانى

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهـرس الخــرائط والصــور

الصفحة

الصفحة

مراجــع الجــزء الثــانى من كتــاب
«حرب الريف التحريرية ومراحل النضال»

- تاريخ ابن خلدون «العبر وديوان المبتدا والخبـر» فى أيام العـرب والعجم والبربر» (توفى 808 هـ - 1405 م).
- المقـدمـة لـه .
- المعجب، فى أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشى (توفى 825 هـ - 1227 م).
- الاستقصاء فى أخبار المغـرب الاقصى، لابى العباس احمـد بن خالد الناصـرى .
- حاضر العالم الاسلامى تعاليق للامير شكيب أرسلان .
- صحيح الامـام البخارى فى الحديـث .
- المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى فى المغـازى .
- تفسير الجوهرى الطنطاوى الجزء 12 .
- الحركة الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى .
- المغرب ومراحل التهدئة، للجنرال منويل غوديد
- MARRUECOS Y LAS ETAPAS DE LA PACIFICACION (GENERAL MANUEL GOUDED) .
- يوميات الاسـير للسنيور انريكى اركيس .
- DIARIO DE UN CAUTIVO (ENRIQUE ARQUES) .
- الكشكول المغربى للكرونيل منويل مندولاضو تحت الاسم المستعار (الطبجى) .
- MISCELANEN MARROQUI .
- عشرون سنة من التاريـخ .
- 20 AÑOS DE HISTORIA
- المعارك فى الريف والجبالـة للجنرال برينكـير .
- BATALLAS EN EL RIF Y YEBALA (GENERAL BERENGUER) .
- عبد الكريم وحرب الريف للاميركانى دابد ولمان .
- ABDELKARIM Y LA GERRA DEL RIF . (WOOL MUN DAVID) .

ـــ عبد الكريم والاسرى للصحفى لويس دى أرطيثــا .

— ABDILKARIM Y LOS PRISIONEROS (LUIS DE ARTEYZA) .

ـــ كارثـــة أنوال لفرنانديس دى لا الريكيرا، وسوسانا مارش .

— EL DESASTRE DE ANUAL (SUSANA MARCH Y FERNANDEZ DE LA REGUER) .

ـــ مذكرت تشرشيل عن الحرب العالمية الثانيـــة .

ـــ بطل الريـــف لعمرو ابى نصـــر .

ـــ تاريخ تطوان للفقيه سيدى احمد الرهونى .

ـــ مغرب ما قبل سنة 50 للانجليزى اكنول نشره وعلق عليه الاستـــاذ عبد المجيد بن جلـــون .

ـــ محاضرة للاستاذ محمد الخطيب نشرت فى جريدة العلـــم .

ـــ تاريخ المغرب لسيدى المهدى الوزانى .

ـــ كتاب مؤسسة المقطم عن حرب الريف .

ـــ كتاب محمد بن عبد الكريم أمير الريف للانجليزى روبرت فورنو تعريب الدكتور فـــؤاد أيـــوب .

ـــ كتاب عبد الكريم الخطابى للدكتور جلال يحيى .

ـــ تاريخ المغـــرب فى القرن العشريـــن للمؤلف روم لاندو تعريـــب الدكتور نيقولا زيـــادة .

ـــ كتـــاب زعيم الـــريف محمد بن عبد الكريـــم الخطابى للاستـــاذ محمـــد العلمـــى .

ـــ روايـــات عن شهـــود عيـــان .

ـــ مجموعة من المجلات والجرائد الوطنية والاجنبيـــة .

مطبعة دار أمـل ـ طنجـة ـ

بقيـــة شيـــوخي رحمهـــم اللـــه

نشرت فى الجزء الاول مجموعة من شيوخى، الذين اعتمدتهم فى تحصيلى وبالاخص فى جامعة القرويين، التى كانت كعبة رواد المعرفة، مع استدراكى هنـــا. انه سقط غلطا الاسم الشخصى لشيخنا المؤلف المحقق سيدى محمد بن عبد السلام السايح، وبه صـــح التنبيـــه .

ولاتمام لائحة شيوخى، احلى هـــذا الجزء — تبركا وتقديرا — بمجموعـــة ممن حضرت لهم الدروس — عرضا — وانتسبت الى مشيختهم، أو ممن تابعـــت حفظ القرآن تحت اقرائهـــم .

من الصنف الاول — فى فـــاس

شيخ الجماعة العلامة السلفى المتحـــرر سيدى محمد العربى العلـــوى رحمه الله حضرت له دروسا فى القرويين، فى الحديث الشريف .

الشيخ الامام الحافظ الحجة سيدى بوشعيب الدكالى رحمه الله حضرت له درسين فى صحيح البخارى بالقرويين، فى زيارة له الى فاس .

الفقيه العلامة المؤلف المحقق سيدى محمد الحجوى رحمه الله حضرت له درسين فى تفسير قوله تعالى «يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود الخ. بالقرويين فى احدى زياراتـــه الى فـــاس .

الاستاذ الكبير والعلامة الشهير سيدى علال الفاسى رحمه الله حضـــرت له بعض الدروس الملتهبـــة حماسا فى الثلاثينـــات بالقرويـــين فى السيرة النبويـــة (نـــور اليقـــين)

فى مـــكـــة المـــكـــرمـــة

الشيخ عمر حمدان التونسى رحمه الله، الذى كان يدعى امام الحرمـــين الصغـــير لملازمة القاء الدروس فيهما فى الحديـــث .

وفـــى الـــريـــف

العلامـــة المحقق الورع سيدى محمد بن الحاج حدو بوزيان رحمه الله. بدأت عليه قراءة التوحيد بالمرشد المعين، عندما كان خطيبا واماما بجامع قريتنا .

الفقيه الشريف سيدى مولاى البويعقوبى التمسمانى رحمه الله. بـــدأت عليه الآجرومية من نفس القريـــة .

وفى حفظ القـــرآن الكـــريـــم

العلامة النحوى الورع الصـــوفى سيدى محمد بن محمادى التـــوزانى الحسانى رحمه الله الذى ذكرته فى الجزء الاول فى شأن تحصيلى عليه. وكان رحمه الله فضلا عن ذلك يتولى اقراء القرآن فى السنة الاولى من امامته بالقرية .

المقرىء الصالح شيبة الحمد الحاج سيدى شعيب بن الحاج عمر الربضاوى بدأت عليه حفظ القرآن .

المقرىء سيدى عبد السلام أفقير، وهو عمدتى فى حفظ القـــرآن .

المقرىء سيوى امحمد بن علوش هو عمدتى الثانية فى حفظ القرآن .

الكتــــاب

هذا الكتاب نسيج وحده ـ كما ... يقول القدماء ـ اذ لم يسبق لمؤلف ط... موضوع تاريـخ الريف الحديث بهـ... الشمـوليـــة .

والكتــاب من الوجهة الادبية ي... يكون رواية تاريخية بطلها المجاهد العظ... محمد بن عبد الكريم الخطابى، فمن خ... دراسة حياة هــذا البطل عرض المؤلـ... حضارة هـذا الجزء من الوطن بجميــع أبعـادها السيـاسيـة والاقتصـادي... والاجتماعية .

عزيزى القارىء

انك ـ ولا ريـب ـ واجد فى هـ... الكتاب كل ما يجب أن تعرفه عن حقبـ... من تاريخ وطننا كاد الاهمال يحجبها عـ... جيلنا وربما عن الاجيال القادمة

وشعورا من دار الفكر المغربى بهـ... الخطر الذى يهدد جزءا من تاريخ بلادنـ... ... بطبع الكتاب، بجزأيه على نفقتهـ... ...ـة، وشكـرا للاستـاذ ج أحمـ... ...د السـلام البوعياشى الذى أتاح لهـ... ... الفرصـة .

النـاشـر

النـاشــر



الحاج عبد السلام جسوس